

السيرة النبوية

المجلد السادس

مؤلفه
نجم الدين



نظائر الحروف الفتيحة

تأليف
نجاة الطائي

جمعدار

مركز تحقيقات كامبيو

٨

ش - احوال

الجزء الثاني

شبكة كتب الشيعة



shiabooks.net

رابطہ بدیل < mktba.net

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

السيرة النبوية / ج ٦

المفكر الإسلامي الدكتور نجاح الطائي

الطبعة ١ / ١٤٢٦ هـ سق ، ١ / ١٣٨٤ هـ ش

١ / ٢ / ٢٠٠٥ م ، الثالثة

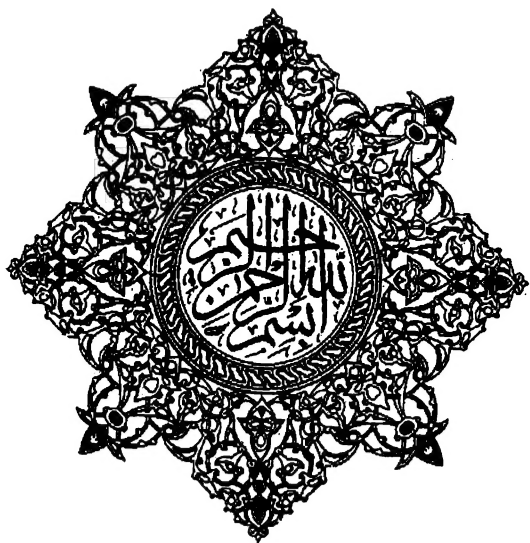
الكمية: ١٠٠٠ عدد

دار الهدى لإحياء التراث لندن - بيروت

بيروت - ساحة الحمراء ، البناية المركزية ، قم - مجمع قدس ١٧ .

BEIRUT_LONDON

WWW.ALTAEI.COM



زهد عمر

حياته المعيشية البسيطة

ونعني بزهد عمر هنا عدم انغماسه في الترف والإسراف، مثلما عرف به معاوية وغيره، أخرج ابن شبة عن قاسم أنه قال: خطب عمر بن الخطاب فقال: إن أمير المؤمنين يشتكي بطنه من الزيت، فإن رأيتم أن تحلوا له ثلاثة دراهم ثمن عكة من سمن بيت مالكم فافعلوا^(١).

وأخرج عن ابن عمر أن عمر حج سنة ثلاث وعشرين، فأنفق في حجته ستة عشر ديناراً، فقال: يا عبد الله أشرفنا في هذا المال^(٢).

وقد تعجبت من اقتراض عمر من بيت المال مبلغاً كبيراً. فقد اقترض عمر مبلغاً قدره ستة وثمانين ألف درهم^(٣).

وإذا كان راتب عمر السنوي يساوي خمسة آلاف درهم فإن المبلغ المقرض يساوي ما يستلمه عمر في ستة عشر عاماً!

والسؤال الذي أوقفني: في أي الموارد صرف عمر تلك الأموال؟ وقيل: إنه قبل مماته طلب من أهله تسديد دينه.

ويذكر أن سعد بن أبي وقاص يوم كان والياً على الكوفة من قبل عثمان، قد اقترض مالاً من بيت المال، وكان عبد الله بن مسعود أميناً لبيت المال. فطالبه ابن

(١) تاريخ المدينة المنورة.

(٢) تاريخ الخلفاء، السهولبي، ١٤١.

(٣) تاريخ الخلفاء، السهولبي، ١٣٥.

مسعود بالمبلغ ، فاعتذر سعد عن التسديد . ومن كثرة مطالبات ابن مسعود واعتذار سعد ، حدثت مشادات كلامية بين الطرفين وانصارهما ، استمرت الى حين تنصيب عثمان لأخيه الوليد بن عقبة والياً على الكوفة ...^(١) واقترض سعد من بيت المال قد أثر سلباً على وجهته وسمعته في الكوفة ، فكان من جملة الأسباب الداعية الى عزله .

وقال الإمام علي عليه السلام لعثمان في ذكر الفرق بينه وبين أبي بكر وعمر : وأما التسوية بينك وبينهما فلست كأحدهما ، إنها وليا هذا الأمر فظلفا أنفسهما (اي كفأ) وأهلها عنه ، وعُنت وقومك عوم السابح في اللجة ، فأرجع الى الله أبا عمرو ، وأنظر هل بقي من عمرك إلا كظلم الحمار^(٢) .

وقال الإمام علي عليه السلام عن عثمان أيضاً : « إلى أن قام ثالث القوم نافجاً حضنيه بين نثليه ومعتلفه ، وقام معه بنو أبيه يخضمون مأل الله خضمه الإبل نبتة الربيع ، إلى أن انتكث عليه قتله ، وأجهز عليه عمله ، وكبت به بطنته »^(٣) . وعن عائشة رضي الله عنها - وقد ذكرت عمر - كان والله أحودياً نسيج وخده .

وقال معاوية : أماً أبو بكر فلم يرد الدنيا ولم ترده ، وأماً عمر فأرادته الدنيا ولم يردها ، وأماً نحن فتمرغنا فيها ظهراً لبطن^(٤) . قال رجل لعمر : قد بدنت ، فقال : وما يعني ، وأنا بين نساء لاهمة هن إلا ما وضعنه في بطني ، والله ما ذاك إلا لأنفسهن دوني ، استغفر الله . الشيخان ، البلاذري ص ٢٣٧ و ذهب عمر ضحية شدته

(١) مختصر تاريخ ابن عساكر ٢٦٤/٩ .

(٢) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ص ١٥/٩ .

(٣) نهج البلاغة ، الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ٣/٣ .

(٤) تاريخ الخلفاء ، السيوطي ١٢٠ .

وعصبيته القرشية والحزبية^(١). وروى الزبير بن بكار عن الزهري قال: لما أتى عمرُ بجوهر كسرى وضع في المسجد فطلعت عليه الشمس فصار كالجمر، فقال لخازن بيت المال: ويحك أرخني من هذا، وأقسمه بين المسلمين، فإن نفسي تهدئي أنه سيكون في هذا بلاء، وفتنة بين الناس. فقال: يأمر المؤمنين إن قسّمته بين المسلمين لم يسمعهم، وليس أحد يشتره؛ لأنّ ثمنه عظيم، ولكن ندعه إلى قابل، فعسى الله أن يفتح على المسلمين بماله، فيشتريه منهم من يشتره.

قال: ارفعه فأدخله بيت المال، وقُتِل عمر وهو بحاله، فأخذه عثمان لما ولى الخلافة فحلّ به بناته.

قال الزبير (بن بكار) فقال الزهري: كلّ قد أحسن عمر حين حرّم نفسه وأقاربه، وعثمان حين وصل أقاربه^(٢).

أقول: ولا أدري من ماذا أتعجب من أخذ عثمان لجوهر كسرى الذي لا يقدر بثمن؟ أم من تعليق ابن شهاب الزهري؟

عمر واستخدام الشدّة

كان عمر بن الخطاب معروفاً بمجدة الطبع وشدّته، واندفاعه السريع نحو الأحداث وإصدار القرارات، وبسبب ذلك ندم على بعض أفعاله وأوامره، كما ترى في طيّات الكتاب. وقد صرّح عمر بنظريته في أول خطبة له قائلاً: انما مثل العرب مثل جمل أنف أتبع قائده، فلينظر قائده حيث يقود، وأمّا أنا فوربّ الكعبة لا حملنهم على الطريق^(٣).

(١) انظر موضوع مقتل عمر بن الخطاب في هذا الكتاب.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ١٦/٩.

(٣) تاريخ الطبري ٦٢٢/٢. وضرب عمر ابن أبي وقاص. الشهبان ص ٢١٨.

وعن ابن ساعدة الهذلي قال: رأيت عمر بن الخطاب يضرب التجار بدرته إذا اجتمعوا على الطعام، بالسوق حتى يدخلوا سكك أسلم ويقول: لا تقطعوا علينا سابلتنا^(١).

ولقد كثرت الروايات والاحتجاجات من الأشخاص الذين ضربهم عمر بدرته، ولقد قيل: إن درة عمر أمضى من سيف الحجاج^(٢).

ولم يكن الرسول ﷺ يستخدم درة ولا عصا في ضرب الناس في المسجد والأسواق أو غيرها، وكان يستخدم أسلوب النصيحة والتحذير والتهديد والوعيد بالعذاب الأخروي. وكان ﷺ يعاقب المذنبين عند ارتكابهم أفعالاً معرمة فقط ولا يخرج عن ذلك.

وكان أسلوب النبي ﷺ ناجحاً ومقبولاً من قبل المسلمين، ونصيحته أمضى من سيف وعتابه أخطر من عصا! وهكذا تعود المسلمون سريعاً على هذا الأسلوب ومضوا عليه، فكان واحد منهم يتحاشى غضب النبي ﷺ وإنزعاجه. ولما جاء أبو بكر لم يحمل معه عصا ولا درة. وعندما جاء عمر سار بالناس على ضوء طبعه في الخشونة والحدة، فاستخدم الدرة واليد والرفس والعص والسجن لتقويم كل ما يعتقد أو يظن أو يشك بأنه غير مستقيم أو غير جيد.

عض من تكتنى بأبي عيسى وضرب من اشترى اللحم في

يومين

ضرب عمر كل من كنى بأبي عيسى: فقد ضرب ابنأ له تكتنى أبا عيسى، ذلك أن سرية لعبيد الله بن عمر جاءت إلى عمر تشكوه فقالت: يا أمير المؤمنين:

(١) طبقات ابن سعد ٦٠/٥.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد.

الا تعذرني من أبي عيسى؟

قال: ومن أبو عيسى؟ قالت: إينك عبيد الله.

قال: ويحك! وقد تكنى بأبي عيسى؟

ودعاه وقال: ايها اكتنيت بأبي عيسى؟ فحذر وفزع، فأخذ يده فعضها حتى صاح، ثم ضربه وقال: هل لعيسى أب؟ أما تدري ما كنى العرب؟ أبو سلمة، أبو حنظلة، أبو عرفة، أبو مرة. ولما كان المغيرة يكنى بأبي عيسى فقد جاء بشاهدين شهدا له بأن النبي محمد ﷺ هو الذي ساء بذلك^(١).

وضرب رجلاً أتى بيت المقدس واتيانه سنة مؤكدة^(٢). ولا يمكن ضرب انسان في أمر مباح لم يحرمه الله تعالى.

وضرب (عمر) في المجزرة كل من اشترى اللحم لأهله يومين متتابعين، اذ مر به رجل لثلاثة أيام وهو يحمل اللحم، فعلا رأسه بالدرة ثم صعد المنبر، فقال: يا أيكم والأحمرين: اللحم والنبيذ فإنهما مفسدة للدين متلفة للمال^(٣).

وضرب تميم الداري لاتيانه الصلاة بعد العصر وهي سنة، فعن تميم انه ركع ركعتين بعد نهي عمر بن الخطاب عن الصلاة بعد العصر، فأتاه عمر فضربه بالدرة، فأشار إليه تميم أن اجلس وهو في صلاته فجلس، ثم فرغ تميم من صلاته فقال لعمر: لم ضربتني؟ قال: لأنك ركعت هاتين الركعتين وقد نهيت عنهما. قال: إني صليتهما مع من هو خير منك رسول الله ﷺ.

فقال عمر: إنه ليس اعني انتم أيها الرهط.

ولكني أخاف أن يأتي بعدكم قوم يصلون ما بين العصر الى المغرب حتى

(١) عمدة القاري، ١٤٣/٧، شرح ابن أبي الحديد ١٠٤/٣.

(٢) الضمير ٢٧٨/٦.

(٣) مجمع الزوائد للحافظ الهيثمي ٣٥/٥.

يَمُرُّوا بالساعة التي نهى رسول الله ﷺ أن يصلُّوا فيها كما وصلوا ما بين الظهر والعصر^(١).

ضرب من صام الدهر

«أخبر عمر بن الخطاب رضوان الله عليه برجل يصوم الدهر فجعل يضربه بمخفقه ويقول: كل يا دهر يا دهر^(٢)».

وقد قيل لعائشة: تصومين الدهر، وقد نهى رسول الله ﷺ عن صيام الدهر؟

قالت: نعم سمعت رسول الله ﷺ ينهى عن صيام الدهر ولكن من أفطر يوم الفطر ويوم النحر لم يصم الدهر^(٣).

إذاً من يفطر في الأيام المحرمة يمكنه أن يصوم بقية الأيام، وهذا رأي جماهير العلماء، فلا يكون صائماً للدهر.

كما ضرب عمر الصائمين في رجب وصومه سنة مؤكدة!!^(٤)

قال أنس بن مالك: إن أعرابياً جاء بإبل له ليبيعهها، فأتاه عمر يساومه بها، فجعل ينخس بعيراً بعيراً يضربه برجله ليبيث البعير لينظر كيف قواده، فجعل الاعرابي يقول: خلّ إيلي لا أبأ لك.

فجعل عمر لا ينهيه قول الاعرابي أن يفعل ذلك ببعير بعير.

فقال الاعرابي لعمر: إني لأضنك رجل سوء.

(١) صححه الهيثمي في المجمع، صحيح مسلم ٣١٠/١، مسند أحمد ١٠٢/٤.

(٢) سيرة عمر بن الخطاب ابن الجوزي ١٧٤.

(٣) كنز العمال ٣٣٤/٤.

(٤) الضدير ٢٨٢/٦.

فلما فرغ منها اشتراها فقال: سقها وخذ أثمانها.

فقال الأعرابي: حق! أضع عنها أحلاسها وأقتابها.

فقال عمر: اشتريتها وهي عليها فهي لي كما اشتريتها.

فقال الاعرابي: أشهد أنك رجل سوء.

فبينما هما يتنازعان إذ أقبل علي فقال عمر: ترضى بهذا الرجل بيني وبينك؟

قال الأعرابي: نعم.

فقصا علي قصتها فقال علي: يا أمير المؤمنين إن كنت اشتريت عليه

أحلاسها وأقتابها؟ فهي لك كما اشتريت، وإلا فإن الرجل يزين سلعته بأكثر من

ثمنها، فوضع عنها أحلاسها وأقتابها، فساقتها الأعرابي، فدفع إليه عمر الثمن^(١).

وبينا عمر يمر في الطريق إذا هو برجل يكلم امرأة فعلاه بالدرة.

فقال: يا أمير المؤمنين: إنما هي امرأتي.

فقام عمر فانطلق فلقي عبد الرحمن بن عوف، فذكر ذلك له، فقال: يا أمير

المؤمنين: إنما أنت مؤدب، وليس عليك شيء^(٢).

وكان عمر يعتمد على أسلوب سوء الظن في الناس ويعتقد بصحة ذلك.

وعن الحسن: أن رجلاً تنفس عند عمر بن الخطاب كأنه يستحازن فلكره

عمر أو قال لكه^(٣).

موضوع عبد الله بن مسعود

روى الذهبي في تذكرة الحفاظ: أن عمر حبس ابن مسعود وأبا الدرداء وأبا

(١) كنز العمال ٢٢٢/٢، منتخب الكنز هامش سند أحمد ٢٣١/٢.

(٢) مختصر تاريخ ابن عساكر لابن منظور ٢٩٧/١٨.

(٣) تاريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزي ١٧١.

مسعود الانصاري^(١).

وروى أبو بكر بن العربي : أنَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه سجن ابن مسعود في نفر من الصحابة سنة بالمدينة حتَّى استشهد فأطلقهم عثمان^(٢).

وبذلك يكون عبد الله بن مسعود ، الذي أسلم سادس سنَّة ، قد بقي سنة كاملة مع صحبه سجيناً ، ولم يخرج من سجنه إلَّا بوفاة عمر ، وبأذن من عثمان بن عفان . وسجن عمر لابن مسعود يتعلق بمنع عمر لقول الحديث وتدوينه .

الخشونة مع النبي ﷺ والمسلمين في مكَّة

عن عمر بن الخطاب قال : قال الرسول ﷺ لي يوم تبعته ليلاً (قبل دخول عمر الإسلام) : يا عمر ما تدْعني لا ليلاً ولا نهاراً ؟ قال عمر فخشيت ان يدعوني علي^(٣).

وفي يوم عزيمة عمر على قتل النبي ﷺ في مكَّة ، وحينما وصل الى منزل تواجد الرسول ﷺ وصحبه ، خرج إليه الرسول ﷺ ، فأخذ بمجامع ثوبه وحمائل السيف ، فقال : ما أنت بمنته يا عمر ، حتَّى ينزل الله بك من الخزي والنكال ما انزل بالوليد بن المغيرة^(٤).

واخرج البزار والطبراني وأبو نعيم في الحلية والبيهقي في الدلائل عن أسلم : قال لنا عمر :

كنت أشدَّ الناس على رسول الله عليه الصلاة والسلام ، فبينما أنا في يوم حار بالهاجرة في بعض طريق مكَّة ، إذ لقيني رجل فقال : عجباً لك يا ابن الخطاب ،

(١) اضاء على السنَّة المعدية ٤٥ .

(٢) المراسم من القواصم لابي بكر بن العربي .

(٣) تاريخ الخلفاء للسيوطي ١١٠ ، مناقب امير المؤمنين عمر بن الخطاب د . السيد الجميلي ٢٥ .

(٤) تاريخ الخلفاء للسيوطي ١١١ .

إنَّكَ تزعم أنَّكَ وأَنَّكَ وقد دخل عليك الأمر في بيتك^(١).

فقول الرجل لعمر إنَّكَ تزعم أنَّكَ وأَنَّكَ دلالة على شدة تصميم وعمل عمر ضدَّ النبي ﷺ والمسلمين وافتخاره بذلك، وقد اعترف عمر في خلافته بقسوته على رسول الله ﷺ قائلاً: كنت أشدَّ الناس على رسول الله عليه الصلاة والسلام^(٢).

فتاوى بالقتل

حاول عمر قتل عدَّة أشخاص في الجاهلية والإسلام، وأول شخص حاول قتله عمر في الجاهلية هو النبي ﷺ^(٣) وبعدما قتله دعا لقتل الامام علي عليه السلام. وأفتى عمر بقتل كلِّ من يصلِّي تحت شجرة الرضوان، قائلاً: ألا لأوتني منذ اليوم بأحدٍ عاد لمثلها إلَّا قتلته بالسيف، كما يقتل المرتد، ثمَّ أمر بها فقطعت^(٤). وهي الشجرة التي بايع المسلمون تحتها رسول الله ﷺ، وتعهدوا بالدفاع عنه وعن أهل بيته!

ونادى عمر في السقيفة بقتل سعد بن عبادة قائلاً: أقتلوه لعنه الله، وطالب أيضاً بقتل الحباب بن المنذر، وبقتل علي عليه السلام قائلاً: إن لم تباع نضرب عنقك^(٥). ذكر البلاذري: ان سعداً لم يبايع أبا بكر وخرج الى الشام، فبعث عمر رجلاً (ابن مسلمة) وقال: ادعه الى البيعة واحتل له، فإن أبى فاستعن الله عليه.

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطي ١١٠.

(٢) تاريخ الخلفاء للسيوطي ١١١، واخرجه البزار، والطبراني وأبو نعيم في الحلية والبيهقي في الدلائل.

(٣) مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ٢٦٩/١٨، الطبقات، ابن سعد ١٩١/٣، صفوة الصفوة لابن الجوزي ٢٦٩/١.

(٤) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٥٩/١.

(٥) الإمامة والسياسة ١١/١-١٣.

فقدم الرجل الشام فوجد سعداً في حائط بحوارين فدعاه الى البيعة .

فقال : لا أباع قريشاً أبداً . قال : فإني أقاتلك ، قال : وإن قاتلتني .

قال : أخرج أنت مما دخلت فيه الأمة ؟ قال : أئماً من البيعة فإني خارج ، فرماه بسهم فقتله ^(١) . وجاء في كتاب تبصرة العوام أن خالداً كان في الشام فأعان على قتله ... وذكر عبد الفتاح عبد المقصود سعد ابن عبادة فقال : وقد أغرى به عمر بن الخطاب من قتله ^(٢) .

ولما امتنع خالد بن سعيد بن العاص عن بيعة أبي بكر ، قال عمر له (أبي بكر) : دعني وإياه ، فلم يوافق أبو بكر . أي أراد قتله ! شرح النهج ٥٨٢/٢ ، ١٦/٦

وقال عمر : كانت بيعة أبي بكر فلتة وقي الله المسلمين شرها ، فمن عاد إليها فاقتلوه ^(٣) . وتهديد عمر هذا موجه الى عمار بن ياسر وأمثاله الذي قال : لو مات أمير المؤمنين لبايعت فلاناً (أي علياً) ^(٤) .

وهو تهديد بالموت لكل من يفعل سقيفة ثانية من المسلمين ؟ لأن أركان السقيفة الأولى قائمة ومستمرة ، فتكون نتائج السقيفة الثانية ضد نتائج السقيفة الأولى ! على اعتبار أن السقيفة الاولى انقلاب فتكون السقيفة الثانية انقلاباً مضاداً .

وقد هدد عمر مجلس الستة الذين رشحهم للحكم من بعده ، وذكر ذلك الديمري قائلاً : وأقام (عمر) المسور بن مخرمة في ثلاثين نفساً من الأنصار ، وقال : إن اتفقوا على واحد الى ثلاثة أيام ، وإلا فاضربوا رقاب الكل ، فلا خير

(١) أنساب الأشراف للبلاذري . ٥٨٠/١

(٢) السقيفة والخلافة ، عبد الفتاح عبد المقصود ١٣ .

(٣) مسند احمد بن حنبل ٥٥٠/١ ، صحيح البخاري ١١١/٤ ، تاريخ الطبري ٤٤٦/٢ .

(٤) الكامل في التاريخ ، ابن الأثير ٣٢٦/٢ .

للمسلمين فيهم ، وإن إفترقوا فرقتين ، فالفرقة التي فيها عبد الرحمن ابن عوف ^(١) .
وقال عمر بن الخطاب لابي طلحة زيد بن سهل الانصاري : لإن رضي
أربعة وخالف إثنان فاضرب عنق الإثنين ، وإن رضي ثلاثة وخالف ثلاثة ،
فأضرب أعناق الثلاثة الذين ليس فيهم عبد الرحمن . وإن جازت الثلاثة أيّام ولم
يتراضوا بأحد فاضرب أعناقهم جميعاً ^(٢) .

فلو خالف الإمام علي عليه السلام لوحده فسيكون مصيره القتل ، وإن أيّده اثنان
من أهل الشورى فصيرهم القتل !
فيكون أول من طالب بقتله وآخر من طالب بقتله عمر هو علي عليه السلام بينما قال
عمر في علي عليه السلام : إنّه مولى كل مؤمن ومؤمنة ^(٣) .

نظرة عمر للناس

وقد اعترف عمر بعد بيعته بشدّته قائلاً : اللهم إني شديد فليّني ، وإني ضعيف
فقوّني ، وإني بخيل فسخّني ^(٤) .
وكان عمر قاعداً والدرة معه ، والناس حوله إذ أقبل الجارود العامري فقال
رجل : هذا سيد ربيعة ، فسمعها عمر ومن حوله ، وسمعها الجارود ، فلما دنا منه ،
خفقه بالدرة ، فقال : ما لي ولك يا أمير المؤمنين ؟ قال : ما لي ولك ، لقد سمعتها ،
قال : وسمعتها له ؟

(١) حياة العموان الكبرى للدميري ٣٤٦/١ .

(٢) تاريخ اليعقوبي ١٦٠/٢ .

(٣) يناير المودة ٣٠/١ ، عمدة الأخباري مدينة المختار ص ٢١٩ ، شواهد التنزيل ١٥٧/١ ، ورواه
الترمذي وابن ماجة عن هاشم سر العاملين ١٣/١ ، ورواه النسائي .

(٤) تاريخ الخميس ٢٤١/٢ .

قال : خشيت أن تخالط القوم ويقال : هذا أمير ، فأحببت أن أطأ طين منك^(١) .

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : إني لأبغض فلاناً ، فقبل للرجل : ما شأن عمر يبغضك ؟ فلما كثر القوم في الدار جاء فقال يا عمر : أفتقت في الإسلام فتقاً ؟ قال : لا .

قال : فجنت جنابة ؟ قال : لا .

قال : أحدثت حدثاً ؟ قال : لا .

قال : فعلام تبغضني ؟ وقال الله : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾^(٢) .

فقد آذيتني فلا غفر الله لك .

فقال عمر : صدق والله . وقد اعترف عمر للرجل بأنه آذاه^(٣) .

وذكر الدمي : لما بلغه رضي الله عنه هيبة الناس له جمعهم ثم قام على المنبر حيث كان أبو بكر رضي الله عنه يضع قدميه . فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال : بلغني إن الناس قد هابوا شدي وخافوا غلظتي ، وقالوا : قد كان عمر يشتد علينا ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا ، ثم اشتد علينا وأبو بكر رضي الله عنه والينا دونه ، فكيف الآن وقد صارت الأمور إليه ؟ ولعمري من قال ذلك فقد صدق^(٤) .

وقال الأحنف بن قيس : فقلنا يا أمير المؤمنين إننا قدمنا بفتح عظيم ... ثم انصرف راجعاً ونحن معه ، فلقيه رجل فقال : يا أمير المؤمنين انطلق معي فأعدني على فلان ؛ فإنه ظلمي ، فرفع عمر الدرة فحقق بها رأسه ، وقال : تدعون عمر

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١١٢/٣ .

(٢) الأحزاب : ٥٨ .

(٣) حياة الصحابة ٤١٩/٢ .

(٤) حياة الحيوان الكبرى الدمي ٤٩/١ .

وهو معترض لكم، حتى إذا شُغل بأمر من أمور المسلمين أتيتموه، أعديني، أعديني، فانصرف الرجل وهو يتذثر، فقال عمر: عليّ بالرجل فألقى إليه المخفقة فقال: إمتثل، فقال: لا ولكن أدعها لله ولك.

قال عمر: ليس كذلك، إنما تدعها لله وإرادة ما عنده، أو تدعها لي فأعلم ذلك. قال: أدعها لله، قال: إنصرف.

ثم جاء يمشي حتى دخل منزله ونحن فيه، فافتتح الصلاة فصلّى ركعتين، ثم جلس، فقال: يا ابن الخطاب! كنت وضيعاً فرفعك الله، وكنت ضالاً فهداك الله، وكنت ذليلاً فاعزّك الله، ثم حملك على رقاب المسلمين، فجاءك رجل يستعديك فضربتك! ما تقول لرّبك غداً إذا أتيتك؟ فجعل يعاتب نفسه معاتبه، ظننت أنّه من خير أهل الأرض^(١).

قال الجصاص: وقد روي عن عمر، أنّه غرّب ربيعة بن أميّة بن خلف - في الخمر - إلى خيبر فلحق بهرقل فقال عمر: لا أغرّب بعدها أبداً^(٢).

وقد اعترض الكثير من الصحابة على تنصيب عمر خليفة، وذكروا ذلك أمام أبي بكر وأمام عمر نفسه وأمام الناس. قال ابن قتيبة: وكان عمر رجلاً شديداً قد ضيق على قريش أنفاسها.

وقال سعد بن عباد لعمر: والله ما جاورني أحدٌ هو أبغض إليّ جواراً منك^(٣). وروي عن عامر الشعبي أنّه قال: ما قُتل عمر بن الخطاب حتى ملّته قريش واستطالت خلافته^(٤).

(١) تاريخ عمر بن الخطاب، ابن الجوزي ٨٣.

(٢) تاريخ المدينة المنورة، ٧٣١-٧٣٣.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٤/٢.

(٤) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٥٨/١.

وذكر ابن قتيبة في كتابه: قال رجل لعمر عليه السلام أدنو منك؛ فإن لي إليك حاجة؟ قال: لا.

قال: إذن أذهب فيغنيني الله عنك. فولى هارباً. فاتبعه عمر عليه السلام فأخذ ثوبه. فقال: ما حاجتك؟ فقال الرجل: أبغضك الناس، أبغضك الناس، كرهك الناس - ثلاثاً -.

قال عمر عليه السلام له: ممّ وبحك؟

قال: لسانك وعصاك ^(١).

وقال ابن أبي الحديد: وكان في أخلاق عمر وألفاظه جفاء، وعنجهية ظاهرة، وشديد الغلظة، وعر الجانب، خشن الملمس دائم العبوس ^(٢).

وقال ابن أبي الحديد أيضاً: كان عمر شديد الغلظة، وعر الجانب، خشن الملمس، دائم العبوس، كان يعتقد أن ذلك هو الفضيلة وأن خلافه نقص ^(٣) وكان عمر سريعاً إلى المساءة، كثير الجبه (جبهته مصكوكة) والشم والسب ^(٤).

وقد وصف الإمام علي عليه السلام وصية أبي بكر لعمر قائلاً: لقد جعلها في حوزة خشناء، يصعب لمسها، ويكثر العثار فيها، والاعتذار منها ^(٥).

وقال أبو بكر نفسه (عن ولاية عمر للخلافة) أمام عائشة وعبد الرحمن ابنه: والأفضل له (عمر) أن لا يلي أمر الأمة ^(٦).

وبينا كانت وصية أبي بكر لعمر معروفة سلفاً، كان عمر ينتظر موت أبي

(١) الإمامة والسياسة لابن قتيبة ٢٠/١.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٦١/١، صحاح الجوهري ٢١٠٨/٥.

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ١١٥/٢.

(٤) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ١١٥/٢، ٤٥٧/٤.

(٥) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد الخطبة الشقشقية ٤٠٩/٣.

(٦) كتاب الفقات، ابن حبان ١٩٢/٢.

بكر. وكان عبد الرحمن بن أبي بكر قد عارض وصية أبيه لعمر قائلاً له: إن قريشاً تفضل عثمان بن عفان عليه.

وهذا بين أن قريشاً نفسها كانت تخاف خشونته.

وقال طلحة والزبير لأبي بكر: ما كنت قائلاً لرؤك إذ وليته مع غلظته.

أما عن بيعة عمر فقد بايعه المسلمون بين راض ومتكره ومطمئن ومتخوف، وجميعهم ينظرون ما يكون من يومه الجديد، وهل يحمل الناس على سياسته العمرية، التي عرفوها منه؟ أم يحمله الناس على ما ألفوا من لين أبي بكر ورقته؟ وأياً كان الأمر، فإنه بعد أن تمت البيعة لعمر، طاف بالناس طائف من الوجوم والإنكسار، وخيم على المدينة جو من الركود والسآمة، لا يدري الناس ما يطلع به عليهم عمر من أمور.

صعد المنبر فجلس حيث كان أبو بكر يجلس قال: حسبي أن يكون مجلسي حيث كانت تكون قدما أبي بكر^(١).

وقد قال عمر: إن الناس قد هابوا شديتي وخافوا غلظتي.

وقال بلال لأسلم: كيف تجدون عمر؟ فقال: خير الناس إلا أنه إذا غضب فهو أمر عظيم^(٢).

وقد وصفه عبد الرحمن بن عوف لأبي بكر قائلاً: إن فيه غلظة^(٣).

وقد بين عمر رأيه في أسلوب الحكم قائلاً: إن هذا الأمر لا يصلح إلا بالشدة التي لا جبرية فيها، وباللين الذي لا وهن فيه^(٤).

وقد حدث كلام بين طلحة وعمر جاء فيه:

(١) عمر بن الخطاب ٧٦.

(٢) تاريخ الخلفاء للسيوطي ١٣٠.

(٣) شرح النهج لابن أبي الحديد ٥٥/١.

(٤) تاريخ الخلفاء للسيوطي ١٤٠.

قال (عمر) له : أقول أم أسكت ؟

قال (طلحة) : قل : فإنك لا تقول من الخير شيئاً^(١).

ولقد تسبب استخدام عمر ليد في الجاهلية ودرته في خلافته في اعتراض الناس عليه . فقالوا : درة عمر أهيب من سيف الحجاج^(٢) .
والحاصل ان الكثير من المهاجرين والأنصار لم يرغبوا في خلافة عمر لشدة ، وعندما طالت مدة خلافته ازداد عدد المعارضين له .

سلوك عمر مع رعيته

لقد ضرب عمر الكثير من الناس ، من أهله والمهاجرين والأنصار وغيرهم وقد ذكرنا ذلك في هذا الكتاب مع مصادره : ضرب عمر أخته فاطمة وأدماها لإسلامها .

وضرب صهره (زوج فاطمة) لإسلامه ، وضرب جارية بني مؤمل وأم عبد الله بنت حنتمه لإسلامها^(٣) .

وعض عمر يد ابنه عبيد الله لتكنيه بأبي عيسى^(٤) .

وضرب زوجته فاعترض عليه الأشعث بن قيس ، ودفع الباب على فاطمة بنت محمد ﷺ فاسقط جنينها ، وضرب أم فروة بنت أبي قحافة .
وضرب رئيس قبيلة ربيعة .
وضرب من سأل عن تفسير القرآن .

(١) كتاب السفينة للجاحظ .

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد . تاريخ المدينة النبوية ٦٨٦/٢ .

(٣) طبقات ابن سعد ١٩١/٣ .

(٤) عمدة القاري ١٤٣/٧ ، شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ١٠٤/٣ .

وضرب أبا هريرة لذكره الحديث عن رسول الله ﷺ، وهدد كل من يذكر حديثاً بذكرته.

وضرب النائحة في مجلس عزاء حتى أسقط خمارها.

وضرب أمة للبسها ملابس امرأة حرة^(١).

وضرب المسلمات في الجاهلية^(٢).

وضرب النساء الباقيات على وفاة زينب بنت الرسول ﷺ.

وضرب بريدة بن الحصيص الأسلمي لاحتجاجه على إحراق عمر بيت

فاطمة عليها السلام، فأمر عمر بضربه وإخراجه من المدينة. فذهب إلى مرو ومات هناك^(٣).

وضرب من صام الدهر^(٤).

وضرب من صلى بعد العصر^(٥).

وضرب من تسمى بأسماء الأنبياء.

وضرب الصائمين في رجب.

وضرب من اشترى اللحم يومين متتاليين^(٦).

وضرب رجلاً زار بيت المقدس. ولكم رجلاً تناءب عنده.

ووطأ سعد بن عباد، وحطم أنف الحباب بن المنذر في السقيفة^(٧).

(١) عبقرية عمر، العقاد ص ١٣.

(٢) السيرة النبوية، ابن دحلان ٣٣٩/١.

(٣) المعارف، ابن قتيبة ص ٣٠٠.

(٤) كنز العمال ٣٣٤/٤، سيرة عمر بن الخطاب، ابن الجوزي ١٧٤.

(٥) صحيح مسلم ٣١٠/١، مستند أحمد ١٠٢/٤.

(٦) مجمع الزوائد، الحافظ الهيثمي ٣٥/٥.

(٧) كنز العمال ٢٣٤٦/٣، ١٣٦٣.

والمحاصل ان عمر قد ضرب أعداداً كثيرة من الناس ، ومن طبيعة ذلك
ايجاد اعداء كثيرين له .

قال مالك بن أبي عامر : شهدت عمر بن الخطاب عند الجحرة ، أصابه حجر
فدماه ، ونادى رجلٌ رجلاً : يا خليفة ، فقال رجل من خثعم : ذهب والله خليفتك
أُسَير دماً .

فلما كان من قابل (في السنة الثانية للحج) أُصيب عمر ^(١) .

وفي العادة يكون موسم الحج مكتظاً بالمسلمين الحجاج ، ويمكن هؤلاء أن
يضربوا الخليفة عمر في عرفه او المشعر إلا أنهم رموه بالحجارة عند الجمرة . ولو
عرف عمر الرماة لانتقم منهم ، ولكنه لم يتمكن من ذلك .

لقد ضرب عمر بن الخطاب الكثير من الناس بدرّته ويده ومن الطبيعي ان
يولّد هذا رد فعل . وقد قالوا : لكل فعل رد فعل ، يساويه في القوة ويعاكسه في
الاتجاه . ولما كان الناس يخافون شدة عمر في المدينة ، اذ ستواجههم غلظته ، فقد
فعلوا ذلك في الحج عند رمي الجمرات !



صراحة أبي بكر وعمر

صرافة أبي بكر

ولأبي بكر صرافة مذكورة، ولكن بدرجة أقل من عمر مثل قوله في خطبته الأولى: أيها الناس إني قد وليت عليكم، ولست بخيركم^(١). ومن صرافته قوله: وأعلموا أن لي شيطاناً يعتريني أحياناً^(٢). وقوله: لقد قلدت أمراً عظيماً، مالي به طاقة ولا يد، ولوددت أن أقوى الناس عليه مكاني^(٣). ومن صرافة أبي بكر قوله: إن بيعتي كانت فلتة وفي الله شرها^(٤). وكان أبو بكر إذا ذكر يوم أحد بكى ثم قال: ذاك يوم كان لطلحة، ثم انشأ يحدث قال: كنت أول من فاء يوم أحد، فرأيت رجلاً يقاتل مع رسول الله ﷺ فقلت: كن طلحة حيث فاتني ما فاتني يكون رجلاً من قومي^(٥). ومن صرافته قوله قبل موته: ليتني لم أكشف بيت فاطمة، ولو أعلن علي الحرب^(٦).

(١) تاريخ الخلفاء، السيوطي ٦٩.

(٢) الإمامة والسياسة، ابن قتيبة ١٦/١، تاريخ الطبري ٤٦٠/٢.

(٣) الإمامة والسياسة، ابن قتيبة ١٦/١، شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٤٧/٦.

(٤) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٤٧/٦.

(٥) طبقات ابن سعد ١٥٥/٣، السيرة النبوية، ابن كثير ٥٨/٣، كنز العمال ٢٦٨/١٠.

(٦) شرح نهج البلاغة ٥١/٦.

ومن صراحته قوله لعمر المطالب بعزل اسامة بن زيد عن حملة الشام: ثكلتك امك وعدمتك يا ابن الخطاب، استعمله رسول الله ﷺ وتأمرني أن انزعه^(١). وندم ابو بكر على اعتلائه السلطة قائلاً: وودت أني يوم سقيفة بني ساعدة كنت قدفت الأمر في عنق احد الرجلين فكان اميراً وكنت وزيراً.

وبعدما قالت له فاطمة رضي الله عنها: والله لادعون الله عليك في كل صلاة اصلحها، فخرج باكيماً فاجتمع اليه الناس فقال لهم: يبيت كل رجل منكم معانقاً حليته مسروراً بأهله، وتركتموني وما أنا فيه، لا حاجة لي في بيعتكم، أقبِلوني ببعتي^(٢). وقال ابو بكر بصراحة: والله لو وضعت قدماً في الجنة وقدماً خارجها ما أمنت مكر الله^(٣).

وقال ابو بكر: طوبى لمن مات في النأنة: أي في اول الإسلام قبل تحرك الفتن^(٤).

وقال ابو بكر: وودت إنني خُضرة تأكلني الدواب^(٥).

ومن الملاحظ ان صراحة عمر العائنة مرجعها الى قوة الدولة واستقرار الاوضاع، وعادة العرب.

ومرجع صراحة عمر نحو الإمام علي رضي الله عنه إعتاد عمر على صدقه رضي الله عنه وغيرته واخلاصه للإسلام والمسلمين.

فهذه النصائح أولدت أطمئناناً في نفس عمر الى عدم غدر علي رضي الله عنه وعدم احتياله.

(١) تاريخ الطبري ٤٦٢/٢، تاريخ أبي الفداء ٢٢٠/١.

(٢) الامامة والسياسة، ابن قتيبة ١٤/١.

(٣) تاريخ الطبري ٢، كنز العمال ٥.

(٤) تاريخ الخلفاء، السيوطي ٩٨.

(٥) تاريخ الخلفاء، السيوطي ١٠٤.

وهذا الأطمئنان النفسي الذي ولد في قلب ونفس عمر بالرغم من هجومه على بيت فاطمة عليها السلام وسلبه الخلافة من علي عليه السلام، هو الذي دعا عمر الى التصريح بمكانة علي عليه السلام الدينية والعلمية والاجتماعية.

وجاءت امرأة لعمر أيام خلافته، تطلب برداً من برد كانت بين يديه، وجاءت معها بنت لعمر، فأعطى المرأة ورداً ابنته.

فقال له في ذلك، فقال: إنَّ أب هذه ثبت في يوم أحد، وأب هذه (أي عمر) فرُّ يوم أحد، ولم يثبت ^(١).

ومن صراحة عمر قوله ليتني كنت بعرة، وليتني كنت عذرة ^(٢).

ومن صراحة عمر قوله: في ابنته عبد الله: إنَّه عاجز عن طلاق زوجته ^(٣).

اجتماع صراحة البداوة ودهاء قریش في عمر

جاء في لسان العرب في كلمة صرح: الصَّرَح والصَّرِج والصَّراح والصَّراح، والكسر أفتح: المحض الخالص من كل شيء، رجل صَرِجٌ وصَرَحَاء، وصَرَح الشيء خَلَصَ وكلُّ خالصة صَرِج.

والصَّرِجُ: اللبن إذا ذهب رَغَوْتُهُ.

وانصَرَحَ الحقُّ أي بانَ، وتكلم بذلك صُراحاً وصِراحاً أي جهاراً.

وصَرَّحَ فلانٌ بما في نفسه وصارَحَ: أبداه وأظهره، وأنشد أبو زياد:

وإني لأكثو عن قذورٍ بغيرها وأعربُ أحياناً بها فأصارحُ

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٢/١٥.

(٢) حياة الصحابة. الكاندهلوي ٩٩/٢. كنز العمال ٣٦١/٦، ٣٦٥.

(٣) الكامل في التاريخ، ابن الأثير ٦٥/٣.

أُمنَحَدِرًا تَزْمِي بِكَ الْعِيْسُ غُرْبَةً وَمُضْعِدَةً يَزْحُ لَعِينِكَ بِسَارِحُ
وفي المثل: صَرَّحَ الْحَقُّ عَنْ تَحْضِيهِ أَيِ انْكَشَفَ.
وقال الازهرري: وَصَرَّحَ الشَّيْءُ وَصَرَّحَهُ وَأَصْرَحَهُ إِذَا بَيَّنَّهُ
وَإِظْهَرَهُ، وَيُقَالُ: صَرَّحَ فَلَانٌ مَا فِي نَفْسِهِ تَصْرِيحاً إِذَا أَبْدَاهُ. والتصريحُ خلاف
التعريض^(١).

وقد صرَّحَ عمر بن الخطاب بتصريحات كثيرة ونادرة بينَ فيها الكثير من
غوامض أحداث، وخفايا أوضاع، وحقيقة أشخاص ودرجة علومهم.

صراحة عمر في القضايا العلمية

عن قتادة قال: سُئِلَ عمر بن الخطاب عن رجل طَلَّقَ امرأته في الجاهلية
تطليقتين وفي الإسلام تطليقة؟ فقال: لا آمرك ولا أنْهاك.
فقال عبد الرحمن: لَكُنِّي آمرك ليس طلاقك في الشُّرك بشي^(٢).
فقول الخليفة: لا آمرك ولا أنْهاك تعني: لا أعرف.
ومن مآثورات عمر الشهيرة التي وقفت ضد ما وضعته يد القصاصين في
زمن بني أمية قوله: كُلُّ النَّاسِ أَفْقَهُ مِنْكَ يَا عُمَرُ، وفي لفظ: حَتَّى الْعَجَائِزُ يَا عُمَرُ^(٣).
وَكُلُّ النَّاسِ أَفْقَهُ مِنْ عُمَرَ حَتَّى رِبَّاتِ الْحِجَالِ^(٤).

(١) لسان العرب لابن منظور ٥٠٩/٢-٥١١.

(٢) كنز العمال ١٦١/٥.

(٣) الفتوحات الإسلامية ٤٠٨/٢، نور الأبصار ٦٥، وأخرجه سعيد بن منصور في سننه، وأبو يعلى في
مسنده الكبير، وابن الجوزي في سيرة عمر، وابن كثير في تفسيره ٤٦٧/١، والسيوطي في الدر
المعتور ١٣٣/٢.

(٤) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٦١، ٦١.

كل واحد أفقه منك يا عمر^(١).

كل أحد أعلم من عمر^(٢).

كل الناس أفقه من عمر حتى المخدرات في البيوت^(٣).

بينما نلاحظ هذه الصرافة المشهودة عند أبي بكر ولا عثمان.

وقال العلاء بن زياد: إن عمر كان في مسير فتغنى فقال: هلاً زجرتوني إذ

لفوت^(٤). وقرأ عمر على المنبر: ﴿قَاتِلْنَاهُنَّ فِيْهَا حَبًا وَعَيْنًا وَقَضْباً وَزَيِّتُونَا وَنَخْلاً

وَخَدَّائِقٍ غُلْبًا وَفَاجِيَةً وَأَبْأُ﴾^(٥). فقال كل هذا عرفناه لما الأب؟ ثم رفض عصا كانت

في يده فقال: هذا لعمر الله هو التكلف، فما عليك أن تدري ما الأب، إتبعوا ما بين

لكم هداة من الكتاب فاعملوا به، ومالم تعرفوه فكلوه الى ربّه^(٦).

وحدثت مناقشات علمية وقضائية كثيرة زمن الخليفة عمر والإمام علي عليه السلام

فقال عمر: كاد يهلك ابن الخطاب لولا علي بن أبي طالب. وقال: لولا علي هلك

عمر^(٧). وقال: عجزت النساء أن يلدن مثل علي بن أبي طالب.

وقال: اللهم لا تبقي لمعضلة ليس لها ابن أبي طالب^(٨).

(١) تفسير القرطبي ٩٩/٥، تفسير النيسابوري ج ١ سورة النساء، تفسير الخازن ٣٥٣/١، الفتوحات الإسلامية ٤٧٧/٢.

(٢) تفسير القرطبي ٢٧٧/١٤، تفسير الكشاف ٤٤٥/٢.

(٣) أخرجه الرازي في أربعيته ٤٦٧.

(٤) كنز العمال ٣٣٥/٧.

(٥) عبس، ٣١-٢٦.

(٦) المستخرج، أبو نعيم، وشعب الإيمان للبيهقي، المستدرك للحاكم ٥١٤/٢، تفسير ابن جرير ٣٨/٣٠. وقد دافع ابن حجر عن عمر بطريقة الخاصة فقال إن الكلمة (الأب) غير عربية.

(٧) ينابيع المودة ٧٠، الاستيعاب، ابن عبد البر ١١٠٣/٣، الاستيعاب ٤٦١/٢، كنز العمال ٢٤١/٥.

(٨) أخرجه سبط بن الجوزي. اسد الغابة ٢٢/٤، الاصابة ٢٧٠/١، القسم ٢٧٠/١، تهذيب التهذيب ٣٢٧/٧.

وقال: ردُّوا قول عمر الى علي، لولا علي لهلك عمر^(١). وقال: لولا علي لضلَّ عمر^(٢). وقال: لولاك لأفترضنا^(٣).

وقال: أها حسن لا أبقاني الله لشدة لست فيها، ولا في بلد لست فيه^(٤).

وقال: لا أبقاني الله بارض لست فيها يا أبا الحسن^(٥). ونحن نعرف بأنَّه يندر في الناس من يصرِّح بفضل غيره على نفسه او بمجهله في العلوم.

ولكنَّ عمر بعد استقرار الأوضاع السياسية، وسيطرة الدولة على بلدان كثيرة، وانتصارها على أكبر دولتين في ذلك الزمن، وهما الدولتان الفارسية والرومية، وانخفاض التوتر بين الدولة وبني هاشم بدأت تصريحاته الكثيرة.

وبقيت أمور أخرى دون تصريح منه بواقعها لعل نعرفها.

وروي «لما ولي امير المؤمنين عمر بن الخطاب عليه السلام الخلافة أتاه قوم من أحبار اليهود فقالوا: يا عمر أنت وليُّ الأمر بعد محمد عليه السلام وصاحبه، وأنا نريد ان نسألك عن خصال إن اخبرتنا بها علمنا أنَّ الإسلام حق وأنَّ محمداً كان نبياً، وإن لم نخبرنا بها، علمنا أنَّ الإسلام باطل وأنَّ محمداً لم يكن نبياً، فقال: سلوا عما بدا لكم، قالوا: اخبرنا عن اقفال السموات ما هي؟ واخبرنا عن مفاتيح السماوات ما هي؟ واخبرنا عن قبر سار بصاحبه ما هو؟ واخبرنا عن أنذر قومه لا هو من الجن ولا هو من الانس، واخبرنا عن خمسة أشياء مشوا على وجه الارض ولم يخلقوا في

(١) أخرجه الخوارزمي في مناقبه ٥٧، السنن الكبرى، البيهقي ٤٤١/٧، كتاب العلم لأيي عمر ١٨٧/٢، ذخائر العقبى ٨١.

(٢) تهديد الباقلاني ١٩٩.

(٣) صحيح البخاري، باب كسوة الكعبة، سنن ابن ماجه ٢٦٩/٢، فتح الباري ٣٥٨/٣.

(٤) كتاب الأذكياء، ابن الجوزي ١٨، كنز العمال ١٧٩/٣، ذخائر العقبى ٨٠، مناقب الخوارزمي ٦٠.

(٥) مستدرک الحاكم ٤٥٧/١، سيرة عمر، ابن الجوزي ١٠٦، عمدة القاري، العيني ٦٠٦/٤، الجامع الكبير، السيوطي ٣٥/٣.

الارحام ؟ واخبرنا ما يقول الدراج في صياحه ؟ وما يقول الديك في صراخه ؟ قال : فنكس عمر رأسه في الارض ثم قال : لا عيب بعمر إذا سُئل عما لا يعلم أن يقول : لا أعلم .

فوثبت اليهود وقالوا : نشهد أن محمداً لم يكن نبياً وأن الإسلام باطل ، فوثب سليمان الفارسي وقال لليهود : قفوا قليلاً ، ثم توجه نحو علي بن أبي طالب كرم الله وجهه حتى دخل عليه فقال : يا أبا الحسن أغث الإسلام . فقال ﷺ : وما ذاك ؟ فأخبره الخبر ، فاقبل يرفل في بردة رسول الله ، فلما نظر إليه عمر وثب قائماً فاعتنقه ، وقال : يا أبا الحسن أنت لكل معضلة وشدة تدعى . فدعا علي كرم الله وجهه اليهود فقال : سلوا عما بدلكم ؛ فإن النبي علمني الف باب من العلم ، فتشعب لي من كل باب الف باب ، فسألوه عنها فقال علي كرم الله وجهه : إن لي عليكم شريطة إذا أخبركم بها في توراتكم دخلتم في ديننا وآمنتم . فقالوا : نعم . فقال : سلوا عن خصله خصله .

قالوا : أخبرنا عن أقفال السموات ما هي ؟ قال : أقفال السموات الشرك بالله ؛ لان العبد والأمة إذا كانا مشركين لم يرتفع لهما عمل .

قالوا : فأخبرنا عن مفاتيح السموات ما هي ؟ قال : شهادة أن لا إله إلا الله وإن محمداً عبده ورسوله . فجعل بعضهم ينظر الى بعض ويقولون : صدق الفتى . قالوا : فأخبرنا عن قبر سار بصاحبه ؟ فقال : ذلك الحوت الذي التقم يونس بن متى ، فسار به في البحار السبعة .

فقالوا : أخبرنا عمن أنذر قومه لا هو من الجن ولا هو من الانس ؟ قال : هي غملة سليمان بن داود قالت : يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون .

قالوا : فأخبرنا عن خمسة مشوا على الأرض ولم يخلقوا في الارحام ؟ قال :

ذلك آدم وحواء وناقة صالح وكبش ابراهيم وعصى موسى.....

فسر عمر لذلك أعظم السرور وأسلم اليهود^(١).

وقال عمر: أقضانا علي^(٢). فعن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: خطبنا

عمر فقال: علي أقضانا.

وعن سعيد بن المسيب قال: كان عمر يتعوذ بالله من معضلة ليس فيها أبو

حسن^(٣).

قال عمر بن الخطاب: متعتان كانتا علي عهد رسول الله أحرمهما وأعاقب

عليهما^(٤).

وكانت أقوال عمر أحياناً في غاية الصراحة غير خائف من أحد في

الارض، فهو بجانب سلطة قوية وجيش قوي قادر على هزيمة الجيوش الفارسية

والرومية.

صراحة عمر في القضايا السياسية

ومن صراحة عمر عليه السلام قوله لعلي عليه السلام في يوم الغدير: بخ بخ لك يا ابن أبي

طالب، أصبحت مولاي ومولى كل مسلم ومسلمة^(٥).

وقال عمر لعلي عليه السلام أمام مجموعة من المسلمين: «أما والله لقد أراذك الحق،

(١) المرائس، أبو اسحاق الثعلبي ٢٣٢-٢٣٩.

(٢) الاستيعاب بهامش الاصابة ٣٨/٣، تاريخ الخلفاء للسيوطي ١٧.

(٣) مقتل الحسين، الخوارزمي ٤٥/١.

(٤) البيان والتبيين ٢٢٣/٢، احكام القرآن للجصاص ١/٣٤٢، تفسير القرطبي ٢/٣٧٠، زاد

المعاد ١/٤٤٤، تفسير الفخر الرازي ٢/١٦٧، كنز العمال ٨/٢٩٣.

(٥) شواهد التنزيل ١/١٥٧، عمدة الأخبار في مدينة المختار ٢١٩.

ولكن أبي قومك» (١).

وروي عن ابن عباس قال: طرقي عمر بن الخطاب بعد هداة من الليل، فقال: اخرج بنا نحرس نواحي المدينة، فخرج وعلى عنقه درّته حافياً، حتى أتى بقيق الفرقد، فاستلقى على ظهره، وجعل يضرب اخص قدميه بيده وتأوه صعداء فقلت له: يا أمير المؤمنين ما أخرجك الى هذا الأمر؟ قال: أمر الله يا ابن عباس. قال: قلت: إن شئت أخبرتك بما في نفسك؟ قال: غص يا غواص ان كنت لتقول فتحسن. قال: قلت: ذكرت هذا الأمر بعينه والى من تصيره. قال: صدقت. قال: فقلت: له اين انت عن عبد الرحمن بن عوف. فقال: ذلك رجل ممسك، وهذا الامر لا يصلح إلا لمط في غير سرف، ومانع في غير اقتار. قال: قلت: سعد بن أبي وقاص.

قال: مؤمن ضعيف. قال: فقلت طلحة بن عبد الله. قال: ذاك رجل يناول للشرف والمديح، يعطي ماله حتى يصل الى مال غيره، وفيه بأو وكبر. قال: قلت فالزبير بن العوام فهو فارس الإسلام. قال: ذاك يوماً انسان ويوماً شيطان وعفة نفس ان كان ليكادح على المكثلة من بكرة الى الظهر حتى تفوته الصلاة. قال: فقلت: عثمان بن عفان. قال: إن ولي حمل بني أبي معيط، وبني أميّة على رقاب الناس، وأعطاهم مال الله، ولئن ولي ليفعلن، والله لئن فعل لتسيرن العرب إليه حتى تقتله في بيته، ثم سكت. قال: فقال: امضها يا ابن عباس أترى صاحبكم لها موضعاً؟ قال: فقلت وأين يبتعد من ذلك مع فضله وسابقته وقرابته وعلمه.

قال: هو والله كما ذكرت، ولو وليهم لحملهم على منهج الطريق فأخذ المحجة الواضحة، إلا ان فيه خصالاً، الدعابة في المجلس، واستبداد الرأي، والتبكيك للناس مع حداثة السن.

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ١١٤/٣، ١١٥.

وقال خالد محمد خالد في كتابه الديمقراطية أبداً: لقد ترك عمر بن الخطاب النصوص الدينية المقدسة من القرآن والسنة عندما دعت إلى ذلك المصلحة قلباًها، فبينما يقسم القرآن للمؤلفة قلوبهم حظاً من الزكاة ويؤديه الرسول، ويلتزمه أبو بكر، يأتي عمر فيقول: إنا لا نعطي على الإسلام شيئاً، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر^(١). فالخليفة عمر يصريح بمخالفته النصوص الدينية بشكل ملفت للنظر. ولكن جاء بعده رجال وضعوا تصريحاته تحت عناوين مختلفة مثل الاجتهاد وغير ذلك؟!

قال الهرمزان لعمر عليه السلام ائذن لي أصنع طعاماً للمسلمين؟ قال: إني أخاف أن تعجز، قال: لا. قال: فدونك.

قال: فصنع لهم ألواناً من حلو وحامض، ثم جاء إلى عمر عليه السلام وقال: قد فرغت فأقبل.

فقام عمر وسط المسجد فقال: يا معشر المسلمين أنا رسول الهرمزان اليكم فاتبعه المسلمون، فلما انتهى إلى بابه قال للمسلمين: مكانكم، ثم دخل فقال: أرني ما صنعت، ثم دعا بانطاع فقال: ألقى هذا كله عليها واخبطوا بعضه ببعض. فقال الهرمزان: إنك تفسده، هذا حلو وهذا حامض.

فقال عمر: أردت أن تفسد عليّ المسلمين، ثم أذن للمسلمين فدخلوا فأكلوا.

لقد كان عمر يشكك في نوايا الهرمزان، ففعل معه هكذا؟!

وقال رجل لابن عمر: يا خير الناس أو ابن خير الناس، فقال ابن عمر: ما أنا بخير الناس، ولا ابن خير الناس، ولكني عبد من عباد الله^(٢)

(١) الديمقراطية أبداً ١٥٥.

(٢) مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، ابن منظور ١٦٧/١٣.

والملاحظ أنَّ السبب الذي دعا عمر بن الخطاب للصراحة أحياناً هو المنطق البدوي الحاكم في جزيرة العرب يومذاك. فكان بعض الناس يصرون بما في قلوبهم بجلء أفواههم.

ومن المعروفين بالصراحة، ولكن بدرجة أقل من عمر، معاوية بن أبي سفيان؛ فقد ذكر في رسالته لمحمد بن أبي بكر: كنّا وابوك فينا نعرف فضل ابن أبي طالب، وحقّه لازماً لنا مبروراً علينا... فكان أبوك وفاروقه أول من ابتزّه حقّه، وخالفه على أمره، على ذلك إتفقا واتسقا^(١).

قال: قلت: يا أمير المؤمنين هلا استحدثتم سنّة يوم الخندق اذ خرج عمرو ابن عبد ود، وقد كعم عنه الأبطال، وتأخّرت عنه الاشياخ، ويوم بدر اذ كان يقطّ الأقران قطعاً، وهلا سبقتموه بالإسلام؟

فقال: إليك يا ابن عباس، أتريد أن تفعل بي كما فعل أبوك وعلي بأبي بكر يوم دخلا عليه. فكرهت ان اغضبه فسكت.

فقال: والله يا ابن عباس إنّ علياً ابن عمك لأحقّ الناس بها، ولكن قریشاً لا تحتمله، ولئن وليهم لياخذهم بمجرّ الحق لا يجحدون عنه رخصة، ولئن فعل لينكثن بيعته ثم ليحاربن^(٢). وقال عمر: أما والله يا بني عبد المطلب لقد كان عليّ فيكم أولى بهذا الأمر منّي ومن أبي بكر^(٣).

وقد وقعت مناقشة أخرى بين عمر وابن عباس حول نفس الموضوع جاء فيها: «قال عمر: أتدري يا ابن عباس ما منع الناس منكم؟ قال: لا يا أمير المؤمنين. قال: لكنّي أدري. قال: ما هو يا أمير المؤمنين؟

(١) مروج الذهب، السعدي ١٢/٣.

(٢) تاريخ اليعقوبي ١٥٩/٢، طبعة لندن.

(٣) محاضرات الأدهام ٤٧٨/٤.

قال: كرهت قريش ان تجتمع لكم النبوة والخلافة فتُجَحِّقُوا الناسَ جَحْفًا، فنظرت قريش لأنفسها فاختارت ووقفت فأصابت.

فقال ابن عباس: أَيْمِطُ أمير المؤمنين عني غضبه فيسمع؟ قال: قل ما تشاء. قال: أما قول أمير المؤمنين إن قريشاً كرهت، فإن الله تعالى قال لقوم: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أُنْزِلَ اللَّهُ فَاحْبَطُوا أَعْمالَهُمْ﴾ (١).

وأما قولك إنا كنّا نجحف فلو جَحَفْنَا بالخلافة جحفنا بالقرابة، ولكنّا قوم اخلاقنا مشتقة من خُلِقَ رسول الله الذي قال الله فيه ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (٢) وقال له: ﴿وَاحْبِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٣).

وأما قولك: فإن قريشاً اختارت فإن الله تعالى يقول: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾ (٤).

وقد علمت يا أمير المؤمنين أن الله اختار من خلقه لذلك من اختار، فلو نظرت قريش من حيث نظر الله لها لوقفت وأصابت.

فقال عمر: على رسلك يا ابن عباس: أبت فلو بكم يا بني هاشم إلا غشاً في أمر قريش لا يزول، وحقداً عليها لا يحول.

فقال ابن عباس: مهلاً يا أمير المؤمنين لا تنسب قلوب بني هاشم إلى الغش؛ فإن قلوبهم من قلب رسول الله الذي طهره الله وزكاه، وهم أهل البيت الذين قال الله لهم: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (٥) وأما الحقد فكيف لا يحقد من غصِبَ شَيْئُهُ، ويراه في يد غيره؟

(١) محمد، ٩.

(٢) القلم، ٤.

(٣) الشعراء، ٢١٥.

(٤) القصص، ٦٨.

(٥) الأحزاب، ٣٣.

فقال عمر: ما أنت يا ابن عباس؟ فقد بلغني عنك كلامٌ أكره أن أخبرك به فتزول منزلتك عندي!

قال: وما هو يا أمير المؤمنين؟ أخبرني به، فإن يك باطلاً فثلي أماط الباطل عن نفسه، وإن يك حقاً فإن منزلتي عندك لا تزول به! قال: بلغني أنك لا تزال تقول: أخذ هذا الأمر حسداً وظُلماً.

قال (ابن عباس): أمّا قولك يا أمير المؤمنين حسداً، فقد حسد إبليس آدم فأخرجه من الجنة، فنحن بنو آدم المحسود.

وأمّا قولك: ظلماً فأمر المؤمنين يعلم صاحب الحق من هو! ثم قال: يا أمير المؤمنين ألم تحتج العرب على العجم بحق رسول الله واحتجّت، قريش على سائر العرب بحق رسول الله، فنحن أحقّ برسول الله من سائر قريش. فقال له عمر: قم الآن فازجِعْ إلى منزلك.

فقام، فلما ولى هتف به عمر: أيّها المنصرف، إنّي على ما كان منك لراع حقك، فالتفت ابن عباس فقال: إن لي عليك يا أمير المؤمنين وعلى المسلمين حقاً برسول الله، فن حفظه فحق نفسه حفظ، ومن أضاعه فحق نفسه أضاع، ثم مضى. فقال عمر لجلسائه: واهاً لابن عباس! ما رأيته لا يحى (نازع) أحداً قط إلا خصّمه (غلبه)^(١). نلاحظ في هذا النص قدرة فائقة عند ابن عباس على تشخيص علّة هم عمر.

يقابلها قدرة عمر الدقيقة في تشخيص الناس وأهدافهم؟! انظر الى قوله في الزبير وسعد وابن عوف وعثمان فلقد عرف بقتل الناس لعثمان وعلي رضي الله عنهما، الأول لحمله آل أمية وبني أبي معيط على رقاب الناس وأخذهم مال الله دون حق.

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٠٧/٣، تاريخ الطبري ٣٠/٥، قصص العرب ٣٦٣/٢، الكامل

والثاني لأخذه الناس بمجر الحق.

ولكن رغم اعتراف عمر بمنهجية علي عليه السلام المستقيمة إلا أنه وصف الإمام علياً عليه السلام (لغرض سياسي) بأوصاف لا يمت إليها بصلة، فقد وصفه بحداثة السن، وعمره يومذاك أكثر من أربعين سنة؟

ووصفه بالدعابة في المجلس، ولم نقرأ في كتاب ما يؤيد ذلك!
ووصفه باستبداد الرأي وهو تلميذ محمد صلى الله عليه وآله، الذي أمره الله سبحانه
بمشاورة الناس ﴿وشاورهم في الأمر﴾.

كما وصفه بالتبكيك^(١). ولم نسمع برجل شكى من علي عليه السلام، ولكن عمر
فسر قاطعية علي عليه السلام في الحق أمام الكفار والمنافقين بالتبكيك؟
وصرح عمر بمخالفة قريش (وهو منهم) للنص، وذلك بكرههم اجتماع
النبوة والخلافة لبني هاشم. ولكنه وصف عملهم المخالف لأمر الله تعالى بالصواب
والموفقية.

وكان رد ابن عباس في موضعه إذ قال: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ
لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾^(٢).

وعندما اشتد النقاش قال ابن عباس مقولته الشهيرة: «كيف لا يحقد من
غضب شيؤه». وصرح عمر لابن عباس عن رزية يوم الخميس قائلاً: لقد أراد
رسول الله صلى الله عليه وآله أن يصرح باسمه (علي عليه السلام) فنعته^(٣).
ومن صراحته النادرة قوله فيبيعة أبي بكر: إنها كانت فلتة وقى الله

(١) قال الأصمعي أن يستقبل الرجل بما يحكره، وقيل في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ تسأل تبكيكاً لوأيدوها (لسان العرب، ابن منظور ١١/٢).

(٢) القصص: ٦٨.

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ١١٤/٣.

المسلمين شرّها^(١).

ومن صراحته السياسية قوله في أبي بكر: إنه أحسد قریش^(٢).

وقوله لابن عباس: إن المانع من بيعة الناس لعلي هو حسد قریش لإجتماع النبوة والخلافة في بني هاشم .

ومن صراحته المشهودة قوله: علي مولى كل مؤمن ومؤمنة، ومن لم يكن مولاه فليس بمؤمن^(٣).

ومن صراحته السياسية قوله في عبد الرحمن بن عوف: انه فرعون هذه الأمة، لكنه قدمه على علي عليه السلام والمسلمين!

ومن صراحته قوله للمغيرة: أما والله ليعورن بنو أمية الإسلام، كما أعورّت عينك هذه، ثم ليعميته^(٤).

وقوله في الزبير: إنه يوم إنسان ويوم شيطان^(٥).

وعندما اقترح عليه رجل (أبو موسى الأشعري) التوصية إلى ابنه عبد الله، قال له عمر: قاتلك الله، والله ما أردت الله بهذا، ويحك كيف استخلف رجلاً عجز عن طلاق امرأته؟^(٦)

ولكن أبا موسى استمر في منحاها إذ طالب بالبيعة لعبد الله بن عمر في حادثة التحكيم، فأهانته علي عليه السلام وعبد الله بن عمر؟!

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٢٩/٢.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٣١/٢ - ٣٤، المسترشد، محمد بن جرير الطبري.

(٣) الصواعق المحرقة، ابن حجر ١٠٧.

(٤) الموقفيات، الزبير بن بكار ٥٩١، ٥٩٥، شرح نهج البلاغة ٥٣٧/٤، تفسير آية ١٦٠ الاسراء.

(٥) تاريخ الحقوقي ١٥٩/٢.

(٦) الكامل في التاريخ، ابن الأثير ٦٥/٣.

ومن صراحة عمر قوله : كانت لي بنت فأردت وأدها ، فأخذتها معي ، وحفرت لها حفرة فصارت تنفض التراب عن لحيتي ، فدفنتها حيّة^(١) .

ومن صراحته الملفتة للنظر قوله : حسبنا كتاب الله^(٢) ، حاذفاً أهل البيت عليهم السلام الثاني بعد القرآن ! معارضاً للنص الإلهي .

وهذه الصراحة ما فوقها صراحة في نبي نصف ما أوصى به النبي صلى الله عليه وآله . ومن صراحته العملية اقدمه على حرق أحاديث النبي صلى الله عليه وآله في ملأ عام من المسلمين^(٣) .

في حين قال النبي صلى الله عليه وآله مشيراً الى فقه والله ما خرج منه إلا حق^(٤) . ومن صراحته النادرة دعوته لترك القرآن بلا تفسير ومعاقبه من سأل عن تفسير الآيات .

ومن صراحته وصفه المغيرة بالفاجر^(٥) .
وذكر الحديث النبوي القادح في عدالة بني أمية^(٦) .
ومن صراحة عمرو بن العاص قوله لمعاوية :

وحيث رفعناك فوق الرؤوس	نزلنا إلى أسفل الأسفل
وإننا وما كان من فعلنا	لبي النار في الدرك الأسفل
وإنّ علياً غداً خصمنا	وبعترُ بالله والمرسل ^(٧)

(١) عبقرية عمر ، العقاد ٢١٤ .

(٢) الملل والنحل ، الشهرستاني ٢٢/١ ، صحيح البخاري ٣٧/١ ، وباب قول المريض قوموا عني .

(٣) طبقات ابن سعد في ترجمة محمد بن أبي بكر ١٤٠/٥ .

(٤) تفسير المنار ، رشيد رضا ٧٦٦/١٠ .

(٥) العقد الفريد ، ابن عبد ربه . الاستيعاب ٤٧٢/٣ .

(٦) تفسير الدر المنثور ، شرح نهج البلاغة ١١٥/٣ .

(٧) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ٥٢٢/٢ ، فهرست المكتبة الخديوية بمصر سنة ١٣٠٧ ، ٣١٤/٤ .

ومن صراحة العرب : جاء شاب من أهل الكوفة فجلس إليه فقال : يا أبا هريرة ، أنشدك الله اسمعت من رسول الله ﷺ يقول لعلي بن أبي طالب : اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ؟ فقال : اللهم نعم .

قال : فاشهد بالله لقد واليت عدوّه وعاديت وليّه ، ثم قام عنه ^(١) ولكن يد التحريف الخائنة حذفت هذا النص في الطبعات الجديدة .

وحدث مثل ذلك لأنس بن مالك : إن علياً ﷺ سأله عن قول رسول الله : اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ، فقال : كبرت سني ونسيت ، فقال علي : إن كنت كاذباً فضربك الله بيضاء لا توارىها العمامة ^(٢) .

ولعبت يد التحريف في كتاب ابن قتيبة ، فاضافت إلى ذلك النص المشهور في الطباعات الجديدة « قال أبو محمد : ليس لهذا اصل » !

وروى أنس بن مالك (بعد أن أصابته دعوة علي ﷺ) ذاك (علي ﷺ) رأس المتقين يوم القيامة ، سمعته والله من نبيكم ^(٣) .

ومن صراحة عمر بن عبد العزيز قوله ليزيد بن عمر بن مورك : ممن أنت ؟ قلت : من قريش . قال : من أي قريش ؟ قلت : من بني هاشم . قال : فسكت فقال : من أي بني هاشم ؟ قلت : مولى علي ؟ قال : ممن علي ؟ فسكت ، قال : فوضع يده على صدره فقال : وأنا والله مولى علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، ثم قال : حدثني عدّة إنهم سمعوا النبي ﷺ يقول : ممن كنت مولاة فعلي مولاة ، ثم قال يا مزاحم كم تعطي أمثاله ؟ قال : مائة أو

(١) كتاب المعارف ، ابن قتيبة ، طبعة مصر سنة ١٣٥٣ هجرية .

(٢) المعارف ص ٢٥١ ، شرح نهج البلاغة ٢٨٨/٤ ، أنساب الأشراف ، البلاذري ، الصواعق المحرقة

ص ٧٧ .

(٣) شرح نهج البلاغة ٣٦١/١ .

مائتي درهم.

قال : اعطه خمسين ديناراً . وقال ابن أبي داود : ستين ديناراً لولا يته علي بن أبي طالب^(١).



.....

(١) حلية الأولياء ، الحافظ أبو نعم ٣٦٤/٥ .

نظرية عمر المالية

مراتب الناس في العطاء

كان أول ما قسّمه أبو بكر في الناس بين الأحمر والأسود والحر والعبد ديناراً لكل إنسان، وقسّم بين الناس بالسويّة، لم يفضّل أحداً على أحد^(١).

وكان الذي فرضوا له (أي لأبي بكر) في كل سنة ستة آلاف درهم^(٢).

وكان عمر بن الخطاب أول من فرّق في أعطيات الناس، فجعلها في طبقات متعدّدة، الأكثرية منها رواتبها ضئيلة، والأقلية منها رواتبها كثيرة.

صحيح أن عمر جعلها في قانون ثابت، لكنّ نتائجها خطيرة، إذ فضّل مهاجري بدر على غيرهم في العطاء وفضّل السابقين على اللاحقين. لكنّه جعل عطاء معاوية وأبي سفيان مثل عطاء أهل بدر. وفضّل ثلاث نساء من الأئمة على باقي النساء، وهنّ إبنته حفصة وابنة أبي بكر (عائشة) وابنة أبي سفيان (أم حبيبة)^(٣).

وكانت الأموال توزّع بين الناس في زمن الرسول ﷺ بصورة متساوية، وعادلة لا فرق بين عربي وأعجمي، ولا فرق بين امرأة حبشي مسلم وامرأة الرسول ﷺ....

(١) تاريخ الخلفاء ١٣٤/٢.

(٢) تاريخ الطبري ٦٢١/٢.

(٣) تاريخ الخلفاء ١٥٣/٢.

وسار ابو بكر على منهج الرسول ﷺ في مدّة حكمه . ولكنّ عمر غير هذه الأسس النبوية في العطاء المالي ، وبدّل فيها ، فكسّنت بداية الطبقيّة في المجتمع الاسلامي ، فتأسّس أساس نهب أموال المسلمين في الزمن الأموي ، وما تلاه على أساس الشأن والقبيلة والوظيفة وغير ذلك .

وقد سار عثمان بن عفان على خطى من أوصى إليه ، مخالفاً النبي محمداً ﷺ ، ثمّ اضاف الى ما فعله وأسس عمر قيامه بتوزيع الأموال على بني أميّة بشكل خاص ، تسبّب في استقالة أمناء بيت المال من أمثال زيد بن ارقم وعبد الله بن مسعود . فامناء بيت المال وافقوا على وظيفتهم لحفظ أمانة المسلمين ، لا لمساعدة بني أميّة على سرقتها من المسلمين .

وأعطى عثمان بن عفان خمس افريقيا لعبد الله بن ابي سرح ، الذي حكم عليه الرسول ﷺ في يوم فتح مكّة بالقتل ، ولو كان متعلّقاً بأستار الكعبة^(١) . وأعطى فذكاً لمروان^(٢) . وأدّت حركة عثمان المالية هذه الى الثورة الشعبية العارمة ضده ، والمتسبّبة في قتله .

ولما جاء معاوية الى الحكم وسّع في نظرية عمر في العطاء ، فاتّسع الاختلاف الطبقي .. فعثمان فتح بيت مال المسلمين لأفراد بني أميّة وآخرين من غيرهم . أمّا معاوية فأحدث في هذا الشأن مالا يصدّقه المسلمون ، إذ أعطى الأموال الطائلة لبني أميّة ، ولمن أحبّ من أفراد حزبه ، واشترى ضماير الناس ، وأسرف وأترف في أموال المسلمين .

وبذل معاوية خزائن عظمى من الأموال لمن زوّر الأحاديث ، واختلق سيرة مرضية له فساير رجال السلطة معاوية في فتاواه ، فأنحرف الدين وطمست

(١) الكامل في التاريخ ، ابن الاثير ٩١/٣ .

(٢) المعارف ، ابن قتيبة ص ١٩٥ .

الشريعة وضاع الحق وبزغ الباطل .

وبما بعض المسلمين ينظر الى سيرة عمر بن الخطاب كسيرة مرضية ، وصاحبها له حق التغيير في مقابل النبي ﷺ فقد وضعت نظرية عمر في الناحية المالية موضع التطبيق ، وسار عليها رؤساء وعلماء من مذاهب مختلفة ! وكانت فترة حكم عمر وعثمان والأمويين الطويلة قد عوّدت الناس على هذه النظرية .

فضاعت المساواة التي سار عليها الرسول ﷺ في العطاء ، يوم كان يأخذ بقدر ما يعطيه لخادمة أبي رافع ، غير ناظر الى نبوته ، وقدم اسلامه ونسبه وغير ذلك . وتبعه في ذلك أبو بكر . ورجع الى هذا المنهج الإمام علي بن أبي طالب مخالفاً فيه عمر وعثمان . فكان علي عليه السلام ورغم قدمه في الإسلام ونسبه وعلمه وشجاعته وغير ذلك ، كان يعطي نفسه ما يعطيه خادمه قنبر .

جاء في الطبقات لابن سعد توضيح لعطايا عمر :

ان عمر فرض لأهل بدر من المهاجرين وقريش والعرب والموالي خمسة آلاف درهم .

وفرض لبني هاشم والحسن والحسين لكل واحد منهم خمسة آلاف درهم .

وللعباس بن عبد المطلب ولبن شهد بدرأ من المهاجرين والأنصار خمسة

آلاف درهم .

وللأنصار ومواليهم ولبن شهد أهدأ أربعة آلاف درهم .

ولعمر بن أبي سلمة ، ولأسامة بن زيد أربعة آلاف درهم .

ولبن هاجر قبل الفتح ، ولعبد الله بن عمر ثلاثة آلاف درهم .

ولنساء مهاجرات لكل واحدة منهن ثلاثة آلاف درهم ^(١) .

وفرض لأزواج النبي ففضل عليهن عائشة. فرض لها في اثني عشر ألف،
ولسائرهن عشرة آلاف. غير جويرية وصفية إذ فرض لها ستة آلاف.
وفرض لأبناء البدرين والمسلمة الفتح لكل رجل منهم ألفي درهم.
وفرض لأسماء بنت عميس، ولأم كلثوم بنت عقبة، ولأم عبد الله بن مسعود
ألف درهم.

وذكر ابن الأثير في كتابه الكامل في التاريخ: فرض للعباس وبدأ به، ثم
فرض لأهل بدر خمسة آلاف (درهم)، ثم فرض لمن بعد بدر إلى الحديبية أربعة
آلاف أربعة آلاف، ثم فرض لمن بعد الحديبية إلى أن أفلح أبو بكر عن أهل الردة
ثلاثة آلاف ثلاثة آلاف، ثم فرض لأهل القادسية وأهل الشام ألفين ألفين،
وفرض لأهل البلاء النازع منهم ألفين وخمسمائة ألفين وخمسمائة.

وفرض لمن بعد القادسية واليرموك ألفاً ألفاً، ثم فرض للروادف المشي
خمسمائة خمسمائة، ثم للروادف الليث بعدهم ثلاثمائة ثلاثمائة.

وأعطى نساء النبي ﷺ عشرة آلاف عشرة آلاف، إلا من جرى عليها
الملك، فقال نسوة رسول الله: ما كان رسول الله يفضلنا عليهن في القسمة، فسو
بيننا، ففعل وفضل عائشة بألفين لمحبة رسول الله إياها^(١)

فكان عمر يعطي لمقاتل معركة بدر خمسة آلاف درهم، ويعطي لأئمة
المؤمنين عشرة آلاف درهم، في حين كان يعطي عائشة اثني عشر ألف درهم
أي أن علي بن أبي طالب وصي النبي ﷺ وأول مسلم وبطل الإسلام وزوج
بنت النبي ﷺ وابن عمه يأخذ حوالي ثلث راتب عائشة!

وقد ذكر ابن أبي الحديد المعتزلي طعناً على عمر بن الخطاب قائلاً: إنه كان
يعطي من بيت المال ما لا يجوز، حتى أنه كان يعطي عائشة وحفصة عشرة آلاف

درهم في كل سنة، ومنع أهل البيت خمسهم الذي يجري مجرى الواصل إليهم من قبل رسول الله ﷺ، وأنه كان عليه ثمانون ألف درهم من بيت المال على سبيل القرض^(١). وقد أجاب قاضي القضاة، بأن دفعه الى الأزواج جائز، من حيث أن هنَّ حقاً في بيت المال، وللإمام ذلك على قدر ما يراه، وهذا الفعل قد فعله من قبله ومن بعده، ولو كان منكراً لما استمرَّ عليه أمير المؤمنين (علي) ؑ وقد ثبت استمراره عليه ولو كان طعناً لوجب إذا كان يدفع الى الحسن والحسين وإلى عبد الله بن جعفر وغيرهم من بيت المال شيئاً أن يكون في حكم الخسائن، وكل ذلك يبطل ما قالوه؛ لأنَّ بيت المال إنما يراد لوضع الاموال في حقوقها، ثمَّ وإلى المتولي لأمر الاجتهاد في الكثرة والقلَّة، فأما أمر الخمس فمن باب الاجتهاد، وقد اختلف الناس فيه فمنهم من جعله حقاً لذوي القرى، وسهماً مفرداً لهم على ما يقتضيه ظاهر الآية، ومنهم من جعله حقاً لهم من جهة الفقر، واجراهم مجرى غيرهم وان كانوا قد خصوا بالذكر، كما أجرى الايتام، وان خصوا بالذكر مجرى غيرهم في أنهم يستحقون بالفقر والكلام في ذلك يطول، فلم يخرج عمر بما حكم عن طريقة الاجتهاد، ومن قدح في ذلك فانما يقدر في الاجتهاد وهو طريقة الصحابة، فأما اقتراضه من بيت المال، فان صح فهو غير محذور، بل ربما كان أحوط اذا كان على ثقة من رده بمعرفة الوجه الذي يمكنه منه الرد.

وقد اعترض المرتضى فقال: أما تفضيل الأزواج فإنه لا يجوز؛ لأنه لا سبب فيمن يقتضي ذلك؛ وإنما يفضل الإمام في العطاء ذوي الأسباب المقتضية لذلك مثل الجهاد وغيره من الامور العام نفعها للمسلمين، وقوله: إنَّ هنَّ حقاً في بيت المال، إلاَّ أنَّه لا يقتضي تفضيلهن على غيرهن، وما عيب بدفع حقهن اليهن، وإنما عيب بالزيادة عليه، وما يعلم أن أمير المؤمنين ؑ استمرَّ على ذلك، وان كان صحيحاً كما

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ١٥٣/٣.

ادعى فالسبب الداعي الى الاستمرار عليه هو السبب الداعي الى الاستمرار على جميع الاحكام، فأماً تعلقه بدفع امير المؤمنين الى الحسن والحسين وغيرهما شيئاً من بيت المال فعجب؛ لانه لم يفضل هؤلاء في العطية فيشبه ما ذكرناه في الازواج، وأما اعطاهم حقوقهم وسوى بينهم وبين غيرهم، فأما الخمس فهو للرسول ولأقربائه على ما نطق به القرآن، وأما عنى تعالى بقوله: ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل، من كان من آل الرسول خاصة لادلة كثيرة لا حاجة بنا الى ذكرها هنا. وأماً الاجتهاد الذي عوّل عليه فليس عذراً في إخراج الخمس عن أهله فقد أبطلناه، وأماً الاقتراض من بيت المال فهو مما يدعو الى الريبة، ومن كان من التشدد والتحفظ والتكشف على الحد الذي ذكره، كيف تطيب نفسه بالاقتراض من بيت المال وفيه حقوق الناس، وربما مسّت الحاجة إلى الاخراج منها؟ وأي حاجة لمن كان جشِب المأكَل خشن الملبس يتبلغ بالقوت الى اقتراض الأموال، فأماً حكايته عن الفقهاء ان الاحتياط ان يحفظ مال الأيتام في ذمة الغني المأمون، فذلك اذا صح لم يكن نافعاً له، لأنّ عمر لم يكن غنياً، ولو كان غنياً لما اقترض^(١). وقد أيدّ الحاكم في المستدرک هذا المطلب قائلاً: إنَّ عمر فرض لأمهات المؤمنين عشرة آلاف وزاد عائشة ألفين^(٢). أماً اقتراض عمر من بيت المال فقد ذكره الطبري وابن الاثير والمتقي الهندي^(٣).

وبذلك يكون راتب عائشة يساوي راتب ستّة مقاتلين من مقاتلي القادسية والشام!! وبينما كان مقاتل القادسية الشهيرة يعيش بألني درهم كانت حفصة وحدها تعيش بإثني عشر ألف درهم.

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٥٣/٣.

(٢) المستدرک، الحاكم ٨/٤، تاريخ الطبري ١٦٢/٤ (حوادث سنة ١٥).

(٣) تاريخ الطبري ٢٢/٥، تاريخ الكامل لابن الاثير ٢٩/٣، كنز العمال ٢٦٢/٦.

وبينما كانت عائشة تأخذ اثني عشر ألف درهم، كانت اختها أسماء بنت أبي بكر تأخذ ألف درهم، وهذا الشيء لا يقبله الناس؛ لأن الفرق الطبق أصبح صارخاً! وما دام النبي ﷺ لم يفضل واحدة على أخرى، فلماذا نفضل نحن عائشة على أسماء، وقد سار أبو بكر على نهج النبي ﷺ فلم يفضل عائشة على أسماء. كذلك سار الإمام علي عليه السلام على نهج النبي ﷺ فلم يفضل امرأة على أخرى؟! فيكون عمر أول من خالف تشريع رسول الله ﷺ.

ويذكر أن اللاتي توفي عنهن الرسول ﷺ من زوجاته هن: أم سلمة، أم حبيبة، عائشة، حفصة، صفية، زينب بنت جحش، سودة، ميمونة.

فكيف تُفضل حفصة ابنته وعائشة ابنة رقيقه والمدافعة عنه وأم حبيبة ابنة أبي سفيان المتحالف مع الدولة على باقي النساء؟

وقد جاء في تاريخ ابن الجوزي: وفرض عمر لأهل بدر والمهاجرين والانصار ستة آلاف، وفرض لأزواج النبي ﷺ ففضل عليهن عائشة فرض لها اثني عشر ألفاً ولسائرهن عشرة آلاف، غير جويرية وصفية فرض لها ستة آلاف ستة آلاف. وفرض للمهاجرات الأول أسماء بنت عميس وأسماء بنت أبي بكر وأم عبد الله بن مسعود ألفاً ألفاً^(١).

وقالوا: إنّه فرض لأصحاب بدر منهم خمسة آلاف، ولمن كان شهد بدرأ من الانصار أربعة آلاف، وفرض لمن شهد أحداً ثلاثة آلاف.

وقال: إنّي اعتذر إليكم من خالد بن الوليد، إنّي أمرته بحبس هذا المال على ضعة المهاجرين، فأعطاه ذا الباس وذا الشرف فنزعته.

وعن سعيد بن المسيب: أنّ عمر بن الخطاب كتب المهاجرين على خمسة آلاف والانصار على أربعة آلاف ومن لم يشهد بدرأ من أبناء المهاجرين على أربعة

(١) تاريخ عمر لابن الجوزي ص ٥٨.

آلاف، وكان فيهم عمرو بن أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومي واسامة بن زيد ومحمد بن عبد الله بن جحش الأسدي وعبد الله بن عمر. فقال عبد الرحمن بن عوف: إن ابن عمر ليس من هؤلاء. إنه وإنه.

فقال ابن عمر: ان كان لي حق فاعطني، وإلا فلا تعطني. فقال عمر لعبد الرحمن بن عوف: اكتبه على خمسة آلاف، واكتبني على أربعة آلاف، فقال عبد الله: لا أريد هذا، فقال عمر: والله لا أجتمع أنا وانت على خمسة آلاف.

وفضّل عائشة بألفين فأبت. فقال: بفضل منزلتك عند رسول الله فإذا اخذت فشأنك^(١). وقال الزهري: جعل (عمر) نساء أهل بدر على خمسمائة خمسمائة، ونساء من بعد بدر إلى الحديبية على أربعمائة أربعمائة، ونساء من بعد ذلك إلى الأيام على ثلاثمائة ثلاثمائة، ثم نساء القادسية على مائتين مائتين، ثم سوى بين النساء بعد ذلك وجعل الصبيان من أهل بدر وغيرهم سواء مائة مائة.

أخرج أحمد في الزهد عن اسماعيل بن محمد، أن أبا بكر قَسَمَ قسماً فسوّى فيه بين الناس، فقال له عمر: تسوّي بين أصحاب بدر وسواهم من الناس؟ فقال أبو بكر: إنما الدنيا بلاغ، وخير البلاغ أوسعها، وإنما فضلهم في أجورهم^(٢).

وأخرج عن سفيان بن أبي العوجاء قال: قال عمر بن الخطاب: والله ما أدري أخليفه أنا أم ملك؟ فإن كنت ملكاً فهذا أمر عظيم، فقال قائل: يا أمير المؤمنين: إن بينهما فرقاً، قال: ما هو؟ قال: الخليفة لا يأخذ إلا حقاً ولا يضعه إلا في حق، وأنت بحمد الله كذلك، والمليك يعسف الناس فيأخذ من هذا ويعطي هذا، فسكت عمر^(٣).

(١) تاريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزي ص ١٠٣.

(٢) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١٠٧.

(٣) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١٤٠.

وقد جاء في كتاب الاحكام السلطانية للهاوردي: «وكان العمل في زمن النبي ﷺ وأبي بكر جاريًا على التسوية العائنة، الا أن عمر رأى ان لا يجعل من قاتل رسول الله كمن قاتل معه، فجعل الامتياز بحسب السابقة، فالذي قاتل يوم بدر يفضل من قاتل في فتوح العراق والشام، ومن هنا حدث التفاوت الملموس في الأعطيات وتشكل في طبقات ومراتب، فطائفة تأخذ عطاءً كبيراً، وأخرى عطاءً متوسطاً، والأكثرية يأخذون عطاءً ضئيلاً. وكانت الطبقات على هذه الشاكلة:

١- زوجات النبي ﷺ وأقرب الناس إليه في حياته، ولهن بضعة آلاف من الدنانير سنوياً.

٢- كبار المهاجرين، كبار الأنصار. من إشتراك في الغزوات حسب أهميتها.

٣- كل من جاء من البادية واشترك في الحرب.

هذا التنظيم أوجد تمايزاً كبيراً، وأقام المجتمع العربي على قاعدة الطبقات. بعد ان كانوا سواء في نظر القانون^(١).

وكان عمر قد جعلها طبقية على أساس السابقة في الدين. ففضل أهل بدر على غيرهم، وجعلها قومية ففضل العرب، وجعلها اقليمية ففضل قريش على الانصار.

وعندما فضل عائشة بنت ابي بكر وحفصة بنت عمر وأم حبيبة بنت أبي سفيان على سائر نساء الرسول ﷺ^(٢) وسائر نساء الأمة، وفضل العرب على العجم، وفضل الصريح على المولى، لم يكن هذا مقبولاً عند أحد. اذ هو في الحقيقة فضل أبا بكر وعمر وأبا سفيان على الأمة!

ولو كان التفضيل لمقام النبي ﷺ لفضل العباس وعلياً ﷺ وغيرهما من بني

(١) كتاب الإمام الحسين ص ٢٣٢.

(٢) تاريخ العقوبي ١٥٣/٢.

هاشم على سائر الناس ، ولأعاد الخمس وفدكاً لبني هاشم لكتنه لم يفعل هذا .
فالذين يفضلون في العطاء بين الناس في زماننا يسرون على نظرية عمر ،
والذين يساوون في العطاء يسرون على نظرية النبي ﷺ ...

وقد استفحلت حالة تفضيل الناس لعلو شأنهم واشتدت خطورتها بعد
زمن عمر ، فتدهورت الأمور لاحقاً في زمن عثمان ومعاوية وفي زماننا ، فذهبت
المساواة وحلت محلها المحاباة والتفضيل للقرابة والصداقة والحزبية . وهذه الأمور
قد نفرت جهلة الناس من الإسلام في حين جاء الإسلام بالمساواة .

قال الإمام علي عليه السلام : أتأمروني أن أطلب النصر بالجور فيمن وليت عليه ،
والله لا أطور به ما سمر سمير ، وما أم نجم في السماء نجماً ، ولو كان المال لي لسويت
بينهم ، فكيف وإنما المال مال الله الا وإن أعطاه المال غير حقه تبذير واسراف^(١) .

وذكر ابن أبي الحديد المعتزلي مسألة المساواة في العطاء والاختلاف في ذلك
قائلاً : واعلم أن هذه المسألة فقهية ورأي علي عليه السلام وأبي بكر فيها واحد ، وهو
التسوية بين المسلمين في قسمة الفيء والصدقات ، والى هذا ذهب الشافعي رحمه
الله ، وأما عمر فإنه لما ولي الخلافة فضل بعض الناس على بعض ، ففضل السابقين
على غيرهم ، وفضل المهاجرين من قريش على غيرهم من المهاجرين ، وفضل
المهاجرين كافة على الأنصار كافة ، وفضل العرب على العجم ، وفضل الصريح على
المولى . وقد كان (عمر) أشار على أبي بكر أيام خلافته بذلك فلم يقبل وقال : إن
الله لم يفضل أحداً على أحد ، ولكنه قال ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ ﴾^(٢) ولم
يخص قوماً دون قوم .

فلما أفضت إليه الخلافة (عمر) عمل بما كان أشار به أولاً ، وقد ذهب كثير

(١) نهج البلاغة ، الخطبة ١٢٦ .

(٢) التوبة ، ٦٠ .

من فقهاء المسلمين الى قوله (عمر).

والمسألة محل إجتهد، وللإمام أن يعمل بما يؤدّيه إليه اجتهداه، وإن كان اتّباع علي عليه السلام عندنا أولى، لا سيما إذا عضده موافقة أبي بكر في المسألة، وإن صح الخبر أن رسول الله صلى الله عليه وآله قد صارت المسألة منصوفاً عليها؛ لأن فعله عليه السلام كقوله^(١) «وذكر ذكوان مولى عائشة قائلاً: قدم درج من العراق فيه جواهر الى عمر، فقال لأصحابه: أتدرون ما ثمنه؟ فقالوا: لا، ولم يدروا كيف يقسمونه فقال: أتأذنون أن أرسل به الى عائشة لحب رسول الله إياها؟ قالوا: نعم، فبعث به إليها، فقالت: ماذا فتح الله على ابن الخطاب^(٢). وهكذا حصلت عائشة على جواهر ملكة الفرس!

وقال علي بن أبي رافع^(٣): كنت على بيت مال علي بن أبي طالب وكتبته، فكان في بيت ماله عقد لؤلؤ كان أصابه يوم البصرة، فأرسلت إلي بنت علي ابن أبي طالب فقالت لي: إنّه قد بلغني أنّ في بيت مال أمير المؤمنين عقد لؤلؤ، وهو في يدك، وأنا أحب أن تُعيرنيّه، أتجهل به في يوم الأضحى.

فأرسلت إليها: عارية مضمونة، مردودة بعد ثلاثة أيام يا بنت أمير المؤمنين، فقالت: نعم عارية مردودة بعد ثلاثة أيام.

فدفعته إليها وإذا أمير المؤمنين رآه عليها فعرفه، فقال لها: من أين جاء إليك هذا العقد؟

فقالت: استعزّته من ابن أبي رافع خازن بيت مال المسلمين لأتزيّن به في

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١١١/٨.

(٢) النبلاء ١٣٣/٢، مستدرک الحاكم ٨/٤، وتلخيصه للذهبي. والدرج: سفيط صغير تدخّر فيه المرأة طيها وأدائها، لسان العرب ابن منظور ٢٦٩/٢. وظاهر الأمر أن درج الجواهر هذا كان متصلاً بملكة الفرس.

(٣) مجاني الادب ١٧٣/٢، قصص العرب ٩٦/٢.

العيد ثم أُرِّدَهُ.

فبعث إليَّ أمير المؤمنين فجئته ، فقال لي : اتَّخُونُ المسلمين يا ابن أبي رافع ؟
فقلت : معاذ الله أن أخون المسلمين .

فقال : كيف أعرت بنت أمير المؤمنين العقد الذي في بيت مال المسلمين ، بغير
إذني ورضاهم !

فقلت : يا أمير المؤمنين إنها بنتك ، وسألتني أن أعيرها العقدَ تترين به ،
فأعزَّتها إليَّ عاريةً مضمونة مردودة على أن تردَّه إلى موضعه ، فقال : رُدَّه من
يومك ، وإياك أن تعود إلى مثله فتنالك عقوبي .

ثم قال : ويلٌ لإبنتي لو كانت أخذت العقد على غير عارية مردودة
مضمونة ، لكانت إذن أوَّلَ هاشمية قُطِعَت يَدُها في سرقة .

فبلغت مقالته إنبته فقالت له : يا أمير المؤمنين أنا إبنتك وبضعة منك فمن
أحقُّ بلبسِه مِنِّي ! فقال لها : يا بنت ابن أبي طالب ، لا تذهبي بنفسك عن الحق ، أكلُّ
نساء المهاجرين والأنصار يترين في مثل هذا العيد بمثل هذا . فقبضته منها ورددته
إلى موضعه . وكان علي بن أبي طالب عليه السلام يقسم بيتَ المالِ في كل جمعة حتى لا يبقى
منه شيئاً ؛ ثم يُفرَّش له ويَقِيلُ فيه ^(١) ويصلي فيه وقال النبي محمد صلى الله عليه وآله : علي يعسوب
المؤمنين ، والمال يعسوب المنافقين ^(٢) .

فيكون عمر قد فضَّلَ عائشة وحفصة وأمَّ حبيبة على سائر الناس في العطاء
واعطى لكل واحدةٍ منهم اثني عشر ألف درهم . وفضَّلَ آباءَهن وقبائلهن في
الخلافة ، بتنصيب أبي بكر أولاً ونفسه ثانياً وعثمان الأموي ثالثاً .
وكانت النتيجة :

(١) العقد الفريد ، ابن عبد ربه ٢٩٢/٤ .

(٢) كنز العمال ١٥٣/٦ ، ٣٩٤ ، فيض القدير ٣٥٨/٤ ، كنوز الحقائق ص ٩٢ .

تفضيل قريش على الأنصار .

باعطاء محاربي بدر المهاجرين خمسة آلاف درهم ، واعطاء محاربي بدر من الأنصار أربعة آلاف درهم^(١) وتفضيل العرب على العجم^(٢) .

تفضيل زوجات الرسول ﷺ على باقي النساء بعشرة آلاف درهم^(٣) .
وتفضيل عائشة وحفصة وام حبيبة عليهن .

جعل لمجويرة وصفية (زوجتا النبي ﷺ) ستة آلاف^(٤) .

تفضيل محاربي بدر على باقي المحاربين^(٥) .

تفضيل المولى على الصريح^(٦) .

تفضيل أبي سفيان ومعاوية على الأنصار ، ورفعها الى منزلة المهاجرين المحاربين في بدر^(٧) .

اعطاء ثلاثة آلاف درهم لمن هاجر قبل الفتح^(٨) .

فرض لأهل القادسية وأهل الشام ألفين .

وروى الزهري : فرض لنساء أهل بدر خمسمائة . فرض لنساء من بعد بدر الى الحديبية أربعمائة .

(١) تاريخ اليعقوبي ١٥٣/٢ .

(٢) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ١١١/٨ .

(٣) المستدرک ، الحاكم ٨/٤ ، تاريخ الطبري ١٦٢/٤ .

(٤) تاريخ عمر لابن الجوزي ١٠٣ .

(٥) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ١١١/٨ .

(٦) المصدر السابق .

(٧) تاريخ اليعقوبي ١٥٣/١ .

(٨) تاريخ أصبهان ٢٩٠/٢ .

فرض لنساء ما بعد الحديبية مائتين .
فلم تكن الفروق قائمة على السابقة بل تعتمد على أسس عديدة .

راتب عمر القليل وكثرة الأموال الواردة في زمنه

كان عمر في بداية أيّامه قد سأل الصحابة عن حقوقه في بيت المال فقال القوم فأكثرُوا، وعلي عليه السلام ساكت ، فقال عمر : ما تقول أنت يا أبا الحسن ؟ قال : ما أصلحك وأصلح عمالك بالمعروف ، وليس لك من هذا المال غيره ، فقال : القول ما قاله ابو الحسن ^(١) .

وجعل فرضه (اي عمر) كفرض رجل من المهاجرين وكان يقول : أنا في مالكم كولي مال اليتيم إن استغثت استعفت ، وإن افتقرت أكلت بالمعروف . أراد بذلك أنه يأكل ما تقوم به بنيته ولا يتعداه ^(٢) .

وفي رواية : أرسل عمر إلى اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستشارهم . فقال : قد شغلت نفسي بهذا الأمر فما يصلح لي منه . فقال عثمان : كل واطعم ، وقال ذلك سعيد بن زيد ، وقال لعلي : ما تقول أنت . قال : غداء وعشاء ، فأخذ عمر بذلك .

وعن ابن عمر قال : جمع عمر الناس بالمدينة حين انتهى إليه فتح القادسية ودمشق فقال : إني كنت امرأة تاجراً يغني الله عيالي بتجارتي ، وقد شغلتموني بأمركم هذا ، فما ترون أنه يحل لي من هذا المال .

فاكثر القوم وعلي ساكت . فقال : ما تقول يا علي . قال : ما أصلحك وأصلح أهلك بالمعروف ، وليس لك من هذا المال غيره . فقال : القول ما قاله ابن أبي

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٥٦/٣ .

(٢) حياة الحمويان الكبرى للدميري ٧٤/١ .

طالب^(١). وأخرج ابن سعد عن ابن عمر أنّ عمر بن الخطاب كان إذا احتاج أتى صاحب بيت مال فأستقرضه فربما أعسَرَ فيأتيه صاحب بيت مال يستقاضه فيلزمه، فيحتال له عمر، وربما خرج عطاؤه فقضاه^(٢).

وأخرج ابن سعد عن البراء بن معرور أن عمر خرج يوماً حتّى أتى المنبر، وكان قد اشتكى شكوى، فنُعِتَ له العسل، وفي بيت المال عكّة فقال: إن أذنتم لي فيها أخذتها، والا فهي عليّ حرام، فأذنوا له^(٣).

وأخرج عن ابن عمر أنّ عمر حجّ سنة ثلاث وعشرين فأنفق في حجّته ستة عشر ديناراً، فقال: يا عبد الله أسرفنا في هذا المال^(٤).

وكان عمر يأتي المجزرة ومعه الدرّة، فكل من رآه يشتري لحماً يومين متتابعين يضربه بالدرّة يقول له:

هلا طويت بطنك يوماً لجارك، وإين عمك^(٥).

وقال السيد أحمد بن زيني دحلان مفتي مكّة المكرمة: ولما رجع [عمر] من الشام ووصل إلى المدينة، انفراد عن الناس يوماً ليعرف أخبارهم. فر بمعجوز في خبائها فقصدها فقالت: يا هذا: ما فعل عمر لما رجع من الشام قال: هو ذا قد أقبل من الشام، ووصل إلى المدينة، قالت: لا جزاء الله عنّي خيراً.

قال: ويحك ألم؟ قالت: إنّه والله ما نالني من عطائه منذ ولى الخلافة إلى يومنا هذا دينار ولا درهم.

قال: ويحك. وما يدري عمر حالك، وأنت في هذا الوطن فقالت: سبحان

(١) تاريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزي ص ٩٩.

(٢) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١٣٩.

(٣) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١٣٩.

(٤) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١٤١.

(٥) نور الابصار ص ٦٠، مسند احمد ٢١/١.

الله ما ظننت أن أحداً يلي على الناس، ولا يدري ما بين مشرقها، ومغربها، فصار يبكي ويقول:

واعمره، واخصوماه، كل أحد أفقه منك يا عمر^(١).

وروى أبو هريرة قال: قدمت على عمر من عند أبي موسى بثمانمائة ألف درهم، فقال: ألم اقل لك أنك يمان أحق ويحك انما قدمت بثمانين ألف درهم.

فقلت يا أمير المؤمنين: إنما قدمت بثمانمائة ألف درهم، فجعل يعجب ويكررها فقال: ويحك وكم ثمانمائة ألف درهم؟ فعددت مائة ألف حتى بلغت ثمانمائة فاستعظم ذلك. وقال: أطيب هو ويحك. قلت: نعم، فبات عمر ليلة تلك ارقاً حتى إذا نودي لصلاة الصبح قالت له امرأته: ما نمت هذه الليلة.

قال: وكيف أنا وقد جاء الناس مالم يأتهم مثله منذ قام الإسلام. فظننت المرأة انها داهية، فسأته فقال: مال جم حمله أبو موسى^(٢).

وبلغ خراج السواد في أيامه مائة ألف ألف درهم وعشرين ألف درهم بالوافية، وهي وزن الدينار من الذهب^(٣).

وعن الحسن قال: لما أتى عمر بخزائن كسرى، قال: والله لا يظلمها سقف بيت دون السماء، فطرحته بين صفتي المسجدين، صفة النساء وصفة الرجال وطرحته عليها الأنطاع، وبات عليها الخزان، فلما أصبح غدا عليها، فلما نظر إليها بكى، فقال له عبد الرحمن بن عوف: ما يبكيك يا أمير المؤمنين؟ أليس هذا يوم شكر.

فقال: لا والله ما فتح الله هذا على قوم قط الا جعل بأسهم بينهم^(٤).

(١) حياة الحيوان الكبرى الدميري ٥٠/١.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١١٣/٣.

(٣) شرح نهج البلاغة ١١٣/٣.

(٤) مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الدكتور الجميلي ص ١٦٤.

مهنة الخلفاء وبعض الصحابة

ذكر التوحيدي في كتاب بصائر القدماء وسرائر الحكماء صناعة كل من علمت صناعته من قريش .

فقال : كان ابو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه بزازاً ، وكذلك عثمان وطلحة وعبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنهم ، وكان عمر رضي الله تعالى عنه دلالاً يسعى بين البائع والمشتري . وكان أبو عبيدة بن الجراح في المدينة حفاًراً للقبور^(١) وكان سعد بن أبي وقاص يبري النبل ، وكان الوليد بن المغيرة حدّاداً ، وكذلك أبو العاص اخو أبي جهل ، وكان عقبة بن أبي معيط خماراً ، وكان أبو سفيان ابن حرب يبيع الزيت والأدم ، وكان عبد الله بن جدعان نخاساً يبيع الجوارى ، وكان النضر بن الحارث عواداً يضرب بالعود ، وكان الحكم بن أبي العاص خصاء يخصي الفغم ، وكذلك حريث بن عمرو والضحّاك بن قيس الفهري وابن سيرين^(٢) . وجاء في العقد الفريد : كان عمر في الجاهلية مبرطشاً أي سمساراً في معاملات البيع والشراء بين البائع والمشتري^(٣) .

لذلك وصفه أبو هريرة وأبي بن كعب بأنّه كان يصفق في السوق . أي يصفق بين البائع والمشتري^(٤) . وقد ذكر الحنبلي في كتاب نهاية الطلب أنّ عمر كان قبل الإسلام نخّاس (سمسار) الحمير . الصراط المستقيم ٣/ ب ٢٨/١٢ .

(١) تاريخ الطبري ٤٥٢/٢ .

(٢) حياة الحيوان الكبرى للدميري ٧٥/١ .

(٣) العقد الفريد ٦٤/١ - ٦٥ ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٤/١٢ ، نهاية ابن الأثير ٨/٢ .

(٤) وقد جاء تصافق النوم أي تبايعوا . وصافقا وتصافقا عند البيع صفق كل منهما يده على يد الآخر .

اقرب الموارد ٦٥٢/١ .

مساواة أبي سفيان ومعاوية بمقاتلي بدر في العطاء

يتصور البعض أنَّ عطاء عمر قائم على أسبقية المشاركة في الحروب الإسلامية فقط في حين جاء أنه جعل لأهل مكة من كبار قريش مثل أبي سفيان ابن حرب ومعاوية بن أبي سفيان خمسة آلاف . ثمَّ قريش على منازلهم ممَّن لم يشهد بدرًا . ولأمَّهات المؤمنين ستَّة آلاف ، ستة آلاف ، ولعائشة وأمَّ حبيبة (بنت أبي سفيان) وحفصة اثني عشر ألفاً^(١) .

وبذلك يكون عمر قد جعل راتب علي ﷺ وراتب معاوية متساويين ، وهذا ما سهَّل على معاوية الحصول على مكان الصدارة في المجتمع الإسلامي .

كما جعل عمر راتب معاوية أعلى من راتب سعد بن عباد ورفاقه المشاركين في معركة بدر ، وبذلك يكون عمر قد أعطى أبا سفيان ومعاوية راتباً (خمسة آلاف درهم) أعلى من راتب كثير من المسلمين الأوائل .

وفضَّل أمَّ حبيبة بنت أبي سفيان على باقي نساء الأُمَّة ، ثمَّ نصَّب معاوية والياً على الشام ورزقه ألف دينار في كل شهر^(٢) وهو راتب خطير في ذلك العصر !!

ومن الذين حصلوا على أموال لحب عمر لهم كان زيد بن ثابت إذ ذكر خارجه بن زيد بن ثابت : كان عمر يستخلف زيد بن ثابت إذا سافر ، فقلما رجع إلَّا أقطعه حديقه من نخل^(٣) .

(١) تاريخ اليعقوبي ١٠٦/٢ .

(٢) الاستيعاب ، ابن عبد البر ٤٧١/٣ .

(٣) الإصابة ، ابن خنجر ٥٦٢/١ .

تفضيل عائشة وحفصة وأم حبيبة على سائر النساء

ولم يفضل عمر نفسه في العطاء على الناس، ولكنه رفع أبا سفيان ومعاوية إلى مكانة أرقى من مكانتهما.
وفضل بنت أبي بكر وبنت أبي سفيان وبنته على أمّة محمد ﷺ في العطاء!

إذ جعل راتب عائشة وأم حبيبة وحفصة أعلى من راتب بقيّة أمّهات المؤمنين لكل واحدة منهن إثني عشر ألف درهم سنوياً^(١).
ذكر البلاذري بأن عمر كتب عائشة أم المؤمنين يرحمها الله في إثني عشر ألفاً، وكتب سائر أزواج النبي ﷺ في عشرة آلاف، وفرض لعلي بن أبي طالب خمسة آلاف، وفرض مثل ذلك لمن شهد بدرًا من بني هاشم^(٢).
مفضلاً إياهن على أم سلمة، وسودة بنت زمعة وغيرهما من أمّهات المؤمنين.

ولا أدري ما هو السر في تفضيل هذه النساء على بقيّة نساء ورجال الأمة؟
فهل يعود في رأي الخليفة إلى أفضلية أبي بكر وعمر وأبي سفيان على بقيّة أفراد الأمة؟ أم يعود إلى أفضلية أمهاتهن على النساء (زينب بنت مظعون أخت قدامة ابن مظعون أم حفصة).
وأم رومان أم عائشة، وصفية بنت أبي العاص بن أميّة أم أم حبيبة).

(١) تاريخ الطبري ١١٥٣/٢.

(٢) فتوح البلدان، البلاذري ص ٤٣٥، ص ٤٤١.

في حين منع ابو بكر وعمر أم المؤمنين أم سلمة سنة كاملة من عطائها^(١). وذلك عندما دافعت عن فاطمة بنت محمد ﷺ في قضيتها في فذك وقالت: ألمثل فاطمة بنت محمد ﷺ يقال هذا القول ؟ هي والله الحوراء بنت الإنس والنفس للنفس، رُييت في حجور الأتقياء وتناولتها أيدي الملائكة ونمت في حجور الطاهرات، ونشأت خيرة نشأة وربيت خير مربى أتزعمون أن رسول الله ﷺ حرم عليها ميراثه ولم يعلمها ؟ وقد قال الله : ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾^(٢).

فيكون أبو بكر وعمر ﷺ قد حرما أم سلمة من عطائها، وفاطمة بنت محمد ﷺ من فذكها وخمسها. ثم فضل عمر عائشة وحفصة وأم حبيبة على سائر النساء بلا دليل عقلي ولا تقلي يجوز هذا الأمر. وقد اهدى معاوية إلى عائشة ثياباً وورقاً وأشياء توضع في اسطوانها^(٣). وذكر عروة انه أعطاها أيضاً مائة ألف^(٤).

وأخرج ابن كثير عن عطاء بانه (معاوية) بعث إليها وهي بمكة بطوق قيمته مائة ألف فقبلته^(٥).

وروى ابن كثير عن سعيد بن عبد العزيز: قضى معاوية عن عائشة أم المؤمنين ثمانية عشر ألف دينار، وما كان عليها من الدين الذي كانت تعطيه الناس^(٦).

(١) دلائل الإمامة للطبري ٣٩.

(٢) الشعراء، ٢١٤.

(٣) حلية أبي نعم ٤٨/٢، والورق: الدراهم المضروبة.

(٤) حلية أبي نعم ٤٧/٢، النبلاء ١٣١/٢، المستدرک ١٣/٤.

(٥) ابن كثير ١٣٧/٧، النبلاء ١٣١/٢.

(٦) ابن كثير ١٣٦/٨، النبلاء ١٣١/٢.

أثر اختلاف العطاء في مقتل عثمان ونشوب الفتنة

قد يسأل شخص عن أثر النظرية الطبقية في إيجاد الفتنة ومقتل عثمان ؟
الجواب : ان أول من أعلن الثورة على عثمان كانت أم المؤمنين عائشة ،
وسبب الخلاف بينها وبينه أمور منها ، اصرارها على راتبها الذي عيَّنه عمر بن
الخطاب ، واصرار عثمان على تخفيض راتبها :

ذكر اليعقوبي في تاريخه : « وكان بين عثمان وعائشة منافرة ، وذلك أنه
نقصها مما كان يعطيها عمر بن الخطاب ، وصيرها أسوة غيرها من نساء رسول
الله ^(١) . فأججت ثورة عارمة وشديدة .

وقد جاء في كتاب أنساب الأشراف للبلاذري أنه لم يكن في الأسر
الإسلامية يومذاك أشد على عثمان من بني تيم أسرة أبي بكر ^(٢) .

وقد جاء في تاريخ الطبري أن عائشة كانت أول من أمال حرفه ^(٣) .
ولما كانت عائشة عليها السلام أول من أفتى بقتل عثمان إذ قالت : اقتلوا نعتلاً فقد
كفر ^(٤) ، يكون عثمان أول ضحية لنظرية عدم المساواة في العطاء !

وقال الماوردي : حكى ابن اسحاق أن عمر عليه السلام لما دخل منزله بمجروحاً ،
سمع هذة فقال : ما شأن الناس ؟ قالوا : يريدون الدخول عليك ، فأذن لهم ، فقالوا :
إعهد يا أمير المؤمنين ، استخلف علينا عثمان ، فقال : كيف يحب المال والجنة ،
فخرجوا من عنده !

(١) تاريخ اليعقوبي ١٣٢/٢ ، تاريخ أعثم ١٥٥ .

(٢) أنساب الأشراف ٦٨/٥ .

(٣) تاريخ الطبري ١٧٢/٥ في ذكر حوادث سنة ٣٦ .

(٤) شرح نهج البلاغة ص ٧٧ ، تاريخ الطبري ٤٧٧/٣ .

سياسة أبي بكر وعمر وعثمان المالية من لسان علي عليه السلام

قال الإمام علي عليه السلام في الفرق بين عثمان وبين سابقه: وأما التسوية بينك وبينها فلست كأحدهما، إنها ولياً هذا الأمر فظلفاً (كفأ) أنفسها وأهلها عنه، وعُمت فيه وقومك عوم السابح في اللجة، فارجع إلى الله أبا عمرو، وانظر هل بقي من عُمرِكَ الاكْظُمُء الحمار^(١).

وروى أبو مخنف والواقدي أنَّ الناس أنكروا على عثمان إعطاء سعيد بن العاص مائة ألف، وكلمه علي والزبير وطلحة وسعد وعبد الرحمن في ذلك فقال: إنَّ له قرابةً ورجماً. قالوا: فما كان لأبي بكر وعمر قرابة وذوو رحم.

فقال: إنَّ أبا بكر وعمر كانا يحتسبان في منع قرابتهما، وأنا احتسبُ في إعطاء قرابتي، قالوا: فهديها والله أحبُّ إلينا من هديك^(٢).

فقال علي عليه السلام: كل قطعة أقطعها عثمان، وكل مال أعطاء من مال الله فهو مردود في بيت المال^(٣).

نظرة عمر إلى حلي الكعبة وتحريمه للهدايا

روي أنَّه ذكر عند عمر بن الخطاب في أيامه حلي الكعبة وكثرته فقال قوم: لو أخذته فجهَّزَت به جيوش المسلمين كان أعظم للأجر. وما تصنع الكعبة بالحلي؟ فهمَّ عمر بذلك وسأل عنه أمير المؤمنين عليه السلام فقال: «إنَّ هذا القرآن أنزل

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٥/٩.

(٢) شرح النهج ٣٥/٣.

(٣) شرح النهج ٢٢٠/١.

على النبي ﷺ والأموال أربعة: أموال المسلمين فقسّمها بين الورثة في الفرائض، والنفق فقسّمه على مستحقيه، والخمس فوضعه الله حيث وضعه، والصدقات فجعلها الله حيث جعلها، وكان حلي الكعبة فيها يومئذ، فتركه الله على حاله ولم يتركه نسياناً ولم يخفّ عليه مكاناً فأقرّه حيث أقرّه الله ورسوله^(١).

فقال له عمر: لولاك لأقتضينا، وترك الحلي بحاله، في حين جاء محمد بن سعود بعد عمر بأكثر من ألف سنة وأخذ حلي الكعبة!

مضى كثرت الرشوة؟

لقد حارب النبي ﷺ الرشوة شرعاً وعملاً فسار المسلمون على نهجه، ولكن جاء من بعده من خالف ذلك، اذ قال المغيرة بن شعبة: أنه أول من رشا في الإسلام إذ أعطى عمامته لحاجب عمر كي يسمح له بالجلوس حيث يريد. ولما جاء أبو موسى الأشعري إلى البصرة لجلب المغيرة والشهود الذين شهدوا عليه بالزنا، بعث إليه المغيرة برشوة عبارة عن جارية عربية من سبي الجامة من بني حنيفة ومعها خادم^(٢).

وعن أبي جرير الأزدي قال: كان رجل لا يزال يهدي لعمر فخذ جزور، إلى أن جاء يوم بنحصر، فقال: يا أمير المؤمنين إقض بيننا قضاءً فصلاً، كما يفصل الفخذ من سائر الجزور!

قال عمر: فما زال يردها حتى خفت على نفسي، ففضى عليه عمر وكتب إلى عمّاله: أما بعد فأيتاكم والهدايا، فإنّها من الرشا^(٣).

(١) نهج البلاغة ح ٢٧٠/٢٦٢، فتوح البلدان، البلاذري ص ٥٥.

(٢) السقيفة وفدك، أبو بكر الجوهري ٩٢.

(٣) تاريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزي ص ١٢٢.

وقبل ذلك جاء أنه لما اجتمع الناس على أبي بكر قسم قسماً بين نساء المهاجرين والانصار، فبعث إلى امرأة من بني عدي بن النجار قسماً مع زيد بن ثابت، فقالت: ما هذا.

قال: قسم قسمة ابو بكر للنساء.

قالت: أترأشونني عن ديني؟ والله لا أقبل منه شيئاً، فردته عليه^(١). وذكر ذكوان مولى عائشة قائلاً: قدم درج من العراق فيه جواهر إلى عمر فقال لأصحابه: أتدرون ما ثمنه؟

فقالوا: لا. ولم يدروا كيف يقسمونه!

فقال: أتأذنون أن أرسل به إلى عائشة لحب رسول الله إياها؟

قالوا: نعم، فبعث به إليها.

فقالت: ماذا فتح الله على ابن الخطاب^(٢).

وإذا كان عموم المسلمين لا يعرفون قيمة هذا الدرج، فهذا يعني أنه يساوي عشرات الآلاف من الدنانير. وقد بقيت عائشة وفية لأبيها وعمر إلى آخر عمرها تخدمها بما أمكنها، فهي التي ذكرت نوح الجن على عمر إثر موته ولم تذكر هذا للنبي ﷺ، ولشدة احترامها له قالت فيه حديثاً على لسان النبي ﷺ: «قد كان يكون في الأمم قبلكم محدثون فإن يكن في أمتي منهم أحد فإن عمر بن الخطاب منهم»^(٣). ولا أدري لماذا رأى الخليفة عمر المصلحة في سلب حلي الكعبة لتجهيز جيش المسلمين، بينما أعطى جواهر كسرى لأُم المؤمنين عائشة.

وقالت عائشة بكت الجن على عمر، في حين يعتقد عمر بنزول العذاب على

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٥٢/٢.

(٢) النبلاء ١٢٣/٢، مستدرک الحاكم ٨/٤ وتلخيصه للذهبي.

(٣) صحيح مسلم، باب فضائل عمر بن الخطاب ١٨٦٤/٤ ح ٢٣٩٨.

الميت في قبره إن بكت عليه الانس ، فكيف لو بكت عليه الجن ؟!
وقد أفتى عمر بجرمة الهدية على مستوى فخذ جزور ، فكيف لو كانت في
مستوى جواهر كسرى .

وفي زمن عثمان كثرت الاموال المعطاة بدون حق ، ففسدت الناحية المالية .
حتى إن عثمان نفسه قال في طلحة بن عبد الله : ويلي على ابن الحضرميّة أعطيته كذا
وكذا بهاراً (الحمل وهو ثلاثمائة رطل بالقبطية) ذهباً ، وهو يروم دمي ، يحرّض
على نفسي ، اللهم لا تمتعه به ، ولقّه عواقب بغيه ^(١) . وقد خلف طلحة ثلاثمائة بهار
من ذهب وفضة ^(٢) وكان الزبير مثل طلحة في كثرة أمواله فجميع ماله خمسة
وثلاثون ألف ألف ومائتا ألف ، وله أربع نسوة فأصاب كلّ امرأة ألف ألف ومائة
ألف ^(٣) . وإذا كان طلحة المعارض لعثمان قد حصل على هذه الكميّة من الذهب فكم
جمع مروان منها ؟!

وخلف الزبير بن العوام مائة ألف ألف وسبعمائة ألف ألف ^(٤) .
وقد ذكر ابن الأثير أموال عبد الرحمن بن عوف قائلاً : « وخلف مالاً عظيماً
من ذلك ذهب قطع بالفؤوس حتى تجلّت ^(٥) أيدي الرجال منه ، وترك ألف بعير ،
ومائة فرس ، وثلاثة آلاف شاة ترعى بالبقيع وكان له أربع نسوة ، أخرجت امرأة
بثمانين ألفاً أي صولحت » ^(٦) .

وذكر ابن عساكر أموال عبد الرحمن بن عوف قائلاً : « فكثر ماله ، حتى

(١) النهاية ١٠١/١ . وكانت غلّة طلحة كل يوم ألف درهم واني ، المعارف ، ابن قتيبة ص ٢٣١ .

(٢) العقد الفريد ٣٠٠/٤ ، والبهار ثلاثمائة رطل .

(٣) طبقات ابن سعد ١٠٩/٣ ، ١١٠ .

(٤) العقد الفريد ، ابن عبد ربه ٣٠٢/٤ ، طبقات ابن سعد ١٠٨/٣ - ١١٠ .

(٥) تجلّت يده : ظهر فيها ما يشبه البثر .

(٦) أسد الغابة ، ابن الأثير ٤٨٥/٣ طبع دار احياء التراث العربي ، مختصر تاريخ ابن عساكر ٣٦٢/١٤ .

قدمت له سبع مئة راحلة تحمل البزّ، وتحمل الدقيق والطعام، قال: فلما دخلت المدينة سمع أهل المدينة رجّة»^(١).

ودخل عبد الرحمن بن عوف على أم المؤمنين أم سلمة فقال: «إني أخشى أن أكون قد هلكت، إني من أكثر قريش مالا، بعث أرضاً بأربعين ألف دينار. قالت: يا بني: أنفق فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن من أصحابي من لن يراني بعد أن أفارقه...»^(٢).

وبعد سماع ابن عوف حديث أم سلمة تخوّف من كثرة أمواله فقد جاء: «أن عبد الرحمن بن عوف أتى بطعام وكان صائغاً، فقال: قُتِل مصعب بن عمير وهو خير مني، فكفن في بردته، إن غطي رأسه بدت رجلاه، وإن غطيت رجلاه بدا رأسه، وآراه قال: وقتل حمزة وهو خير مني، ثم بسط لنا من الدنيا ما بسط - أو قال: أعطينا من الدنيا ما أعطينا - وقد خشينا أن تكون حسناتنا عجّلت لنا، ثم جعل يبكي حتى ترك الطعام»^(٣) وقد خلف ابن عوف تركة عظيمة من الذهب والماشية والأراضي^(٤). وقد ترك ابن عوف أربع زوجات، فكان نصيب كل واحدة منهن من الثمن يقوّم بما بين الثمانين ألفاً إلى مائة ألف دينار. وقد حصل ابن عوف (وزير عمر) على تلك الأموال في زمن خلافة عمر وعثمان.

وخلف سعد بن أبي وقاص مائتي ألف وخمسين ألف درهم^(٥). ولما جاء الزمن الأموي انتشرت الرشوة وشاعت في كل مكان، فحصل الشعراء والولاة والرواة على حصّة الأسد، من أموال المسلمين.

(١) مختصر تاريخ ابن عساكر، ابن منظور ٣٤٧/١٤ طبع دار الفكر.

(٢) مختصر تاريخ ابن عساكر، ابن منظور ٣٥٣/١٤ طبع دار الفكر.

(٣) مختصر تاريخ ابن عساكر، ابن منظور ٣٥٩/١٤.

(٤) أسد الغابة، ابن الأثير ٤٨٥/٣، مختصر تاريخ ابن عساكر ٣٦٢/١٤، ٣٥٩، ٣٥٣.

(٥) طبقات ابن سعد ١٤٩/٣، سمر أعلام النبلاء ١٢٢/١، مختصر تاريخ ابن عساكر ٢٧١/٩.

كذب ضد النبي

صلى الله
عليه وآله

والصحابية

كذب ضد النبي ﷺ والصحابة

لقد انتشر الكذب على النبي ﷺ والصحابة بشكل خطير تحت إسم أحاديث قالها النبي ﷺ وقد قال الرسول ﷺ: أنا فرطكم على الحوض وليرفعن معي رجال منكم ثم ليختلجن دوني فأقول: يا رب أصحابي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك.

وروى مسلم بن الحجاج في صحيحه^(١) عدة روايات بهذا المضمون، وروى الحميدي في كتاب الجمع بين صحيحي مسلم والبخاري، وكذا أحمد بن حنبل في مسنده^(٢). ولوقلنا بعدالة الصحابة كلهم، يلزم القول بدخول المنافقين والمنحرفين عن النبي ﷺ الجنة مع عمر وقتلته وعثمان وقتلته والإمام علي عليه السلام وقتلته، والمشاركين في حروب الجمل وصفين والنهروان، والتوالي باطلة بأسرها ضرورة واتفاقاً. ولقد انتشرت الأحاديث الكاذبة بعد النبي ﷺ، حتى إن الرجال بن عنفوة وإسمه نهار قد ارتد بعد أن أسلم وهاجر وقرأ القرآن. ولما ذهب إلى مسيلمة الكذاب؛ أخبرهم بأن النبي ﷺ قد قال: إن مسيلمة شرك معه في الرسالة، فكان أعظم فتنة على بني حنيفة^(٣).

(١) في باب الحوض ٦٥/٧.

(٢) ٣٣٣/٥.

(٣) أسد الغابة لابن الأثير ٢٨٦/٢.

وقال السمعاني: من كذب في خبر واحد على رسول الله ﷺ وجب اسقاط ما تقدم من حديثه^(١).

وقد أبطل عمر بن الخطاب نظرية عدالة الصحابة التي أوجدها الأمويون لاحقاً، إذ كتب لابن العاص: من عبد الله أمير المؤمنين إلى العاصي ابن العاصي^(٢). وقال عمر للمغيرة بن شعبة: صدقت فأنت القوي الفاجر^(٣)، فاعترف عمر بفجور المغيرة!

وقال لابي هريرة في سرقة أموال المسلمين: استأثرت بهذه الأموال أي عدو الله وعدو كتابه^(٤). واتهم عمر أبا هريرة بالكذب في الحديث قائلاً: أكثرت من الحديث وأحر بك أن تكون كاذباً على رسول الله^(٥).

وقال احمد بن حنبل وابو بكر الحميدي وابو بكر الصيرفي: لا تقبل رواية من كذب في أحاديث رسول الله إن تاب عن الكذب بعد ذلك^(٦).

وقال ابن حجر العسقلاني: إتفق العلماء على تغليظ الكذب على رسول الله ﷺ، لأنه من الكبائر، حتى بالغ الشيخ أبو محمد الجويني فحكم بكفر من وقع منه ذلك.

وقالوا: لا فرق في تحريم الكذب عليه ﷺ بين ما كان في الأحكام، وما لا حكم فيه كالترغيب والترهيب والمواظب وغير ذلك، وكله حرام من أكبر الكبائر، وأقبح القبائح بإجماع المسلمين... وقد أجمع أهل الحل والعقد على تحريم الكذب

(١) التزيين للنووي، ١٤.

(٢) عبقريّة عمر، العقد ٢٨.

(٣) العقد الفريد، ابن عدي ربه في أوائل الكتاب.

(٤) البداية والنهاية، ابن الأثير ١١٦/٨، ١١٧.

(٥) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٣٦٠/١.

(٦) اختصار علوم الحديث، ١١١ وراجع الآتي، المصنوعة، جلال الدين السيوطي.

على آحاد الناس، فكيف بمن قوله شرع، وكلامه وحى، والكذب عليه كذب على الله تعالى.

لقد ظهرت أحاديث كاذبة كثيرة ضد النبي (محمد) في زمنه وبعد وفاته. وابتلى النبي ﷺ ليس بالكذب عليه من قبل أعدائه، بل بالكذب عليه من قبل أصحابه. وأحاديث الغلو والذم لا تختلف عن بعضها في كونها أحاديث كاذبة نطقت باسم النبي ﷺ. وقد ابتلى الإمام علي عليه السلام بمثل هذه الأحاديث من قبل أعدائه ومحبيه. فأعداؤه أوجدوا له أحاديث كاذبة لا أساس لها من الصحة للحط من منزلته.

والمغالون فيه رفعوا منزلته فجعلوها في مرتبة رب العزة جل شأنه، والعباد بالله تعالى. وعلي عليه السلام عبد من عبيد الله وقد غضب علي عليه السلام على ناكثي بيعته والقاسطين والمارقين والمغالين فقتلهم.

وفما يخص أبا بكر وعمر وعثمان وعائشة وأكابر الصحابة فقد تعرّضوا لعملية منظمة من قبل السلطة الأموية أسندها طلقاء مكّة واتباع أبي جهل وخطط لها دهاء العرب وشياطين اليهود هدفها الكذب باسمهم، وتعظيم شأنهم، وكانت النظرية كالاتي: الحط من منزلة النبي محمد ﷺ عبر رفع منزلة الصحابة على منزلته أو مساواتهم معه (ولهذا شواهد عديدة) في النواحي العلمية والشجاعة ومعرفة الغيب والاتصال بالملائكة وغير ذلك.

وفي هذه المسألة جعلوا منزلة النبي محمد ﷺ وعمر ومعاوية في درجة واحدة، لا فرق بينهم، بحيث انه لو كان أنبياء من بعد النبي ﷺ لكان عمر أو لكان معاوية...؟! وهذا طمس لمنزلة النبوة ومحو لدلائلها.

ووفق هذه النظرية يكون الصحابة مطّلعين على الغيب، ولكن ليس بواسطة محمد ﷺ! ويجري على ألسنتهم الحق، وهم محدّثون، وغير ذلك. والله الحمد لقد كذب عمر وأبو بكر هذه الأحاديث الأموية بما قالوه في حق أنفسهم اذ قال عمر:

كل الناس أفقه من عمر حتى ربّات الحجال^(١) وقال عمر: هلا زجرتموني إذ لعوت^(٢) بينما قال أبو بكر: إنَّ لي شيطاناً يعتريني^(٣).

وأخذ أبو بكر بلسانه فقال: هذا الذي أوردني الموارد^(٤).

ومن هذه الأحاديث الكاذبة التي أوجدها معاوية والحزب القرشي:

عن نوح بن ميمون عن عبد الله بن عمر العمري عن جهم بن أبي الجهم عن مسور بن الحرمة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: إنَّ الله جعل الحقَّ على لسان عمر وقلبه.

وهذا الحديث واضح البطلان؛ لأنَّ عمر قد صرَّح عشرات المرات بأخطائه وجهله وعدم معرفته الإجابة عن بعض الأسئلة، ومن ناحية أخرى في سند الحديث أبو هريرة وقد اتَّهمه عمر بالكذب على رسول الله ﷺ، وإذا صدَّقنا أبا هريرة يعني كذبنا عمر!

وفي الحديث عبد الله بن عمر العمري ويحيى بن سعيد وجهم بن أبي الجهم، وقد وصفوا بالكذب والضعف والمجهولية الشخصية، وبذلك يسقط الحديث عن الاعتبار^(٥).

بينما قال عمر: ألا تعجبون من إمام أخطأ وأمرأة أصابت ناضلت أمامكم فنضلتها^(٦). وقال عمر: كلُّ الناس أفقه منك يا عمر^(٧).

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٦٦/١.

(٢) كنز العمال ٣٣٥/٧.

(٣) الامامة والسياسة، ابن قتيبة ١٦/١، تاريخ الطبري ٤٦٠/٢.

(٤) تاريخ الخلفاء، السيوطي ص ١٠٠.

(٥) ميزان الاعتدال للذهبي، تهذيب التهذيب ٤٨٩/١٠.

(٦) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٩٦/٣.

(٧) تفسير الفخر الرازي ١٧٥/٣.

فيظهر كذب ذلك الحديث المعارض لأقوال عمر. وقد قال الرسول ﷺ آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان^(١).

وعن انس بن مالك: لما حضرت وفاة أبي بكر الصديق سمعت علي بن أبي طالب يقول: المتفرسون في الناس أربعة: امرأتان ورجلان: فأما المرأة الأولى فصفراء بنت شبيب لما تفرست في موسى قال الله في قصتها: ﴿يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾^(٢). والرجل الأول: الملك العزيز على عهد يوسف، والقوم فيهم من الزاهدين، قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾^(٣). وأما المرأة الثانية فخديجة بنت خويلد رضوان الله عليها لما تفرست في النبي ﷺ وقالت لعمها: قد تنسمت روحي روح محمد بن عبد الله أنه نبي لهذه الأمة فزوجني منه، وأما الرجل الآخر فأبو بكر الصديق لما حضرته الوفاة قال: إني تفرست أن أجعل الأمر من بعدي في عمر بن الخطاب فقلت له: إن تجعلها في غيره فلن رضئ به. فقال سررتني، والله لا سرتك في نفسك بما سمعته من رسول الله ﷺ فقلت له: وما هو؟ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن على الصراط لعقبة لا يجوزها أحد إلا بجواز من علي بن أبي طالب، فقال له علي بن أبي طالب: أفلا أسرك في نفسك وفي عمر بما سمعته من رسول الله ﷺ فقال: ما هو؟ فقلت قال لي: يا علي: لا تكتب جوازاً لمن يسب أبا بكر وعمر؛ فإنهما سيدا كهول أهل الجنة بعد النبيين قال أنس: فلما أفضت الخلافة إلى عمر، قال لي علي: يا أنس إني طالعت مجاري العلم من الله عز وجل في الكون، فلم يكن أن ارضئ بغير ماجري في سابق علم الله وإرادته خوفاً من أن يكون مني اعتراض

(١) فتح الباري لابن حجر المصلائي ٧٥/١.

(٢) القصص، ٢٦.

(٣) يوسف، ٢١.

على الله عز وجل ، وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول : أنا خاتم الانبياء ، وأنت يا علي خاتم الأولياء .

قال الخطيب : هذا حديث موضوع من عمل القصاص ، وضعه عمر بن واصل او وضع عليه ^(١) أقول : إن الواضع قد مزج حديثاً كاذباً مع حديث صحيح ^(٢) لإثبات مراده ، فما أورده على لسان علي ﷺ لا أصل له .

وهكذا ضحك الأمويون على الناس بانتقاص منزلة الجنة ، بأنها مثل الارض فيها شباب وكهول . ووفقاً لهذا يكون الإنسان في الآخرة كما مات في الدنيا شاباً أو عجوزاً ، لإثبات عدم قدرة الله سبحانه على اعادتهم شباباً والعياذ بالله !

ومن الحديث الكاذب : كأن علم الناس كلهم قد درس في حجر عمر مع علم عمر ، ولو وضع علم الناس في كفة ميزان وعلم عمر في كفة لرجح علم عمر بعلم الناس ، وأمثال هذا الحديث كثير ^(٣) .

بينما جاء في الحديث الصحيح : تعلم عمر بن الخطاب البقرة في اثنتي عشرة ، سنة فلما تعلمها غر جزوراً ^(٤) .

وقال عمر في قضية تحديد مهور النساء : كل أحد أعلم من عمر . ثم قال لأصحابه : تسمعونني أقول مثل القول فلا تنكروني علي حتى ترد علي امرأة ليست من أعلم النساء ^(٥) .

(١) مختصر تاريخ ابن عساكر ٣١١/١٨ .

(٢) والحديث الصحيح وجود عقبة على الصراط لا يجوزها المسلم والمسلمة إلا بهجواز من علي ﷺ وقول النبي ﷺ : أنا خاتم الأنبياء وعلي خاتم الأولياء .

(٣) الاستيعاب ٤٣٠/٢ ، أعلام الموقعين ، ابن القيم الجوزية ٦ ، المستدرک ، الحاكم ٨٦/٣ .

(٤) مختصر تاريخ ابن عساكر ٣٢٣/١٨ .

(٥) أخرجه اصحاب السنن وابن حبان والحاكم واحمد بن حنبل والدارمي وابن أبي شيبة والطبراني والزمخشري في الكشاف ٤٩٠/٦ .

ومرَّ عمر بن الخطاب بغلام وهو يقرأ في المصحف: النبيُّ أُولَىٰ بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم (سورة الأحزاب، ٦).

فقال يا غلام حكَّها. قال: هذا مصحف أبي، فذهب إليه فسأله فقال له أبي: إنَّه كان يلهيني القرآن، ويلهيك الصفق بالاسواق، واغلظ لعمر^(١).

ولمَّا قرأ أبي بن كعب: ولا تقربوا الزنا إنَّه كان فاحشة ومقتاً وساء سبيلاً إلَّا من تاب فإن الله كان غفوراً رحيماً. فذكر لعمر فسأله عنها قال: أخذتها من في رسول الله ﷺ وليس لك عمل إلَّا الصفق بالبيع^(٢).

وقال أبي: ءأتكلم؟ قال: تكلم، فقال: لقد علمت أنَّي كنت أدخل على النبي ﷺ ويقرئني وانت بالباب، فإذا أحببت أن أقرئ الناس على ما أقرأني أقرأت، وإلَّا لم أقرأ حرفاً ما حببت؟ قال: بل أقرئ الناس. ويكنى أنس وقال: غير واكل شيء حتى الصلاة^(٣).

وقال أبي لعمر: والله يا عمر إنك لتعلم أنَّي كنت أحضر وتغيبون، وادعني وتحجبون، ويصنع بي، والله لئن أحببت لألزم من بيتي فلا أحدث أحدًا بشي^(٤). وكان عمر يذهب إلى مسجد النبي ﷺ كل يومين مرَّة^(٥).

ومن الحديث الكاذب: وقعت زلزلة في المدينة فضرب عمر الدرة على الأرض، وقال: اسكني باذن الله، فسكنت وما حدثت الزلزلة بالمدينة بعد ذلك. بينا ذكر كتاب تاريخ الخميس أنَّ الزلزلة قد وقعت في سنة ست من الهجرة الشريفة، فقال النبي ﷺ: إنَّ الله عزَّ وجلَّ يستعيبكم فاعتبوه.

(١) البيهقي ٦٩/٧، القرطبي في تفسيره ١٢٦/١٤.

(٢) كنز العمال ٢٧٨/١.

(٣) الطبقات ٢٠/٧، ورواه أحمد والترمذي وحسنه، الفتح الرباني ١٩٩/١.

(٤) الدر المنثور ٧٩/٦، كنز العمال ٢٨٥/١، تفسير ابن كثير ١٩٤/٤.

(٥) سنن البيهقي ٣٧/٧، لأن بيته بعيد عن المسجد النبوي في العوالي.

وذكروا حديثاً جاء فيه : لو لم أبعث فيكم لبعث عمر .

أورده ابن الجوزي في الموضوعات ، وقال : إن زكريا بن يحيى من الكذابين الكبار . وقال النسائي : إن عبد الله بن يحيى متروك الحديث ، وفي هذا الحديث أنزلت منزلة النبي محمد ﷺ إلى منزلة عمر .

وبينما رفع الأمويون منزلة عمر إلى منزلة الأنبياء ، اعترف عمر بمنزلته الحقيقية إذ قال : صدق عوف والله كذبتهم ! لقد كان أبو بكر أطيب من ريح المسك وأنا أضل من بعير أهلي ^(١) .

وقال : من أراد أن يسأل عن القرآن فليأت أبي بن كعب ، ومن أراد أن يسأل عن الحلال والحرام فليأت معاذ بن جبل ، ومن أراد أن يسأل عن المال فليأتني ، فإن الله تعالى جعلني خازناً ^(٢) .

وأخرج عن سالم بن عبد الله قال : أبطأ خبر عمر على أبي موسى فأقن امرأة في بطنها شيطان ، فسألتها عنه ، فقالت : حتى يجئني شيطاني ، فجاء فسألته عنه فقال : (الشيطان) تركته مؤزرراً بكساء بيناً إبل الصدقة ، وذاك رجل لا يراه شيطان إلا خراً لمنخريه ، الملك بين عينيه ، وروح القدس ينطق بلسانه ^(٣) .

ولا أدري لماذا ترك أبو موسى مئات الألوف من أفراد الانس وذهب للسؤال من شيطان عن عمر ؟

ولا ندري ما اسم هذا الشيطان ، وهل هو من العرب أم العجم ؟ وهل هو ثقة أم مجهول ؟ وما هو رأي رجال الجرح والتعديل في رواية شيطان مجهول الاسم والنسب ؟

(١) شرح ابن أبي الحديد ٣٦/١٢ .

(٢) مستدرک الحاكم ٢٧١/٣ .

(٣) تاريخ الخلفاء للسيوطي ١٢١ .

ولا أدري ما هو السر المشترك في قضية الشياطين ؟ فأبو بكر قال : إن لي شيطاناً يعتريني ^(١) ، وهنا سأل أبو موسى الأشعري شيطاناً في بطن امرأة عن عمر . وأبو بكر والأشعري صديقان حميمان لعمر .

عملية الخط من منزلة النبي ﷺ والصحابة والإسلام بذكر أحاديث على لسان هؤلاء الصحابة ضد النبي محمد ﷺ المتبوع والصحابة التابعين تحتاج إلى ملاحظة فنية لأدراك ذلك الخبث الأموي اليهودي .

وقد أراد الأمويون الكفار واليهود والمنافقون بيان كذب النبي ﷺ (والعياذ بالله من ذلك) ونفاق الصحابة .

وهذه المسألة إن تحققت فهي تبين للناس صحة مطالب أبي سفيان وأعوانه في تصوير نبوة محمد ﷺ ملكاً ليس إلا ، فقد قال أبو سفيان للعباس قبل فتح مكة : لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيماً ^(٢) .

وقد كرّر الأمويون هذه المقولة ؛ إذ قال أبو سفيان أمام قبر حمزة ، بعد بيعته عثمان بالخلافة : إن الملك الذي قاتلتمونا عليه أصبح في أيدينا . وقال في مجلس عثمان : « اللهم اجعل الأمر أمر الجاهلية ، والملك ملك غاصبية ، واجعل أوتاد الأرض لبني أمية » ^(٣) .

وكرّر يزيد بن معاوية تلك المقولة أمام رأس الحسين الشهيد عليه السلام في دمشق قائلاً :

لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل ^(٤)

(١) الإمامة والسياسة ، ابن قتيبة ١٦/١ ، وتاريخ الطبري ٤٦٠/٢ .

(٢) تاريخ الطبري ٣٣٢/٢ .

(٣) تاريخ ابن عسكرو ٤٠٧/٢ .

(٤) البدء والتاريخ ١١/٦ .

أوراق الصحابة

حاول الأمويون خلط أوراق الصحابة، وإيجاد ضبابية وشكوك في اخلاص المسلمين للإسلام والقرآن وذلك بإتهام كل الصحابة وإيجاد أحاديث نبوية لا صحة لها.

وحاولوا وصف الصحابة وكأنهم في منزلة واحدة من الإبتعاد عن الفضيلة والإنسانية ومبادئ الإسلام. وفي ضوء ذلك تصبح منزلة أبي سفيان في منزلة السابقين في الإسلام من المهاجرين والأنصار! وتضحى درجة الطليق في مستوى درجة ومنزلة أهل بيعة العقبة ومهاجري الحبشة والمدينة؟!

وهذه العملية تخالف نظرية النبي ﷺ في رفع درجة السابقين على اللاحقين، والأطروحة الأموية تخالف أطروحة عمر في تفريق رواتب المسلمين على قِدم مشاركتهم في الحروب الإسلامية بدر واحد والقادسية...

ولما كان عمر قد أغلق باب الأحاديث النبوية ﷺ ومنع ذكرها وتدوينها، سار معاوية على ذلك المنع، ولكنه فتح باب الكذب على النبي ﷺ وآله وصحبه! فشاعت تلك الأحاديث وانتشرت وكثرت الكذابة. ويمكن ملاحظة الفرق واضحاً بين تصرفات عمر ومعاوية تجاه أبي هريرة الراوية الكثير الأحاديث.

فعمد منعه من قول الأحاديث النبوية وقال له: أحر بك ان تكون كاذباً على رسول الله^(١). بينما شجعه معاوية وأكرمه لطرح المزيد من الأحاديث الكاذبة؟^(٢)

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٣٦٠/١.

(٢) أضواء على السنة المحمدية، محمود أبو رية ٣٢٥.

ولو دون أبو بكر وعمر السنة، لما تمكّن معاوية من فتح باب الكذب على النبي ﷺ؟ قال أبو جعفر الاسكافي: إن معاوية حمل قوماً من الصحابة، وقوماً من التابعين، على رواية أخبار قبيحة على علي، تقتضي الطعن فيه، والبراءة منه، وجعل لهم في ذلك جعلاً، فاختلفوا له ما أَرْضاه، منهم أبو هريرة، وعمر بن العاص، والمغيرة بن شعبة، ومن التابعين عروة بن الزبير^(١).

وروى الأعمش: لما تقدم أبو هريرة مع معاوية عام الجماعة جاء إلى مسجد الكوفة، فلما رأى كثرة من استقبله، جثا على ركبتيه ثم ضرب صلته مراراً، وقال: يا أهل العراق أتزعمون أنني أكذب على الله ورسول الله وأحرق نفسي بالنار، والله لقد سمعت رسول الله يقول: لكل نبي حرماً وإن حرمني بالمدينة ما بين غيري إلى ثور، فمن أحدث فيها حدثاً لعنه الله والملائكة والناس أجمعين، وأشهد بالله أن علياً أحدث فيها، فلما بلغ معاوية قوله أجازه وأكرمه وولاه إمارة المدينة^(٢). والظاهر من قول أبي هريرة، أن أهل العراق كانوا يتهمون بالكذب على الله ورسوله.

وسعى الأمويون لنشر العقائد والأفكار الجاهليّة، المتمثلة في الشرك، وتجسيم الله سبحانه، والإيمان بالجبر. ولما كانت الناس تثقّ بالصحابة فقد استخدم الأمويون أسماء الصحابة المخلصين لتقرير أحاديثهم المزيفة. وبسبب كثرة الدراهم المصروفة في هذا المجال كثرت الأحاديث المزيفة بين المسلمين^(٣).

وقد أراد الأمويون واليهود تجسيم الله سبحانه فقالوا: أول من يعانقه الحقّ يوم القيامة عمر وأول من يصفحه الحقّ يوم القيامة عمر، وأول من يؤخذ بيده

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٣٥٨/١.

(٢) أضواء على السنة المحمدية، محمود أبو رية ٣٢٥.

(٣) أضواء على السنة المحمدية ٢٢٥، شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٣٥٨/١.

فينطلق به الى الجنة عمر بن الخطاب . عن كعب مرفوعاً .

قال الذهبي في تلخيصه: موضوع في إسناده كذاب ، وقال الذهبي في ميزانه هذا منكر جداً ١٢/٢ .

وهناك اختلاف بين منيع عمر ومنيع معاوية حول ذكر فضائل أهل البيت عليهم السلام . واتفاق بينهما حول منع التدوين .

فقد صرح عمر بالكثير من الفضائل لأهل البيت عليهم السلام وعلى رأسهم علي بن أبي طالب عليه السلام ومن ذلك قوله: علي مولى كل مؤمن ومؤمنة ومن ليس مولاه فليس بمؤمن ^(١) .

وقوله: لقد أرداك الحق يا علي ولكن أبى قومك ^(٢) .

وقوله: لولا علي لهلك عمر ^(٣) .

بينما أراد الأمويون محو كل فضيلة لأهل البيت عليهم السلام واستخدام كافة الوسائل الموصلة الى ذلك . فتمنوا النطق باسم علي عليه السلام ، ولعنوه أربعين عاماً من على مآذن المسلمين ، ومنعوا ذكر فضائله !

ووجد الأمويون أن إيجاد فضائل كاذبة للصحابة تساوي أو تفوق فضائل ومناقب أهل البيت عليهم السلام هو من ضمن الوسائل الكفيلة بالخطأ من منزلتهم ، فشرعوا في ذلك .

قال ابن عرفة: إن أكثر الأحاديث الموضوعة في فضائل الصحابة ، افطعت في أيام بني أمية تقريباً إليهم ، بما يظنون أنهم يرغبون به أنوف بني هاشم ^(٤) .

(١) أخرجه الدارقطني في صواعق ابن حجر ١٠٧ .

(٢) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ١١٤/٣ ، ١١٥ .

(٣) الاستيعاب ، ابن عبد البر ١١٠٣/٣ .

(٤) فجر الإسلام لاحمد امين ص ٢١٣ .

ومن الأحاديث الكاذبة رواية عن عائشة أنه كان بينها وبين رسول الله ﷺ كلام. فقال رسول الله ﷺ: ترضين أن يكون بيني وبينك عمر؟ قالت: من عمر؟ قال: عمر بن الخطاب، قالت: لا والله إنِّي أفرق من عمر. فقال النبي ﷺ: الشيطان يفرقه^(١). سنن البيهقي ٧٧/١٠.

وهذا يعني انها لا تثقُ بعدالة النبي ﷺ وتفزع من شرِّ عمرا وهما عندها رجلا ن ظالمان فهي تبحث عمن يقضي بينهما بالحق.

وكتب معاوية الى جميع عماله في جميع الآفاق كتاباً: الأول: كتب الى جميع عماله أن لا يميزوا لأحد من شيعة علي وأهل بيته شهادة.

الثاني: كتب الى جميع عماله أن انظروا الى من كان من شيعة عثمان ومحبيه وأهل ولايته والذين يروون فضائل عثمان ومناقبه، فأدنوا مجالسهم وقربوهم واكرمهم وكتبوا إليَّ بكل ما يروي كل رجل منهم مع اسمه واسم أبيه، ففعلوا ذلك، حتَّى اكثروا في فضائل عثمان ومناقبه، لما كان يبعثه معاوية إليهم من الصلوات والهبات والقطائع.

الثالث: كتب معاوية الى عماله: إنَّ الحديث في عثمان قد كثر وفشا في كل مصر وناحية، فادعوا الناس الى الرواية في فضائل الصحابة والخلفاء الأولين، ولا تتركوا خبراً يرويه أحد من المسلمين في أبي تراب إلَّا وأتوني بمناقض له في فضائل الصحابة، فإنَّ هذا أحبُّ إليَّ وأقرُّ ليعني.

الرابع: ثمَّ كتب الى عماله الى جميع البلدان: انظروا الى من أقيمت عليه البيته أنَّه ممن يحبُّ علياً وأهل بيته، فاحموا من الديوان، واسقطوا عطاءه ورزقه، وشفع ذلك بنسخه أخرى: من اتهمتموه بموالاة هؤلاء القوم - يعني علياً وأهل بيته فنكّلوا به واهدموا داره.

(١) مختصر تاريخ ابن عساكر ٢٨٣/١٨، ويفرق: نواذر الاصول للحكيم الترمذي ص ٥٨.

فلم يكن البلاء أشد ولا أكثر منه بالعراق، ولا سيما بالكوفة، حتى أن الرجل من شيعة علي ليأتيه من يثق به، فيلقي إليه سرّه، ويخاف من خادمه ومملوكه، ولا يحدّثه حتى يأخذ عليه الايمان الغليظة، فظهر حديث كثير موضوع ومهتان منتشر^(١).

وانبأنا أبو عيسى، حدّثنا الحسين بن حرith، أنبأنا علي بن الحسين بن واقد، حدّثني أبي، حدّثنا عبد الله بن بريدة قال: سمعت بريدة يقول: خرج رسول الله ﷺ في بعض مغازيه، فلما إنصرف جاءت جارية سوداء، فقالت: يا رسول الله، إني كنت نذرت إن ردّك الله سالماً أن أضرب بين يديك بالدفّ وأتغنى قال: إن كنت نذرت فإضربي، وإلا فلا، فجعلت تضرب، فدخل أبو بكر وهي تضرب، ثم دخل علي وهي تضرب، ثم دخل عثمان وهي تضرب، ثم دخل عمر فألقت الدفّ تحت استها وقعدت عليه، فقال رسول الله ﷺ: إنّ الشيطان ليخاف منك يا عمر، إني كنت جالساً وهي تضرب، فدخل أبو بكر وهي تضرب، ثم دخل علي وهي تضرب، ثم دخل عثمان وهي تضرب، ثم دخلت أنت يا عمر فألقت الدفّ^(٢).

ومفهوم هذا أن الشيطان لا يخاف من النبي ﷺ وعلي ﷺ وأبي بكر وعثمان.

بل كان هؤلاء يستمعون الى الشيطان!

وهكذا رفع الأمويون في هذا الحديث منزلة عمر واسقطوا منزلة النبي ﷺ وأبي بكر وعلي ﷺ وعثمان! ليصبح الجميع في منزلة معاوية ويزيد! وعلى هذا المنوال فعل الأمويون في أحاديث أخرى إذ جاء: أنبأنا أبو عيسى

(١) راجع الاستيعاب، ابن عبد البر ١/٦٥، الاصابة، ابن حجر ١/١٥٤، الكامل في التاريخ، ابن الاثير

١٦٢/٣، تاريخ الطبري ٦/٧٧، تاريخ ابن عساكر ٣/٢٢٢، وفاء الوفاء ١/٣١، النزاع والتخاصم ١٣

، تهذيب التهذيب ١/٤٣٥، الأغاني ١٥/٤٤، شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ١/١١٦.

(٢) أسد الغابة ٤/١٦١، مسند احمد ٥/٣٥٣، ٣٥٤، أسد الغابة ٤/٦٤، السيرة الحلبية ٢/٦٢.

حدثنا علي بن حُجر ، حدثنا اسماعيل بن جعفر ، عن حميد بن أنس : أن النبي ﷺ قال : دخلت الجنة ، فإذا أنا بقصر من ذهب ، فقلت : لمن هذا ؟ فقالوا : لشاب من قريش ، فظننت أني أنا هو . فقلت : ومن هو ؟ قالوا : عمر بن الخطاب ^(١) .
في هذا الحديث رفع القاص الأموي (اليهودي المنحى) منزلة عمر على منزلة النبي ﷺ ، بحيث تمى النبي ﷺ قصره في الجنة ! والإعتداء على الأنبياء صفة اليهود وطغاة مكة .

نظرة بني أمية للأنبياء والصحابة

وسعى الأمويون لتفضيل رجالهم على النبي ﷺ وباقي الصحابة بطرق مختلفة لتحطيم النبوة واعلاء الشرك وتفضيل السلاطين وأبنائهم على عامة الناس . ووفق النظرية الأموية يكون السلطان أفضل من باقي الناس بغض النظر عن الطرق التي أوصلته الى السلطة .

فكانت الأطروحة تتمثل في تفضيل الأمويين على غيرهم ، وتفضيل أبي بكر وعمر وعثمان على محمد ﷺ وعلي ﷺ وباقي الناس !

فسعوا الى حذف ذكر علي ﷺ من السيرة والتشكيك في سيرته وسيرة النبي ﷺ واخماد ذكر المهاجرين والأنصار وباقي المسلمين وتسليط الأضواء على أبي بكر وعمر وعثمان والأمويين وطلاق مكة كمطلب قرشي .

وهذه ذات النظرية القرشية الجاهلية القائمة على رفع مكانة قريش ومسح هويّة باقي العرب !

جاء في صحيح مسلم : حدثنا عبد الملك بن شعيب بن الليث بن سعد عن

(١) أسد الغابة لابن الاثير ١/١٦٦ ، وصحح الحديث الترمذي واخرجه احمد وابن حبان .

أبي عن جدي، حدثني عقيل بن خالد عن ابن شهاب عن يحيى بن سعيد بن العاص، أن سعيد بن العاص أخبره أن عائشة (زوج النبي ﷺ) وعثمان حدثاه: أن أبا بكر استأذن على رسول الله ﷺ وهو مضطجع على فراشه لابس مِرط (كساء) مع عائشة فأذن لأبي بكر وهو كذلك. ففَضِي إليه حاجته ثم انصرف. ثم استأذن عمر فأذن له وهو على تلك الحال ففَضِي إليه حاجته ثم انصرف. قال عثمان ثم استأذنت عليه فجلس وقال لعائشة: اجمعي عليك ثيابك ففَضِيَتْ إليه حاجتي ثم انصرفت.

فَقَالَتْ عائشة: يا رسول الله مالي لَمْ أَزَكْ فَرِغْتَ لأبي بكر وعمر ﷺ كما فرغت لعثمان؟ قال رسول الله ﷺ: «إن عثمان رجل حَيٍّ، وإني خشيت إن أذنت له على تلك الحال أن لا يَبْلُغَ إليَّ في حاجته»^(١).

أقول: إنَّ النفس الأموي واضح في هذا الحديث، فهو في صالح عثمان الأموي فقط، وضد مروءة النبي محمد ﷺ وأبي بكر وعمر. وهو يظهر الجباة المذكورة بلا حياء، وصور عائشة في ملابس غير محتشمة بين زوجها وأبيها وعمر، وهذا يخالف الأعراف الإسلامية فضلاً عن الأعراف العربية في الشرف والعفة والحياء بينما ظهر عثمان الأموي مثلاً للشرف والحياء.

وفي الرواة سعيد بن العاص الفاسق وابنه وهما من بني أمية، وفيه ابن شهاب الزهري الأموي الهوى.

وبسبب اشتراك رسول الله ﷺ في بناء الكعبة فقد حاول طلقاء مكة سلب تلك الفضيلة وتنقيصه فقالوا: «فبينما رسول الله ﷺ ينقل معهم (الحجارة) وهو يومئذ ابن خمس وثلاثين سنة، وكانوا يضعون أوزهم على عواتقهم ويحملون الحجارة ففعل ذلك رسول الله ﷺ فلبط به ونودي: عورتك.. فما رؤيت

لرسول الله ﷺ عورة بعد ذلك»^(١).

فقد حاول كفار قريش المكشوفة عوراتهم في معارك بدر واحد والحندق وفسادهم المعروف الانتقام من رسول الله ﷺ الذي لم تتكشف له عورة ولم ينظر إلى عورة اجنبي بهذا الحديث الموضوع.

ولا أدري كيف ذكر مسلم هذا الحديث في كتابه المسمى بالصحيح؟! واستمراراً لأهداف الأمويين نلاحظ هنا حديثاً فيه هجاء للنبي ﷺ ولأبي بكر وعمر ومدح لعثمان: فعن يحيى بن يحيى بن أيوب وقتيبة وإبن حجر اسماعيل - يعنون به إبن جعفر - عن محمد بن أبي حرملة عن عطاء وسليمان إبن يسار وأبي سلمة بن عبد الرحمن أن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ مضطجعاً في بيتي كاشفاً عن فخذه أو ساقيه، فاستأذن أبو بكر فأذن له وهو على تلك الحال، فتحدثت، ثم استأذن عمر فأذن له فتحدثت. ثم استأذن عثمان فجلس رسول الله ﷺ وسوءى ثيابه فدخل، فتحدثت فلما خرج قالت عائشة: دخل أبو بكر فلم تهتش^(٢) ولم تُباليه^(٣)، ثم دخل عمر فلم تهتش له ولم تُباليه ثم دخل عثمان فجلست وسوءت ثيابك فقال ﷺ: ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة^(٤).

وبينما صور الحديث السابق عائشة في ملابس خليعة صوروا النبي ﷺ هنا في صورة خليعة!

فالنبي ﷺ في هذا الحديث المزيف كاشف عن فخذه أمام زوجته وأبيها وعمر وبجرد دخول عثمان استدرك ﷺ الحالة وغطى فخذه! فالشرف والحياء عند بني أمية فقط ورثوه من هبل والآلات والعزى!

(١) الطبقات ابن سعد ١/١٤٥.

(٢) الهشاشة والبشاشة طلاقة الوجه وحسن اللقاء.

(٣) لم تكترث به وتعتفل لدخوله.

(٤) صحيح مسلم ٤/١٨٦٦، حديث ٢٤٠١.

والمسلم يخجل من وجود هذه الترهات باسم أحاديث نبوية في ما يسمى
صاحح المسلمين! وأعجب من مدى درجة حمق وتعصب وجهل بعض العلماء،
الذين أخذ الله تعالى لهم فلم يعودوا يشخصون الأبيض من الأسود، والصحيح
من السقيم!

اهتمام القصاصين بوجوه المسلمين

لقد اهتم القصاصون بوجوه المسلمين وتركوا عوامهم دون ذكر، لأن
الأمويين أرادوا الإهتمام بذلك، وحاولوا تصوير حياة النبي ﷺ مع أبي بكر وعمر
وعثمان وعائشة وحفصة وتركه لباقي المسلمين.

فتكون الأحاديث النبوية منصبة في دائرة: قال محمد ﷺ وأبو بكر وعمر
وعثمان، وجاء محمد ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وذهب محمد ﷺ وأبو بكر وعمر
وعثمان! وأذن محمد ﷺ لأبي بكر وعمر وعثمان!

لذلك نجد أحاديث لا حصر لها في مدح أبي بكر وعمر وعثمان، ولا نجد ذلك
في حق العباس بن عبد المطلب وعبد الله بن مسعود وهلال وسلمان الفارسي
والمقداد ومصعب بن عمير وسعد بن أبي عباد وزيد بن الخطاب وعقيل بن أبي
طالب وعثمان بن مظعون وغيرهم!

وعندما نقرأ كتب السيرة النبوية نجدها مليئة بالحديث عن أربعة (أبو بكر
وعمر وعثمان وعائشة) ولا نجد فيها ذكراً لأبطال المسلمين المستشهدين في بدر
واحد وحنين والمهاجرين إلى الحبشة. ونجد تعميماً متعمداً على ذكر الانصار
بالرغم من كونهم السواد الأعظم في المدينة المنورة، منهم يتشكل معظم جيش
المسلمين وفي مدينتهم عاش النبي ﷺ العظيم وعلى اقتصادهم عاش المسلمون
وعظمت شوكتهم.

ومن هذا نفهم أنَّ هناك مؤامرة أمويَّة معدَّة لإقصاء أهل البيت عليه السلام والناس المتقين عن مسرح السيرة النبويَّة، وحصر السيرة في سلاطين المسلمين وبني أميَّة.

وأي قراءة لنا في كتاب الطبري المسمَّى بتاريخ الأمم والملوك نجد بحسب تاريخاً للملوك وكتاباً لهم دون الشعوب، وهكذا كتاب الكامل في التاريخ لابن الاثير. فلا منزلة للشعوب في أمثال هذه الكتب.

وآثار الوضع الأموي في تلك الأحاديث واضحة، إذ نقرأ في كتاب مسلم حديثاً منسوباً إلى الرسول ﷺ برواية أبي هريرة جاء فيه: قال رسول الله ﷺ: بينا رجل يسوق بقرة له قد حمل عليها، التفتت إليه البقرة فقالت: إني لم أخلق لهذا. ولكني إنما خلقت للحرث. فقال الناس: سبحان الله تعجباً وفزعاً. أبقرة تُكَلِّم؟ فقال رسول الله ﷺ: فإني أومنُ به وأبو بكر وعمر^(١).

ووضع أبو هريرة على لسان الرسول ﷺ حديثاً آخر جاء فيه: قال رسول الله ﷺ بينا راع في غنمه عدا عليه الذئب فأخذ منها شاة. فطلبه الراعي حتى استنقذها منه، فالتفت إليه الذئب فقال له: مَنْ لها يوم السَّيِّع، يوم ليس لها راع غيري؟ فقال الناس: سبحان الله! فقال رسول الله ﷺ: فإني أومن بذلك أنا وأبو بكر وعمر^(٢). أي ان الناس جميعاً لم يصدِّقوا الخبر؟ فقالوا: سبحان الله وأجابه الرسول ﷺ بأن أبا بكر وعمر يصدِّقان به!

وقد ساهم عمرو بن العاص (وزير معاوية وعدو علي بن أبي طالب عليه السلام) في هذا النهج لكسب ودَّ معاوية ويشفي غليل قلبه (في الأمر فقد سألوهُ: أيُّ الناس أحبُّ إلى النبي ﷺ فقال ابن العاص: عائشة قلت: من الرجال؟ قال: أبوها. قلت

(١) صحيح مسلم ١٨٥٧/٤، حديث ٢٣٨٨.

(٢) المصدر السابق.

ثم من؟ قال: عمر فعُدَّ رجلاً^(١).

والسبب في ذلك واضح لكل ذي لب، ويتمثل في أنَّ معاوية كان يعطي الأموال والهدايا لكل من يضع مناقب في أبي بكر وعمر وعثمان ويذمَّ علياً عليه السلام. وهكذا كان باقي ملوك بني أمية عدا عمر بن عبد العزيز.

فنجد في كتاب المغازي للواقدي المخصَّص للحديث عن غزوات الرسول ﷺ ذكراً لعمر بن الخطاب في ١٦٦ صفحة ولأبي بكر في ١٤٣ صفحة بينما ذكر عمار بن ياسر في ١٩ صفحة وذكر عبد الله بن مسعود في ١٧ صفحة. وذكر خزيمة بن ثابت مرة واحدة، وخيثاب بن الارت مرتين، وأبا ذر الغفاري عشر مرَّات، وذكر مصعب بن عمير ١٩ مرة.

وآثار الوضع الأموي بيَّنة من ملاحظة عدد المرَّات التي ذُكر فيها عمر بن الخطاب وأخوه زيد بن الخطاب. فعمر ذُكر ١٦٦ مرة وزيد ذكر مرة واحدة، علماً بأنَّ زياداً قد أسلم قبل عمر وهاجر قبله!

نزول قرآن وفق رغبات بعض وليس وفق حكمة الله تعالى؟

وقد بلغت الجراءة والوقاحة بالأمويين وأعوانهم إلى الإعتداء على الساحة الألبية، فسوّروا بعض القرآن نازلاً وفق آراء عمر ورغباته، ومن هذه الأحاديث الكاذبة:

أخرج ابن مردويه عن مجاهد قال: كان عمر يرى الرأي فينزل القرآن^(٢).

وأخرج ابن عساکر عن علي قال: إنَّ في القرآن لرأياً من رأي عمر!

وأخرج عن ابن عمر مرفوعاً: ما قال الناس في شيء وقال فيه عمر إلا جاء

(١) صحيح مسلم ١٨٥٦/٤، حديث ٢٣٨٤.

(٢) السيوطي في كتابه تاريخ الخلفاء ١٢٢.

القرآن بنحو ما يقول عمر .

وذكر أبو عبد الله الشيباني وافق عمرَ ربه في أحد وعشرين موضعاً^(١) .

وذكروا وقوف الله سبحانه إلى جنب عمر مخطئاً النبي ﷺ : لما أكثر رسول الله عليه الصلاة والسلام من الإستغفار لقوم ، قال عمر سواء عليهم ، فأنزل الله ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ .

ولما استشار عليه الصلاة والسلام الصحابة في الخروج إلى بدر ، أشار عمر بالخروج ، فنزلت : ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ﴾^(٢) . وقوله تعالى : ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجَبْرِيلَ﴾^(٣) الآية ، قلت : أخرجه ابن جرير وغيره من طرق عديدة وأقربها للموافقة ما أخرجه ابن أبي حاتم عن عبد الرحمن بن أبي ليلى أن يهودياً لقي عمر ، فقال : إن جبريل الذي يذكره صاحبكم عدو لنا .

فقال له عمر : من كان عدواً لله وملائكته ورسله وجبريل وميكائيل فإن الله عدو للكافرين ، فنزلت على لسان عمر !

أي عمر يقول والله ينطق على لسانه والعاذ بالله من سكرة ونشوة وكفر بني أمية وطلقاء مكة واليهود الذين رفعوا بعضاً إلى أعلى مما يتصور حقداً على أعدائهم لا حباً بهم .

ومن جملة ما أوردوه من موضوعات رثة وبالية في رفع عمر على باقي البشرية ومنهم النبي ﷺ أنهم ذكروا موضوع الإستئذان في الدخول ، وذلك أنه دخل عليه غلامه ، وكان نائماً ، فقال عمر : اللهم حرّم الدخول .
فنزلت آية الإستئذان !^(٤)

(١) فضائل الامامين ، أبو عبد الله الشيباني . برواية السيوطي في تاريخه ص ١٢٣ .

(٢) الأنفال ، ٥ .

(٣) البقرة ، ٩٧ .

(٤) تاريخ الخلفاء للسيوطي ١٢٤ .

إذا لولا رغبة عمر لبق الأمر مباحاً، وعلى هذه الحال يكون الأمر على هذه الشاكلة: عمر يقول ويرى، والله تعالى يدوّن ويكتب، والنبي ﷺ يبلغ! ومن أعاجيب الحديث الكاذب عن ابن أبي حاتم وابن مردويه عن أبي الاسود، قال اختصم رجلان إلى النبي ﷺ فقضى بينهما، فقال الذي قضى عليه: رُدُّنا إلى عمر بن الخطاب، فأتينا إليه، فقال الرجل: قضى لي رسول الله عليه الصلاة والسلام على هذا، فقال: رُدُّنا إلى عمر، فقال: أكذلك؟ قال: نعم، فقال عمر: مكانكما حتّى أخرج إليكما، فخرج إليهما مشتملاً على سيفه، فضرب الذي قال: رُدُّنا إلى عمر فقتله، وأدبر الآخر، فقال: يا رسول الله، قتلَ عمرُ والله صاحبي، فقال: ما كنت أظن أن يجترئ عمر على قتل مؤمن، فأنزل الله ﴿فَلَا وَزَيْدَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(١) فأهدر دم الرجل وبرئ عمر من قتله!

وفي هذه الرواية أراد المخترع تصوير عمر بكونه القاضي المشهور بين الناس بعدله بحيث يرفض بعض المسلمين أحكام النبي ﷺ في الدعاوى، ويطلبون حكم عمر، ولم يعرف عمر بالقضاء؟ والمعروف عنه الصفاق في الأسواق مشغولاً في البيع والشراء.

فتصوّر واضح الرواية أن عمر حكم بكفر ذلك الرجل وحلّية دمه، والنبي ﷺ أفتى بكونه مؤمناً وعدم حلّية دمه... فخطأ الله تعالى النبي ﷺ، وصحّح فعل عمر بعدم إيمان ذلك الرجل، وأنزل تعالى: ﴿فَلَا وَزَيْدَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾! بينما جاء في تفسير الكشاف حول الآية ما يلي: قيل: نزلت في شأن المنافق اليهودي، وقيل: في شأن الزبير وحاطب بن أبي بسلعة وذلك أنها اختصما إلى رسول الله ﷺ في شراج من الحرّة كانا يسقيان بها النخل، فقال ﷺ: اسق يا زبير

ثم أرسل الماء الى جارك ، فغضب حاطب وقال : لانه كان ابن عمتك ؟ فتغير وجه رسول الله ﷺ ، ثم قال : اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع الى الجدر واستوف حَقَّكَ ، ثم أرسله الى جارك ، فكان ﷺ قد أشار على الزبير برأي فيه السعة له ولخصمه ، فلما احفظ (أغضب) رسول الله ﷺ استوعب للزبير حَقَّهُ في صريح الحكم ، ثم خرجا فرأى على المقداد ، فقال : لمن كان القضاء ؟ فقال الأنصاري : قضى لابن عمته ، ولوى شذقه ، فظن يهودي كان مع المقداد فقال : قاتل الله هؤلاء ، يشهدون أنه رسول الله ثم يتهمونه في قضاء يقضى بينهم ، وأيم الله ، لقد أذنبنا ذنباً مرة في حياة موسى ، فدعانا الى التوبة منه ، وقال : اقتلوا أنفسكم ، ففعلنا فبلغ قتلانا سبعين ألفاً في طاعة ربنا حتى رضي عنا ... وروي عن عمر رضي الله عنه قال : والله لو أمرنا ربنا لفعلنا والحمد لله الذي لم يفعل بنا ذلك^(١).

إذن نزلت الآية في قضاء النبي ﷺ بين اثنين كما ذكر الكشاف .

ومن الذين أيدوا نزول القرآن وفق رغبات عمر هو النووي . إذ ذكر في التهذيب : نزل القرآن بموافقة (عمر) في أسرى بدر وفي الحجاب وفي مقام ابراهيم ، وفي تحريم الخمر ، وحديثها في السنن ومستدرک الحاكم أنه قال : اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً ، فأنزل الله تحريمها^(٢).

في حين كانت الحقيقة كالتالي : قال محمد الأبيشي المحلي المتوفي سنة ٨٥٠ هجرية قد أنزل الله في الخمر ثلاث آيات : الأولى في قوله : ﴿ يسألونك عن الخمر والميسر قل فيها إثم كبير ومنافع للناس ﴾ فكان من المسلمين من شارب ومن تارك ، الى أن شرب رجل فدخل في الصلاة فهجر فنزل قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

(١) تفسير الكشاف ، جاد الله الزمخشري ٥٣٠/١ .

(٢) تاريخ الخلفاء للسوطي ص ١٢٢ .

آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ﴿١﴾ فشربها من شربها من المسلمين وتركها من تركها، حتى شربها عمر عليه السلام فأخذ يلحي بغير وشع به رأس عبد الرحمن بن عوف، ثم قعد ينوح على قتلى بدر بشعر الأسود بن يعفر، وهو يقول:

وكانن بالقليب قليب بدر	من الفتيان والعرب الكرام
أيوعديني إين كبشه أن سنحيا	وكيف حياة أصداء وهام
أيعجز أن يرده الموت عني	وينشرني إذا بليت عظامي
ألا من مبلغ الرحمن عني	بأنني تارك شهر الصيام
فقل لله يمنعي شرابي	وقل لله يمنعي طعامي

فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فخرج مغضباً يجر رداءه فرفع شيئاً كان في يده فضربه. فقال أعوذ بالله من غضبه، وغضب رسوله، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ فقال عمر: انتهينا، انتهينا ^(٢).

وذكر محمد بن جرير الطبري: «فأنزل الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ ^(٣) فشربها من شربها منهم، وجعلوا يتقونها عند الصلاة، حتى شربها فيما زعم رجل (اسقطوا اسم عمر) فجعل ينوح على قتلى بدر:

تحیی بالسلامة أم عمرو	وهل لك بعد رهطك من سلام
ذريني أصطحب بكراً فإني	رأيت الموت نقب عن هشام

(١) النساء، ٤٣.

(٢) المستطرف ٢/ ٢٦٠، تاريخ المدينة المنورة لابن شبة ٣/ ٨٦٣.

(٣) النساء، ٤٣.

وودُّ بنو المغيرة لو فدوه بألف من رجال او سوام
 كأني بالطوي طوي بدر من الشيزي يكلل بالسنام
 كأني بالطوي طوي بدر من الفتیان والحلل الكرام^(١)
 فغير النوي منزلة عمر من شارب للخمر الى سائل عنها !

روايات على لسان علي

لقد وجد أعوان بني أمية أن خير وسيلة لدعم آرائهم، واسناد أهوائهم، ودحض حجة خصومهم، هي المجيء بأحاديث موضوعة على لسان اعدائهم، فيسهل الخطب، فجاءوا بكثيرة من الأحاديث على لسان الإمام علي عليه السلام معارضة لحقوق أهل البيت عليه السلام وأفكارهم وأحكامهم ومعتقداتهم ومنزلتهم منها: قال علي رضي الله عنه: إذا ذكر الصالحون فحيّلا بهمر، ما كنّا نبعد أن السكينة تنطق على لسان عمر^(٢).

وقال جابر رضي الله عنه: دخل علي عليه السلام - وهو مسجى - فقال: رحمة الله عليك ما من أحد أحب إليّ أن ألقى الله بما في صحيفته بعد صحبة النبي عليه الصلاة والسلام من هذا المسجى^(٣).

وهذا الحديث تشكيك بمنزلة علي عليه السلام وصحيفته، إذ جاء في الحديث: عنوان صحيفة المؤمن حب علي بن أبي طالب عليه السلام^(٤).

(١) جامع البيان ٢/٢١١.

(٢) أخرجه الطبراني في الاوسط، السيوطي في تاريخ الخلفاء ١٢٠.

(٣) أخرج الحاكم.

(٤) تاريخ بغداد ٤/٤١٠، كنز العمال ١١/٦٠١ ح ٣٢٩٠٠، مناقب علي بن أبي طالب لابن المغازلي

ولما كانت شجاعة الإمام علي عليه السلام لا تحتاج الى كلام فهو بطل المعارك، وحامل لواء الرسول صلى الله عليه وآله في معاركه، لاحظ ماذا وضعوا على لسانه من زيف:

اخرج البزار في مسنده عن علي أنه قال: اخبروني من اشجع الناس؟ فقالوا: أنت، قال أما إنني ما بارزت أحداً إلا انتصفت منه، ولكن اخبروني بأشجع الناس؟ قالوا: لا نعلم، فمن؟ قال: أبو بكر، إنه لما كان يوم بدر فجعلنا لرسول الله عليه الصلاة والسلام عريشاً فقلنا: من يكون مع رسول الله عليه الصلاة والسلام، لئلا يهوي إليه أحد من المشركين، فوالله ما دنا منا أحد إلا أبو بكر شاهراً بالسيف على رأس رسول الله عليه الصلاة والسلام، لا يهوي إليه أحد إلا هوى إليه فهو أشجع الناس...

وقد توضّح كذب هذا، إذ ذكرنا في باب غزوات عمر فرار أبي بكر وعمر وعثمان في معارك أحد وخيبر والهندق وحنين. ولكن القصاصين أرادوا أن يجعلوا أبا بكر الشجاع الأول في الإسلام لإبعاد علي عليه السلام عن هذا المنصب الذي ناله بمجداه عبر معاركه في بدر واحد وخيبر والهندق وحنين.

وقد امتنع أبو بكر وعمر من مبارزة عمرو بن عبد ود العامري في معركة الهندق خوفاً من سيفه وبرزله علي عليه السلام فقتله^(١). وذكر أن معاوية أعطى سمرة بن جندب من بيت المال أربعمائة ألف درهم على أن يخطب في أهل الشام أن قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ، وَإِذَا قِيلَ لَهُ سَعَى فِي الْأَرْضِ لِنُفْسِهِ فِيهَا وَيُفْلِكَ الْخَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُجِبُ الْفُسَادَ﴾ أنه نزل في علي بن أبي طالب، وأن قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّبِعُ لِنُفْسِهِ لِبِغْيَاءٍ مِّنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى﴾ نزل في ابن ملجم^(٢).

(١) تاريخ الطبري ٢/٢٤٠، تاريخ الخلفيين ٢/٥٠.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ١/٣٦١.

وقال أبو جعفر الإسكافي: إِنَّ معاوية وضع قوماً من الصحابة، وقوماً من التابعين، على رواية أخبار قبيلة في علي ﷺ تقتضي الطعن فيه والبراءة منه، وجعل لهم على ذلك جعلاً يرغب في مثله، فاختلفوا ما أرضاه، منهم: أبو هريرة وعمر بن العاص، والمغيرة بن شعبة، وعروة بن الزبير^(١).

ووضعوا على لسان علي ﷺ: قوله: ألا أخبركم بخير هذه الأمة بعد نبيها، أبو بكر. ثم قال: ألا أخبركم بخير هذه الأمة بعد أبي بكر: عمر^(٢).

اقول: ولو أصبح عكرمة بن أبي جهل خليفة من بعد النبي محمد ﷺ ومن بعده معاذ بن جبل ومن بعده عمرو بن العاص لقال الراوي الأموي: إن أفضل الناس بعد النبي ﷺ عكرمة ثم معاذ ثم عمرو!

وذلك الحديث الموضوع يخالف اعتقاد أبي بكر القائل: توليت عليكم ولست بخيركم. وقلدت أمراً عظيماً مالي به طاقة ولا يد^(٣). وليتي كنت بعرة^(٤).

وكان الأفضل بالراوي أن يترحم على محمد وآل محمد ﷺ وصحابة محمد ﷺ بدل أن يحشر نفسه في ذكر الأفضل من المسلمين بعد محمد ﷺ دون سؤال من أحد، وقد وضع الأمويون ذلك الحديث مقابل الحديث الصحيح: من كنت مولاه فهذا علي مولاه^(٥) وحديث: علي إمام المتقين وقائد الفر المحجلين

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ١/٥٨.

(٢) تاريخ عمر بن الخطاب لأبن الجوزي ص ٣٦.

(٣) الإمامة والسياسة، ابن تيمية، ١/١٦، شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٦/٤٧.

(٤) منتخب كنز العمال ٤/٣٦١، ورواه البيهقي في شعب الإيمان.

(٥) تاريخ الإسلام، الخطيب ٢٣٢، سنن الترمذي ٢/٢٩٨، سنن ابن ماجه ص ١٢، مستدرک الصحيحين

يوم القيامة^(١).

وروى الأمويون أيضاً: اتقوا غضب عمر فإن الله يغضب إذا غضب. وقد جاء في مختصر تاريخ ابن عساكر: أن من رواه (الحديث) أنها لقمان ولقد كان يروي المنكرات عن الثقات^(٢).

وقد وضع هذا الحديث مقابل حديث النبي ﷺ: فاطمة بضعة مني، فمن أغضبها فقد أغضبني، ومن أغضبني فقد أغضب الله^(٣).

وجاء في صحيح مسلم: حدثنا سعيد بن عمرو الأشعري، وأبو الربيع العتكي، وأبو كريب محمد بن العلاء - واللفظ لأبي كريب - قال أبو الربيع: حدثنا. وقال الآخران: أخبرنا ابن المبارك عن عمر بن سعيد بن أبي حسين عن ابن أبي مليكة. قال سمعت ابن عباس يقول: وضع عمر بن الخطاب على سريره، فتكفاه الناس يدعون ويشتون ويصلون عليه. وقبل أن يرفع. وأنا فيهم. قال: فلم يرعني إلا برجل قد أخذ بمنكبي من ورائي. فالتفت إليه، فإذا هو علي، فترحم علي عمر وقال: ما خلفت أحداً أحب إليّ أن ألقى الله بمثل عمله منك. وأيم الله إن كنت لأظن أن يجعلك الله مع صاحبك. وذلك أني كنت أكثر ما أسمع رسول الله ﷺ يقول: جئت أنا وأبو بكر وعمر، ودخلت أنا وأبو بكر وعمر. وخرجت أنا وأبو بكر وعمر^(٤).

في هذا الحديث، ذكر القاص الأموي تقي علي ﷺ أن يلقى الله سبحانه بعمل

(١) مستدرک الصحیحین ١٣٧/٣، کنز العمال ١٥٧/٦، الإصابة، ابن حجر ٤/القسام ٣٣/١، أسد الغابة ٦٩/١، ١١٦/٣، الهيثمي في مجمعہ ١٢١/٩.

(٢) مختصر تاريخ ابن عساكر ٢٨٢/١٨.

(٣) المستدرک علی الصحیحین ١٦٧/٣ ح ٤٧٣، أسد الغابة ٧/٢٢٤، الإصابة ٤/٣٧٨، تهذيب

التهذيب ١٢/٤٦٩، مجمع الزوائد ٢٠٣/٩.

(٤) صحيح مسلم ١٨٥٨/٤، حديث ٢٣٨٩.

عمر، في حين ذكر عمر أن علياً مولى كل مؤمن ومؤمنة. فكيف يتمتع المولى المتبوع بعمل التابع له. ولا يكون ذلك إلا إذا كان التابع أفضل من المتبوع.

ومن بديهيات الشرايع السماوية أن يكون المتبوع أفضل من التابع. ولكن بني أمية أرادوا قلب هذه النصوص والمفاهيم، فنشروا أحاديث مزيفة كثيرة تبين أفضلية الصحابة على محمد ﷺ وعلي ﷺ. لأن هؤلاء وأسيادهم اليهود قد أدركوا أن سقوط منزلة النبي ﷺ ووصيته يعني سقوط الإسلام. وروى المرتزقة آلاف الأحاديث المزيفة على لسان علي بن أبي طالب ﷺ والصحابة في مدح الخلفاء، واثبات أفضلية أبي بكر وعمر وعثمان وغيره عليه.

وبيناً بث معاوية هذه الأحاديث في كتب المسلمين كتب هو في رسالته إلى محمد بن أبي بكر حقيقة القضية، واماط اللثام عن مواضيع كثيرة وخطيرة: إذ اثبت فيها بأن بيعه علي ﷺ للخلفاء لم تكن بالاختيار، بل كانت بالاكراه والقوة. واثبت فيها اغتصاب أبي بكر وعمر للخلافة من علي ﷺ، وبين فيها أفضلية علي ﷺ المطلقة على جميع الصحابة (١).

واراد الأمويون أيضاً ان يبينوا أن هؤلاء الصحابة أعلى منزلة وفضيلة من الأنبياء والأوصياء، وبالتالي فلا فضل للأديان على الناس ابل الناس تعلموا القيم من أبي سفيان وأبي جهل وعقبة بن أبي معيط!

وجاء في الشطر الأخير من الحديث الموضوع بأن النبي ﷺ اكثر ما يقول: جئت أنا وابو بكر عمر ودخلت أنا وأبو بكر وعمر. والحقيقة أن معاوية هو الذي أصدر أوامره بذلك الى رواة المرتزقة فكتبوا السيرة والحديث بحاء محمد ﷺ وابو بكر وعمر، وذهب محمد ﷺ وأبو بكر وعمر، وأذن محمد ﷺ لأبي بكر وعمر والهدف من ذلك رفع منزلة أبي بكر وعمر على منزلة علي ﷺ وصي المصطفى.

فيصبحان وزيران للنبي ﷺ دونه .

فهل كان النبي محمد ﷺ يترك علياً ﷺ الذي قال فيه : أنت مني بمنزلة هارون من موسى ، ويترك رجال الانصار والمهاجرين ووجوه العرب ورافق اثنين فقط ؟!

لقد كانت عادة الملوك حصر مرافقيهم وندمائهم في عدد محدود ، يشربون معهم المسكر ، ويلهون ويمرحون معهم ، فأراد اليهود وطغاة قريش تشبيه النبي ﷺ بهم ؛ ليشككوا في نبوته . في حين كان النبي ﷺ مع كافة الناس .

وجاء في كتاب أسد الغابة : أنبأنا أبو البركات الحسن بن محمد بن الحسن الشافعي ، أنبأنا أبو العشائر محمد بن خليل ، أنبأنا أبو القاسم علي بن محمد بن علي ، أنبأنا أبو محمد عبد الرحمن ابن عثمان ، أنبأنا أبو الحسن خيشمة بن سليمان ، حدثنا عبد الله بن الحسن الهاشمي ، حدثنا عبد الأعلى بن حماد ، حدثنا يزيد بن زريع ، حدثنا سعيد بن أبي عروبة ، حدثنا قتادة ، عن انس : أن رسول الله ﷺ صعد أحداً معه أبو بكر وعمر وعثمان ، فرجف ، فضربه برجله وقال : اثبت أحد ، فما عليك إلا نبي وصديق وشهيدان ^(١) .

قال ابن حجر في محمد بن خليل : إنه يضع الحديث ^(٢) .

وزيد بن زريع ضعفه ابن معين والدارقطني ، وقال الذهبي وابن حجر : لا يكاد يعرف ^(٣) .

أما قتاده فان كان ابن دعامة فقد قال عنه الذهبي : مدلس ، وان كان ابن

(١) أسد الغابة لابن الاثير ١٧٣/٤ ، سنن البخاري في فضائل اصحاب النبي ﷺ عن يزيد بن زريع بإسناده ١٤/٥ .

(٢) لسان الميزان ، ابن حجر ١٨٠/٥ .

(٣) ميزان الإعتدال ، الذهبي ٤ ، لسان الميزان ، ابن حجر ٣٥١/٦ .

رستم الطائي فقد قال عنه الذهبي وابن حجر بأنه مجهول^(١).

وواضح من الحديث أنه وضع بعد مقتل عمر وعثمان بن عفان. والحديث مخالف للمنطق إذ لماذا يرجف الجبل؟ هل يرفض الجبل صعود النبي ﷺ عليه بحيث اضطر الرسول ﷺ إلى نفسه وهذا اعتداء يهودي مستور على النبي ﷺ؟!

ان عثمان قد فرّ من ارض معركة أحد ولم يعد إلّا بعد ثلاثة أيام! فتنى كان مع النبي ﷺ على الجبل؟ وهذا الحديث الموضوع بين ضحالة مستوى الراوي المعادي للإسلام.

والحديث معارض للقرآن الكريم وكل ما عارض القرآن باطل، إذ جاء في القرآن الكريم: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطُّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾^(٢). فالجبال خاشعة وطائعة لله تعالى، وقد سخرها الله تعالى لداود، فهل يعقل بها ان ترفض خاتم الأنبياء محمد ﷺ؟!

وهكذا وضع الأمويون الكثير من الأحاديث المعارضة لأهل البيت ﷺ لمصلحة غيرهم!

وأخرج مالك في الموطأ عن يحيى بن سعيد وأخرجه ابن دريد في الأخبار المنثورة وابن الكلبي في الجامع وغيرهم وقال أبو الشيخ في كتاب العظمة: حدثنا أبو الطيب حدثنا علي بن داود حدثنا عبد الله بن صالح، حدثنا ابن لهيعة عن قيس ابن الحجاج عن حدثه قال: لما افتتحت مصر أتى أهلها عمرو بن العاص حين دخل يوم من أشهر العجم فقالوا: يا أيها الأمير إن لنيلنا هذه سنة لا يجري إلّا بها، قال وما ذاك؟ قالوا: إذا كان إحدى عشرة ليلة تخلوا من هذا الشهر عمدنا إلى

(١) ميزان الاعتدال ٣/٣٨٥، لسان الميزان، ابن حجر ٥٥١/٤.

(٢) الأنبياء، ٧٩.

جارية بكر بين أبويها ، فأرضينا أبويها وجعلنا عليها من الثياب والحلي أفضل ما يكون ، ثم ألقيناها في هذا النيل .

فقال لهم عمرو : إن هذا لا يكون أبداً في الإسلام ، وإن الإسلام يهدم ما كان قبله ، فأقاموا والنيل لا يجري قليلاً ولا كثيراً حتى هموا بالجللاء ، فلما رأى ذلك عمرو كتب إلى عمر بن الخطاب بذلك ، فكتب له أن قد أصبت بالذي قلت ، وإن الإسلام يهدم ما كان قبله ، ويعث بطاقة داخل كتابه ، وكتب إلى عمرو : إنني قد بعثت إليك ببطاقة في داخل كتابي فألقها في النيل ، فلما قدم كتاب عمر إلى عمرو بن العاص أخذ البطاقة ففتحها ، فإذا فيها : من عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين إلى نيل مصر ، أما بعد فإن كنت تجري من قبلك فلا تجر ، وإن كان الله يجريك فاسأل الواحد القهار أن يجريك ، فألقى البطاقة في النيل قبل الصليب بيوم ، فأصبحوا وقد أجراه الله تعالى ستة عشر ذراعاً في ليلة واحدة ، فقطع الله تلك السنة عن أهل مصر إلى اليوم^(١) .

باللعجب لنهر النيل وذكوره كيف يأخذ البنات ولا يرضى دون البكر !
وتصوره القاص الأموي في صورة رجل شيق إلى النساء ، يتعامل مع الناس معاملة سيئة ، فهو لا يجري إن لم يعطوه امرأة ، وإذا كان النيل لا يرضى إلا بالنساء الباكرات فما بال نهر دجلة والفرات والسند ومئات الأنهار في العالم لم يطلبن ما طلبه النيل ؟ أم أن تلك الأنهار إناث والنيل وحده ذكر ؟ !

لقد عشت ردهاً من الزمن بين النهر الأزرق والأصفر فلم أسمع أساطير ،
مثلاً شطّر عن النيل ؟ !

وقد أكثر الأمويون لمدح أبي بكر وعمر وعثمان حسداً منهم لأهل بيت محمد ﷺ فقد جاء في الحديث بأن الله أرسل جبرائيل إلى أبي بكر يسأله : أراضى

أنت عني في فترك هذا ام ساخط ؟

فقال أبو بكر: أسخطُ على ربي ؟ أنا عن ربي راضٍ ، أنا عن ربي راضٍ .

قال السيوطي : غريب وسنده ضعيف جداً^(١).

وذكر الخطيب حديثاً جاء فيه : أن الله تعالى أمر الملائكة أن تتخلل في السماء كتخلل أبي بكر في الأرض .

قال ابن كثير : وهذا منكر جداً^(٢).

وحاول هؤلاء أن يضعوا أبا بكر في المقام الأول ليس في دخوله الإسلام وشجاعته فحسب بل في ثرائه أيضاً .

إذ ورد حديث عن عائشة : « أن أبا بكر ﷺ أسلم يوم أسلم وله أربعون ألف دينار »^(٣).

ومن الأحاديث الموضوعة ، ما ذكره عن أمر النبي ﷺ بقطع نخيل خيبر ، ومنع عمر من ذلك : فأتاه عمر ﷺ فقال : أنت أمرت بقطع النخيل ؟ قال ﷺ : نعم ، قال : أليس وعدك الله خيبر ؟ قال : بلى . فقال عمر : إذا تقطع نخيلك ونخيل أصحابك ، فأمر منادياً ينادي فيهم بالنهي عن قطع النخيل^(٤).

ومن الأحاديث الكاذبة لتشويه سمعة النبي ﷺ والإسلام ما ذكره أبو هريرة تلميذ كعب الأحبار إذ جاء :

حدثنا قتيبة حدثنا اسماعيل بن جعفر عن عتبة بن مسلم مولى بني تيم عن عبيد بن حنين مولى بني زريق عن أبي هريرة ﷺ : أن رسول الله ﷺ قال : إذا

(١) تاريخ الخلفاء ، السيوطي ، ٣٩ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) تاريخ الخلفاء ، السيوطي ، ٣٩ .

(٤) السير الكبير ٥٥/١ .

وقع الذباب في إناء أحدكم ، فليغمسه كله ثم ليطرحه ، فإنّ في أحد جناحيه شفاء وفي الآخر داء^(١) وهو مخالف للمنطق والرواية أبو هريرة .

وعن عائشة قالت : سحر رسول الله ﷺ رجل من بني زريق يقال له لبيد بن الأعصم حتى كان رسول الله ﷺ يحيل إليه أنّه كان يفعل الشيء وما فعله^(٢) .

فإذا كان النبي موسى ﷺ قد انتصر على السحر فالنبي محمد ﷺ أولى بالانتصار في هذا المجال لأنه خاتم الأنبياء ورسالته هي الرسالة الأفضل فلا يعقل أن يبين الله تعالى أعمالاً يهودية مسحورة للمسلمين على أنها أعمال رسوله ﷺ فيتبعها الناس ؟ !! فتؤدي إلى تشكيك المسلمين في أفعال النبي ﷺ الأخرى لاحتمال تأثير السحر فيها فيضيع دين الله تعالى .

وإذا كانت عائشة تؤمن بعباء اليهود لرسول الله ﷺ فكيف تعوّذت بتعوذاتهم طلباً للشفاء بعد وفاة النبي محمد ﷺ^(٣) .



(١) صحيح البخاري ٢٢/٧ .

(٢) صحيح البخاري ٢٨/٧ ، مسند أحمد ٥٧/٦ .

(٣) الموطأ ، مالك بن أنس ٥٠٢/٢ .

**العلاقة بين
أبي بكر وعمر**

طبيعة العلاقة بين أبي بكر وعُمر

كان أبو بكر من الأشخاص المقربين لقلب عمر، فعلاقتها عريقة في القدم، تعود إلى أيام ما قبل الهجرة من مكة... ولما هاجر المسلمون إلى المدينة، حاول النبي ﷺ قدر الإمكان الإخاء بين الاصدقاء، فأخى بين أبي بكر وعمر، وأخى بين نفسه ﷺ وبين علي ﷺ^(١). وكان عمر مندفعاً جسوراً لا يبالي بالعواقب، وأبو بكر أقل اندفاعاً منه، فكان ينصحه ويردّه عن بعض أعماله وأقواله. ففي معركة ذات السلاسل، نصح أبو بكر عمر بضرورة طاعة عمرو بن العاص، الذي نصّبه النبي ﷺ، والابتعاد عن مخالفته. وفي السقيفة عندما دعا عمر إلى قتل سعد بن عباد، قال أبو بكر له: الرفق ها هنا أولى^(٢).

وعندما جاءوا بالإمام علي ﷺ للبيعة رفض ﷺ ذلك، فخيرّه عمر بين البيعة أو القتل. فقال أبو بكر: لا أكرهه على شيء ما دامت فاطمة إلى جنبه^(٣).

(١) سنن الترمذي ٢٩٩/١٢، سنن ابن ماجه ص ١٢، المستدرک علی الصحیحین ١١١/٣، تاريخ الطبري ٥٦/٢، خصائص النساتي ١٨/٣، كنز العمال ٣٩٤/٦، ٣٩٦، طبقات ابن سعد ٢٢/٣، الدر المنثور ١١٤/٤.

(٢) الإمامة والسياسة لابن قتيبة ١٠/١.

(٣) الإمامة والسياسة لابن قتيبة ١٣/١ فالأثنان متفقان على قتله، ولكن أبا بكر متخوف من وجود فاطمة رضي الله عنها إلى جنبه.

ولمّا طلب عمر من أبي بكر إقالة اسامة من قيادة حملة الشام، وثب أبو بكر وكان جالساً، فأخذ بلحية عمر فقال له: ثكلتك أمك وعديمتك يا ابن الخطاب، استعمله رسول الله ﷺ، وتأمرني أن أنزعه^(١).

وفي أحيانٍ أخرى ردّ أبو بكر طلباتٍ وأوامرٍ عمرٍ غير مهتم بغضبه: فقد طلب عمر من أبي بكر أن يعزل خالد بن الوليد، بسبب قتله مالك بن نويرة، وزناه بزوجه فلم يعزله أبو بكر^(٢). وتختلف نظرة الاثنين إلى خالد اختلافاً حاداً. ولمّا حاول عمر أن يكسب أبا بكر إلى جنبه في استنكاره لصلح الحديبية، قال أبو بكر: أيها الرجل إنّه لرسول الله وليس يعصي ربّه، وهو ناصره فاستمسك بفرزه^(٣). وهنا يبرز رجحان عقل أبي بكر على عقل عمر.

وكان تنصيب أبي بكر في السقيفة يعود إلى جهود عمر، أمّا تنصيب عمر في الخيافة فيعود إلى وصيّة أبي بكر. وقد قال الإمام علي عليه السلام بعد السقيفة: إحلل حباً لك شطره، تولّيه أنت اليوم ليردّها عليك غداً^(٤).

وطلب أبو بكر من اسامة الموافقة على إبقاء عمر إلى جانبه بعد أمر الرسول ﷺ له ولابي بكر وبقية الاصحاب بالانخراط في جيش اسامة، اذ قال له: إن رأيت أن تعينني بعمر فافعل، فأذن له^(٥).

وكانت ابنتاهما عائشة وحفصة عند الرسول ﷺ في حين ردّ الرسول ﷺ طلبهما في الزواج من فاطمة رضي الله عنها. ورغم اختلاف الاثنين في بعض الموارد، إلّا انهما قد عملا معاً مدة طويلة، وكانا يشكّلان مع عائشة وحفصة مجموعة متجانسة في

(١) تاريخ الطبري ٤٦٢/٢ ذكر الذهبي بان البخاري أخرج خصامهما زمن النبي ﷺ. الخلفاء ص ٤٥.

(٢) الاصابة لابن حجر ٢ القسم ٩٩/١، ترجمة خالد بن الوليد.

(٣) صحيح البخاري ٨١/٢، كتاب الشروط.

(٤) الإمامة والسياسة، ابن فضال ١١/١.

(٥) تاريخ الطبري ٤٦٢/٢.

الأفكار والاعتقادات. وقد توضح عملهم المشترك في موارد كثيرة.

وينتمي عمر وأبو بكر لمجموعة أكبر من تلك متمثلة في عبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وأبي عبيدة بن الجراح، وسالم مولى أبي حذيفة، والمغيرة بن شعبة، ومحمد بن مسلمة، واسيد بن حضير، وبشير بن سعد، وخالد ابن الوليد، وعثمان بن عفان، ومعاوية بن أبي سفيان، وأبي موسى الأشعري، وعمر بن العاص، وعكرمة بن أبي جهل وآخرين.

وقد عمل أبو بكر مع عمر في زمن الرسول ﷺ، فكانت أعمالها ونظراتها متقاربة في معظم الاحيان. وبينما يغلب اللين والهدوء على أبي بكر، تغلب الحشونة والأنفعال على عمر. وهما متقاربان في كثير من الصفات والأوضاع، مثلاً نظرتهما إلى قبائل قريش وضرورة توليها الحكم بالتناوب، دون نظر لكون افرادها من المهاجرين او الطلقاء، ويتفقان في ضرورة ابعاد الأنصار عن الخلافة.

كما يتفقان في نظرتهما إلى بني هاشم، وضرورة ابعادهم عن الخلافة والسلطة معاً. وفعلأ أبعدا بني هاشم عملياً عن الحكم، وسار على ذلك النهج عثمان ثم معاوية وخلفاؤه. وعلى مدى ثلاث وثلاثين سنة، لم يتول هاشمي أي منصب في دولة الخلافة، لا في سلم ولا في حرب!! واستمر هذا النهج في دولة الأمويين والعباسيين. ويتفقان أيضاً في امكانية الخروج على النص الشرعي، إن دعت الحاجة إلى ذلك. ويمكن ان نسّمى هذا بنظرية المصلحة.

ويتفقان على مسائل مهمة أخرى، مثل الاكتفاء بالقرآن كما بين ذلك عمر في اطروحته: حسبنا كتاب الله، وابعاد أهل البيت ﷺ. خلافاً للحديث النبوي: إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي^(١).

(١) صحيح مسلم ١٢٢/٧، مسند أحمد بن حنبل ١٨١/٥، صحيح الترمذي ٦٢١/٥، المجموع الكبير، الطبراني ١٨٦/٥، كنز العمال ٤٨/١.

واكثر مسألة عملية تبين تعاون الاثنين، هي تعاونها في الناحية السياسية، اذ كان عمر أول من بايع أبا بكر، ونصّبه للخلافة.

صراحة اسلامية: أبو بكر يصف عمر

عُرِفَ أبو بكر بالصراحة ومن صراحته قوله: «إن لي شيطاناً يعتريني»^(١). ولا يعقل ان يقصد به شيطان جنّ، وإذا كان كذلك فكيف كان يتمّ الاتصال بينها؟ وإذا كان شيطان انس فن هو؟

ومن صراحة أبي بكر قوله: إنَّ بيعتي كانت فُلْتَهُ وقي الله شرّها.. وَلَوِ دِدْتُ أَنْ أَقْوَى النَّاسَ عَلَيْهِ مَكَانِي^(٢). لقد استعمل أبو بكر عمرَ على الحج في السنة الأولى^(٣)، وهذا لم يمنع من التصادم بينهما، ولو بشكل غير علني، اذ قال أبو بكر لعثمان: نعم الوالي عمر، وما هو بخير له أن يلي أمر أمة محمد ﷺ.. ولو تركته (عمر) ما عدوتك، وما أدري لعلّي تاركه والخيرة له أن لا يلي أمركم^(٤).

اذن نصيحة أبي بكر لعمر هي أن لا يلي أمر المسلمين. وانه كان متردداً في توليته الخلافة. وكان عبد الرحمن بن أبي بكر يكره حكم عمر، لذا قال: إن قريشاً تبغض ولاية عمر^(٥). علماً بأن عبد الرحمن مرآة لاحاسيس أبيه ورغباته.

(١) تاريخ الطبري ٤٦٠/٢، الامامة والسياسة ١٦/١، تاريخ، السيوطي ص ٧١، ويقصد بذلك عمر.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٥٠/٢، ويقصد أبو بكر بأقوى الناس علماً مثلما صرح عمر قائلاً: لقد كان علي فيكم أولي هذا الأمر منّي ومن أبي بكر، تفسير الألويسي ٧٤/٢٣ في تفسير آية «وَيَقْفُوهُمْ إِنَّهُمْ يَسُبُّوا كُونَ».

(٣) طبقات ابن سعد ١٧٧/٣.

(٤) كتاب الفقات، ابن حبان ١٩٢/٢.

(٥) كتاب الفقات، العافظ محمد بن حبان ١٩٢/٢.

واعتقد أن عمر كان عارفاً بمخالفة عبد الرحمن لحكمه وموافقة عائشة له .
لذلك فضل عمر عائشة على النساء والرجال كافة في العطاء ، وردّ عبد
الرحمن بن أبي بكر عندما جاء يشفع للحطيثة الشاعر ؟ ^(١)
وقد ذكر أبو بكر قبل وفاته رأيه صريحاً في عمر قائلاً : ما هو بخير له أن يلي
أمر أمة محمد ﷺ ^(٢) .

وأخرج البخاري أن عبد الله بن الزبير أخبرهم ، أنه قدم ركب من بني تميم
على النبي ﷺ فقال أبو بكر لعمر : ما أردت إليّ أو إلّا خلافي . فقال (عمر) : ما
أردت خلافاً ، فتأرياً (تجادلاً) ، حتّى ارتفعت أصواتها ^(٣) .

صراحة اسلامية : عمر يصف أبا بكر

روى سعيد بن جبير : قال ذكر أبو بكر وعمر عند عبد الله بن عمر ، فقال
رجل : كانا والله شمسي هذه الأمة ونورها . فقال ابن عمر : وما يدريك ؟
قال الرجل : أوليس قد ائتلفا .

قال ابن عمر : بل اختلفا لو كنتم تعلمون ! أشهد أنّي كنت عند أبي يوماً ،
وقد أمرني أن أحبس الناس عنه ، فاستأذن عليه عبد الرحمن بن أبي بكر فقال
عمر : دويبة سوء ، وهو خير من أبيه . فأوحشني ذلك منه ، فقلت : يا أبت ، عبد
الرحمن خير من أبيه !

فقال (عمر) : ومن ليس بخير من أبيه ، لا أمّ لك ! إذن لعبد الرحمن .
فدخل عليه فكلّمه في الحطيثة الشاعر أن يرضى عنه ، وقد كان عمر حبسه

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٩/٢ ، طبعة دار احياء الكتب العربية .

(٢) كتاب الثقات ، العافظ محمد بن حبان ١٩٢/٢ .

(٣) صحيح البخاري ١٩٠/٣ ، تفسير سورة الحجرات .

في شعر قاله ، فقال عمر : إن في الحطيثة أوداً ، فدعني أقومهُ بطول حبسه ، فالح عليه عبد الرحمن ، وأبى عمر . فخرج عبد الرحمن .

فاقبل عليّ أبي وقال : أفي غفلة أنت إلى يومك هذا ، عما كان من تقدّم أحيق بن تيم عليّ ، وظلمه لي !

فقلت : لا علم لي بما كان من ذلك .

قال : يا بني فما عسيت أن تعلم ؟

فقلت : والله هو أحبُّ إلى الناس من ضياء أبصارهم .

قال : إن ذلك لكذلك على رغم أبيك وشخطه .

قلت : يا أبت أفلا تجلي عن فعله بموقف في الناس تبين ذلك لهم .

قال : وكيف لي بذلك مع ما ذكرت ، أنّه أحبُّ إلى الناس من ضياء أبصارهم ، إذن يُرضخ رأس أبيك بالجنديل^(١) .

قال ابن عمر : ثمّ تجاسر والله فجسر ، فما دارت الجمعة حتّى قام خطيباً في الناس ، فقال : أيها الناس إنّ بيعة أبي بكر كانت فلتة ، وفي الله شرّها ، فمن دعاكم إلى مثلها فاقتلوه^(٢) . وهناك رواية ثالثة ، تثبت حالة خصام وتنافر بين أبي بكر وعمر ، إذ روى الهيثم بن عدي عن مجالد بن سعيد ، قال : غدوت يوماً إلى الشعبي ، وأنا أريد أن أسأله عن شيء بلغني عن ابن مسعود ، أنه كان يقوله ، فأتيته وهو في مسجد حيّه ، وفي المسجد قوم ينتظرونه ، فخرج فتمرّفت إليه ، وقلت : أصلحك الله كان ابن مسعود يقول : ما كنت محدثاً قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة ، قال : نعم كان ابن مسعود يقول ذلك ، وكان ابن عباس يقوله أيضاً - وكان

(١) الجنديل : الجبارة . وهو ما يتولّى الرجل من الجبارة وقيل هو العَجَر كُلُّهُ . لسان العرب ، ابن منظور

(٢) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ٢/٢٩٦ ، طبعة دار احياء الكتب العربية .

عند ابن عباس دفاثنُ علم يعطيها أهلها ويصرفها عن غيرهم -.

فبينما نحن كذلك إذ أقبل رجل من الازد، فجلس إلينا، فأخذنا في ذكر أبي بكر وعمر.

فضحك الشعبي وقال: لقد كان في صدر عمر ضِبٌّ (حقْد) على أبي بكر. فقال الازدي: والله ما رأينا ولا سمعنا برجل قط كان أسلس قياداً لرجل، ولا أقول فيه بالجميل من عمر في أبي بكر.

فأقبل عليّ الشعبي، وقال: هذا ممّا سألت عنه، ثمّ أقبل على الرجل، وقال: يا أخا الازد فكيف تصنع بالقلّة التي وقى الله شرّها، أترى عدوّاً يقول في عدوّ يريد أن يهدم ما بنى لنفسه في الناس أكثر من قول عمر في أبي بكر.

فقال الرجل: سبحان الله، أنت تقول ذلك يا أبا عمرو!

فقال الشعبي: انا اقول، قاله عمر بن الخطاب على رؤوس الاشهاد، فلمنه أو دَغ. فنهض الرجل مغضباً وهو يحمهم في الكلام بشئ لم أفهمه.

قال بحالده فقلت للشعبي: ما أحسب هذا الرجل إلّا سينقل عنك هذا الكلام إلى الناس ويبيّنه فيهم!

قال (الشعبي): إذن والله لا أحفل به، وشئ لم يحفل به عمر حين قام على رؤوس الاشهاد من المهاجرين والانصار أحفل به أنا، أذيعوه أنتم عني ايضاً ما بدا لكم^(١). وهناك رواية اخرى عن الأشعري، تثبت وجود صراع بين أبي بكر وعمر، إذ روى شريك بن عبد الله النخعي عن محمد بن عمرو بن مرة عن أبيه، عن عبد الله بن سلمة، عن أبي موسى الأشعري، قال: حججت مع عمر، فلما نزلنا وعظم الناس خرجت من رَحْلي أريده، فلقيني المغيرة بن شعبة فراقني، ثمّ قال: أين تريد؟ فقلت: أمير المؤمنين، فهل لك؟ قال: نعم، فانطلقنا نريد رَحْلي عمر،

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٢/٣٠، طبعة دار احياء الكتب العربية (الحملي وشركاء).

فَإِنَّا لَنِي طَرِيقُنَا إِذْ ذَكَرْنَا تَوَلَّى عَمْرٌ وَقِيَامُهُ بِمَا هُوَ فِيهِ ، وَحَيَاطَتُهُ عَلَى الْإِسْلَامِ ، وَنَهْوُضُهُ بِمَا قَبْلَهُ مِنْ ذَلِكَ ، ثُمَّ خَرَجْنَا إِلَى ذِكْرِ أَبِي بَكْرٍ ، فَقُلْتُ لِلْمَغِيرَةِ : يَا لَكَ الْخَيْر ! لَقَدْ كَانَ أَبُو بَكْرٍ مُسَدِّدًا فِي عَمْرٍ ، لَكَأَنَّهُ يَنْظُرُ إِلَى قِيَامِهِ مِنْ بَعْدِهِ ، وَجَدُّهُ وَاجْتِهَادُهُ ، وَغَنَائِهِ فِي الْإِسْلَامِ .

فَقَالَ الْمَغِيرَةُ : لَقَدْ كَانَ ذَلِكَ ، وَإِنْ كَانَ قَوْمٌ كَرِهُوا وَلَايَةَ عَمْرٍ لِيَزُوُّهَا عَنْهُ ، وَمَا كَانَ لَهُمْ فِي ذَلِكَ حَظٌّ .

فَقُلْتُ لَهُ : لَا أَبَا لَكَ ! وَمَنْ الْقَوْمُ الَّذِينَ كَرِهُوا ذَلِكَ لِعَمْرٍ ؟

فَقَالَ الْمَغِيرَةُ : اللَّهُ أَنْتَ كَأَنَّكَ لَا تَعْرِفُ هَذَا الْحَيَّ مِنْ قَرِيشٍ وَمَا خُصُّوْا بِهِ مِنَ الْحَسَدِ ! فَوَاللَّهِ لَوْ كَانَ هَذَا الْحَسَدُ يُدْرِكُ بِحَسَابٍ لَكَانَ لِقَرِيشٍ تِسْعَةُ أَعْشَارِهِ ، وَلِلنَّاسِ كُلُّهُمْ عَشْرٌ .

فَقُلْتُ : مَهْ يَا مَغِيرَةُ ! فَإِنَّ قَرِيشًا بَانَتْ بِقَضَلِهَا عَلَى النَّاسِ . فَلَمْ نَزَلْ فِي مِثْلِ ذَلِكَ حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى رَحْلِ عَمْرٍ ، فَلَمْ نَجِدْهُ ، فَسَأَلْنَا عَنْهُ فَقِيلَ : قَدْ خَرَجَ أَنْفًا ، فُضِينَا نَقْفُوا أَثَرَهُ ، حَتَّى دَخَلْنَا الْمَسْجِدَ ، فَإِذَا عَمْرٌ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ ، فَطُقْنَا مَعَهُ ، فَلَمَّا فَرَّغَ دَخَلَ بَيْنِي وَبَيْنَ الْمَغِيرَةِ ، فَتَوَكَّأَ عَلَى الْمَغِيرَةِ .

وَقَالَ : مِنْ أَيْنَ جِئْتُمَا ؟

فَقُلْنَا : خَرَجْنَا نُرِيدُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَأَتَيْنَا رَحْلَكَ فَقِيلَ لَنَا : خَرَجَ إِلَى الْمَسْجِدِ فَاتَّبَعْنَاكَ .

فَقَالَ : اتَّبَعَكُمَا الْخَيْرُ ، ثُمَّ نَظَرَ الْمَغِيرَةَ إِلَى وَتَبَسَّمَ .

فَرَمَقَهُ عَمْرٌ فَقَالَ : مِمَّ تَبَسَّمْتَ أَيُّهَا الْعَبْدُ !

فَقَالَ : مِنْ حَدِيثٍ كُنْتُ أَنَا وَأَبُو مُوسَى فِيهِ أَنْفًا فِي طَرِيقِنَا إِلَيْكَ .

قَالَ : وَمَا ذَاكَ الْحَدِيثُ ؟ فَقَصَصْنَا عَلَيْهِ الْخَبَرَ ، حَتَّى بَلَغْنَا ذِكْرَ حَسَدِ قَرِيشٍ ،

وَذَكَرَ مَنْ أَرَادَ صَرْفَ أَبِي بَكْرٍ عَنْ اسْتِخْلَافِ عَمْرٍ .

فَتَنَفَسَ الصُّعْدَاءُ ، ثُمَّ قَالَ : ثَكَلَتْكَ أُمْلُكَ يَا مَغِيرَةُ ! وَمَا تِسْعَةُ أَعْشَارِ الْحَسَدِ !

بل وتسعة أعشار العشر، وفي الناس كُلُّهم عشر العشر، بل وقريش شركاؤهم أيضاً فيه ! وسكت ملياً، وهو يتهادى بيننا.

ثم قال: ألا أخبركمُ باحسد قريش كلها؟

قلنا: بلى يا أمير المؤمنين، قال: وعليكما ثيابكما، قلنا: نعم.

قال: وكيف بذلك، وانتما ملبسان ثيابكما؟ قلنا: يا أمير المؤمنين وما بال الثياب؟ قال: خوف الاذاعة منها، قلنا له: أخفاف الاذاعة من الثياب أنت، وانت من ملبس الثياب اخوف ! وما الثياب أردت ! قال: هو ذاك، ثم انطلق وانطلقنا معه، حتى انتهينا إلى رحله، فخللُ أيدينا من يده، ثم قال: لا تريعا ودخل فقلت للمغيرة: لا أبأ لك ! لقد أثرنا بكلامنا معه، وما كنا فيه، وما نراه حبسنا إلا لئذا كرنا إياها، قال: فإننا لكذلك إذ خرج آذنه إلينا، فقال: ادخلا، فدخلنا فوجدناه مستلقياً على بَزْدَعَة يَرَحُل، فلما رأنا تمثّل بقول كعب بن زهير:

لَا تُفْشِ سِرَّكَ إِلَّا عِنْدَ ذِي ثِقَةٍ أَوْلَى وَأَفْضَلُ مَا اسْتَوَدَعْتَ أَسْرَاراً^(١)
صَدِراً رَحِيماً وَقَلْباً وَاسِعاً قِنّاً أَلَا تَخَافُ مَتَى أَوْدَعْتَ إِظْهَاراً

فعلما أنه يريد أن نضمن له كتمان حديثه، فقلت: أنا له يا أمير المؤمنين، الزمنا وخصنا وصلنا، قال: بماذا يا أخا الأشعرين؟ فقلت: بإفشاء سرك وان تشركتنا في همك. فنعم المستشارين نحن لك.

قال: إنكما كذلك فاسألا عما بدا لكما، ثم قام إلى الباب ليغلقه، فبإذا الأذن الذي أذن لنا عليه في الحجرة، فقال: امض عنا لا أم لك. فخرج وأغلق الباب خلفه، ثم أقبل علينا فجلس معنا، وقال: سلا تمخبرا.

قلنا: نريد ان يخبرنا امير المؤمنين باحسد قريش: الذي لم يأمن ثيابنا على ذكره لنا، فقال: سألتما عن مُفضِلة وسأخبركما، فليكن عندكما في ذمّة منيعه وحرز

ما بقيت ، فإذا متُ فشاُنكما وما شنتما من إظهار أو كتمان .

قلنا : فإنَّ لك عندنا ذلك ، قال أبو موسى : وأنا أقول في نفسي : ما يريد إلا الذين كرهوا استخلاف أبي بكر له كطلحة وغيره ، فبأنهم قالوا لا بي بكر : اتستخلف علينا فقط غليظاً ، وإذا هو يذهب إلى غير ما في نفسي ، فعاد إلى التنفس ثم قال : من تزيانه ؟ قلنا : والله ما ندري إلا ظناً ، قال : ومن تظنَّان ؟ قلنا : عساك تريد القوم الذين أرادوا أبا بكر على صَرْفِ هذا الامر عنك .

قال (عمر) : كلاً والله ، هل كان أبو بكر أعق ، وهو الذي سألتما عنه ، كان والله أحسدَ قريشٍ كُلِّها ، ثم اطرقت طويلاً ، فنظر المغيرة إلىَّ ونظرت إليه ، واطرقنا ملياً لا طرافه ، وطال السكوت منا ومنه ، حتى ظننا أنه قد ندم على ما بدا منه ، ثم قال : والهاه على ضئيل بني تيم بن مرة ! لقد تقدمني ظالماً ، وخرج إليَّ منها آثماً .

فقال المغيرة : أما تقدّمه عليك يا أمير المؤمنين ظالماً فقد عرفناه ، كيف خرج إليك منها آثماً ؟

قال : ذاك لأنه لم يخرج إليَّ منها إلا بعد بأس منها ، أما والله لو كنت أطعْتُ زيد بن الخطاب (اخاه) واصحابه لم يتلمّظ من حلاوتها بشيء أبداً ، ولكني قدّمت وأخرت وصعدت وصوّبت ونقّضت وأبرمت ، فلم أجذ إلا الإغضاء على ما نَشِبَ به منها ، والتلهف على نفسي ، وأملت انايته ورجوعه ، فوالله ما فعل حتى نَفَرَ بها بَشَماً .

قال المغيرة : فما منعك منها يا أمير المؤمنين ، وقد عرضك لها يوم السقيفة بدعائك إليها ، ثم أنت الآن تنقم وتتأسف .

قال : ثكلتك أمك يا مغيرة ! إني كنت لأعدُّك من دهاة العرب ، كأنك كنت غائباً عمّا هناك ، إن الرجل ما كرتي فما كرتي ، والفاني أخذَر من قطاة ، إنه لما رأى شغف الناس به ، وإقبالهم بوجوههم عليه ، أيقن أنهم لا يريدون به بدلاً ، فاحببَّ لما رأى من حرص الناس عليه وميلهم إليه أن يعلم ما عندي ، وهل تنازعني نفسي

إليها، واحبُّ أن يبلوَنِي بِإِطَاعِي فِيهَا، والتعريض لي بها، وقد علم وعلمت لو قبلتُ ما عَزَّضَهُ عَلَيَّ لم يُجِبِ النَّاسُ إِلَى ذَلِكَ، فالقاني قائماً على إخصي مستوفزاً حذراً لو أجبته إلى قبولها لم يسلم الناس إلى ذلك، واختبأها ضغناً عليّ في قلبه ولم آمن غائلته ولو بعد حين، مع ما بدا لي من كراهة الناس لي، أما سمعت نداءهم من كل ناحية عند عَزَّضَهَا عَلَيَّ: لا نريد سواك يا أبا بكر، أنت لها فرددتُها إليه عند ذلك، فلقد رأيتُه التمع وَجْهَهُ لذلِكَ سُوراً، ولقد عاتبني مرّة على كلام بلغه عني، وذلك لما قَدِمَ عليه بالاشعث أسيراً فنَّ عليه واطلقه وزوجه أخته ام فروة، فقلت للاشعث وهو قاعد بين يديه: يا عدو الله أكفرت بعد إسلامك، وارتددت ناكصاً على عَقِبَيْكَ؟ فنظر إليّ نظراً علمت أنه يريد أن يكلمني بكلام في نفسه، ثم لقيني بعد ذلك في سكك المدينة فقال لي: أنت صاحبُ الكلام يا ابن الخطاب؟ فقلت: نعم يا عدو الله، ولك عندي شرٌّ من ذلك. فقال: بشس الجزءاء هذا لي منك.

قلت: وعلام تريد مني حُسن الجزءاء؟

قال (الاشعث): لأتَقَيَّ لك من اتَّبَعَ هذا الرجل، والله ما جرأتُني على الخلاف عليه إلا تقدمه عليك، وتحلفك عنها، ولو كنتُ صاحبها لما رأيتُ مني خِلافاً عليك. قلت: لقد كان ذلك فما تأمر الآن؟

قال (الاشعث): إنَّه ليس بوقت أمر، بل وقت صبر، ومضى ومضيت.

ولقي الاشعث الزبرقان بن بدر فذكر له ما جرى بيني وبينه، فنقل ذلك إلى أبي بكر، فأرسل إليّ بعتاب مؤلم، فأرسلت إليه: أما والله لَتَكْفُرَنَّ أو لاقولَنَّ كلمة بالغة بي وبك في الناس، تحملها الركبان حيث ساروا، وإن شئتُ استدمنا ما نحن فيه عفواً.

فقال: بل نستديمه، وإنَّها لصائرة إليك بعد أيام، فظننتُ أنَّه لا يأتي عليه جمعة حتَّى يرُدَّها عليّ فتغافل، والله ما ذكرني بعد ذلك حرفاً حتَّى هلك.

ولقد مدَّ في أمدها، عاضاً على نواجذه إلى أن حضره الموت وأيس منها، فكان منه ما رأيتم، فاكتم ما قلت لكما عن الناس كافة، وعن بني هاشم خاصة، وليكن منكما بحيث امرتكما، قوما إذا شئتما على بركة الله.

فقمنا ونحن نعجب من قوله، فوالله ما أفشينا سره حتى هلك^(١).

ويذكر أن عمر قد قال لعبد الله بن عباس: إن قومكم (قريشاً) لم يرضوا أن تجتمع فيكم النبوة والخلافة وقال ابن عباس: حرّسوها عنا حسداً وبغياً وظلماً^(٢). وهنا وصف عمر قريشاً بأن حسدها يساوي تسعة أعشار وتسعة اعشار العشر، وفي الناس كلهم عشر العشر، وبأن أبا بكر أحسد قريش كلها؟! وهذه لغة صراحة عمر في وصفه أبا بكر. وطبقاً لرأي عمر يكون أبو بكر على رأس المخالفين لاجتماع الخلافة والنبوة في بني هاشم. وهذا عمر أبا بكر من الایغال في العداء قائلاً: لتكفرن أو لأقولن كلمة بالغة بي وبك في الناس؟! تحملها الركبان حيث ساروا، وإن شئت استدمنا ما نحن فيه عفواً.

ورغم صراحة عمر مع رفيقه إلا أنه لم يخبرها بها لها عساها أن تكون من كلمة خطيرة تحملها الركبان؟! ولخطورة تلك الكلمة خافها أبو بكر واختار طريق المودة، على طريق العداء فقال: وإنها لصائرة إليك (أي الخلافة) بعد أيام. وهذه الجملة لم يقلها أبو بكر إلا لعلاقتها بالكلمة الخطيرة التي هدده بها عمر، أي أنها جواب لتهديد عمر.

وبعد ما قال عمر عن بيعة أبي بكر أنها فلتة، قال الشاعر محمد بن هاني المغربي:
ولكن أمراً كان أهرم بينهم وإن قال قوم قلته غير مُبرّم

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣١/٢-٣٤، المسترشد، محمد بن جرير الطبري، كتاب الشافي، المرتضى ٢٤٤، ٢٤٤.

(٢) الكامل في التاريخ، ابن الأثير ٢٤/٣، شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ١٠٧/٣، تاريخ الطبري ٢٨٩/٢.

وقال آخر:

رَعَمُوهَا فَلْتَةً فَاجِئْتُ لَا وَرَبَّ الْبَيْتِ وَالرُّكْنِ الْمَشِيدِ
إِنَّمَا كَانَتْ أُمُوراً تُسَجِّثُ بَيْنَهُمْ أَسْبَابُهَا نَسْجُ الْبُرُودِ^(١)

ولقد اعترف عمر بكون المغيرة من دهاة العرب، واعترف بوجوده في السقيفة عند بيعة أبي بكر، قائلاً: كَأَنَّكَ كُنْتَ غَائِباً عَمَّا هُنَاكَ.

والسؤال المفروض هنا هو: لماذا لم يسأل المغيرة وأبو موسى عن الكلمة الخطيرة، التي هدّد بها عمرُ أبا بكر؟ خاصّةً وانها قريبان من قلبه؟

الجواب: إن المغيرة كان مشتركاً في أحداث السقيفة، التي أقاموها في زمن انشغال بني هاشم والناس بمجهاز الرسول ﷺ، ومشاركاً في أحداث ما قبل السقيفة للتخطيط لعملية الاستيلاء على السلطة وما بعدها، لذلك نال أفضل المناصب في الدولة الإسلامية. وكذلك كان أبو موسى الأشعري.

وقد يكون المغيرة وأبو موسى عارفان بالكلمة الخطيرة التي هدّد بها عمرُ أبا بكر؟ وقد يكون عمر قد صرّح لها بما هدّد به أبا بكر، بحيث قال له أبو بكر: وإنما لصائرة إليك بعد أيام، فقال عمر لها:

فَاكْتَمَا مَا قُلْتَ لَكُمَا عَنِ النَّاسِ كَأَفْئَةٍ وَعَنْ بَنِي هَاشِمٍ خَاصَّةً.

ولقد قال ابن أبي الحديد المعتزلي معلقاً على ذلك الحديث:

«وأعلم أنه لا يبعد أن يقال: إن الرضا والسخط والحب والبغض وما شاكل ذلك من الاخلاق النفسانية، وإن كانت أموراً باطنة، فإنها قد تُعْلَمَ ويضطر الحاضرون إلى حصولها بقرائن أحوال تفيدهم العلم الضروري، كما يُعْلَمُ خوف الخائف وسرور المبتهج.

ولقد صرّح عمر (في حديثه مع المغيرة والأشعري) بشيء خفي آخر، ألا

وهو ما ذكره عن أخيه زيد بن الخطاب قائلاً: أما والله لو أطمعت زيد بن الخطاب وأصحابه لم يتلمّظ من حلاوتها بشيء أبداً.

والظاهر أن زيد بن الخطاب وجماعته كانوا من المعارضين لخلافة أبي بكر، ولكن عمر لم يفصح أكثر عن الموضوع، فهل كان زيد يدعو إلى خلافة عمر، أم أنه يدعو إلى خلافة علي عليه السلام (وصي المصطفى ﷺ)، وسيرة زيد الحميدة تتوافق مع تعبده بالنصوص الشرعية. ولم أعثر على نص يثبت مشاركة زيد لعمر وأبي بكر في أحداث السقيفة. وقول عمر المذكور يبين واحداً من الأسرار الكثيرة التي نفتقدها. وبالرغم من أن زيد بن الخطاب كان من المشاركين في معركة بدر، واسن من عمر، إلا أن أبا بكر لم ينصبه في وظيفة حكومية، بل أرسله إلى حرب مسيلمة الكذاب فقتل^(١) هناك. ولو عدنا إلى أيام مرض الرسول ﷺ لوجدنا منافسة بين عائشة وحفصة في موضوع إمامة الصلاة، إذ قالت عائشة للنبي ﷺ لو بعثت إلى أبي بكر. وقالت حفصة: لو بعثت إلى عمر.

ولما اشتدت المنافسة بينها، أرسلت عائشة بلالاً ليأمر أبا بكر على لسان النبي ﷺ بإمامة الصلاة، ففضب النبي ﷺ وقال: إنكن صواحب يوسف^(٢). فكانت اعظم اهانة نبوية لعائشة وصواحبها. ومن أقوال عمر في أبي بكر المشيرة إلى تنافرها ما أخرجه النسائي عن أسلم أن عمر اطلع على أبي بكر، وهو آخذ بلسانه، فقال: هذا الذي أوردني الموارد^(٣). إن ذكر عمر لهذا الحديث يثبت حقه وعدم رضاه عليه. والذي يوضح تنافرها أكثر، ما ذكره أبو بكر قبل وفاته، من ندمه على عدم إبعاد عمر من عاصمة الخلافة، فقال: إني لا آسى إلا على ثلاث

(١) أسد الغابة، ابن الأثير، ترجمة زيد بن الخطاب. ٢٨٥/٢.

(٢) تاريخ الطبري ٤٣٩/٢.

(٣) تاريخ الخلفاء، السيوطي ١٠٠.

فعلتهن وَوَدِدْتُ أَنِّي لم افعلنهن... وددت إني حيث وجهت خالداً إلى الشام، كنت وجهت عمر إلى العراق، فاكون بسطت يدي يميناً وشمالاً في سبيل الله^(١).

ولو تحققت أمنية أبي بكر في إبعاد عمر إلى العراق، لما وصل عمر إلى سدة الخلافة، ولأصبح إبعاده إلى العراق، مثل إبعاد ابن الجراح إلى الشام، والنتيجة اخراجه من المدينة والخلافة!

وبسبب مواقف عمر السلبية من عبد الرحمن بن أبي بكر، والصراع الدامي بين عثمان وعائشة، وفتواها بقتله: اقتلوا نعثلاً فقد كفر^(٢) فقد وقف عبد الرحمن وأخوه محمد بن أبي بكر في صفوف علي بن أبي طالب رضي الله عنه في معركة صفين^(٣).

هل خالف عمر أبا بكر؟

أخرج ابن أبي حاتم عن عبيدة السلماني قال: جاء عبيدة بن حصين، والاقرع بن حابس إلى أبي بكر، فقالا: يا خليفة رسول الله إن عندنا أرضاً سبخة ليس فيها كلاء ولا منفعة، فإن رأيت أن تعطيناها لعلنا نحرثها ونزرعها، ولعل الله أن ينفعنا بها، فأقطعها إياها وكتب لها بذلك كتاباً، وأشهد لها.

فانطلقا إلى عمر ليشهدها على ما فيه، فلما قرأ على عمر ما في الكتاب، تناوله من أيديهما فقتل فيه فحاه، فتذمرا وقالوا له مقالة سيئة^(٤).

وزاد المتقي الهندي فقال: فأقبلا إلى أبي بكر وهما يتذمران فقالا: والله ما

(١) كنز العمال ١٣٥/٣، وأخرجه الطبراني وابن عساكر.

(٢) الكامل في التاريخ، ابن الأثير ٢٠٦/٣.

(٣) الإمامة والسياسة، ابن قتيبة ٧٥/١.

(٤) المتقي الهندي في كنز العمال ١٨٩/٢.

ندري أنت الخليفة أم عمر؟ فقال: بل هو، ولو شاء كان^(١).

وخالف عمر أبا بكر في قضية الولاية، إذ عزل ولاية أبي بكر وهم خالد بن الوليد والمثنى بن حارثة الشيباني وشرحبيل بن حسنة^(٢).

ولقد خالف عمر أبا بكر بعد توليه الخلافة مباشرة: إذ ذهب إلى مجلس العزاء النسائي المقام بمناسبة وفاة أبي بكر فأدخل رجلاً عليهن دون إذن منهن، فأخرج أم فروة بنت أبي قحافة، فضربها عمر بدمرته ضرباً مبرحاً، وأخرج النساء^(٣).

وقدّم الاقرع بن حابس على النبي ﷺ فقال أبو بكر: يا رسول الله استعمله على قومه. وقال عمر: لا تستعمله يا رسول الله، فتكلّموا حتى ارتفعت اصواتهم. فقال أبو بكر لعمر ﷺ: ما أردت إلا خلافي.

قال: ما أردت خلافك. فقلت: لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي^(٤). وقد خالف عمر أبا بكر في الناحية المالية. إذ ساوى أبو بكر في العطاء وخالفه عمر في ذلك، وسبى أبو بكر النساء والذراري في حروبه مع العرب، وردّهم عمر إلى عشائرتهم^(٥) مما يثبت عدم نظرة عمر لهم كمرتدين.

قال عمر لابن الجراح في السقيفة: ابسط يدك نبايعك. فقال: يا عمر ما رأيت لك تهمة (فهة) منذ أسلمت اتبايعني وفيكم الصديق^(٦).

(١) أخرجه ابن أبي شيبة والبخاري في تاريخه ويعقوب بن سفيان وابن عساكر وذكره السقلافي أيضاً في أصابته ٥ القسم ١ ص ٥٦، وأخرجه البخاري في التاريخ الصغير، والمحامي في أماليه، كنز العمال ٢٩٠/١٠.

(٢) مختصر تاريخ دمشق ٢٩٠/١٠.

(٣) كنز العمال ١١٨/٨ كتاب الموت، تاريخ الطبري ج ٤ حوادث سنة ١٢، الكامل في التاريخ ٢٠٤/٢.

(٤) تاريخ المدينة المنورة ١٤٧/٢.

(٥) الإمامة والسياسة ١١٩/٢. (٦) الطبقات ١٨١/٣، أنساب الأشراف ٥٧٩/١.

الإغتيالات

في

العصر الإسلامي الأول

محاولة اغتيال النبي ﷺ

لقد حدثت غزوة تبوك في السنة التاسعة للهجرة. وقد ذكرها الواقدي في مغازيه^(١) قائلاً:

«إنما كانت أخبار الشام عند المسلمين كل يوم لكثرة من يقدم عليهم من الأنباط، فقدمت قادمة فذكروا أن الروم قد جمعت جموعاً كثيرة بالشام، وأن هرقل قد رزق أصحابه لسنة، واجلبت معه لخم وجذام وغسان وعاملة. وزحفوا وقدموا مقدّماتهم إلى البلقاء وعسكروا بها، وتخلف هرقل بمحص. ولم يكن ذلك إنما ذلك شيء قيل لهم فقالوه. ولم يكن عدو أخوف عند المسلمين منهم، وذلك لما عاينوا منهم (إذ كانوا يقدمون عليهم تجاراً) من الصدّ والعُدّة والكراع. وكان رسول الله لا يغزوا غزوة إلا ورى بغيرها، لئلا تذهب الأخبار بأنه يريد كذا وكذا، حتى كانت غزوة تبوك فغزاها رسول الله ﷺ في حرٍّ شديد».

وقال الجلاس ابن سويد: والله لئن كان محمد صادقاً لنحن شرٌّ من الحمير! والله لو ددت أني أقاضي على أن يضرب كل رجل منّا مائة جلدة وأنا تنفّلت من أن ينزل فيها القرآن بمقاتلتكم.

فقال رسول الله ﷺ لعبار بن ياسر: أدرك القوم فإنهم قد احترقوا، فسألهم

عَمَّا قَالُوا، فَإِنْ أَنْكَرُوا فَقُلْ: بَلَى قَلْتُمْ كَذَا وَكَذَا. فَذَهَبَ إِلَيْهِمْ عِمَارٌ فَقَالَ لَهُمْ. فَأَتُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْهِ.. فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخَوْضُ وَنَنصَبُ﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾^(١).

ولمَّا احتاج المسلمون إلى الماء في تلك الصحراء بصيفها الحار، دعا رسول الله ﷺ فسقط المطر. فقال أوس بن قيثي المنافق: سحابة مازة^(٢).

ولأوّل مرّة في تاريخ المسلمين هدم رسول الله ﷺ مسجداً لأنّه مسجد ضرار. ولما خلف النبي ﷺ علياً عليه السلام على المدينة قال له علي عليه السلام: أتخلفني في النساء والأطفال؟

فقال النبي ﷺ: ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى. إلاّ أنّه لا نبي من بعدي^(٣).

لقد حدثت غزوة تبوك في السنة التاسعة للهجرة أي بعد انتصار المسلمين على المشركين، وسيطرتهم على جزيرة العرب، فوجد المنافقون بأنّ ملك المسلمين أصبح عظيماً، وبلادهم واسعة، فسعوا لقتل النبي ﷺ للسيطرة على خلافته.

وقد نزلت آيات كثيرة في تبوك في المنافقين وأفعالهم منها: ﴿وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلَيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^(٤) و ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَهْزِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٥). وكان البعض يخاف أشدّ الخوف من وصول الإمام علي عليه السلام إلى خلافة النبي ﷺ لأنّ ذلك يعني سيطرة بني هاشم على الحكم وحرمان قريش من

(١) سورة التوبة ٦٥، ٦٦.

(٢) المنازي للواقدي ١٠٠٩/٢.

(٣) الكامل في التاريخ ٢٧٨/٢.

(٤) التوبة ٨١، ٨٢.

(٥) التوبة ١٠٧.

الخلافة . وظهرت خلافة علي عليه السلام أكثر عندما تركه على المدينة المنورة ليحفظها واصفاً اياه بهارون من موسى .

والملاحظ ان بعض المسلمين قد تحرك تحركاً جديداً يختلف عن الأساليب السابقة متمثلاً في انشاء مسجد اسلامي يكون قلعة لضرب الإسلام الحمدي . وتحرك آخرون لقتل النبي صلى الله عليه وآله وسلم قبل انتقال الحكم الى علي عليه السلام .

والذي يفهم تاريخ السيرة جيداً يجد بأن المنافس القوي لبني هاشم على السلطة هم قريش وليس الأنصار . لذلك دعا النبي صلى الله عليه وآله وسلم في مكة على قريش ولم يدعوا على الأنصار بل دعا لهم . والإمام علي عليه السلام دعا على قريش ودعا للأنصار . وهناك نتيجة مفادها ان دُعاة قريش قد فعلوا عدة أمور قد غفلت على كثير من العلماء والمحققين الى يومنا هذا تبين حرصهم على السلطة منها : حرّفوا حديث الخلفاء من بعدي إثنا عشر أولهم علي عليه السلام الى صالحهم ، فجعلوا الحكم الى يوم القيامة في قبائل قريش ، وابتعدوا الأنصار وغيرهم عن الخلافة بلا سند الهي وعقلي ، وأرادوا قتل النبي صلى الله عليه وآله وسلم في أثناء عودته من تبوك ، يوم كان الإمام علي عليه السلام في المدينة . ولم يكتفوا بذلك بل ألقوا ببتعة الأمر على الأنصار .

إذ جاء عن نافع بن جُبَيْر بن مَطْعَم : « لم يخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأسماء المنافقين الذين بخشوا به ليلة العقبة بتبوك وهم إثنا عشر رجلاً . وزادوا في الحديث قولهم : ليس فيهم قرشي وكلهم من الأنصار أو من حلفائهم ! »^(١)

وفي قضية السقيفة فعل رجال قريش نفس الشيء ، فهم قد تركوا مراسم دفن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبايعوا أباه بكر في السقيفة ، ولم يكتفوا بذلك بل حاولوا القضاء على منافسيهم (الأنصار) قضاء تاماً .

وتمثل ذلك باتهام الأنصار بمحاولة بيعه سعد بن عباد في السقيفة واغتصاب

الحكم من قريش؟!

في حين لم يجتمع الأنصار لمبايعة سعد، ولم يبايعوه، ولم يكن عندهم خطّة لذلك، وما تلك الأخبار الكاذبة إلا هجمة لتحطيم الأنصار^(١).

وقد جاء: لما رجع رسول الله قافلاً من تبوك الى المدينة، حتّى إذا كان ببعض الطريق، مكر به ناس من أصحابه، وتأمروا أن يطرحوه في العقبة^(٢) وأرادوا أن يسلكوها معه لهذه الغاية، فأخبر رسول الله خبرهم، فقال لأصحابه من شاء منكم أن يأخذ بطن الوادي فإنه أوسع لكم، فأخذ النبي ﷺ العقبة، وأخذ الناس بطن الوادي إلا نفر الذين أرادوا المكر به، فقد إستعدوا وتلثموا، وأمر رسول الله ﷺ حذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر فشيئا معه مشياً، وأمر عتاراً أن يأخذ بزمام الناقة، وحذيفة يسوقها، فبينما هم يسرون، إذ سمعوا وكزة القوم من ورائهم، قد غشوههم. فغضب رسول الله ﷺ، وأمر حذيفة أن يراهم، ويتعرّف عليهم، فرجع ومعه محجن، فاستقبل وجوه رواحلهم، وضربها بالمحجن، وأبصر القوم وهم متلثمون، فأرعبوا حين أبصروا حذيفة، وظنّوا أن مكرهم قد ظهر، فاسرعوا حتّى خالطوا الناس.

وأقبل حذيفة حتّى أدرك رسول الله، فلما أدركه، قال ﷺ: اضرب الناقة يا حذيفة، وامش أنت يا عمار، فاسرعوا وخرجوا من العقبة، ينتظرون الناس، فقال النبي ﷺ: يا حذيفة هل عرفت أحداً منهم؟

فقال: عرفت راحلة فلان وفلان، وكانت ظلمة الليل قد غشيتهم وهم متلثمون.

(١) أنظر كتاب السقيفة للمؤلف.

(٢) العقبة: مرقى صعب من الجبال. والطريق في أعلاها، والجمع عقاب وعقبات وواحدة العقبة أقرب

فقال رسول الله ﷺ: هل عرفت ما شأنهم وما يريدون؟
قال: لا يا رسول الله.

قال ﷺ: فابهم فكروا أن يسيروا معي، حتى إذا صرت في العقبة طرحتوني فيها!

فقال: أهلا ترأف بهم إذا جاءك الناس.

قال: أكره أن يتحدث الناس، ويقولوا: إنَّ محمداً قتل أصحابه، ثمَّ ساءهم بأسائهم^(١).

وفي كتاب ابان بن عثمان بن عفان، قال الأعمش: وكانوا اثني عشر، سبعة من قريش.

وقال ابو البختری، قال حذيفة:

لو حدثتكم بحديث لكذبني ثلاثة أثلاثكم، فقال: ففطن له شاب، فقال: من يصدقك إذا كذبك ثلاثة أثلاثنا! فقال: إنَّ أصحاب محمد ﷺ كانوا يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر. قال: فقيل له: ما حملك على ذلك؟ فقال: إنَّه من اعترف بالشر، وقع في الخير^(٢).

وقال الحسن بن علي رضي الله عنهما: «يوم أوقفوا الرسول ﷺ في العقبة ليستنفروا ناقته كانوا اثني عشر رجلاً منهم أبو سفيان»^(٣). وذكر ابن عبد البر الأندلسي في كتابه الاستيعاب: كان ابو سفيان كهفاً للمنافقين منذ أسلم^(٤).

وجاء أيضاً: «لدى العودة تأمر ١٢ منافقاً ثمانية منهم من قريش، والباقي

(١) السيرة الحلبية ١٤٣/٣، ودلائل النبوة لابي بكر احمد البيهقي ٢٥٧/٥.

(٢) مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، ابن منظور ٢٥٩/٦.

(٣) كتاب المفاهرات، الزبير بن بكار، شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ١٠٣/٢ ط. دار الفكر ١٣٨٨ هـ.

(٤) الاستيعاب ٦٩٠/٢.

من أهل المدينة، لا غتيال الرسول ﷺ في أثناء الطريق، وقبل أن يصل إلى المدينة، وذلك بتفسير ناقة النبي ﷺ في عقبة بين المدينة والشام، ليطرحوه في واد كان هناك. وعندما وصل الجيش الإسلامي إلى بداية تلك المنطقة (العقبة) قال رسول الله ﷺ: من شاء منكم أن يأخذ بطن الوادي، فإنه أوسع لكم. فأخذ الناس بطن الوادي، ولكن رسول الله ﷺ أخذ بطريق العقبة، فيما يسوق حذيفة بن اليمان ناقة النبي ﷺ.

ويقودها عمار بن ياسر، فبينما هم يسرون إذ التفت رسول الله ﷺ إلى خلفه، فرأى في ضوء ليلة مقمرة فرساناً متلثمين، لحقوا به من ورائه، لينفروا به ناقتة، وهم يتخافتون، فغضب رسول الله ﷺ وصاح بهم، وأمر حذيفة أن يضرب وجوه رواحيلهم. قائلاً: إضرب وجوه رواحيلهم.

فارعبهم رسول الله ﷺ بصياحه بهم ارعاباً شديداً، وعرفوا بأن رسول الله ﷺ علم بمكرهم ومؤامرتهم، فاسرعوا تاركين العقبة حتى خالطوا الناس.

يقول حذيفة فعرفتهم برواحيلهم وذكرتهم لرسول الله ﷺ وقلت: يا رسول الله ألا تبعث اليهم لتقتلهم؟

فاجابه رسول الله ﷺ في لحن ملؤه الحنان والعاطفة: إن الله أمرني أن أعرض عنهم، واكره أن يقول الناس، أنه دعا أناساً من قومه وأصحابه إلى دينه، فاستجابوا له، فقاتل بهم، حتى ظهر على عدوه، ثم أقبل فقتلهم، ولكن دغهم يا حذيفة فإن الله لهم بالمرصاد»^(١). ووفق رواية حذيفة بن اليمان فإن في هؤلاء الرجال أبا بكر وعمر وعثمان وطلحة وسعد بن أبي وقاص^(٢).

(١) المغازي النبوية ٤٢/٣ - ١٠٤٥، مجمع البيان ٤٦/٣، امتاع الاسماع ٤٧٧/١.

(٢) المحلى، ابن حزم الأندلسي ٢٥٥/١١.

محاولة اغتيال النبي ﷺ في العقبة !

ذكر حذيفة بن اليمان القُبيسي (صاحب سر النبي ﷺ) كما وصفه الخليفة عمر^(١) محاولة بعض الصحابة قتل النبي ﷺ في غزوة تبوك، وذلك بإلقائه من العقبة^(٢) في الوادي.

وقد ذكر ابن حزم الأندلسي المتوفى سنة ١٣٥ هـ هذه الحادثة في كتابه المحلى قائلا: «وأما حديث حذيفة فساقط، لأنه من طريق الوليد بن جميع، وهو هالك، ولا نراه يعلم من وضع الحديث، فإنه قد روى أخباراً فيها أن أبا بكر وعمر وعثمان وطلحة وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنهم أرادوا قتل النبي ﷺ، وإلقائه من العقبة في تبوك، ولو صححت لكانت بلا شك على ما بيننا من أنهم صَحَّ نفاقهم، وعادوا بالتوبة، ولم يقطع حذيفة ولا غيره على باطن أمرهم، فتورَّع عن الصلاة عليهم»^(٣).

والوليد بن جميع هو الوليد بن عبد الله بن جميع.
جاء في كتاب ميزان الاعتدال للذهبي^(٤): الوليد بن جميع وثقه ابن معين، والعجلي، وقال أحمد، وأبو زرعة ليس به بأس، وقال أبو حاتم: صالح الحديث.
وجاء في كتاب الجرح والتعديل للرازي^(٥): عن إسحاق بن منصور، عن يحيى بن معين، أنه قال: الوليد بن جميع ثقة. وذكره ابن حجر العسقلاني في

(١) أسد الغابة، ابن الأثير. ترجمة حذيفة. ٤٦٨/١

(٢) العقبة: الجبل الطويل يُمَرُّسُ للطريق فيأخذُ فيه وهو طويل صعب شديد، لسان العرب لابن منظور ٦٢١/١.

(٣) المحلى، ابن حزم الأندلسي ٢٢٥/١١.

(٤) ميزان الاعتدال ٣٣٧/٤ رقم ٩٢٦٢ طبع دار المعرفة، بيروت.

(٥) الجرح والتعديل ج ٨/٩ طبع دار الكتب العلمية بيروت.

الإصابة في جملة رواته^(١). وذكره ابن كثير في جملة رواته الثقة^(٢).

وذكره مسلم في صحيحه في جملة رواته.

ولما كان الحاكم قد أطلع على حديث حذيفة المذكور بواسطة الوليد بن عبد

الله بن جميع، فقد قال: «لو لم يذكره مسلم في صحيحه لكان أولى»^(٣).

إذن وفق رأي مسلم، والذهبي، وابن معين، والعجلي، وأبي زرعة، وأبي حاتم، والرازي وابن حجر يكون سند الحديث صحيحاً، فهؤلاء يوثقون حذيفة ابن اليان، والوليد بن جميع. وقطع ابن حزم الاندلسي بعدم صلاة حذيفة على أبي بكر وعمر وعثمان إذ قال: ولم يقطع حذيفة ولا غيره على باطن أمرهم فتورّع عن الصلاة عليهم. وكما ذكرنا أن حذيفة صاحب سر النبي ﷺ وكان عمر يسأل عن حذيفة إذا مات ميت، فإن حضر الصلاة عليه صلى عليه عمر وإن لم يحضر حذيفة الصلاة عليه لم يحضر عمر^(٤).

والسبب الأساسي لحادثة تبوك هو قول النبي ﷺ في أثناء الحج في السنة الثامنة للهجرة: «يا أيها الناس قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي ومن كنت مولاه فهذا علي موله»^(٥). وقد أخرج الترمذي هذا الحديث، مرة عن جابر بن عبد الله الانصاري، ومرة عن زيد بن أرقم. كما أخرج الحديث ابن سعد وأحمد بن حنبل^(٦).

(١) الإصابة ج ١/ ٤٥٤.

(٢) البداية والنهاية ٣٦٢/٤، ٣١٠/٥، ٢٢٥/٦.

(٣) المعلى لابن حزم ٢٢٥/١١.

(٤) الاستيعاب، ابن عبد البر ٢٧٨/١ بهامش الإصابة واسد الغابة، ابن الأثير ٤٦٨/١، السيرة الحلبية

١٤٣/٣، ١٤٤.

(٥) الترمذي ٦٢١/٥، صحيح مسلم، باب فضائل علي بن أبي طالب ﷺ.

(٦) الطبقات الكبرى، ابن سعد، مسند أحمد بن حنبل ١٨١/٥.

والحادثة الثانية التي تسببت في حادثة تبوك هي قول النبي محمد ﷺ لعلّي أثناء استخلافه في المدينة: أما ترضى يا علي أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي من بعدي^(١).

وهذا الحديث نص واضح على الخلافة لأبيس فيه ولا تشكيك. ولقد ذكرنا في الكتاب عدّة أدلة بقول عمر تثبت ولاية علي بن أبي طالب عليه السلام.

وقول النبي ﷺ لعلّي عليه السلام بالخلافة يخالفه رغبة معظّم رجال قريش الساعين لقبض السلطة واقتسامها بين قبائل قريش.

ويذكر بأن الذي مات في زمن عمر وحذيفة هو أبو بكر. وقطع ابن حزم الأندلسي بعدم صلاة حذيفة عليه.

ثم ذكر ابن عساكر صاحب تاريخ دمشق، بأن حذيفة لم يصل على أبي بكر. لكنه وضع لفظة فلان بدل أسم أبي بكر، وهذه عادة معروفة مع الشيخين أبي بكر وعمر. فقد تقدم عمر نفسه إلى حذيفة بطلب الصلاة عليه. فلمّا رأى عدم صلاة حذيفة عليه إندهش وتقدمت عيناه، ثم سأل حذيفة: أمن القوم أنا؟ يعني المنافقين؟

وقد صرح النبي ﷺ وعلي عليه السلام وعمر بمعرفة حذيفة بن اليمان بأسماء المنافقين، فقد قال علي عليه السلام: ذاك امرؤ علم العضلات والمفصلات، وعلم أسماء المنافقين، إن تسألوه عنها تجدوه بها عالماً^(٢).

وحذيفة لم يخبر أحداً بأسماء المنافقين، لكنه لم يصل عليهم! قال حذيفة: مرّ بي عمر بن الخطاب وأنا جالس في المسجد فقال لي: يا

(١) سيرة ابن هشام ١٦٣/٤، صحيح البخاري ٢٤/٥، صحيح مسلم ١٥/١٧٣، المستدرک، الحاكم ٣٣٧/٢.

(٢) مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، ابن منظور ٢٥٢/٦، أسد الغابة، ابن الأثير، تاريخ دول الإسلام، شمس الدين الذهبي ص ٢٢.

حذيفة إن فلاناً قد مات فاشهده .

قال : ثم مضى ، اذ كاد أن يخرج من المسجد ، التفت إليّ فرآني وأنا جالس فعرف . فرجع إليّ فقال : يا حذيفة أنشدك الله أمن القوم أنا ؟ قال : قلت : اللهم لا ولن أبرئ أحداً بعدك . قال : فرأيت عيني عمر جاء تا^(١) .

أي عرف عمر بعدم رغبة حذيفة بالصلاة على أبي بكر .

وروى ابن عساكر : « دخل عبد الرحمن على أم سلمة رضي الله عنها ، فقالت : سمعت النبي ﷺ يقول : إن من أصحابي لمن لا يراني بعد أن أموت أبداً ، فخرج عبد الرحمن من عندها مذعوراً ، حتى دخل على عمر ، فقال له : إسمع ما تقول أمك ، فقام عمر حتى دخل عليها ، فساها ، ثم قال أنشدك الله أمنهم أنا ؟ قالت : لا ولن أبرئ بعدك أحداً^(٢) .

والظاهر أن عمر كان خائفاً جداً من هذا الموضوع بحيث سأل عنه حذيفة وأم سلمة ! ولقد وقع حذيفة وأم سلمة في حرج شديد من سؤال عمر الخطير لهما وبأن هذا المخرج من قولهما : لن أبرئ بعدك أحداً .

وقال نافع بن جبير بن مطعم :

« لم يخبر رسول الله ﷺ بأسماء المنافقين ، الذين بخشوا به ليلة العقبة بتبوك غير حذيفة ، وهم اثنا عشر رجلاً »^(٣) .

(١) مختصر تاريخ ابن عساكر ٢٥٣/٦ ، طبعة دار الفكر الأولى ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م . وكان عمر إذا مات مئت سأل عن حذيفة ، فإن حضر الصلاة عليه صلي عليه عمر ، وإن لم يحضر حذيفة الصلاة عليه لم يحضر عمر ، الاستيعاب ، ابن عبد البر الأندلسي ٢٧٨/١ يهاشم الإصابة ، اسد الغابة ، ابن الأثير ٤٦٨/١ ، السيرة الحلبي ١٤٣/٣ .

(٢) مختصر تاريخ دمشق ٣٣٤/١٩ .

(٣) مختصر تاريخ ابن عساكر ٢٥٣/٦ .

ولقد أضافوا إلى حديث ابن عساكر شيئاً لم يكن موجوداً في أصله، وهو ليس فيهم قرشي، وكلهم من الأنصار أو من حلفائهم؟ لا ليعدوا الشبهة عن قریش، ويضعوها على هاتق الأنصار، كما فعلوا ذلك في مرّات عديدة ومنها السقيفة! وقال حذيفة: لو كنت على شاطئ نهر، وقد مددت يدي لأغرف، فحدثتكم بكل ما أعلم، ما وصلت يدي إلى في، حتّى أقتل^(١).

أي لو أخبر حذيفة بأسماء المنافقين الأحياء منهم والأموات، لقتلوه بسرعة، لذلك لم يخبر بأسمائهم ولكنه كان لا يصلّي عليهم وهذه إشارة ذلك. وعن حذيفة أنّه قال: خذوا عتاً فإنّا لكم ثقة، ثمّ خذوا عن الذين يأخذون عتاً، فإنّهم لكم ثقة، ولا تأخذوا عن الذين يملونهم. قالوا: لم؟ قال: لأنهم يأخذون حلوا الحديث ويدعون مرّة، ولا يصلح حلّوه إلا بمرّة^(٢).

وقال حذيفة: لقد حدّثني رسول الله ﷺ بما يكون حتّى تقوم الساعة، غير أنّي لم أسأله ما يخرج أهل المدينة منها^(٣).

وذكر حذيفة بن اليمان أنّها موسى الأشعري في جملة المنافقين، إذ ذكر العالم الأندلسي ابن عبد البر في الاستيعاب قائلاً: «فقد روي فيه لحذيفة كلام، كرهت ذكره، والله يغفر له»^(٤).

وروى عبد الصمد بن بشير: «فَسَمَّ ﷺ قبل الموت انها سقتاه»^(٥). بينما روى جرير بن عبد الحميد الضبي عن الأعمش عن شقيق أبي وائل قال: قال حذيفة بن اليمان: والله ما في أصحاب رسول الله ﷺ أحدٌ أعرف

(١) مختصر تاريخ ابن عساكر ٢٥٩/٦.

(٢) مختصر تاريخ ابن عساكر ٢٥٩/٦.

(٣) مختصر تاريخ ابن عساكر ٢٤٩/٦.

(٤) الاستيعاب بهامش الإصابة، ابن عبد البر الأندلسي ص ٣٧٢.

(٥) بحار الأنوار، المجلسي ١٠٣٨/٦.

بالمنافقين مني ، وأنا اشهد أن أبا موسى الأشعري منافق^(١) .
وعن حذيفة أنه قال : ما بينكم وبين أن يرسل عليكم الشر فراسخ ، إلا أن
يطلع عليكم راكب من ها هنا فينعى لكم عمر^(٢) .
وعن الزغال بن سبرة الهلالي : وافقنا من علي بن أبي طالب ذات يوم طيب
نفس ومراح .
فقلنا يا أمير المؤمنين حدثنا عن أصحابك وذكر الحديث وفيه قلنا : فحدثنا
عن حذيفة .
قال : ذاك امرؤ علم المعضلات والمفصلات وعلم أسهاء المنافقين إن تسألوه
عنها تجدوه بها عالماً^(٣) .
اغتيال طالب بن أبي طالب ٢ هـ : لقد أخرجت قريش بني هاشم قهراً إلى
معركة بدر ، وهم العباس وعقيل ونوفل بن الحارث وطالب بن أبي طالب . وأراد
بنو هاشم الرجوع ، فاشتد عليهم أبو جهل ، وقال : لا تفارقنا هذه العصابة حتى
نرجع^(٤) .
وأراد طالب الرجوع مع بني زهرة فجرت بينه وبين القرشيين ملاحاة ،
وقالوا : والله لقد عَرَفْنَا أَنَّ هَؤُلَاءِ هَؤُلَاءِ فرجع طالب فيمن رجع إلى مكة ...
ولم يوجد في القتلى ، ولا في الأسرى ، ولا فيمن رجع إلى مكة فكان مفقود
الأثر^(٥) .

(١) الألباض ، الفضل بن شاذان . ٣ .

(٢) تاريخ ابن عساكر ٣٤٨/١٨ .

(٣) مختصر تاريخ ابن عساكر ٢٥٢/٦ .

(٤) السيرة الحلبية ١٥٤/٢ ، دلائل النبوة ١٠٨/٣ .

(٥) تاريخ الطبري ١٤٤/٢ ، سيرة ابن هشام ٢٧١/٢ ، الكامل في التاريخ ، ابن الأثير ١٢١/٢ ، تاريخ

الخميس ٣٧٥/١ ، السيرة النبوية ، ابن كثير ٤٠٠/٢ .

وكان طالب قد قال :

يسارب إيسا يغزون طالب
فليكن المسلوب غير السالب
في مقنب من هذه المقانب
وليكن المغلوب غير الغالب
وظاهر الأمر إسلام طالب بن أبي طالب فقد قال :

وخير بني هاشم أحمد
رسول الاله إلى العالم^(١)
وكانت قريش قد قالت : لا تدعوا أحداً من عدوكم خلفكم^(٢).

ولما كانت قريش قد الحّت في ضرورة حضور أعدائها من بني هاشم الحرب ، وعدم السماح لأعدائها بالحضور خلف الجبهة ، فقد كادوا طالب بن أبي طالب العائد إلى خلف الجبهة وقتلوه .

ولكي لا يثبت غدرهم ، ولا يعرف قاتله ، فقد ادّعوا اختطاف الجن له^(٣) .
وكلما غدرت قريش بغرد ، وخافوا عشيرته ، إدعوا ذلك الإدعاء الخاوي ،
فعندما قتل محمد بن مسلمة (مأمور عمر الخصاص) سعد بن عبادة في الشام ، إدعت
الدولة قتل الجن له ! واشاعت عائشة ذلك وسطروا شعراً على لسان الجن :

قد قتلنا سيّد الـ
ورميناه بسهم
خزرج سعد بن عبادة
بن فلم تُخطئ فؤاده^(٤)

ومن الأشخاص الذي قُتلوا غدرًا بين مكة والمدينة أيضاً عبد الرحمن ابن
أبي بكر^(٥) فكان الثلاثة قد قتلوا غيلة بواسطة الحزب القرشي !

(١) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ٧٨/١٤ ، تاريخ الخميس ، الديار بكرى ٣٧٥/١ .

(٢) مغازي الواقدي ٣٧/١ .

(٣) السيرة الحلبية ٢٦٨/١ .

(٤) تاريخ الإسلام ، الذهبي ١٤٩/٣ ، أنساب الأشراف ، البلاذري ، العقد الفريد ، ابن عبد ربه الأندلسي ٢٤٧/٤ .

(٥) الاستيعاب ، ابن عبد البر ٣٩٣/٢ ، أسد الغابة ٣٠٦/٣ .

مَنْ قَتَلَ أَبَا بَكْرٍ وَابْنَهُ بِالسَّمِّ؟

ذكر أبو اليقطين عن سلام بن أبي مطيع، بأنَّ أبا بكر سُمِّ، فمات يوم الاثنين في آخره^(١) واليد التي قتلت أبا بكر هي التي قتلت ابنه بعد ذلك.

لمعرفة القاتل في الجنايات، يتَّبَعُ المحققون نظرية البحث عن المستفيد الأول من موت الضحية. ظاهر الأمر أن المستفيد الأول من موته كان عمر بن الخطاب. فقد حلَّ في منصبه! وعن مستوى علاقتها قال عبد الله بن عمر: إنها اختلفا^(٢).

والنصوص تؤيد اختلافها إذ قال عمر «كان أبو بكر أعق، وهو أحسد قریش كلها، وقال عمر لابنه: أفي غفلة أنت من تقدم أحيمق بني تيم عليّ وظلمه لي^(٣) ونحن لا نقول بأن القاتل عمر بل نطرح النصوص كي يصل القاري إلى النتيجة» وقال: والمفاهة على ضئيل بني تيم لقد تقدّمني ظالماً، وخرج إليّ منها أنماً.

وقال: لم يخرج إليّ منها (الخلافة) إلا بعد يأس منها.

وقال عمر أيضاً: والله لو أطعت زيد بن الخطاب وأصحابه لم يتلمّظ (أبو بكر) من حلاوتها (الخلافة) بشيء أبدأ^(٤). وظاهر الأمر أن الصراع بينها كان على أشده، لذا هدّد عمر أبا بكر قائلاً: أما والله لتكفّن، أو لأقولن كلمة بالغة بي وبك في الناس، تحملها الركبان حيث ساروا^(٥) وقال عمر: إن بيعه أبي بكر فلتة^(٦).

(١) المعارف، ابن قتيبة ص ٢٨٣، المقد الفريد، ابن عبد ربه ٢٥٠/٤.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٢٩/٢.

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٢٩/٢، طبعة دار احياء الكتب العربية.

(٤) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٣١/٢-٣٤، المسترشد، محمد بن جرير الطبري.

(٥) المصدر السابق.

(٦) مسند أحمد بن حنبل ٥٥/١، تاريخ الطبري ٤٤٦/٢.

والمستفيد الثاني من قتل أبي بكر كان عثمان بن عفان الأموي، الذي تولى السلطة بعد عمر.

وقد زاد عمر في امتيازات الأمويين بتعيين ولاية آخرين منهم مثل سعيد بن العاص والوليد بن عُقبة بن أبي مُعَيْط، وزاد في امتيازات أم حبيبة بنت أبي سفيان كما ذكرنا، ورفع منزلة أبي سفيان ومعاوية في العطاء إلى منزلة مقاتلي بدر من المهاجرين مفضلًا إياهم على الأنصار قاطبة^(١).

وقد قتل معاوية الأموي عبد الرحمن بن أبي بكر في ظروف غامضة أيضاً للهروب من تبعه أراقه دمه، ولكن دلائل قتله لعبد الرحمن كانت واضحة^(٢).

ومن المؤكد اشتراك أفراد بني أمية في قيادة عملية قتل أبي بكر، ليكون أبو بكر أول ضحية يموت بسم بني أمية، ويتبعه ابن عوف، وعبد الرحمن بن أبي بكر، والحسن بن علي عليه السلام، وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد، وسعد بن أبي وقاص، ومالك الأشتر ومعاوية الثاني، وعبد الله بن عمر، وعمر بن عبد العزيز وعشرات غيرهم^(٣) تحت ظل نظريته معاوية القائلة: *لله جنود من عسل* (لوضع الأمويين السم في العسل). والملفت للنظر في وصية أبي بكر لعمر، إنها كانت بخط عثمان، وليست بخط أبي بكر، وكان عثمان الشخص الوحيد الذي حضر وصية أبي بكر عند احتضاره^(٤)، وهذا الشيء مخالف للاعراف من حضور الأهل والأصدقاء عند الوصية، خاصة إذا كان المحتضر خليفة المسلمين.

وذكر الطبري في تاريخه حادثة مقتل أبي بكر قائلاً: «وحدثني أبو زيد عن

(١) الاستيعاب ٤٧١/٣، المعارف، ابن قتيبة ٣٤٥، تاريخ الطبري ٣١١/٣، سيرة ابن هشام ٣٨٥/١.

(٢) تاريخ أبي زرعة ص ٢٩٨، مروج الذهب ١٣٩/٢، تاريخ الهقوبي ١٣٩/٢.

(٣) راجع مروج الذهب ١٣٩/٢، تاريخ الهقوبي ١٣٩/٢، أنساب الأشراف ٤٠٤/١، مستدرک الحاكم

٤٧٦/٣، الإصابة، ابن حجر ٣٨٤/٣، أسد الغابة ٤٤٠/٣.

(٤) الكامل في التاريخ، ابن الأثير ٤٢٥/٢.

علي بن محمد باسناده الذي مضى ذكره قالوا: توفي أبو بكر وهو ابن ثلاث وستين سنة في جمادي الآخرة يوم الاثنين، لثمان بقين منه، قالوا: وكان سبب وفاته أن اليهود سمّته في أرزّة، ويقال في جذيدة، وتناول معه الحارث بن كلدة منها ثم كف، وقال لأبي بكر أكلت طعاماً مسموماً سمّ سنة، فمات بعد سنة، ومرض خمسة عشر يوماً، فقبل له لو أرسلت إلى الطبيب، فقال: قد رأي! قالوا: فما قال لك؟ قال: إني أفعل ما أشاء، قال (أبو جعفر): ومات عتاب بن أسيد بمكة في اليوم الذي مات فيه أبو بكر^(١). (والحارث بن كلدة بن عمرو الثقفي، طبيب العرب)^(٢). وذكر الليث بن سعد عن الزهري قال: أهدي لأبي بكر طعام، وعنده الحارث بن كلدة، فأكل منه، فقال الحارث: أكلنا سمّ سنة، وإني وإياك لميتان عند رأس الحول! فماتا جميعاً في يوم واحد عند انقضاء السنة^(٣).

وأود أن أقول إن أبا سفيان المتخصص في الاغتيالات والذي أرسل رجلاً لقتل النبي ﷺ^(٤) كان يعيش في المدينة إلى جنب عثمان وعمر.

وكان معاوية في المدينة أيضاً وهو صاحب النظرية المشهورة لله جنود من غسل^(٥). وبسبب اقتضاء المصلحة السياسية فقد أحرّ عمر دفن رسول الله ليومي الاثنين والثلاثاء، وقال بعض ثلاثة أيام! ومع أبي بكر اقتضت المصلحة

(١) العقد الفريد، ابن عبد ربه الأندلسي ٢٩٢/٦، تاريخ الطبري ٦١١/٢، طبعة مؤسسة الأعلمي بيروت، المعارف، ابن قتيبة ص ٢٨٣.

(٢) أسد الغابة ٤١٣/٢، تهذيب ابن عساكر، البداية والنهاية ١٣٧/١٠، العقد الفريد ٦١٨/٦، ٥/٥، وله محاورة جيدة مع ملك فارس أنوشروان ٣٨٧/٦.

(٣) العقد الفريد، ابن عبد ربه الأندلسي ٢٥٠/٤، طبقات ابن سعد ١٩٨/٣، مروج الذهب، المسعودي ٣٠١/٢.

(٤) دلائل النبوة، البيهقي ٣٣٤/٣.

(٥) مختصر تاريخ ابن عساكر ٢٤/٢٤.

(٦) تاريخ الطبري ٤٤٢/٢، ٤٤٣، تاريخ ابن الوردي ١٣٠/١.

السياسية أن يدفنه عمر في نفس ليلة وفاته (الثلاثاء) قبل أن يصبح الناس^(١) فلم يشاركوا في مراسم دفنه!

والثمير للشكوك ان عثمان بن عفان المدعي لكتابة وصية أبي بكر ولوحده! هو نفسه الذي اذاع الوصية على الناس. ولو وصل غير عثمان إلى الخلافة بعد عمر، لتبخرت شكوك الناس، فكيف تكون الحالة بوصول عثمان إلى السلطة بعد عمر بن الخطاب وبأمر منه! والذي يزيد الأمر ريباً ما قاله عثمان أمام الناس عند قراءته وصية أبي بكر: «هذا عهد أبي بكر، فإن تقرأوا به نقرأه، وإن تنكروه نرجمه!»^(٢) وهذا شاهد على عدم تصديق الناس لوصية أبي بكر المكتوبة بخط عثمان ودون شاهد.

ولو لاحظنا هذه الأمور وجمعناها مع حالة العداء والخصام بين أبي بكر وعمر، ورغبة أبي بكر في عزله عن الخلافة، تكون القضية واضحة أكثر، إذ قال أبو بكر: الخيرة له (عمر) الا يلي من أموركم شيئاً^(٣).

مقتل أصحاب أبي بكر

لقد كانت مجموعة أبي بكر وعمر التي ساعدتها في أحداث السقيفة وما بعدها كثيرة العدد. ومن الطبيعي انقسام تلك المجموعة إلى فئتين من حيث انسجامهما مع أبي بكر وعمر. فكانت مجموعة أبي بكر تتمثل في خالد بن الوليد وأبي عبيدة بن الجراح وعتاب بن أسيد والمثنى بن حارثة الشيباني ومعاذ بن جبل وبلال (مولى أبي بكر سابقاً)، وانس بن مالك، وشرحبيل بن حسنة.

(١) تاريخ الطبري ٦٢٢/٣، تاريخ أبي زرعة الدمشقي ٣٤، تاريخ أبي الفداء ٢٢٢/١.

(٢) العقد الفريد، ابن عبد ربه ٢٥٣/٤.

(٣) تاريخ الطبري ٦١٨/٢.

وقد ثبت سوء العلاقة بين هؤلاء وعمر بن الخطاب . وثبت ان ابا بكر وصاحبه عتاب بن أسيد قد أكلوا الطعام المسموم فماتا . وقد حاول الخطب الأموي تغيير بعض الحقائق عن تلك الحادثة البشعة في سم هؤلاء الثلاثة فذكروا بان عتاب بن أسيد عاش إلى سنة اثنتين وعشرين . ولكن ابن حجر العسقلاني رد ذلك قائلاً: إن محمد بن إسماعيل من رواة تلك الرواية وهو ابن حذافة السهمي ، وقد ضعفوا روايته^(١) . والظاهر أن قتلة أبي بكر قد استغلوا فرصة وجود عتاب بن أسيد عند أبي بكر في المدينة فقتلوهما معاً . وقد طالب عمر بقتل خالد في أحداث قتله لمالك بن نويرة وأصحابه وزناه بزوجه ، فلم يوافق أبو بكر بالرغم من فضاة عمل خالد ، وأول عمل لعمر بعد وصوله إلى السلطة ، تمثل في عزل خالد بن الوليد . ثم قتله في حمص في سنة ٢١ هجرية^(٢) وكان خالد الد أعداء عمر وصاحب أكبر جيش في العراق . والقائد العسكري الثاني في العراق كان شرحبيل بن حسنة الذي هاجر إلى الحبشة ، وكان من السابقين إلى الإسلام ومن قادة فتح العراق . وكان أبو بكر قد عيَّنه قائداً للجند من جند العراق واعتمد عليه . لكن عمر ابن الخطاب (وعند قدومه إلى الجبابة) نزع شرحبيل بن حسنة ، وأمر جنده أن يتفرقوا على الأمراء الثلاثة . فقال له شرحبيل بن حسنة : يا أمير المؤمنين ، أعجزت أم خنت ؟ قال : لم تعجز ولم تخن . قال : فلم عزلتني ؟ قال : تخرجت أن أؤمرك وأنا أجد أكفأ منك . قال : فاعذري يا أمير المؤمنين في الناس . قال : سأفعل ، ولو علمت غير ذلك لم أفعل ، فقام عمر فعذره^(٣) . ولم يكن شرحبيل كذلك إذ كان قد افتتح الأردن كلها عنوة ما خلا طبرية فإن أهلها صالحوه^(٤) . فكان من

(١) الإصابة ، ابن حجر ٤٥١/٢ .

(٢) راجع باب نظرية أبي بكر وعمر في شروط الولاية وإداراتهم ، ترجمة خالد .

(٣) مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ٢٩٠/١٠ . ذكر ذلك ابن شهاب الزهري .

(٤) المصدر السابق .

السابقين ومن المجاهدين ومن القادة المدبرين ورغم ذلك نَحَاهُ عمر عن المسؤولية. ولما عيَّن عمر بن العاص مكانه قال شرحبيل: كذب عمرو بن العاص صحبت رسول الله ﷺ وعمرو أضل من جمل أهله^(١). ثم عَزَلَ عمر القائد الثالث لجند العراق المحسوب على خط أبي بكر الا وهو المثنى بن حارثة الشيباني. إذ عزله عمر وولَّى أبا عبيد الثقفي بدلاً عنه^(٢). وقد قُتِلَ هؤلاء القادة المشهورون في خلافة عمر بن الخطاب. إذ جرح المثنى في معركة الجسر مع الفرس ثم مات بعد ذلك. ولجأ خالد بن الوليد وشرحبيل بن حسنة إلى أبي عبيدة بن الجراح وإلى الشام وهناك كان معاذ بن جبل وبلال فكانت مجموعة منسجمة ضد عمر، فنصَّب عمر معاوية رئيساً على ابن الجراح^(٣) ثم مات ابن الجراح ومعاذ وشرحبيل وبلال في وقت واحد! وادَّعت الدولة بأن بلالاً ومجموعته قد قُتِلُوا بدعاء عمر عليهم، ثم مات خالد في سنة ٢١ هجرية في ظروف مشكوكة. وعزل عمر أنس بن مالك وإلى أبي بكر على البحرين^(٤)، وعيَّن أبا هريرة بدلاً عنه وبقي أنس موالياً لأبي بكر. ولم يمش أبو قحافة بعد أبي بكر الا ستة أشهر وأياماً، وتوفي في المحرم سنة أربع عشرة بمكة^(٥) وتعتبر عائلة أبي بكر من المعمرين في السن فلمولا قتلهم لأبي بكر لعاش أكثر، ولكنهم قتلوه وقتلوا أولاده! ومجموع تلك الأحداث يثبت بأن عزل وقتل هؤلاء قد تمَّ بواسطة جهة واحدة وبأمر واحد، ومن قبل طرف مستفيد من تلك الحالة.

(١) مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ٢٩٠/١٠. تهذيب الكمال ١٨٨/٢.

(٢) أسد الغابة، ابن الأثير ٥/٦٠٠، الإصابة ٣٦١/٣.

(٣) تاريخ الطبري ١٦٥/٣.

(٤) مختصر تاريخ ابن عساكر ٧٣/٥، تاريخ الإسلام، الذهبي، عهد الخلفاء الراشدين ١٢١، تاريخ

خليفة ١٢٣.

(٥) تاريخ الطبري ٢١٧/٢. مرآة الياضي ١٤٠/١.

لماذا دفن أبو بكر ليلاً؟

بعد مقتل أبي بكر وصاحبه بالسم ، دفن أبو بكر ليلاً . إذ جاء : وكانت وفاته ليلة الثلاثاء ، ودفنه في ليلة الثلاثاء قبل أن يصبح الناس ^(١) . وتسببت عملية دفن أبي بكر السريعة ليلاً وفي ذات ليلة وفاته عدم تمكن المسلمين من حضور مراسم دفنه ، وإلقاء النظرة الأخيرة على جثمانه ، ورؤية صورته ! إن السرعة المخارقة في دفن أبي بكر والاستفادة من ستار الليل ونوم الناس يثبت بأن عملية قتل أبي بكر وصاحبه كانت سياسية ومن قبل رجال متنفذين في السلطة ، ولو كان اليهود قتلوه لما خافت الدولة من ذلك .

لماذا منع مجلس النياحة على وفاة أبي بكر ؟

بعد موت أبي بكر بالسم أقامت عائشة وأم فروة ابنة أبي قحافة مجلس عزاء لوفاته ، فهجم عمر على ذلك المجلس ، وادخله الرجال دون إذن ، وضرب أم فروة بدُرَّتِه ، متسبباً في افساد ذلك المجلس ^(٢) . فكانت الحوادث كالاتي : قتله بالسم وقتل وعزل اصحابه وقتل طبيبه ودفنه ليلاً ومنع مجلس النياحة عليه .

طبيعة العلاقة بين عائلة أبي بكر وبين عمر وعثمان

لقد ساءت العلاقة بين عائلة أبي بكر من جهة وعمر وعثمان من جهة أخرى

(١) تاريخ أبي زرعة الدمشقي ٣٤ ، تاريخ أبي الفداء ٢٢٢/١ ، تاريخ الطبري ٦٢٢/٢ .

(٢) تاريخ الطبري ج ٤ / حوادث سنة ١٣ ، الكامل في التاريخ ، ابن الأثير ٢٠٤/٢ ، كنز العمال ١١٨/١٨ ، كتاب الموت .

بعد حادثة مقتل أبي بكر . فتدهورت العلاقة بين عبد الرحمن بن أبي بكر معها ، فوصفه عمر بدويبة سوء^(١) ، ولم يستخدماه في جهاز الدولة . ولم يلب عمر وعثمان حاجاته . ثم ضرب عمر أم فروة بشدة بدرته ! ورفضت أم كلثوم بنت أبي بكر الزواج من عمر بن الخطاب في خلافته ، ثم تزوجت بطلحة بن عبيد الله^(٢) وثار عبد الرحمن وعائشة ومحمد (أبناء أبي بكر) وطلحة (ابن عمه) على عثمان وقتلوه . وتزوج عمر مع زوجة عبد الله بن أبي بكر السابقة دون موافقتها . والشئ العجيب في الأمر علاقة عائشة الجيدة مع عمر فقط !

وقد ساعد عمر عائشة بما لم تحصل عليه في زمن أبيها إذ فضلها في العطاء على المسلمين والمسلمات واعطاها مقام الفتوى . لكن بعدما مات عمر بن الخطاب ساءت العلاقة بين عائشة وحفصة واستمرت القطيعة إلى أن ماتت حفصة^(٣) .

وذكرنا في المواضيع السابقة تدهور العلاقة بين أبي بكر وعمر ، وبيان عمر لاسبابها وعلى رأسها اعتقاد عمر بتقدم أبي بكر عليه حيفاً وظلمه له ، إذ قال لابنه عبد الله : أفي غفلة أنت من تقدم أحيمق بني تيم علي وظلمه لي^(٤) .

وقال أيضاً : والهاء على ضئيل بني تيم لقد تقدمني ظالماً ، وخرج إلي منها آثماً^(٥) . لقد بين عمر مطالبته أبا بكر بالاستقالة من منصبه لصالحه ، فقال أبو بكر له : انها صائرة إليك بعد أيام^(٦) . وعندما أعلن أبو بكر عن وصيته اللفظية لعمر

(١) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ٢٩/٢ .

(٢) تاريخ الطبري ١٧/٥ ، الكامل في التاريخ ٥٤/٣ ، المعارف ، ابن قتيبة ١٧٥ ، طبقات ابن سعد

٤٦٢/٨ .

(٣) المعارف ، ابن قتيبة ٥٥٠ .

(٤) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ٢٩/٢ .

(٥) المصدر السابق ٣١/٢ - ٣٤ .

(٦) المصدر السابق .

احتج بعض الأصحاب على هذه الوصية لما يتصف به عمر من شدة .
ولكن عمر لم يكتف بهذه الوصية بل طالب باستعفاء أبي بكر عن منصبه
قائلاً: فظننت أنه لا يأتي عليه جمعة ، حتى يردها علي فتغافل ، والله ما ذكرني بعد
ذلك حرفاً حتى هلك . وقال عمر أيضاً: لقد مدّ (أبو بكر) في أمدها ، عاضاً على
نواجذه إلى أن حضره الموت ، وأيس منها^(١) . ولم يحكم أبو بكر مدة طويلة ولكن
عمر نفذ صبره ، والظاهر أن الأمويين قد خالفوا من طول مدة حكم أبي بكر وموت
عثمان بن عفان قبل وصوله إلى السلطة ، مما يعني ضياع حق الأمويين في الخلافة ،
لأن من بقي منهم كان من الطلقاء . فالسابقون إلى الإسلام من الأمويين كانوا خالد
وابان ابنا سعيد بن العاص وعثمان بن عفان وأبو حذيفة بن عتبة الذي قُتل سابقاً .
وكان خالد وابان من المخالفين للحزب القرشي وبيت أبي سفيان ، ومن المناصرين
لخلافة علي بن أبي طالب عليه السلام ، وقد استشهدا في معركة اجنادين . وبداية القطيعة
بين عائشة وبني أمية في زمن معاوية قد بدأت بقتل معاوية وابن العاص لمحمد بن
أبي بكر ، فاخذت تدعوا عليهما في قنوتها دبر صلاتها^(٢) . وارضاهما معاوية بعطاياه
الكثيرة مثلما فعل عمر معها ثم اسخطها بقتله عبد الرحمن بن أبي بكر ولما ثارت
على الأمويين قتلها معاوية في نفس سنة قتله لأخيها .

مَنْ قَتَلَ طَبِيبَ أَبِي بَكْرٍ ؟

تستخدم الحكومات الوسائل المختلفة لتحقيق أهدافها واخفاء اعيالها ،
ويعتبر الطبيب أفضل وسيلة لقتل الضحايا دون ريبة . ومن جهة أخرى يعتبر

(١) المصدر السابق .

(٢) تاريخ الطبري ١٠٥/٥ ، حوادث سنة ٣٨ هـ ، والكمال في التاريخ لابن الأثير ٤١٣/٢ ، حوادث سنة

٣٨ هـ ، والبداية والنهاية ، ابن كثير ٣٤٩/٧ ، وشرح نهج البلاغة ٨٨/٦ خطبة ٦٧ .

الطبيب أفضل شاهد لكشف الجرائم ، لذا يتعرض الأطباء للقتل من قبل أولياء الضحايا والحكومات ! فقد قتل أولياء عبد الرحمن بن خالد بن الوليد الطبيب ابن أثال النصراني لانه قتل عبد الرحمن بأمر معاوية^(١).

وقتل السلطان عبد الحميد العثماني جمال الدين الافغاني بواسطة طبيب ارسله له ، وكشف طبيب نصراني للناس مقتل الإمام موسى بن جعفر عليه السلام ، عندما شاهد صورته ميتاً في زمن هارون الرشيد . وبعدما أكل أبو بكر سمّاً ومرض عرضوه على طبيب العرب الشهير الحارث بن كلدة ، إذا سألوا أبا بكر : « لو ارسلت الى الطبيب فقال (ابو بكر) : قدر آني ، قالوا : فما قال لك ؟ قال : إني افعل ما اشاء » وقال ابن كلدة لابي بكر : « أكلت طعاماً مسموماً سمّ سنة » . وبعد شهادة الطبيب ابن كلدة بذلك سقوه سمّاً ايضاً فكف ومات^(٢) ثم دفنت الدولة أبا بكر ليلاً قبل أن يصبح الناس وكتبت وصيته بخط عثمان . وكان الطبيب قد قال عن الإمام الحسن عليه السلام قبل موته : « هذا رجل قد قطع السم امعاءه »^(٣).

مَنْ دَنَعَ أَبَا لَوْلُؤَةَ لِقَتْلِ عَمْرِ؟ ظَلَمَ الْمَغِيرَةَ أَمْ الْأُمَوِيُّونَ أَمْ الْيَهُودُ ؟

لقد جاء في الحديث الشريف : لا يموت ابن آدم حتى يرى مقعده في الجنة أو النار .

عندما قتل عمر كانت الدولة الإسلامية قوية وواسعة الأطراف . ولم يرغب

(١) اسد الغابة ٤٤٠/٣ ، الاستيعاب ص ٨٣٠ ، نسب قريش ص ٣٢٧ .

(٢) العقد الفرید ٢٩٢/٦ ، تاريخ الطبري ٦١١/٢ ، المعارف ، ابن قتيبة ص ٢٨٣ ، اسد الغابة ، ابن حجر ٤١٣/٢ ، الهداية والنهاية ١٣٧/١٠ .

(٣) تاريخ دمشق ٥٩/١٢ ترجمة الإمام الحسن عليه السلام .

في أيام حكومته عمر بدخول العلوج إلى المدينة إذ أخرج ابن سعد عن ابن شهاب أنه قال : كان عمر لا يأذن لسيي قد احتلم في دخول المدينة ، حتى كتب المغيرة بن شعبة وهو على الكوفة يذكر له غلاماً عنده صنّعا ، ويستأذنه أن يدخله المدينة ، ويقول : إنَّ عنده أعمالاً كثيرة فيها منافع للناس . إنّه : حداد ، نقاش ، نجار . فكتب إليه عمر فأذن له أن يرسل به إلى المدينة . وضرب عليه المغيرة مائة درهم فجاء إلى عمر يشتكي إليه شدة الخراج .

فقال له عمر : ماذا تحسن من العمل ؟ فذكر له الأعمال التي يحسن .

فقال له عمر : ما خراجك بكثير من كنه عملك . فانصرف ساخطاً يتذمّر ، فلبث عمر ليالي . ثم إنَّ العبد مرّ به فدعاه فقال له : ألم أحدث أنّك تقول : لو أشاء لصنعت رحنى تطحن بالريح . فالتفت العبد ساخطاً ، عابساً على عمر ، ومع عمر رهط فقال : لأصنعنّ لك رحنى يتحدث بها الناس . فلما ولى العبد أقبل عمر على الرهط الذين معه فقال لهم : أوعدي العبد أنفاً .

فلبث ليالي ، ثم اشتمل أبو لؤلؤة على خنجر ذي رأسين . نصابه في وسطه فكمن في زاوية من زوايا المسجد في غلس السحر فلم يزل هناك حتى خرج عمر ، يوقظ الناس للصلاة ، صلاة الفجر . وكان عمر يفعل ذلك ، فلما دنا منه عمر وثب عليه فطعنه ثلاث طعنات إحداها في سترته ، قد خرقت الصفاق ، وهي التي قتلته . ثم انحاز أيضاً على أهل المسجد ، فطعن من يليه حتى طعن سوى عمر اثني عشر رجلاً ثم انتحر بخنجره^(١) .

فقال عمر حين أدركه النزف وانقصف الناس عليه : قولوا لعبد الرحمن بن عوف فليصل بالناس . ثم غلب على عمر النزف حتى غشي عليه .

وفي رواية لابن الأثير : بعدما ضرب عمر قال : يا ابن عباس أنظر من

(١) مروج الذهب ، المسعودي ٢٢٠/٢ .

قتلني . فجال ساعة ثم جاء المسجد فقال : غلام المغيرة بن شعبة .
 قال : الصنع ؟ قال : نعم . قال : قاتله الله ! لقد أمرت به معروفاً ، الحمد لله
 الذي لم يجعل منيتي بيد رجل يدعي الإسلام . وكان أبو لؤلؤة عبداً للمغيرة بن
 شعبة وكان يصنع الأرحاء . وكان المغيرة يستغله كل يوم أربعة دراهم ، فلقى أبو
 لؤلؤة عمر فقال : يا أمير المؤمنين إن المغيرة قد أثقل عليّ غلتي فكلّمه يخفّف عني .
 فقال له عمر : إتق الله وأحسن إلى مولاك .
 وقيل : إن عمر قال لأبي لؤلؤة : ألا تصنع لنا رحاً ؟
 قال : بلى أصنع لك رحاً يتحدث بها أهل الأمصار ^(١) .
 وقد ذكر أحدهم أن أبا لؤلؤة نصراني وذكر آخرون أنه مسلم . والظاهر أن
 العبيد المسلمين قد كثروا في المدينة كما قال عمر .

عمر ضحية دعمه اللامحدود للمغيرة

شعر أبو لؤلؤة بظلم المغيرة بن شعبة له ، بحيث إنه شكّا حاله لأعلى سلطة
 سياسية في الدولة وهو عمر .
 والظاهر أن ظلم المغيرة لعبه قد بلغ أقصاه ، ولما قال عمر لأبي لؤلؤة : إتق
 الله وأحسن إلى مولاك ، طار صواب هذا العبد ، وفقد السيطرة على نفسه ، وبدل
 الانتقام من المغيرة انتقم من عمر بن الخطاب !
 والملاحظ أن عمر لم يعاقب المغيرة في مواضع : الأول يوم شكّا أهل
 البحرين ، فنقله إلى ولاية أكبر وهي البصرة ، والثاني يوم ثبت عنده زناه بأربعة
 شهود من البصرة ، فنقله إلى ولاية أكبر والموضع الثالث يوم تظلم إليه أبو لؤلؤة .
 وقد ذكر أن عمر بن الخطاب قد نوى التكلم مع المغيرة في قضية شكوى أبي

(١) أسد الغابة ١٧٨/٤ ، مروج الذهب ، المسعودي ٣٢٠/٢ ، تاريخ الطبري ٢٦٣/٢ .

لؤلؤة .. ولا دليل على ذلك .

وأبو لؤلؤة لم يعلم بهذه النية اذ لم يسمعها من عمر ولا من غيره وسمع بدلاً من ذلك صدأ لشكواه بوجوب طاعة المغيرة ، وتقوى الله تعالى . اضافة الى ذلك ان عمر لو قصد أخذ الحق لأبي لؤلؤة من المغيرة لأقدم على ذلك دون تردد ولأرسل إليه أو أمره بذلك . وكان البعض من الصحابة يحبون أصحابهم الى درجة كبيرة تهون معها شكوى البعض ضدهم ، مثلما فعل عثمان مع مروان . واذا كانت هذه الأطروحة التي طرحتها صحيحة ، يكون المغيرة هو المتسبب في قتل عمر ، مثلما تسبب مروان في قتل عثمان .

وعلمية ابن عمر ضد الهرمزان كانت ردّة فعل طائشة دون دليل شملت صبيّة أبي لؤلؤة ! وزوجته وجفينة .

واثبتت كتب السيرة أن شدة عمر قد تسببت في ردّة فعل مضادة في المدينة ، إذ كانت فيه شدة تخالف سيرة أبي بكر^(١) .

كما ان قتل الخلفاء في ذلك الوقت لا يحتاج إلى مؤامرات كبيرة تدعمها مؤسسات ، إذ كان الخلفاء يتجولون بلا حرس خاص ، فسهل على أبي لؤلؤة قتل عمر ، وسهل على ابن ملجم الخارجي قتل الإمام علي عليه السلام .

أقول : إن المغيرة كان حالة مشؤومة تسبب في سخط الناس عليه في البحرين والبصرة والكوفة . وكان قد فرّ من قومه لغدره بهم ، فدخل في الإسلام لاجئاً ، ثم تسبب في بداية اسلامه بقتل مسلم وختم سيرته باقتراحه خلافة يزيد للمسلمين !

ولا أدري لماذا قبل عمر بهؤلاء يحيطون به وهم : المغيرة ، معاوية ، ابن

(١) طبقات ابن سعد ٦٠/٥ ، عمدة القارئ ١٤٣/٧ ، صحيح مسلم ٣١٠/١ ، مسند أحمد ١٠٢/٤ ، سيرة

عمر بن الخطاب ، ابن الجوزي ص ١٧٤ ، كنز العمال ٣٣٤/٤ . سليم بن قيس ص ١٠٩

العاص، كعب، أبو هريرة، تميم، عبدالله بن أبي ربيعة، وهو المتفرس في معرفة الرجال؟ وخلفيتهم الفاسدة وحاضرهم المرشاهد على ذلك!

فقد رفض عمر ترشيح ابنه عبد الله للخلافة لضعفه، وأندر عثمان بمقتله، وعرف معاوية بكسرويته، وشخص علياً عليه السلام بعدالته، ووصف الزبير بكافر الغضب. وقد قيل: قل لي من صديقك أقل لك من أنت.

وعمر شخص من الأشخاص قد يخطئ وقد يصيب. لقد نجح طلقاء مكة في إيصال رجال من أمثال الوليد وسعيد بن العاص وابن أبي ربيعة ومعاوية ويزيد إلى السلطة.

أما عن الأحاديث التي ذكرها كعب الأحبار حول شهادة عمر القرية، فقد ذكرها في العصر الأموي ليثبت بها صحة التوراة المزيفة وأخباره بالغيب، إذ قال: «ما من شيء إلا هو مكتوب في التوراة»؟^(١).

والأ كيف يقول كعب لعمر: إنك ميّت في ثلاث بعد قول أبي لؤلؤة له... ولو صَحَّ هذا القول لثبتت التهمة على كعب وقُتِل لأجلها. وليس من المنطقي أن يندّر القاتل مقتوله ليثير الشكوك حول نفسه، بل إنه يحاول صرف التهمة عن نفسه.

عليه تكون أقوال كعب قد وضعت في زمن معاوية لتثبت صحة التوراة، ومعرفة كعب بعلم الغيب، فتكون أساساً لقبول أحاديث كعب الكثيرة التي دسّها في الشريعة الإسلامية والسيرة النبوية؟!

وهذا الأمر أن أثبت شيئاً فهو يثبت قهراً دهاء كعب الأحبار، الذي مكّنه من الحصول على كرسي المشاورة لعمر وعثمان ومعاوية. ومكّنه من أن يكون مرجعاً دينياً يأخذ منه أبو هريرة وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو وغيرهم، وقد بلغ

(١) أضواء على السنة المحمدية، أبو رية ١٦٥.

كذب كعب حداً أن أفصح عنه معاوية قائلاً: إِنَّا كُنَّا لَنُبْلِوْا عَلَيْهِ الْكَذْبَ^(١).

وقد يعجب المرء من حصول ابن العاص ومعاوية وكعب والمغيرة ومروان وابن سرح، والوليد على مناصب خطيرة في الحكومات الإسلامية على حساب المتقين القديرين السابقين من العلماء والشجعان المشاركين في معارك بدر وأحد وخيبر وحنين.

السري يمكن في توجه هؤلاء بدهائهم الشيطاني لقبض زمام الأمور دون تقوى ولا تردد في ارتكاب أي منكر مطلوب، وإذا ضعفت التقوى وتقلص الوعي السياسي والاتحاد الشعبي تنهياً الأوضاع لوصول الفجرة المكرة.

وقد كان عبدالله بن العباس ذاهية مع تقوى، ونسب هاشمي لكن عمر بعده. وذكر محمود أبو ريّة أن لكعب والهرمان يداً في مقتل عمر بن الخطاب قائلاً:

ذكر المسور بن مخرمة أن عمر لما انصرف إلى منزله بعد أن أوعده أبو لؤلؤة جاء كعب الأحبار فقال: يا أمير المؤمنين اعهد فإنك ميت في ثلاث ليال... (رواية الطبري ثلاثة أيام) قال: وما يدريك؟ قال: اللهم لا، ولكن أجد حليتك وصدقتك وأنت قد فني أجلك، قال ذلك وعمر لا يحس وجعاً، فلما كان الغد جاءه كعب فقال: بقي يومان، فلما كان الغد جاءه كعب فقال: مضي يومان وبقي يوم، وهي لك إلى صبيحتها. فلما أصبح خرج عمر إلى الصلاة، وكان يوكل بالصفوف رجالاً فإذا استوت كبراً، ودخل أبو لؤلؤة في الناس ويده خنجر له رأسان نصابه في وسطه، فضرب عمر ست ضربات إحداهن تحت سرتة وهي التي قتلتة (وكان أبو لؤلؤة من سبي نهاوند)^(٢).

(١) تفسير ابن كثير ١٠١/٣.

(٢) تاريخ ابن الأثير ٢٤/٣، تاريخ الطبري ج ٥.

وجاء أبو ريثه بأدلة أخرى: وقال كعب لعمر: كان في بني إسرائيل ملك إذا ذكرناه ذكرنا عمر وإذا ذكرنا عمر ذكرناه، وكان إلى جنبه نبي يوحى إليه فأوحى الله إلى النبي ﷺ أن يقول له: إعهد عهدك واكتب إلي وصيتك، فإنك ميت إلى ثلاثة أيام فأخبره النبي بذلك... فلما كان اليوم الثالث وقع بين الجدار والسرير ثم جاء إلى ربه فقال: اللهم إن كنت تعلم أنني كنت أعدل في الحكم وإذا اختلفت الأمور أثبتت هداك فزد في عمري حتى يكبر طفلي، وتربوا أمتي، فأوحى الله إلى النبي ﷺ أنه قال كذا وكذا، وقد صدق وقد زدته في عمره خمس عشرة سنة، ففي ذلك ما يكبر طفله وتربوا أمته، فلما طعن عمر قال كعب: لان سأل عمر ربه ليبقيته الله، فآخبر بذلك عمر فقال: اللهم اقبضني إليك غير عاجز ولا ملوم^(١).

وأضاف أبو ريثه: قد صدقت يمينه (كعب) فقد قُتل عمر يوم الأربعاء لأربع ليال بقين من ذي الحجة سنة ٢٣ هـ ودفن يوم الأحد هلال المحرم سنة ٢٤ هـ. وقد رأى عبد الرحمن بن أبي بكر الهرمزان مع أبي لؤلؤة في مساء ليلة مقتل عمر بن الخطاب، ولأجل ذلك إعتد على هذا الظن الذي لا يغني عن الحق شيئاً، فأقدم عبد الله على قتل الهرمزان وابنة أبي لؤلؤة وزوجته وجفينة دون ذنب ولا دليل.

وعفا عثمان عنه وطالب الإمام علي عليه السلام يقتل بهؤلاء، ولاحق لعثمان بالعفو عنه، وطالب بذلك الشاعر زياد بن لبيد الذي قال:

ألا يا عبيد الله مالك مهرب	ولا ملجأ من ابن أروى ولا خفر
أصبت دماً والله في غير حله	حراماً وقتل الهرمزان له خطر
على غير شيء غير أن قال قائل	أنتهمون الهرمزان على عمر

فشكا عبيد الله بن عمر إلى عثمان زياد بن لبيد وشعره، فدعا عثمان زياد بن

لبيد ونهاه فأنشأ زياد :

أبا عمرو عبيد الله رهن فلا تشكك بقتل الهرمزان
فإنك إن غفرت الجرم عنه واسباب المخطأ فربسا رهان
أتعفو إن عفوت بغير حق فما لك بالذي تحكي يدان^(١)

والحقيقة ان وعود كعب لعمر بالقتل قد ذكرت في الزمن الأموي لاثبات صحة أقوال كعب وسعة علومه الغيبية اليهودية لاتباعه الناس ويتبعوا أحاديثه ونهجه . ولا يوجد دليل جانبي يثبت أقوال كعب مثل حذر عمر وأصحابه وأهله من تحذيرات كعب في زمن الحادثة وقبلها وبعدها .

والنتيجة ان كعباً لم يخبر عمر بموته القريب . وهناك تهمة تحوم حول الأمويين بقتل عمر بن الخطاب ؛ فهم المستفيدون من قتله .

والمستفيد من القتل يكون باحتمال أقوى هو القاتل ، إن لم يثبت خلاف ذلك .
فبنو أمية كانوا يعلمون بخلافة عثمان لعمر ، فهو الوزير الأول للخليفة ، ولقد صرح عمر بخلافته له قبل جرحه من قبل أبي لؤلؤة .

ذلك أن سعيداً بن العاص قد جاء الى عمر يطلب أرضاً فوعده عمر ذلك بعد وصول خليفته عثمان الى السلطة . فمن الطبيعي ان يرتقب الأمويون موت عمر ويتمنوه ليخلفه عثمان .

وعن اقرع مؤذن عمر قال : بعثني عمر عليه السلام الى الأسقف فدعوته فجعلت أظللها من الشمس ، فقال عمر عليه السلام : يا اسقف هل تجبنا في الكتب ؟ قال : نعم . قال : فكيف تجبني ؟ قال : أجذك قرناً .

قال : فرفع عليه الدرة وقال : وعلى قرني مة ؟ قال : قرناً من حديد أميناً شديداً .

قال : كيف تجدد الذي بعدي ؟

قال : خليفة صالحاً غير أنه يؤثر قرابته .

قال : يرحم الله عثمان ، يرحم الله عثمان - ثلاثاً^(١) .

فعمر يعرف في قرارة نفسه دون تردد أن عثمان خليفة لا غيره ويعرف بذلك كعب وذلك الأسقف النصراني وكل خواص عمر .

وكان الأمويون متنفذون في الدولة والكثير من الناس يحاول ان يكسب الدنيا من خلاهم ، فعثمان الوزير الأول ومعاوية الوالي الأول ، وأبو سفيان على علاقة جيدة مع الخليفة .

ولقد وجدنا لاحقاً أن الأمويين لا يتورعون عن فعل أي شيء في سبيل أهدافهم ورغباتهم ، فقد قتلوا حليفهم ووصي عثمان ابن عوف ، ووزير عمر محمد ابن مسلمة ، وأبا ذر ، ومحمد بن حذيفة ، ومالك الأشتر ، وحجر بن عدي بصور مختلفة .

اذن ليس من المستبعد ان يفكروا في قتل عمر ، وذلك بتحريض الناس في هذا الاتجاه .

والأمويون على علاقة وطيدة مع المغيرة بن شعبة وكعب الأحبار ، والاثنان مناصران لحكم بني أمية ولمعاوية بالخصوص ، ومن خواص عمر .

وقد يكون الأمويون قد محوكل دليل تركوه في هذا الطريق ، بقتلهم محمد بن مسلمة حافظ سر عمر ، مثلما كان حذيفة حافظ سر النبي ﷺ .

وقتلوا وزير عمر الثاني عبد الرحمن بن عوف ، وقد يكون ابن عوف على علم بأسرار خطيرة أوجبت على الأمويين قتله في زمن عثمان . وإلا فان الأمويين لا يخافون منه على النظام . فلم يكن عنده ما يهدد به الدولة ، بعدما أبعد عثمان عن

(١) تاريخ المدينة المنورة ، عمر بن شعبة ٧٩/٣ - ١٠

الخلافة وأبطل وصيته له .

وفي حوادث القتل كثيراً ما يُقتل أصحاب الأسرار والمعرفة بعد الحوادث مباشرة ، وهذا ما وقع لابن عوف ، ولابن مسلمة .

وقد يكون سكوت ابن عوف عن اعمال عثمان اولاً نابعاً من رضاه بخلافه عثمان لأنه وصيه ، ولماً أبطل الأمويون خلافته هاج وماج عليهم فقتلوه مباشرة بعد خلعهم .

وقد يكون الأمويون قد قتلوا عمر بصورة غير مباشرة عبر دفع أبي لؤلؤة الى هذا الفعل . بأن بينوا له شدة عمر وكرهه للعجم وحبه للمغيرة وعدم رغبته في معاقبته . أو أنهم هياوا الأجواء العامة ، أو ساعدوا في اثاره الرأي الشعبي ضد عمر . خاصة وأن كثيراً من الناس قد ملّ حكومة عمر .

ومن الطبيعي جداً أن يشارك أبو سفيان ومروان وعثمان ومعاوية ، والحكم ابن أبي العاص والوليد بن عقبة وعبد الله بن أبي سرح وسعيد بن العاص وأم حبيبة بنت أبي سفيان في أي معارضة سرّية تطيح بعمر لياقي عثمان .

ومن الطبيعي ان يفرح كعب بوصول عثمان ومعاوية لأنه هو الذي نصح عمر بخلافة معاوية ، فأحد أهداف اليهود وصول بني أمية الى السلطة لتسود اليهودية والكفر على المنطقة .

اهتمام الحكومات بالأعداء يسهّل سقوطها بواسطة الأصدقاء

إذن فهمنا أن الخطأ الأكبر كان في اتفاق وتحالف عمر مع هؤلاء الذين لا يرحمون ، وتركه بني هاشم وقائدهم علياً عليه السلام بعيداً عن السلطة .

بل ان عمر كان يحذر جلساءه (كما ذكرنا) من اطلاع بني هاشم على أسرار

الدولة ! في حين أعطى أسرارها لكعب ومعاوية والمغيرة وابن العاص^(١) ويذكر أن عمر قد سهّل على بني أمية وكعب أن يعملوا بحرية كبيرة؛ لأنّ أهتمامه الكبير كان منصباً في مراقبة بني هاشم وأنصارهم وابعادهم عن السلطة. وهذا ما شجّع الأمويين أن يعملوا براحة بال واطمئنان ويدهم طويلاً في هذا المجال فمنهم الوزير الأول وولي العهد والوالي الأول. وكثيراً ما تسقط الحكومات في العالم بهذا الخطأ الفادح أي بواسطة حلفائها المقربين وليس بيد أعدائها المعروفين ؟! والأمثلة على ذلك كثيرة فقد حصرت عائلة أبي سفيان أهتمامها بالمعارضة ، فسيطرت على السلطة عائلة مروان بن الحكم ، وقتلت معاوية بن يزيد بن معاوية وخليفته الوليد بن عتبة بن أبي سفيان^(٢).

ولم يكف الأمويون بقتل منافسيهم لوصول السلطة إليهم ، بل ان معاوية سهّل على الثوار قتل عثمان الأموي لوصول السلطة إليه ، وقد اتهمه عبد الله بن أبي سرح بذلك^(٣). فلقد امتنع معاوية من ارسال المدد العسكري الى الخليفة المحاصر.. وبقي جيش معاوية معسكراً في وسط الطريق انتظاراً لمقتل عثمان !

نظرية الطبقيّة والقومية والشدة وأثرها في مصرع عمر

كان الحزب القرشي يعتقد بأفضلية قريش على العرب ، فاحتكر خلافة المسلمين لهم دون نص إلهي ، ويعتقد بأفضلية العرب على العجم ، فسار على ذلك عمر وعثمان ومعاوية. فلم يعاقب عثمان عبيد الله بن عمر لقتله أربعة من المسلمين العجم.

(١) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ٣١/٢ - ٣٤ ، المسترشد ، محمد بن جرير الطبري .

(٢) مروج الذهب ، المسعودي ٧٣/٣ . طبعة دار الهجرة .

(٣) مروج الذهب ، المسعودي ١٦/٣ ، تاريخ اليعقوبي ١٨٦/٢ .

وجاء ان أول من ردَّ شهادة المملوك هو عمر بن الخطاب، وذلك انه تقدم إليه مملوك في شهادة فقال: إن أقت الشهادة تخوفت على نفسي، وإن كتمتها أثمت بري. فقال عمر: هات شهادتك، أما إننا لا نجيز شهادة مملوك بعدك^(١).

وقد كان عمر يكره الهجى بأفراد الشعوب المفتوحة الى المدينة حتى المسلمين منهم فقال لابن عباس: لقد كنت أنت وأبوك تحبان ان تكثر العلوج بالمدينة، فقال ابن عباس: ان شئت فعلنا. فقال: أبعد ما تكلموا بكلامكم وصلوا بصلاتكم ونسكوا نسككم؟^(٢)

ولما قتل عبيد الله بن عمر الهرمزان وجفينة وابنة أبي لؤلؤة طالب البعض بقتله بهم: ذكر ابن سعد في طبقاته: «رأيت عبيد الله يومئذٍ وانه ليناصي عثمان، وأن عثمان ليقول: قاتلك الله قتلت رجلاً يصلي وصبية صغيرة وآخر من ذمة رسول الله ﷺ ما في الحق تركك. قال فعجبت لعثمان حين ولي كيف تركه^(٣).

وقد قال الإمام علي لعبيد الله بن عمر: ما ذنب بنت أبي لؤلؤة حين قتلتها؟ فكان رأي علي حين استشاره عثمان ورأي الأكاير من أصحاب رسول الله علي قتله، لكن عمرو بن العاص كلَّم عثمان حتى تركه.

وذكروا أنه لما قتل عبيد الله الهرمزان وجفينة امرأة أبي لؤلؤة وصبيته، أتاه سعد فأخذ كل واحد منها برأس صاحبه يتناصيان حتى حجز بينهما الناس... واطلمت الدنيا يومئذ على الناس، فعظم ذلك في صدور الناس، وأشفقوا ان تكون عقوبة حين قتل عبيد الله جفينة والهرمزان وابنة أبي لؤلؤة وزوجته.

وقد هرب عبيد الله بن عمر من المدينة بعد تولي الخلافة من قبل الإمام

(١) جامع المدارك ١٢٣/٦.

(٢) الطبقات، ابن سعد ٣/٣٣٨، اسد الغابة ١٧٦/٤.

(٣) الطبقات، ابن سعد ١٦/٥.

علي عليه السلام خوفاً من قتله بمن قتل فذهب الى الشام. إذ جاء في الاستيعاب: إن عبيد الله قتل الهرمزان بعد أن أسلم، وعفا عنه عثمان، فلما ولي علي خشي على نفسه فهرب إلى معاوية فقتل بصفين^(١).

وقد وافق عمر على مجيء أبي لؤلؤة الى المدينة لأمرين: أولاً اتقانه عدة صنائع، وثانياً طلب المغيرة ذلك، والمغيرة مقرب من عمر ولا يُرَدُّ طلبه!

فيمكن أن يقال: إن عمر أنقذ المغيرة من موت محقق (في قضية زناه بأم جميل)، والمغيرة أوقع عمر في موت محقق (في قضية أبي لؤلؤة)؟!
والحقيقة ان عمر بن الخطاب ذهب ضحية نظرية الطبقة والقومية والشدة، التي آمن بها وعمل لها، فلقد فضل قريشاً على العرب، وفضل العرب على العجم، وفضل الأحرار على العبيد^(٢). وفضل أفراد الحزب القرشي على غيرهم.
وبلغ سخطه على العبيد ان ضرب عجزاً جارية لأنها لبست ملابس امرأة حرة، وهذا ما لم يفعله النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر^(٣).

وترك القصاص في قضية عبادة بن الصامت والعبد النبطي^(٤).
لذا ترك عمر الأخذ بحق أبي لؤلؤة لأنه عبد وأعجمي، والمغيرة حر وعربي!
وبعد قتل عبيد الله بن عمر بنت أبي لؤلؤة وزوجته والهرمزان وجفينة (رجلاً أعجمياً) قال: لا أدع أعجمياً إلا قتلته!^(٥)

(١) الاستيعاب لابن عبد البر ١٠١٢/٣.

(٢) جامع المدارك ١٢٣/٦.

(٣) عبقريه عمر، العقاد ص ١٣.

(٤) تاريخ ابن عساكر ١١٥/٩.

(٥) المعارف، ابن قتيبة ص ١٨٧.

لماذا أوصى عمر بالولاية لسعد والأشعري وترك المغيرة وابن العاص؟

لقد أحبَّ عمر مجموعة ولاته الذين اصطفاهم من قریش فاعطاهم سرَّه، ورفعهم على باقي المسلمين ينهج نهجهم وينهجون نهجه. ورغم بقاء هؤلاء الولاة في الحكم طيلة مدَّة خلافة عمر إلا أنَّه أوصى ببعضهم بعد وفاته.

إذ طلب من الخليفة القادم (عثمان) تولية سعد بن أبي وقاص على الكوفة. وتعيين أبي موسى الأشعري والياً على البصرة^(١).

وكان السبب في عدم توصيته بتعيين عمر بن العاص والياً هو المشادة الحاصلة بينهما، والتي ذكرناها في موضوع نسب عمر، حين تنكَّر عمرو الجميل عمر عليه، وراح يفصح علماً في صدره من دفائن في نسب عمر^(٢).

أمَّا السبب في عدم وصية عمر للمغيرة بالولاية، وهو أمين سرَّه فيعود إلى حادثة أبي لؤلؤة. فقد أدرك عمر أنَّه قد فعل للمغيرة أكثر ممَّا يستحقه. فقد ولَّاه البحرين رغم عدم استحقاقه لهذا المنصب، ثمَّ ولَّاه البصرة بعد شكوى الناس منه في البحرين. ثمَّ أنقذه من حادثه زناه بأُمِّ جميل في البصرة، بالرغم من سماع الناس بذلك في البصرة والمدينة، ومحبي الشهود إلى المدينة. وبسبب استنكار أهالي البصرة لفعل المغيرة المنكر اضطرَّ عمر لنقله والياً على الكوفة، فيكون قد نقله مرَّتين: مرَّة من البحرين إلى البصرة، ومرَّة من البصرة إلى الكوفة، فلم يعزله ولم يعاقبه!

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٥٠/٩.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ١٠٢/٣.

ثم وافق عمر على طلب المغيرة بادخال أبي لؤلؤة الى عاصمة الخلافة ، رغم عدم رغبته في ذلك .

ثم لم يستمع عمر لشكوى أبي لؤلؤة ضد سيده المغيرة ، وقال له : أتق الله واحسن الى مولاك^(١) . وبسبب ذلك صمّم أبو لؤلؤة على الانتقام لنفسه ، ولكن ليس بقتل سيده المغيرة ، بل بقتل عمر المساند له الذي لم يستمع لشكواه وتذمره منه . والظاهر ان عمر قد ندم على دعمه اللامحدود للمغيرة وقد برز ندم عمر ذلك بوصيته بالولاية لسعد بن أبي وقاص ، وأبي موسى الأشعري ومعاوية وترك المغيرة في حين كان المغيرة أقرب الى عمر من سعد ، بدليل عزل عمر سعداً عن ولاية الكوفة لشكوى الناس منه وجعله جليساً في بيته ، في حين لم يفعل ذلك مع المغيرة رغم الشكاوى الكثيرة ضده .

ومن الأدلة تصريحه للمغيرة والأشعري بأسراره دون سعد وقد ذكرنا ذلك في باب علاقة عمر مع أبي بكر^(٢) .

وقد كان المغيرة عارفاً بالسبل الموصلة الى الزعماء ، مستخدماً كافة الطرق تحت عنوان الغاية تبرّر الوسيلة . فالمغيرة هو الذي شارك في كل أحداث السقيفة وما بعدها ، وهو الذي اقترح جذب العباس الى جنب الدولة لأضعاف علي^(٣) ، وهو الذي لقّب عمر بأمرير المؤمنين^(٤) . وهو الذي عرض خدماته على الإمام علي^(٥) فلم يهتم به . وعرض خدماته على معاوية فافلح في ذلك ؟ ! فكان داهية من داهة ذلك العصر . ولكن فعل أبي لؤلؤة قد بينّ لعمر أن الرجال من أمثال

(١) أسد الغابة ، ابن الأثير ١٧٨/٤ .

(٢) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ٣١/٢ - ٣٤ ، المسترشد ، محمد بن جرير الطبري ، كتاب الشافي ، المرتضى ص ٢٤١ ، ٢٤٤ .

(٣) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ٢٢٠/١ .

(٤) مختصر تاريخ ابن عساكر ٢٦٦/١٨ .

المغيرة قد يسببون له مشاكل عظيمة يكون ضحيتها ، وفعلاً حصل هذا .
فكانت المدة بين جرح عمر وموته كافية لأقناع عمر بأن أمثال المغيرة
شرهم أكثر من نفعهم ! وبالتالي اقناعه بهيطلان نظرية الفاسق القوي أفضل من
المؤمن الضعيف . واحب أن أقول بأن الكثير من زعماء العالم ذهبوا ضحية حبهم
للإ محدود لوزرائهم وأهلهم وخواصهم ، فبينما ذهب عمر ضحية المغيرة ، ذهب
عثمان ضحية حبه ودعمه لمروان وباقي أفراد بني أمية .
وظاهر الأمر ان ندم عمر المذكور قد أثر على عثمان أيضاً إذ أبعد المغيرة ولم
يستفد من خدماته المرأة والقاتلة .

أمنيات عمر قبل موته

قبل وفاة عمر أخذ يصريح بأمنيات غريبة تبين جزعة من الموت
والظاهر أن هذه الامنيات قد قالها بعد يأسه من الدنيا اثر طعنة أبي لؤلؤة . فلقد
بقي عمر ثلاثة أيام طريح فراش منتظراً الموت الذي لا بد منه بعد تصريح الطبيب
بذلك . وقال عبد الله بن عمار بن ربيعة رأيت عمر أخذ تبنة من الأرض فقال :
ليتني كنت هذه التبنة ، يا ليتني لم ألك شيئاً ، ليت أمي لم تلدني ^(١) .
وقال عمر : يا ليتني كنت كبش أهلي ، سمنوني ما يدا لهم ، حتى إذا كنت أسمن
زارهم بعض من يحبون ، فجعلوا بعضي شواء وبعضي قديداً (اللحم المجفف في
الشمس) ، ثم أكلوني فأخرجوني عذرة ، ولم ألك بشراً ^(٢) .
وقال أيضاً : والله لوددت أني كنت شجرة الى جانب الطريق ، مر عليّ جمل

(١) تاريخ الخلفاء ، السيوطي ١٢٩ .

(٢) حياة الصحابة للكاتبه لوي ٩٩/٢ ، كنز العمال ٣٦١/٤ ، ٣٦٥/٦ ، تاريخ الخلفاء ، السيوطي

فأخذني فادخلني فاه فلاكني، ثم أزدردني، ثم أخرجني بعراً، ولم أكُ بشراً^(١).
وقال عمر: ياليتني: ياليتني كنت كبش أهلي ستموني ما بدا لهم، حتى إذا
كنت كأسمن ما يكون، زارهم من يحبون، فذبحوني لهم فجعلوا بعضي شواء وبعضي
قديداً ثم أكلوني ولم اكن بشراً^(٢).

وقد وصلنا إعتذار أبي بكر عن الهجوم على بيت فاطمة عليها السلام قبل وفاته ولم
يصلنا إعتذار عمر عن ذلك.

وقد أعلن أبو بكر عن ندمه على فعل بعض الأحداث، ولم يعلن عمر
ذلك؛ اذ قال أبو بكر: والله ما أسي إلا على ثلاث فعلت ليتني كنت تركتهن،
وثلاث تركتهن ليتني فعلتهن، وثلاث ليتني سألت رسول الله عنهن فأما اللاتي
فعلتهن وليتني لم أفعلهن، فليتني تركت بيت علي وإن كان أعلن علي الحرب^(٣)...
وقال عمر بن الخطاب: لو اسقبلت من أمري ما استدبرت ما استعملت
أحداً من الطلقاء^(٤).

وقال أيضاً: لو كان لنا مع إسلامنا أخلاق آبائنا لكنا^(٥).

وعن ابن عباس: لما طعن عمر دخلت عليه فقلت: أبشر يا أمير المؤمنين؛
فإن الله قد مضى بك الامصار، ودفع بك النفاق، وافشى بك الرزق فقال: أفي
الأماره تنفي علي يا ابن عباس. فقلت: وفي غيرها.

(١) منتخب كنز العمال ٣٦١/٤.

(٢) تاريخ الخلفاء ١٤٢، الفتوحات الإسلامية ٤٠٨/٢، حلية الأولياء لأبي نعم ٥٢/١، كنز العمال
٣٦٥/٦.

(٣) الامامة والسياسة، ابن قتيبة ١٨/١، وقد ندم عمر على رجوعه من جيش اسامة بعد أن أثنى رسول
الله ﷺ، ذكر ذلك المجلسي في البحار ١٢٢/٣.

(٤) ربيع الأبرار ٢١٩/٤.

(٥) ربيع الأبرار ٣٨/٢.

فقال: والذي نفسي بيده لوددت أني خرجت منها كما دخلت فيها لا أجز ولا وزر^(١). وعن زيد بن أسلم عن أبيه: أن عمر قال حين طعن: لو كان لي ما طلعت عليه الشمس لأفتديت به من كرب الساعة - يعني بذلك الموت - فكيف ولم أرد النار بعد^(٢). ولعمر حوادث كثير مع النبي ﷺ منها: سحبه النبي ﷺ من ثوبه أثناء صلاته على أبي^(٣). وإمتناعه عن المشاركة في حملة أسامة بن زيد^(٤). وقوله: النبي ﷺ يهجر^(٥). وعدم مشاركته في جهاز النبي ﷺ وتأخيره دفنه ﷺ^(٦). وهجومه على بيت فاطمة بنت محمد ﷺ وضغطه الباب عليها^(٧). ورفع صوته على صوت النبي ﷺ فنزلت آية: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض﴾^(٨). وكان عمر أولى من أبي بكر بالاعتذار من حادثة الهجوم على بيت فاطمة ﷺ لضغطه الباب بيده عليها ﷺ. إلا أن أبا بكر الأمر بالهجوم المسلح قد وجد نفسه أولى بالاعتذار من غيره. صحيح لم يصلنا اعتذار قولي من عمر عن حادثة بيت فاطمة ﷺ المؤسفة

(١) تاريخ عمر بن الخطاب، ابن الجوزي ١٩٧.

(٢) المصدر السابق ص ١٩٧.

(٣) صحيح البخاري، كتاب اللباس، كنز العمال ج ٤٤٠٣.

(٤) تاريخ الطبري ٤٦٢/٢.

(٥) صحيح البخاري ١٢٠/١، باب كتاب العلم، صحيح مسلم ٨٩/١١.

(٦) تاريخ الطبري ٤٤٢/٢، سيرة ابن هشام ٣٠٥/٤.

(٧) المقد الفريد، ابن عبد ربه ٢٥٩/٤، تاريخ أبي الفداء ١٥٦/١، الإمامة والسياسة، ابن قتيبة ١٨/١.

(٨) الحجرات: ٢.

إلا أن عمر قد اعتذر عملاً عن ذلك حين ذهب مع أبي بكر إليها قائلاً: انطلق بنا إلى فاطمة فإننا أغضبناها^(١)...

ولكنَّ عظم الهجوم والأحداث الرهيبة التي رافقته منعت فاطمة عليها السلام من قبول اعتذارهما. خاصة وأنَّ ذلك الهجوم قد تسبَّب في مصرعها ومصرع ابنها محسن. ولقد أفصح أبو بكر بصراحة عن ندمه على استلام سلطة مفصوبة بعدها حساب: بعد أن قالت له فاطمة الزهراء: والله لادعون الله عليك في كل صلاة أصلها، فخرج باكياً، فاجتمع إليه الناس، فقال لهم: يبيت كلُّ رجل منكم معانقاً حليلته مسروراً بأهله، وتركتوني وما أنا فيه، لا حاجة لي في بيعتكم، أقيوني بيعتي^(٢). ومن علائم ندمه على ما أوقع نفسه فيه قوله عليه السلام: والله لو ددت أني كنت شجرة إلى جانب الطريق مرَّ عليَّ جمل فأخذني فأدخلني فاه فلاكني ثم أزدردني، ثم أخرجني بعراً، ولم أكُ بشراً^(٣). وقال أبو بكر أيضاً: والله لو وضعت قدماً في الجنة وقدماً خارجها ما أمنت مكر الله^(٤). وأخرج النسائي عن أسلم أن عمر أطلع على أبي بكر وهو آخذٌ بلسانه فقال: هذا الذي أوردني الموارد^(٥). وقال معاوية بن أبي سفيان حين حضرته الوفاة:

ألا ليتني لم أغن في الملك ساعةً ولم أكُ في اللذات أعشى النواضر
وكننت كذي طمرين عاش بـِـبُلْغَةٍ ليالي حتى زار ضنك المقابر^(٦)

ولقد قالت زوجة يزيد بن معاوية بن أبي سفيان لأبنها معاوية حين تنازل

(١) الإمامة والسياسة، ابن قتيبة ١٤/١، أعلام النساء ٣١٤/٣.

(٢) الإمامة والسياسة، ابن قتيبة ١٤/١.

(٣) منتخب كنز العمال ٣٦١/٤، وذكرها البيهقي في شعب الإيمان.

(٤) تاريخ الطبري ج ٢، وكنز العمال ج ٥.

(٥) تاريخ الخلفاء للسيوطي ١٠٠.

(٦) العقد الفريد، ابن عبد ربه الأندلسي ١٩٥/٣.

عن الحكم: يا ليتك كنت حيضة. لاعتقادها بخطأ الفادح في إستقالته من الحكم. في حين كان معاوية الثاني معتقداً بضرورة الاستقالة من حكم مفصوب من آل محمد ﷺ ووجوب ارجاعه إليهم، فكان جزاء ذلك ان سقاه طغاة بني أمية سماً^(١). وفرار معاوية الثاني من ذلك الحكم قبل إستلامه له هو ما تمناه أبو بكر وعمر قبل موتها بساعات. في حين تمناه معاوية الثاني في بداية خلافته ونفذ أمنيته. وقال علي بن أبي طالب عليه السلام بعد ضربة ابن ملجم له بالسيف: فزت ورب الكعبة.

صورتان خطيرتان لعمر وفاطمة قبل موتهما

لقد عاشت فاطمة عليها السلام بعد أبيها نحو ثلاثة أشهر مليئة بالآهات والأحزان والأوجاع، بعد كسر ضلعها واسقاط ابنها واهانتها وغصب فديتها. وعاش عمر وأبو بكر عليه السلام في حياة ملؤها الفرح والسرور باستلام السلطة الإسلامية، والتنعم بنشوة الحكم بين الأهل والأحبة، وتحقيق الآمال والمناهج الخاصة بهما. ويقف المرء ذاهلاً متحيراً أسفاً بين صورتين خطيرتين.

الصورة الأولى: ما ذكروه عن فاطمة عليها السلام بعد حادثة الهجوم على بيتها، وهي معصبة الرأس ناحلة الجسم مصفرة الوجه تجرأ أذيالها لالقاء خطبة في المهاجرين والانصار، فأنت أنث أجهش لها القوم بالبكاء وارتج المجلس، وبعد خطبتها لم يرباك وباكى أكثر من ذلك اليوم. وأرادت عليها السلام إبراز حزنها السرمدي عبر إخفاء قبرها عن المسلمين لبيان غضبها على من ظلمها وهظم حقها.

وعندما سألتها نساء المدينة: كيف أصبحت من علّتك يا بنت رسول الله ؟ قالت عليها السلام: أصبحت والله عاتقة لدنيا كن قالية لرجالكن^(٢).

(١) مروج الذهب، المسمودي ٧٢/٣.

(٢) أعلام النساء، عمر رضا كحالة ١٢٣/٤، السقيفة وفدك، الجوهري، ص ١٧، شرح النهج ١٦/٢٣٣.

وذكر ابن سعد في طبقاته : لم تبق الزهراء بعد أبيها سوى شهور معدودة ، قضتها بالبكاء والنحيب والأنين ، حتى عُدَّت من البكائين ولم تَرَ ضاحكة قط ^(١) .
والصورة الثانية : ندم عمر على خلافته وأفعاله ، وما جرت عليه من خطوب وخوفه من الآخرة . وتمنيه أن يكون أشياء مختلفة يترفع الناس عن ذكرها والنطق بها . فأصبح عندنا صورتان مختلفتان لفاطمة عليها السلام الهاربة من الدنيا ، ولعمر الهارب من الآخرة . اللهم ارحم المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات .
روى سلمان بن حرب عن ابن عباس أن عمر قال لابنه عبد الله : خذ رأسي عن الوسادة فضعه في التراب ، لعل الله يرحمني ، ويولِّي لي ويولِّي لأمي إن لم يرحمني الله عز وجل ، فإذا أنا متُّ فاغمض عيني ، واقصدوا في كفني ، فإنه إن كان لي عند الله خير أبدلني ما هو خير منه ، وإن كنت على غير ذلك سلبني فاسرع سلمي وأنشد : ظلومٌ لنفسي غير أني مسلمٌ أصلي الصلاة كلها وأصوم ^(٢) .
وفي رواية : قبل وفاته كان رأسه (عمر) في حجر ابنه عبد الله فقال له : ضع خدي بالأرض ، فلم يفعل ، فلحظه وقال : ضع خدي بالأرض لا أم لك ، فوضع خذه بالأرض ، فقال : الوليل لعمر ولا أم عمر إن لم يغفر الله لعمر ^(٣) .
وقال : لو أن لي ما طلعت عليه الشمس لا فتديت به من هول المطلاع . قالوا : ما أبكاك إلا هذا قال : ما أبكاني غيره ^(٤) .
وقال عمر : والله لو أن لي طلاع الأرض ذهباً لا فتدين به من عذاب الله عز وجل قبل أن أراه ^(٥) .

(١) طبقات ابن سعد ٨٥/٢ .

(٢) أسد الغابة ، إبن الأثير ١٧٧/٤ .

(٣) الأمامة والسياسة لابن قتيبة ٢٢/١ ، العقد الفريد ، ابن عبد ربه ٢٥٩/٤ .

(٤) الأمامة والسياسة ٢٦/١ ، الطبقات لابن سعد ٢٥٧/٣ .

(٥) صحيح البخاري كتاب فضائل الصحابة باب مناقب عمر .

وقال الزمخشري في ربيع الابرار: لما حضرت عمر الوفاة، قال لبنيه ومن حوله: لو أن لي ملء الارض من صفراء أو بيضاء لأفتديت به من أهوال ما أرى^(١). وقد طُعن عمر يوم الاربعاء لأربع ليال بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين ودفن يوم الأحد هلال المحرم سنة أربع وعشرين، وكانت خلافته عشر سنين وخمسة اشهر وواحداً وعشرين يوماً^(٢). وقال الزهري بأنه توفي وهو ابن اربع وخمسين سنة وقيل ست وستون سنة وقال هشام بن عبد الملك عندما نزل به الموت لعائلته: «جاد لكم هشام بالدنيا، وجدتم له بالبكاء، وترك لكم ما جمع، وتركتم عليه ما اكتسب، ما أعظم منقلب هشام إن لم يغفر الله له»^(٣). وندم طلحة بن عبد الله، وهو يرى دمه لا ينقطع من أثر السهم فقال لهم: اتركوه فإنما هو سهم أرسله الله^(٤). وقال:

ندامة ما ندمت وضل حلمي ولهي ثم هلف أبي وأمي^(٥)
 وندم الزبير، وترك أرض المعركة بعدما قال له علي عليه السلام: اتذكر قول النبي ﷺ لي في شأنك: والله ليقاتلنك وهو ظالم لك^(٦).

ثم ندم عبد الله بن عمر على عدم قتاله الفئة الباغية قائلاً: ما وجدت في نفسي من شيء من أمر هذه الآية ﴿وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا...﴾ إلا ما وجدت في نفسي إنني لم أقاتل هذه الفئة الباغية كما أمرني الله تعالى^(٧).

(١) الرواية موجودة في الطبقات القديمة لتاريخ الطبري وقد حذفها الناشر من الطبقات الجديدة.

(٢) أسد الغابة لابن الاثير.

(٣) الأخبار الموفقيات، الزبير بن بكار ص ٤٧٣.

(٤) العقد الفريد، ابن عبد ربه ٢٩٩/٤.

(٥) مروج الذهب، السعدي ٤٠٤/٢.

(٦) العقد الفريد، ابن عبد ربه ٣٠١/٤.

(٧) مستدرک الحاكم ٤٦٢/٢.

النظرية الفقهية

نظرية أبي بكر وعمر في القضاء

إعتمد الخليفة عمر في قضائه في مواقع كثيرة على رأيه الخاص، ولقد صرَّح بذلك، حيث قال للمدَّعي الذي أرسله إلى زيد بن ثابت للقضاء في مسأله: لو كنت أردُّك إلى كتاب الله وسنة نبيه فعلت، ولكنِّي إنما أردُّك إلى رأيي، والرأي مشير. فجعل مقولته تلك نظرية يسير عليها في قضائه. والذي يحقُّ في قضاء الخليفة عمر، يجد نظريته تلك قائمة على الرأي في الأثر، والطلاق، والزواج المؤقت، وغير ذلك. وبذلك تكون نظريته الرأي من بنات أفكار الخليفة الثاني عمر بن الخطاب. فهو وأبو بكر أول من أوجد هذه النظرية وطبَّعها. إذ قال أبو بكر في قضية مقتل مالك بن نويرة بواسطة خالد انه اجتهد فاخطأ. وبينما يقتصر أبو بكر على موارد قليلة، توسَّع عمر في هذا المجال وكان يجرؤ على ذلك، وجرأته واضحة في موارد عديدة. ولما ولي أبو بكر عمر القضاء مكث سنة لا يأتيه رجلان!^(١) ولأنَّ عمر قد سار على رأيه الشخصي، كان من الطبيعي أن تختلف أحكامه؟! حتَّى روي أنه قضى في الجعد بسبعين قضية وروي مائة قضية^(٢).

ثم سار عثمان وملوك بني أمية على هذه النظرية لذلك عطلَّ عمر حد المغيرة

(١) تاريخ الطبري ٦١٧/٢.

(٢) كنز العمال، كتاب الفرائض ١٥/٩.

ابن شعبة في الزنا مثلها عطل أبو بكر حد خالد في الزنا مع امرأة مالك بن نويرة وقتله^(١).

نظرية عمر في حي على خير العمل في الأذان

جاء في كتاب السيرة الحلبية : عن أبي العلاء قلت لمحمد بن الحنفية : إننا لتتحدث أن بدء الأذان كان رؤيا رآها رجل من الأنصار في منامه . قال : ففزع لذلك محمد بن الحنفية فزعاً شديداً .

وقال : عمدتم إلى ما هو الأصل في شرائع الإسلام ، ومعالم دينكم فزعمتم أنه كان من رؤيا رآها رجل من الانصار في منامه ، تحتل الصدق والكذب ، وقد تكون أضغاث أحلام .

قال : فقلت له هذا الحديث قد إستفاض في الناس . قال : هذا والله هو الباطل . وأخرج الطحاوي عن هارون بن سعد ، عن الشهيد زيد بن الإمام علي بن الحسين ، عن آبائه ، عن علي عليه السلام : أن رسول الله ﷺ علّم الأذان ليلة أسري به ، وفرضت عليه الصلاة^(٢) .

نظريته في الصلاة مع فقد الماء

جاء في القرآن الكريم : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ

(١) تاريخ الطبري ٢٠٦/٤ . تاريخ ابن الأثير ٢٦٦/٢ .

(٢) مشكل الآثار . الطحاوي ، وأبن مردويه فيما نقله المتقي الهندي ٢٧٧ من الجزء السادس من كنز العمال حديث ٣٩٧ . المستدرلوك الحاكم ١٧١/٣ ، شرح التجرید ، القوشجي ، أواخر مبحث الامامة ، وهو من أئمة الاشاعرة في الكلام .

وَأَيُّبِعُكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿١﴾.

وقال النبي ﷺ حديثاً متواتراً، بأن الصعيد الطيب طهور المسلم، وإن لم يجد الماء عشر سنين. أي إن فاقد الماء، وقبل تيممه يجب عليه أن يبحث عن الماء في الجهات الأربع غلوة سهمين إن كانت الأرض سهلية، فإن لم يجد فعله بالطهارة الترابية. وقد خالف في ذلك عمر بن الخطاب، إذ منع الصلاة مع فقدان الطهارة المائية. بالرغم من قول الرسول ﷺ له. وشهادة عمار بذلك. فقد أخرج البخاري: **إِنَّ رَجُلًا أَتَى عُمَرَ، فَقَالَ: إِنِّي أُجْنِبْتُ فَلَمْ أَجِدْ مَاءً، فَقَالَ (عمر): لَا تَصَلِّ - وَكَانَ عُمَارُ بْنُ يَاسِرٍ إِذْ ذَاكَ حَاضِرًا - فَقَالَ عُمَارُ: أَمَا تَذْكُرُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِذْ أَنَا وَأَنْتَ فِي سَرِيَّةٍ، فَأُجْنِبْنَا فَلَمْ نَجِدْ مَاءً، فَأَمَّا أَنْتَ فَلَمْ تَصَلِّ، وَأَمَّا أَنَا فَتَمَعْتُكَ فِي التَّرَابِ وَصَلَّيْتُ.** فقال النبي ﷺ **إِنَّمَا كَانَ يَكْفِيكَ أَنْ تَضْرِبَ بِيَدِكَ الْأَرْضَ، ثُمَّ تَفْنِخَ، ثُمَّ تَمْسَحَ بِهَا وَجْهَكَ وَكَفْيَكَ** فقال عمر: **إِتَّقِ اللَّهَ يَا عُمَارُ.** قال إن لم أحدث به... فقال عمر: **نَوَلِّكَ مَا تَوَلَّيْتُ.** وهناك محاوراة ثانية بين عبد الله بن مسعود وأبي موسى الأشعري. إذ قال شقيق بن سلمة: كانت عند عبد الله بن مسعود وأبي موسى الأشعري، فقال له أبو موسى: **يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ: إِذَا أُجْنِبَ الْمَكْلَفُ، فَلَمْ يَجِدْ مَاءً كَيْفَ يَصْنَعُ؟** قال عبد الله: **لَا يَصَلُّ حَتَّى يَجِدَ الْمَاءَ.** فقال أبو موسى الأشعري: **فَكَيْفَ تَصْنَعُ بِقَوْلِ عُمَارَ حِينَ قَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: كَانَ يَكْفِيكَ؟** قال: **أَلَمْ تَرَ عُمَرَ لَمْ يَقْنَعْ بِذَلِكَ.** فقال أبو موسى: **دَعْنَا مِنْ قَوْلِ عُمَارَ، فَمَا تَصْنَعُ بِهَذِهِ الْآيَةِ - وَتَلَا عَلَيْهِ آيَةَ الْمَائِدَةِ -.** قال: **فَمَا دَرَى عَبْدُ اللَّهِ مَا يَقُولُ (٢).** وقد سار أبو حنيفة على قول عمر، في حين سار أئمة بقیة المذاهب على الآية القرآنية وقول عمار. إذ قال أبو حنيفة: **إِنَّ**

(١) النساء، ٤٣.

(٢) أخرجه البخاري في سننه، البداية والنهاية لابن رشد ٦٣/١، طبعة ١٩٣٥، السني لابن قدامة ٢٣٤/١، ط ٣، تفسير ابن كثير ٥٠٥/٤، سنن النسائي ١٦٩/١، سنن ابن ماجه ١٨٨/١، السنن الكبرى للبيهقي ٢٠٩/١، سنن ابن ماجه ١٨٨/١، سنن النسائي ١٦٩/١..

الحاضر الصحيح لا يتيمّم ولا يصلي إذا فقد الماء، وإستدل بالآية ٨ من سورة المائدة: ﴿وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمّموا﴾ فدلالة الآية صريحة، بأن مجرد فقد الماء لا يكفي لجواز التيمّم، ما لم يكن ذلك في السفر أو المرض، وإذا كان التيمّم مختصاً بالمسافر المريض. فالصحيح الحاضر والحالة هذه لا تجب عليه الصلاة، لأنّه فاقد الطهور، ولا صلاة إلا بطهور. وسار الإمامية على قول عمّار موافقين للآية القرآنيّة، وهم بذلك يتفقون مع أئمة المذاهب الثلاث (المالكية، الشافعية، الحنبلية).

صلاة التراويح

أخرج البخاري في كتابه عن عروة بن الزبير، عن عبد الله بن عبد القاري أنه قال: خرجت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ليلة في رمضان الى المسجد، فإذا الناس أوزاع متفرّقون، يصلي الرجل لنفسه، ويصلي الرجل فيصلي بصلاته الرهط، فقال عمر: إني أرى لو جمعت هؤلاء على قاريء واحد لكان أمثل، ثم عزم فجمعهم على أبيّ بن كعب. ثم خرجت معه ليلة أخرى والناس يصلون بصلاة قارئهم، قال عمر: نعم البدعة هذه، والتي ينامون عنها أفضل من التي يقومون ^(١).

وقد سأل أهل الكوفة من أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، أن ينصب لهم إماماً، يصلي بهم نافلة شهر رمضان، فزجرهم وعزّفهم أن ذلك خلاف السنّة، فتركوه واجتمعوا لأنفسهم وقدّموا بعضهم، فبعث إليهم ابنه الحسن رضي الله عنه، فدخل المسجد ومعه الدرة فلما رأوه تبادروا الابواب وصاحوا: وا عمراء. وقد قال الرسول ﷺ: أيّها الناس إن الصلاة بالليل في شهر رمضان من النافلة جماعة بدعة، ألا فلا تجمعوا في شهر رمضان في النافلة، ولا تصلّوا صلاة الضحى، فإن قليلاً من سنّة

(١) صحيح البخاري. بعاشية السدي ٢٤٢/١.

خير من كثير من بدعة، ألا وإن كل بدعة ضلالة، وكل ضلالة سبيلها إلى النار.

عدد تكبيرات صلاة الميت

قال السيوطي: وعمر أول من جمع الناس في صلاة الجنائز على أربع تكبيرات^(١). وقال الطحاوي: فهذا عمر قد رد الأمر في ذلك إلى أربع تكبيرات. فكذلك ما أجمعوا عليه من عدد التكبير بعده ﷺ على الجنائز فهو حجة. وإن كانوا قد علموا من النبي ﷺ خلافه. وما فعلوا ذلك، وأجمعوا عليه بعد النبي ﷺ في الصلاة على الجنائز فهو حجة، وإن كانوا قد علموا من النبي ﷺ خلافه.

وروى أحمد بن حنبل عن عبد الأعلى قال: صليت خلف زيد بن أرقم على جنازة فكبر خمساً، فقام إليه عبد الرحمن بن أبي ليلى فأخذ بيده، فقال: هل نسيت؟ قال: لا ولكن صليت خلف أبي القاسم ﷺ فكبر خمساً، فلا أتركها^(٢). ومن هذا يظهر واضحاً بأن الصلاة على الجنائز تتكوّن من خمس تكبيرات، ولكن عمر أحب أن يجعلها أربعاً لمصلحة لم يفصح عنها^(٣) وهذه مفردة أخرى من مفردات مخالفة عمر ﷺ للنص الإلهي. قال عبد الله بن عباس: أراهم سيهلكون، أقول: قال النبي ﷺ، ويقولون: نهى أبو بكر وعمر^(٤).

(١) تاريخ الكامل ٢٩/١٥، تاريخ الخلفاء ١٣٧.

(٢) مسند أحمد بن حنبل ٣٧٠/٤، صحيح مسلم، باب الصلاة على القبر من كتاب الجنائز، صحيح النسائي، عدد التكبيرات على الجنائز من كتاب الجنائز.

(٣) صحيح مسلم، باب الصلاة على القبر من كتاب الجنائز، صحيح النسائي، عدد التكبيرات على الجنائز من كتاب الجنائز.

(٤) مسند أحمد بن حنبل ٣٣٧/١، جامع بيان العلم وفضله، ابن عبد البر الأندلسي، باب فضل السنة ومباينتها لأقاويل العلماء.

نظرية عمر في طلاق الثلاث

جاء في القرآن الكريم: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ...﴾^(١)، ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ خَتْنِ تَنْكِحِ زَوْجاً غَيْرَهُ﴾^(٢)، إذا يمكن للزوج الرجوع الى زوجته قبل الطلاق الثالث، وبحصول الطلاق الثالث لا تحل له حتى تنكح شخصاً آخر. وقد جاء في سنن مسلم عن ابن عباس من عدة طرق صحيحة قال: كان الطلاق على عهد رسول الله ﷺ، وأبي بكر وستين من خلافة عمر طلاق الثلاث واحدة، فقال عمر بن الخطاب: إن الناس قد استعجلوا في أمر قد كان لهم فيه أناة، فلو أمضيته عليهم فأمضاه عليهم^(٣). وذكر مسلم في سننه أيضاً: أن أبا الصهباء قال لابن عباس: هات من هنالك، ألم يكن الطلاق الثلاث (في مجلس واحد) على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر واحدة؟ فقال: قد كان ذلك، فلمّا كان في عهد عمر تتابع الناس في الطلاق فأجازه عليهم^(٤). وأخرج النسائي من رواية مخزومة بن بكير، عن أبيه عن محمود بن لبيد أن رسول الله ﷺ أخبر عن رجل طلق امرأته ثلاث تطليقات جميعاً، فقام ﷺ غضبان ثم قال: أيلعب بكتاب الله وأنا بين أظهركم! حتى قام رجل فقال يا رسول الله لا تقتله؟^(٥) وذكر العلامة الشيخ رشيد رضا^(٦)، حديث الرسول ﷺ

(١) البقرة: ٢٢٩.

(٢) البقرة: ٢٣٠.

(٣) سنن مسلم ج ١ / باب طلاق الثلاث، وأخرجه الحاكم والذهبي.

(٤) سنن مسلم / طلاق الثلاث ٥٧٥/١، مسند أحمد ٣١٤/١، البيهقي ٣٣٦/٧.

(٥) تحرير المرأة لقاسم بك أمين المصري ١٧٢، وقال سعيد بن المسيب وجماعة بأن طلاق الثلاثة بالمرأة باطل لأنه لعب وقوله انت طالق جد لا لعب فيه.

(٦) مجلة المنار ٢١٠/٤.

المذكور في سنن مسلم، وأحمد عن كل من أبي داود، والنسائي، والحاكم، والبيهقي، وقال: ومن قضاء النبي ﷺ بخلاف ما أخرجه البيهقي، عن ابن عباس قال: طلق ركانة زوجته ثلاثاً في مجلس واحد، فحزن عليها حزناً شديداً، فسأله رسول الله ﷺ: كيف طلقتهما؟ قال: ثلاثاً. قال ﷺ: في مجلس واحد؟ قال: نعم. قال ﷺ: فأئماً تلك واحدة فأرجعها ان شئت^(١). وبذلك يتوضح لدينا، بأن طلاق الثلاث في مجلس واحد يقع كطلاق واحد، وقد أخذ بذلك محمود شلتوت، رئيس الجامع الأزهر سابقاً، بينما خالف عمر النص الإلهي المذكور في القرآن الكريم فجعل طلاق الثلاث في مجلس واحد ثلاث تطليقات، فلا تحل لزوجها إلا بعد ان تنكح شخصاً آخر!

نقل مقام إبراهيم عن مكانه

جاء في القرآن الكريم: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُضَلًّى﴾^(٢). وهو الحجر الذي وقف عليه إبراهيم وإسماعيل ﷺ لبناء بيت الله الحرام، وكان هذا الحجر ملصقاً ببيت الله الحرام، ويصلي الحاج عنده بعد الطواف، وأول من أخرجه عن مكانه الذي وضعه فيه النبي إبراهيم ﷺ، هم العرب قبل الإسلام. وبعد بعثة النبي ﷺ وفتحه لمكة أعاد ﷺ مقام إبراهيم إلى حيث وضعه جدّه إبراهيم ﷺ. وبعد هذا قضاء على ما إرتكبه رجال الجاهلية، من عبدة الاصنام، من إنحراف عن فعل إبراهيم ﷺ وإستمر هذا المقام في مكانه في زمن النبي ﷺ وفي زمن أبي بكر. ولما ولي عمر إستمر المقام في مكانه الملاصق للكعبة، حيث وضعه هناك ثلاثة انبياء إبراهيم وإسماعيل ومحمد ﷺ. ولكن في السنة السابعة عشرة نقله عمر

(١) سيرة ابن اسحاق ١٩١/٢، وراجع تفسير الكشاف للزمخشري.

(٢) البقرة، ١٢٥.

عن مكانه^(١). ولم يفصح عمر عن السبب، الذي دعاه الى نقل مقام إبراهيم عن مكانه الملاصق للحرم، حيث وضعه إبراهيم وإسماعيل ومحمد ﷺ، وقد أرضى عمر بفعله هذا قريشاً، الذين أهدوا المقام عن الكعبة، ثم أعاده رسول الله ﷺ !

نظرية عمر في متعة الحج ومتعة النساء

جاء في كتاب الله تعالى: ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾^(٢). و﴿فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ...﴾^(٣).

وجاء في صحيح الترمذي: «أنَّ عبد الله بن عمر سُئِلَ عن متعة الحج فقال: هي حلال، فقال له السائل: إِنَّ أَبَاكَ قد نهى عنها، فقال: رأيت إن كان أبي نهى عنها وصنعها رسولُ الله، أأمر أبي نَتَّبِعُ أم أمر رسول الله ﷺ؟ فقال الرجل: بل أمر رسول الله ﷺ. قال: لقد صنعها رسولُ الله ﷺ^(٤). وقال ابن حاتم: «ارتأى رجل برأيه ما شاء. يعني عمر»^(٥) وصرَّح بذلك سعد بن أبي وقاص^(٦)، وعمر بن الخطاب^(٧). وجاء في مسند أحمد بن حنبل، من حديث ابن عباس، قال: تَمَتَّعَ النبي ﷺ فقال عروة بن الزبير (بن العوام): نهى أبو بكر وعمر عن المتعة. فقال

(١) السيوطي في تاريخ الخلفاء، والدميري في كتاب الحيوان في مادة الديك، الكامل في التاريخ، ابن الأثير ٥٣٧/٢، طبقات ابن سعد ٢٠٤/٣، شرح نهج البلاغة ١١٣/٣.

(٢) سورة النساء، ٢٤.

(٣) سورة البقرة، ١٩٦.

(٤) صحيح الترمذي ١٥٧/١.

(٥) صحيح مسلم ٨٩٨/٢ ح ١٢٢٦.

(٦) شرح موطأ مالك للزرقاني ص ١٧٨.

(٧) مسند أحمد ٤٩/١.

ابن عباس: ما يقول عزّية (تصغير عروة). قال: يقول نهى أبو بكر وعمر عن المتعة، فقال ابن عباس: أراهم سيهلكون، أقول: قال النبي ﷺ، ويقولون نهى أبو بكر وعمر^(١). وعن عمرة التمتع جاء في كتاب مسلم: في حجة الوداع في مكة أعلن الرسول ﷺ حلية العمرة في الحج أمام أكثر من مائة ألف من الرجال والنساء. وحين أعلن ذلك قام سراقه بن مالك بن خثعم، فقال: يا رسول الله: ألعاننا هذا التمتع أم للأبد؟ فشبك أصابعه واحدة بعد الأخرى وقال: دخلت العمرة في الحج، ودخلت العمرة في الحج لأبد أبداً^(٢).

وقد جاء في صحيح مسلم: عن سعيد بن المسيّب: قال: اجتمع علي وعثمان بصسفان، فكان عثمان ينهى عن المتعة والعمرة، فقال له علي: ما تريد إلى أمر فعله رسول الله تنهى عنه؟ فقال عثمان: دعنا منك، فقال علي: إني لا أستطيع أن أدعك^(٣). وكان عرب الجاهلية يفصلون بين الحج والعمرة، ثم جمع النبي ﷺ بينهما وكذلك أبو بكر، وفصل بينهما عمر وعثمان. وقال عمر: «متعتان كانتا على عهد رسول الله ﷺ، وأنا أنهى عنهما، وأعاقب عليهما: متعة الحج، ومتعة النساء»^(٤). وقال أيضاً: أيها الناس ثلاث كنّ على عهد رسول الله، وأنا أنهى عنهنّ وأحرمتهنّ، وأعاقب عليهنّ: متعة الحج، ومتعة النساء، وحيّ على خير العمل^(٥). وقال الإمام علي عليه السلام: لولا أن عمر نهى الناس عن المتعة، ما زنى إلا شق^(٦).

(١) مسند احمد بن حنبل ٣٣٧/١، جامع بيان العلم وفضله، ابن عبد البر الاندلسي باب فضل السنّة ومباينتها لأقاويل العلماء.

(٢) صحيح مسلم ٤٦٧/١، شرح معاني الآثار ١٤٧/٢.

(٣) صحيح مسلم ٤٧٥/١.

(٤) تفسير الفخر الرازي ٤٢/٤ في تفسير آية «فما استمتعتم به منهن...».

(٥) شرح التجرید، الإمام القوشجي، أخرجه الإمام أحمد بن حنبل ٤٩/١.

(٦) تفسير الفخر الرازي ٤١/٤.

وقد ذكر الراغب الاصفهاني: «أن عبد الله بن الزبير عيّر ابن عباس بتحليله المتعة، فقال له ابن عباس: سل أمك كيف سطعت الحمار بينها وبين ابيك فسألتها فقالت: ما ولدتك إلا بالمتعة»^(١). وبالرغم من اعتراف اسماء بزواجها متعة من الزبير إلا ان الهذلي الأموية غيرت ذلك قائلة: وتزوجها الزبير بمكة، فولدت له عدة، فطلقها، فكانت مع ابنها عبد الله بمكة حتى قُتِلَ!^(٢)

وأفتى عمر بفصل الحج عن العمرة، اذ جاء عن عبد الله بن عمر أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: افصلوا بين حجكم وعمرتكم فإنه أتمُّ لحجٍّ أحدكم، وأتمُّ لعمرته أن يعتمر في غير أشهر الحج^(٣).

اول من سنّها عمر

- ١- أول من قرّر في مكة وبصورة انفرادية قبل إسلامه قتل النبي محمد ﷺ.
- ٢- أول من عارض النبي ﷺ في مواقف متعددة: في الحديبية، والصلاة على ابن أبي، والإمتناع عن الذهاب في حملة اسامة، ومنع المجيء بورقة ودواة للنبي ﷺ في يوم الخميس.

أول من قال بعدم موت النبي ﷺ.

أول من أرسل شخصاً سراً الى أبي بكر ليخبره بموت رسول الله ﷺ.

أول من دعا للذهاب الى السقيفة وصحب أبا بكر إليها.

أول من بايع أبا بكر في السقيفة.

اول رافضي إذ رفض خلافة علي رضي الله عنه للرسول ﷺ فهو أول من رفض كتابة

(١) محاضرات الادباء.

(٢) المعارف، ابن قتيبة ص ١٧٣.

(٣) شرح معاني الآثار ١٤٧/٢.

الوصية النبوية من قبل رسول الله ﷺ.

أول من قاد جماعة لإحراق دار فاطمة ؑ، ودعا لإحراقه.

أول من خير الإمام علي بن أبي طالب ؑ بين بيعة أبي بكر أو القتل.

أول من رفض خلافة أبي بكر رسمياً بقوله إنها فلتة.

أول من دعا إلى قتل خالد بن الوليد، وابن عباد.

أول شخص يبائع بوصية خليفة.

أول من نصب معاوية والياً على الشام.

أول من نصب أباهريرة والياً على البحرين، وأول من اتهمه بالكذب والسرقة.

أول من خلع خالد بن الوليد وقضى على حياته السياسية.

أول من جعل الرواتب المالية طبقية.

أول من دؤن الدواوين في خلافته.

أول من فتح العراق والشام ومصر وإيران.

أول من رفض نظرية عدالة الصحابة في إتهامه لولائه بالسرقة والكذب

والفسق وغير ذلك.

وجاء: هو (عمر) أول من سنَّ قيام شهر رمضان، وأول من عاقب على

الهجاء، وأول من ضرب في الخمر ثمانين، وأول من حرّم المتعة... وأول من جمع

الناس في صلاة الجناز على أربع تكبيرات... وأول من أعال الفرائض، وأول من

أخذ زكاة الخيل وآخر مقام إبراهيم إلى موضعه اليوم...^(١)

ومن نظرياتهما منع أبو بكر ارث النبي ﷺ لفاطمة ؑ فقط فأخذ فدكاً

منها^(٢)، وفرض الخليفة عمر التكتف في الصلاة، وحذف البسملة منها، وزاد

(١) تاريخ الخلفاء، السيوطي ١٣٧.

(٢) تاريخ الطبري ٩٥/٣، تاريخ ابن الأثير ١٠٦/٢، ١٠٧.

- آمين، وفرض في التشهد الأول تسليماً^(١). وقام بجمع صلاتي المغرب والعشاء^(٢).
وجوَّز عمر المسح على الخفين^(٣).
وجوَّز عمر لبس الحرير لرفيقه المقرَّب عبد الرحمن بن عوف فقط^(٤).
وأول من وضع العشر في الإسلام عمر.
وأول من قام بإضافة الصلاة خير من النوم إلى الاذان^(٥).
وأول من حرم البكاء على الميت^(٦).
وأول من سن نظام عول الفرائض^(٧).
وأول من أوجب زكاة الخيل^(٨).
وأول من قام بتبديل أسماء من تسمَّى بأسماء الأنبياء^(٩).
وأول من منع صيام رجب^(١٠).
وأول من قام بتحديد مهر النساء^(١١).

-
- (١) الصراط المستقيم، النياطي المتوفي ٨٧٧هـ، ط. المكتبة المرتضوية.
(٢) طبقات ابن سعد ١٥٥/٦.
(٣) تفسير العياشي ٢٩٧، ٤٦/١.
(٤) صحيح مسلم ٢٤/٣ ح ١٦٤٦.
(٥) سنن الترمذي ٦٤/١.
(٦) عمدة القاري ٨٧/٤، الاستيعاب، ابن عبد البر، ترجمة حمزة، شرح نهج البلاغة ٣٨٧/٣، الاستيعاب، ترجمة زيد، سنن البخاري، باب الجنائز ١٥٤/١.
(٧) الميراث عند الجعفرية، الشيخ أبو زهرة المصري، الروضة، الشهيد الثاني، التلخيص، الذهبي، المستدرک ٣٤٠/٤، كتاب الفرائض.
(٨) صحيح البخاري، ابواب الزكاة.
(٩) طبقات ابن سعد ٥١/٥، ٥٤/١، ٦٩/٥، عمدة القاري ١٤٣/٧.
(١٠) كنز العمال ٣٤١/٤، مجمع الزوائد للهيثم ١٩١/٣.
(١١) أخرجه أصحاب السنن وابن حبان، والحاكم، وأحمد، والدارمي، وابن أبي شيبة والطبراني كلهم من طريق محمد بن سيرين عن أبي العجفاء.

نظرية أبي بكر وعمر

في

تعيين الولاة وإدارتهم

عمال أبي بكر

كان عمال أبي بكر لما توفي: عتاب بن اسيد على مكة، وعثمان بن أبي العاص على الطائف ورجلاً من الأنصار على البجامة، وحذيفة بن محصن على عمان، والعلاء بن الحضرمي على البحرين، وخالد بن الوليد على جيش الشام، والمثنى بن حارثة الشيباني على الكوفة، وسويد بن قطبة على البصرة^(١). وكان الوليد بن عقبة على النصف من صدقات قضاة ثم أمره على الأردن^(٢).

وأمر عمرو بن العاص على فلسطين^(٣). وأمر أبا عبيدة بن الجراح على حمص^(٤) وأمر يزيد بن أبي سفيان على دمشق، وأمر شرحبيل بن حسنة على الأردن^(٥). وأمر المثنى بن حارثة على العراق، وأوصى أبو بكر بان يرجع خالد إلى ولاية العراق بعد عودته من الشام^(٦).

(١) تاريخ الطبري ١٣٨/٢، تاريخ الطبري ٦١٧/٢.

(٢) تاريخ الطبري ٥٨٨/٢.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق.

(٥) تاريخ الطبري ٥٩٢/٢.

(٦) تاريخ الطبري ٦٠٣/٢.

ومثلها خالف عثمان وصية عمر في ولاية سعد والأشعري فقد خالف عمر وصية أبي بكر في ولاية خالد العراق.

وكان واليه على صنعاء المهاجر بن أبي أمية، وعلى حضرموت زياد بن لبيد، وعلى خولان يعلى بن أمية، وعلى زبيد ورمع أبو موسى الأشعري، وبعث جرير بن عبد الله إلى نجران، وبعث بعبد الله بن ثور أحد بني الفوث إلى ناحية جُزَش، وبعث عياض بن غنم إلى دومة الجندل^(١).

وجاء أيضاً: بعث أبو بكر أنس بن مالك والياً على البحرين^(٢).

وقال خليفة^(٣): وجهه أبو بكر زياد بن لبيد على اليمن وقيل على حضرموت^(٤)، واقرء على الطائف عثمان بن أبي العاص.

وقد بقي ابن العاص والأشعري والوليد بن عقبة وابن الجراح ويزيد بن أبي سفيان وزياد بن لبيد وعثمان بن أبي العاص ولادة في زمن أبي بكر وعمر.

أنس بن مالك

وهو أنس بن مالك بن النضر بن عدي بن النجار الخزرجي، قد عيّنه أبو بكر والياً على البحرين^(٥).

وهو من المحسوبين على أنصار أبي بكر لذلك عزله عمر عن البحرين وعيّن أبا هريرة بدلاً عنه، ومثلها عزل شرحبيل بن حسنة وعيّن عمرو بن العاص بدلاً

(١) تاريخ الطبري ٦١٧/٢.

(٢) تاريخ الإسلام، الذهبي، عهد الخلفاء الراشدين ص ١٢١، تاريخ خليفة ص ١٢٣.

(٣) تاريخ خليفة ص ١٢٣.

(٤) الكامل في التاريخ ٤٢١/٢.

(٥) كانت المنطقة الشرقية لجزيرة العرب عدا عمان تستقطن بالبحرين، راجع معجم البلدان.

عنه . وكان من عائلة فقيرة كما روى هو قائلًا : قدم رسول الله ﷺ المدينة وأنا ابن ثمان سنين ، فأخذت أمي بيدي وانطلقت بي إلى رسول الله ﷺ ، فقالت : يا رسول الله إنه لم يبق رجل ولا امرأة من الأنصار الا قد اتحفك بتحفه ، وإني لا أقدر على ما اتحفك به إلا ابني هذا فخذهُ فليخدمك ما بدا لك ^(١) .

وحكم أبو بكر سنتين فقط ، ومدة ولاية أنس بن مالك على البحرين كانت قليلة وفيها أصبح أنس من أثرياء العرب ! بحيث شهد زيد بن ثابت بأنه أكثر خزرجي مالاً ^(٢) .

وانه أصبح أكثر ثراءً من عائلة عبد الله بن أبي زعيم الخزرج في الجاهلية الذي أراد أهالي المدينة تنصيبه ملكاً عليهم ! وذكر ابن الأثير بأنه مات بقصره بالطُّف من البصرة ^(٣) .

وقد بقي أنس بن مالك محباً لأبي بكر فذكر له فضائل كثيرة حفظها الناس في زمن الخلفاء وزمن الأمويين ، ومن تلك الأحاديث الموضوعية إمامة أبي بكر للصلاة في يوم الاثنين ^(٤) .

وحديث أنس : « هذان سيِّدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين إلا النبيين والصديقين ، يا علي لا تخبرهما » ^(٥) . وليس في الجنة كهول ! واحاديث أخرى ^(٦) .

وذكر أنس بن مالك حديث عمه أنس بن النضر عن فرار عمر بن الخطاب

(١) مختصر تاريخ دمشق ، ابن عساكر ٦٦/٥ .

(٢) مختصر تاريخ دمشق ، ابن عساكر ٧٣/٥ .

(٣) أسد الغابة ١٥٢/١ .

(٤) صحيح البخاري كما في فتح الباري ١٤٣/٨ .

(٥) سنن الترمذي ٢٠١/٣ .

(٦) صحيح مسلم ١٨٥٤/٤ .

الى فوق الجبل في معركة أحد واخفى أسم أبي بكر لحبه له !^(١)

ولا أدري كم حصل من فكر فاسد جراء ولاية أنس بن مالك وأبي هريرة والمغيرة وقدامة بن مضعون على البحرين ! بينما بقي المؤمنون دون عمل في المدينة . وقد دافع أنس بن مالك عن اهداف الأمويين ، ودافع الأمويون عنه ، فوصفوه بخادم الرسول ﷺ بينما كان خادماً الرسول ﷺ ومولاه أنس ، وهو غير أنس بن مالك هذا !^(٢)

وسبب حب الأمويين له اكثاره من الحديث فيما يحبوه ويخططون له . فقد قال ابن الأثير وابن حجر عنه « وهو من المكثرين في الرواية عن رسول الله ﷺ »^(٣) . وقد حصل تنافس بين أنس وأبي هريرة فلم يروا أبو هريرة عنه إلا حديثاً واحداً^(٤) . وأبو هريرة حل مكان أنس في البحرين . وقد روى أنس نزول الوحي على رسول الله ﷺ وهو على فراش أمه ام سليم وفي بيتها !

وذهب ابعد من ذلك بان أمه كانت تعجن الرامك^(٥) بحرق رسول الله ﷺ !^(٦)

وادعى أنس بن مالك اشتراكه في معركة بدر (وعمره ثمان أو تسع سنين) بينما كذبه أهل المغازي^(٧) .

(١) الكامل في التاريخ ١٥٦/٢ ، السيرة النبوية ، ابن كثير ٦٨/٣ .

(٢) الإصابة ، ابن حجر ٧٤/١ .

(٣) أسد الغابة ١٥٦/١ ، الإصابة ٧١٠١ .

(٤) الإصابة ٧٤/١ .

(٥) شيء أسود كالتار يخلط بالسك فيجعل طيباً .

(٦) مختصر تاريخ دمشق ، ابن عساكر ٧١/٥ .

(٧) مختصر تاريخ دمشق ، ابن عساكر ٧٠/٥ .

وبينما كان أنس بن مالك محباً لأفراد الحزب القرشي كان مبغضاً لعلي بن أبي طالب عليه السلام في الكوفة لم يشهد للناس بسماعه حديث الغدير « من كنت مولاه فهذا علي مولاه ، اللهم والي من والاه وعادي من عاداه » فدعا عليه علي عليه السلام قائلاً: إن كنت كاذباً فضربك الله بيضاء لا توارىها العمامة ^(١) فأصابته دعوته ببرص في وجهه ^(٢). ذكر العجلي: لم يُبتل أحد من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله إلا رجلين مُقيّيب كان به هذا الداء الجذام، وأنس بن مالك كان به وُضِح ^(٣). وقال أبو جعفر محمد بن علي: رأيت أنس بن مالك أبرص وبه وضح شديد ^(٤).

والمدحش أن أنس بن مالك كان يضع خرقة سوداء على وجهه لستر ذلك البرص فقد جاء: « فكشف أنس عن وجهه الخرقة، وكان على وجهه خرقة سوداء، فقال: ما هذا، ما هذا؟ ما هكذا كانوا يفعلون. قال: وكان إذا رأى شيئاً يُنكره كشف الخرقة عن وجهه » ^(٥).

وبينما قُتل عبد الملك بن مروان الاخيار من المؤمنين واحرق الكعبة دافع عن أنس بن مالك واهان الحجاج لاعتدائه عليه ^(٦) ولم يعاقب الحجاج على مذبحة وافعاله الخطيرة.

وقال ابن شهاب الزهري: إنه دخل على أنس بن مالك فبكى، فقلت:

(١) المعارف، ابن قتيبة ص ٢٥١، الصواعق المحرقة، ابن حجر ص ٧٧.

(٢) أخرجه ابن عقدة في كفاية الطالب ص ٦٠، شواهد التنزيل، الحسكاني ١٦٠/١، والعسويني في فرائده ٦٩/١.

(٣) مختصر تاريخ دمشق، ابن عساكر ٧٥/٥، والروض: البرص.

(٤) للمصدر السابق.

(٥) مختصر تاريخ دمشق، ابن عساكر ٧٣/٥.

(٦) مختصر تاريخ دمشق ٧٥/٥.

ما يبكيك يا أبا حمزة؟ فقال: ما أخزّت له، فقلت: لا تبك إني لأرجو أن تكون أخزّت لحير^(١).

شروط في الوالي

اعتقاد عمر في الوالي تمثّل في ضرورة كونه غير محب للفخامة والأبهة (مستثنياً من ذلك معاوية).

وان لا تتوجّه ضده شكائى شعبية فيضطر لعزله، فعزل سعد بن أبي وقاص لشكوى أهل الكوفة ضده.

وعزل المغيرة عن البحرين لشكوى ضده، إلا أنه ولّاه ولاية البصرة وهي أكبر منها. فاستثنى من شرطه ذلك المغيرة بن شعبة لمصلحة كان يراها.

وكان عمر يفضل في الوالي أن يكون ذاهية مثل المغيرة وابن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة ومعاوية وزباد ومن أفراد الحزب القرشي. وكانت شروط أبي بكر وعمر قريبة ومتحدة.

وقد فضّل عمر عائلة أبي سفيان في ذلك على غيرها فعين ابنه أبي سفيان الثلاثة ولاية على الأمصار. ولم يكن يرى فرقاً بين المسلمين السابقين والمتأخرين، والمؤمنين والفاستقين، فعين الوليد وأبي هريرة والمغيرة.

ومن شروط عمر في الوالي أن لا يكون من بني هاشم؛ فمنع هذه القبيلة الكبيرة من أي وظيفة حكومية، وأبعدهم عن الخلافة تحت عنوان عدم جمع النبوة والخلافة فيهم.

ولما نصب أبو بكر خالد بن سعيد الأموي أميراً على حملة الروم، قال عمر:

(١) مختصر تاريخ ابن عساكر ٧٣/٥، وهكذا اشترك أنس مع أبي هريرة في وضع المناقب لأبي بكر وعمر وعثمان والأمويين وكثرة الرواية وإمارة البحرين وكثرة الأموال.

أَتَوَلَّى خَالِدًا وَقَدْ حَبَسَ عَنْكَ بَيْعَتَهُ ، وَقَالَ لِبَنِي هَاشِمٍ مَا قَدْ بَلَغَكَ ، فَوَاللَّهِ مَا أَرَىٰ أَنْ تَوَجَّهَ . وَحُلَّ لَوَاءَهُ ، وَدَعَا يَزِيدَ بْنَ أَبِي سَفْيَانَ وَأَبَا عُبَيْدَةَ وَشَرَحْبِيلَ بْنَ حَسَنَةَ وَعُمَرُ بْنُ الْعَاصِ فَمَقَدَّ لَهُمْ ^(١) .

وكان عمر يقاسم هؤلاء الولاية أمواهم حتى يصل إلى النعلين فيأخذ واحدة ويترك أخرى ، وقد بلغ به الأمر أن أحرق باب قصر سعد بن أبي وقاص في الكوفة . وقد وضع عمر محمد بن مسلمة مبعوثاً إلى ولاته ، فقد أرسله إلى الكوفة ومصر والشام . وظل هذا الشخص مخلصاً لعمر إلى نهاية عمره .

ولم يكن عمر معتقداً بضرورة تعيين أرحامه في الوظائف الحساسة فلم يول أبناءه منصباً . سائراً في ذلك على خطى أبي بكر . وكانت خطبة النبي ﷺ تتمثل في إرسال اللاتقين إلى الوظائف الحكومية دون نظر إلى رحم وانحياز قومي واقليمي . واستثنى عمر قدامة بن مظعون (صهره) فعينه والياً على البحرين ، ثم اضطر إلى حذره في قضية شرب خمر ^(٢) .

والذين لم يكن يحبهم عمر قبل الخلافة استمر لا يحبهم بعد توليه إياها مثل خالد وابن عباد ، والحباب بن المنذر .

ومن ولاية عمر الذين لم يجمعوا مالاً ليحاسبهم ، ولم يفعلوا منكراً كسي يعاتبهم ، هم عمار بن ياسر وسلمان الفارسي وحذيفة بن اليمان وبقي عمار اسماً لمسجد الكوفة مدّة قصيرة وحكم حذيفة وسلمان مدينة المدائن غير المهمة .

وبينا عين عمر سلمان وحذيفة وهما من شيعة علي ﷺ إمتنع أبو بكر وعثمان ومعاوية من إرسال أي شخص من أرحام وانصار علي ﷺ إلى الوظائف الحساسة .

(١) تاريخ الطبري ج ٢ / ٩٠ .

(٢) وقدامة بن مظعون هو خال حفصة وعبيد الله إبنها عمر .

ولم يكن عمر يرى للأسبقية في الإسلام أفضليه في التعيين ويرى للنسب القرشي أرجحية . ولم يولَّ عمر البلدان المهمة لفترات طويلة إلا للمنحرفين عن بني هاشم ، والمتأخرين في إسلامهم وهم معاوية وابن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة والمغيرة وأبي موسى الاشعري ، اذ كانوا يحكمون الشام ومصر واليمن والكوفة والبصرة ، وقد تربَّى هؤلاء الناس على بغض أهل البيت عليهم السلام .

اما عن ادارة عمر لعَمَّالِه فقد جاء : كتب عمر عليه السلام الى عَمَّالِه أن يوافوه فوافوه فقال : « يا أيها الناس إنِّي بعثت عَمَّالِي هؤلاء بالحق عليكم ، ولم استعملهم ليصيبوا من أبقاركم ، ولا من دمائكم ، ولا من أموالكم . فمن كانت له مظلمة عند أحدٍ منهم فليقم » .

قال : فما تقدّم من الناس إلا رجل واحد فقال : يا أمير المؤمنين عاملك ضربني مائة سوط . فقال عمر : تضربه مائة سوط ؟ فاستقد منه . فقام إليه عمرو ابن العاص فقال له : يا أمير المؤمنين إنك إن تفتح هذا على عَمَّالك كبر عليهم ، وكانت سُنَّة يأخذ بها من بعدك .

فقال عمر : ألا أقيده منك ، وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله يقيد من نفسه ؟ قم فاستقد . فقال عمرو : دعنا إذا فلنرضه . قال : فقال دونكم . فارضوه بأن اشتريت منه بمائتي دينار ، كل سوط بدينارين ^(١) .

وهذا العمل يبيِّن سُنَّة من سنن الرسول صلى الله عليه وآله ، الذي طلب من المسلمين قبل موته أن يأخذوا بحَقِّهم منه صلى الله عليه وآله ، إن كان لهم في رقبته حق ، اذ قال صلى الله عليه وآله :

« أمّا بعد أيها الناس فاني أحمد إليكم الله الذي لا اله إلا هو ، وأنه قد دنا مني حقوق من بين اظهركم فمن كنت جلدت له ظهراً فهذا ظهري فليستقد منه ، ومن كنت شتمت له عرضاً فهذا عرضي فليستقد منه ، ألا وإن الشحناء ليست من

طبعي ، ولا من شأني ألا وإن أحبكم إليّ من أخذ مني حقاً ان كان له او حللني .
 فلقيت الله وأنا طيب النفس ، وقد ارئى ان هذا غير مُعْنٍ عنيّ حتّى أقوم فيكم
 مراراً ، ثمّ نزل فصلُّ الظهر ، ثمّ رجع فجلس على المنبر ، فعاد لمقالته الاولى في
 الشحاء وغيرها ، فقام رجل فقال : يا رسول الله إنّ لي عندك ثلاثة دراهم .
 قال ﷺ اعطه يا فضل ، فامرته فجلس . ثمّ قال : ايّها الناس من كان عنده شيء
 فليؤدّه ، ولا يقل فضوح الدنيا ، ألا وان فضوح الدنيا أيسر من فضوح الآخرة ،
 فقام رجل فقال : يا رسول الله عندي ثلاثة دراهم غللتها في سبيل الله . قال ﷺ :
 ولم غللتها ؟ قال : كنت إليها محتاجاً . قال : خذها منه يا فضل . ثمّ قال : يا ايّها الناس
 من خشي من نفسه شيئاً فليقم ادع له ، فقام رجل فقال : يا رسول الله إنّني لكذّاب
 إنّني لفاحش ، وإنّي لنؤوم فقال : اللهم ارزقه صدقاً وإيماناً واذهب عنه التّوم اذا
 اراد . ثمّ قام رجل فقال : والله يا رسول الله : إنّني لكذّاب وإنّي لمنافق وما شيء او ان
 شيء إلا قد جنيتّه ، فقام عمر بن الخطاب فقال : فضحت نفسك ايّها الرجل . فقال
 النبي ﷺ يا ابن الخطاب فضوح الدنيا أهون من فضوح الآخرة ، اللهم ارزقه صدقاً
 وإيماناً وصيراً أمره الى خير^(١) .

محاسبة عمر ولاته

ولم يكن ابو بكر شديداً مع ولاته . وكان عمر بن الخطاب يستخدم الحزم مع
 ولاته لمنعهم من تحطّي أوامره ، فكانوا يخافون منه ويهابونه ، وقد اعترف عثمان
 بذلك في قوله لعمر وبن العاص : وأنا والله لو أخذتك بما أخذك به عمر لاستقمعت ،
 ولكفّيت لنتُ لك فاجترأت عليّ^(٢) .

(١) تاريخ الأمم والملوك للطبري ١٣٤/٢ .

(٢) أنساب الأشراف . البلاذري ٧٤/٥ - ٨٧ . جمهرة رسائل العرب ٣٨٨/١ .

فكانت دُرّة عمر تخيف هؤلاء الولاة الذين لا يخافون الله تعالى، وفعلاً استقام ولاية عمر له طيلة مدّة سلطته، ولما عزل عثمان ابن العاص انتفض ضده، وساعد على قتله، حتّى قال: قتلته وأنا في وادي السباع^(١).

وأصبح ولاية عمر ضدّ الإمام علي عليه السلام وهم عتبة ومعاوية والمغيرة وابن العاص وابو هريرة وسعيد بن العاص وابو موسى الأشعري والوليد بن عتبة، أي ان ولاية عمر الذين لا يملكون شروط الوالي الصالح يريدون الخلود في مناصبهم التي منحها لهم عمر... فلما عزل عثمان وعلي عليه السلام بعضهم ثاروا؟

وهذا هو الفرق بين الوالي الفاسق والوالي المؤمن. فالوالي الفاسق يفعل المستحيل لاستمرار حكمه، والوالي المؤمن يعتبرها خدمة اسلامية ومسؤولية دينية. وفعلاً استمر ابن العاص والمغيرة وابو هريرة ومعاوية وعتبة وسعيد بن العاص الى نهاية عمرهم في جهاز السلطة، مستخدمين شتى الوسائل المتاحة والمنوعة لاستمرار ذلك. فقد قتلوا الأبرياء، ونشروا الهديث الكاذب، وسرقوا أموال الله والمسلمين، وارتكبوا المعاصي.

وتلك الأعمال تثبت فشل نظريّة استخدام الفسقة والدعاة كما أشار إليها الله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَشُدًّا﴾^(٢). فهؤلاء الولاة الذين ضبطهم عمر بعصاه انفلتوا كبركان هائج، لتحريك الفتن وتأجيج الصراعات، لا يقبلون بأقل من خلافة أو وزارة أو ولاية كبيرة. وطموحهم العظيم وطموح أمثالهم للأموال والسلطة، جعلهم يكثرّون من الأحاديث الكاذبة طمعاً في عطايا معاوية، ويفعلون الموبقات لارضاء الأمويين، وقيادة الفتن.

(١) وقعة صفين ص ٣٤-٣٩، سحر أعلام النبلاء ٧١/٣-٧٣، شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد

٦٢/٢-٦٦، الكامل في التاريخ، ابن الأثير ٢٧٦/٣، تاريخ ابن خلدون ٦٢٥/٢.

(٢) الكهف، ٥٦.

نظرية الفاجر القوي أفضل من المؤمن الضعيف

لقد ذكر عمر بن الخطاب فجور وفسق المغيرة في أماكن وأزمان مختلفة، مرة عندما ذكروا أمامه تسبب المغيرة في مقتل مسلم في حصار الطائف، ومرة أخرى عند الحديث عن مواصفات الوالي:

فقد روى ابن عبيد ربه في أوائل العقد الفريد تحت عنوان «اختيار السلطان لأهل عمله». أنه لما قدم رجال على عمر يشكون سعد بن أبي وقاص قال: من يعذرني من أهل الكوفة، إن وليتهم التقي ضقفوه، وإن وليتهم القوي فجروه. فقال له المغيرة (الذي كان قد أخرجه عمر من ولاية البصرة لفجوره): إن الضعيف له تقواه وعليك ضعفه، والقوي الفاجر لك قوته وعليه فجوره.

قال: صدقت فأنت القوي الفاجر، فأخرج إليهم، فلم يزل عليهم أيام عمر. وعندما اجتمع الثوار من العراق ومصر قرب المدينة المنورة أرسل عثمان المغيرة بن شعبة إليهم.

قال البلاذري: «وأقى المغيرة بن شعبة عثمان فقال له: دعني آت القوم فانظر ماذا يريدون، فضئ نحوهم، فلما دنا منهم صاحوا به: يا أعور وراءك! يا فاجر وراءك! يا قاسق وراءك.

فرجع. ودعا عثمان عمرو بن العاص، فقال له: انت القوم فادعهم الى كتاب الله والعتي مما ساءهم، فلما دنا منهم سلم، فقالوا: لا سلم الله عليك! ارجع يا عدو الله! ارجع يا ابن النابغة! فلست عندنا بأمين ولا مأمون»^(١). وقد ذكر ولاية المغيرة للكوفة كل من ابن عبد البر في الاستيعاب بترجمة المغيرة والطبري وابن

الأثير^(١). وقد قال عمر: من استعمل فاجراً، وهو يعلم أنه فاجر فهو مثله^(٢). بينما قال عمر للمغيرة: أنت القوي الفاجر فاخرج إليهم^(٣)

وقد أيّد الخليفة عمر معاوية بقوله كسرى العرب، ووصفه بكسرى يشير الى نظريّة عمر في استخدام الفاجر القوي. وفعلاً بقي معاوية والياً على الشام طيلة حكم عمر. بالرغم من رواية عمر للحديث النبوي في بني أميّة: أما والله ليعورن بنو أميّة الإسلام، ثمّ ليعميته^(٤).

أما فيما يخص عمرو بن العاص فقد انتخبه عمر قائداً لجيوش افريقيا المتوجّهة لفتح مصر، ثمّ عيّنه والياً على مصر.

وكان عمر يعترف بفجور ابن العاص إذ أرسل له رسالة جاء فيها: من عبد الله عمر أمير المؤمنين الى العاصي ابن العاصي^(٥).

واستناداً لتلك النظرية عين عمر بن الخطاب الوليد بن عقبة بن أبي معيط الفاسق بلفظ القرآن الكريم والياً على عرب الجزيرة^(٦).

إذاً نظرية الخليفة عمر هي نفس نظريّة المغيرة في كون الضعيف له تقواه وعلى السلطان ضعفه، والقوي الفاجر له فجوره وللسلطان قوته. وواضح على هذه النظرية نفس المغيرة، الذي أراد ربط المؤمن بالضعف، والفاجر بالقوة!! واستناداً لهذه النظرية، أصبح المغيرة والياً لمعاوية على الكوفة، واستناداً

(١) تاريخ الطبري ٢٦٢/٤، تاريخ الكامل ١٦/٣.

(٢) تاريخ عمر لابن الجوزي ٥٦.

(٣) الاستيعاب، ابن عبد البر ٤٧٢/٣.

(٤) الموفقيات، الزبير بن بكار، شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ١١٥/٣.

(٥) عهدة عمر للمقاد ٢٨.

(٦) تاريخ الطبري ٣٢٧/٣ طبعة الأعلمي. وهو الذي نزلت فيه آية ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾

العجرات: ٨، أسد الغابة، ابن الأثير ٤٥١/٥، الإصابة، ابن حجر ٦٣٧/٣.

إليها اقترح المغيرة على معاوية تنصيب يزيد الفاجر خليفة للمسلمين؟! ولكن
يزيد كان قاجراً وضعيفاً؟

واستناداً لهذه النظرية أخرج عمار من امامة مسجد الكوفة رغم كونه
مؤمناً وقوياً فقال عمر: من يعذرني من أهل الكوفة إن وليتهم التي
ضعفوه^(١).

وقد سار على هذه النظرية عثمان بن عفان في تنصيبه عبد الله بن أبي سرح
على إفريقيا والوليد بن عقبة على الكوفة ومعاوية على الشام...
ولم يكن ابن أبي سرح وابن عقبة من الأقوياء، فوقع على عثمان فجورها
وضعفها.

وبسبب ضعف عثمان وقوة عمر الشخصية، فقد برز خلال هذه النظرية
بصورة صارخة في زمن ابن عفان، بحيث إنها تسببت في ثورة شعبية عارمة
أطاحت به.

إذا كان عمر متسلطاً على ولاته قابضاً عليهم ومراقباً لهم، فاحرق بيت سعد
ابن أبي وقاص، وهدد ابن العاص بالعزل قائلاً: لما أراي إلا عازلك فسي
عزلك^(٢). وعزل المغيرة ثم أعاده.

ومزق ثوب معاوية الحريري في مجلسه. في حين كان ختم عثمان في يد مروان!
وقد خالف الله سبحانه هذه النظرية القرشية إذ جاء في القرآن الكريم: ﴿إِنْ
خِفِيزَ مَنْ إِيِسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيَّ الْأَمِينُ﴾^(٣).

وقد صرح المغيرة بنظرية تلك للإمام علي عليه السلام، يوم نصحه بإبقاء معاوية في

(١) العقد الفريد، ابن عبد ربه. ٣٥/١.

(٢) عبقريّة عمر، العقاد ٢٨.

(٣) القصص: ٢٦.

الشام، إلا أن الإمام رفضها؛ لكونها نظرية غير اسلامية، تثير غضب الله سبحانه وتعالى.

وقد كان الرسول ﷺ يؤلف قلوب المسلمين الجدد بالمال والعطايا، ولم يكن يؤلف قلوبهم بالمناصب الحكومية.

وفيما يخص شكوى الناس من الوالي، فقد استجاب عمر الى شكوى جماعة من عمار فعزله عن الكوفة، واستجاب لشكوى الناس من المغيرة، فعزله ثم نقله من ولاية البحرين الى ولاية البصرة، وبعد زنى المغيرة في البصرة نقله الى ولاية الكوفة؛ بينما كانت شكوى الناس من عمار نابعه من مطالبتهم بإياه بضم بعض الولايات المفتوحة ادارياً الى الكوفة ليستفيدوا مادياً، وشكوى الناس من المغيرة نابعة من تصرفاته اللاأخلاقية.

وفي الحقيقة جعلت نظرية الفاجر القوي أفضل من المؤمن الضعيف المؤمنين جميعاً في صف الضعفاء، وجعلت الفجرة في صف الأقوياء.

بينما يجب المقارنة بين الفاجر القوي والمؤمن القوي. ولا شك في أفضلية الثاني على الأول.

وفي كل الأزمنة يحاول الفجرة الاستفادة من النظرية الاولى بالاحتيال في المقارنة بجعل المؤمنين جميعاً في صف الضعفاء.

ونظرة سريعة الى الولاة في زمن عمر تبين حالهم وهم: المغيرة وعتبة ومعاوية وابن العاص وابو هريرة وقنفذ وزباد بن أبيه وسمرة بن جندب ويزيد بن أبي سفيان وقدامة بن مضعون وسعيد بن العاص والوليد بن عقبة.

وبذلك تكون نظرية الخليفة عمر هي نفسها نظرية المغيرة في تفضيل الفاجر القوي على المؤمن الضعيف؛ مع الغفلة عن المؤمن القوي.

وقد نصّب عمر الكثير من الفسقة ولاة ولكن شدة عمر مع ولاته لم يساعدهم على ابراز كفرهم في زمنه وزمن أبي بكر فابرزوه في زمن عثمان.

منهجان في تعيين الولاية

طبقاً للنظرية الإلهية: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تُخِذُ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾^(١) امتنع الإمام علي عليه السلام عن تولية الفسقة من أمثال معاوية وعتبة وابن العاص والمغيرة وأبي هريرة وسعيد بن العاص والوليد بن عقبة وأمثالهم. كما جاء في رسالته عليه السلام إلى جرير بن عبد الله^(٢).

فقال ابن عباس عن نظرية الإمام علي عليه السلام في الإمتناع عن تولية معاوية الشام: وهل كان يسوغ له أن يحكم في دماء المسلمين وفي المؤمنين من ليس بمؤمن عنده ولا موثوق به في نفسه، هيئات هيئات^(٣).

وقال الإمام علي عليه السلام لعثمان: «ألا تنهى سفهاء بني أمية عن أعراض المسلمين وأبشارهم وأموالهم، والله لو ظلم عامل من عمالك حيث تغرب الشمس لكان إثمهم مشتركاً بينه وبينك»^(٤).

وجاء في تفسير الآية وما كنت متخذ المضلين عضداً، أي أعواناً، والمعنى: وما صبح لك الاعتضاد بهم، وما ينبغي لك أن تعترض بهم^(٥).

ويذكر أن منهجية عمر بن الخطاب عليه السلام المعلنة تعتمد على عدم تولية الفجرة الحكم إذ قال: من استعمل فاجراً وهو يعلم أنه فاجر فهو مثله^(٦)، ولكن عمر لم

(١) الكهف، ٥٦.

(٢) صفين، نصر بن مزاحم ص ٥٢، شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٥٨٠/٢.

(٣) كتاب المغاخرات، الزبير بن بكار، شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ١٠٦/٢ طبعة دار الفكر الثالثة.

(٤) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ١٥/٩، كتاب الشورى، الواقدي.

(٥) تفسير الكشاف، جاد الله الزمخشري ٧٢٨/٢.

(٦) تاريخ عمر، ابن الجوزي ٥٦.

يَتَّبَعُ مِنْهَجِيَّتِهِ تِلْكَ ؟! فَقَالَ لِلْمَغِيرَةِ: صَدَقْتَ فَأَنْتَ الْقَوِيُّ الْفَاجِرُ ، فَأَخْرَجَ إِلَيْهِمْ ، فَلَمْ يَزَلْ عَلَيْهِمْ أَيَّامَ عُمَرَ (أَيَ الْيَأَى عَلَى الْكُوفَةِ) ^(١) .

وَقَالَ الْإِمَامُ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَصَلَ بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ قَائِلًا: «حَقٌّ إِذَا قَبَضَ اللَّهُ رَسُولَهُ رَجَعَ قَوْمٌ عَلَى الْأَعْقَابِ ، وَغَالَتِ السَّبِيلُ ، وَاتَّكَلَوْا عَلَى الْوَلَانِجِ ، وَوَصَلُوا غَيْرَ الرَّجِيمِ ، وَهَجَرُوا السَّبَبَ الَّذِي أَمَرُوا بِمُودَتِهِ (أَيَ أَهْلَ الْبَيْتِ عَلَيْهِ السَّلَامُ) ، وَنَقَلُوا الْبِنَاءَ عَنْ رِصٍّ أَسَاسِهِ ، فَبِنُوهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ .

مَعَادُنُ كُلِّ خَطِيئَةٍ وَأَبْوَابُ كُلِّ ضَارِبٍ فِي غَمْرَةٍ . قَدْ مَارَوْا فِي الْحَمِيرَةِ وَذَهَلُوا فِي الشُّكْرَةِ ، عَلَى سُنَّةٍ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ ، مَنْ مُنْقَطِعٍ إِلَى الدُّنْيَا رَاكِبٍ ، أَوْ مُفَارِقٍ لِلدِّينِ مُبَايِنٍ ^(٢) .

فَالْإِمَامُ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَيَّنَّ مِنْهَجَهُ فِي رَفْضِ تَعْيِينِ الْوَلَاةِ الْفَسَقَةِ قَوْلًا وَعَمَلًا . فِي حِينٍ كَانَ عُمَرُ قَدْ عَيَّنَّ مِنْ أَتَمِّهِمْ بِالْفَسْقِ وَلَاةَ طَوِيلَ مَدَّةٍ حُكُمَتِهِ .

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ فِي جَوَابِ قَصِيدَةِ ابْنِ الْعَاصِ ضَدَّهُ وَضَدُّ بَنِي هَاشِمٍ : اللَّهُمَّ الْعَنِهِ بِكُلِّ حَرْفٍ أَلْفَ لَعْنَةٍ ^(٣) .

وَلَعَنَ النَّبِيُّ ﷺ مَعَاوِيَةَ وَعَتْبَةَ ^(٤) بَيْنَمَا نَصَّبَهَا عُمَرُ عَلَى الشَّامِ وَالطَّائِفِ .
وَلَعَنَ النَّبِيُّ ﷺ بَنِي أُمَيَّةَ ^(٥) .

(١) المقد الفريد ، ابن عبد ربه أوائل الكتاب . ٣٥/١ ط . دار إحياء التراث العربي .

(٢) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ١٣٢/٩ ، وغالتهم السبل : أهلكتهم اختلاف الآراء والأهواء ، والولانج : البطانة ، ووصلوا غير الرحم أي غير رحم رسول الله ﷺ ، وهجروا السبب يعني أهل البيت ﷺ ، الذي أمروا بمودته في قوله تعالى : ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾ سورة الشورى ٢٣ .

(٣) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ١٠٣/٢ ، المفاخرات ، الزبير بن بكار .

(٤) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ١٠٢/٢ ، المفاخرات ، الزبير بن بكار .

(٥) المستدرک ، الحاكم ٤٨٠/٤ .

ولعن النبي ﷺ المتخلفين عن حملة أسامة بن زيد^(١).

ولعن النبي ﷺ بني ثقيف إذ جاء: أبغض الأحياء إلى رسول الله ﷺ بنو أمية وبنو حنيفة وثقيف^(٢).

وكان المغيرة من المهاجرين لبیت فاطمة ؓ فيشعله غضب الله تعالى؛ لأنه جاء عن النبي ﷺ: إن الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك^(٣).

وقد اتهم عمر أبا هريرة بسرقة أموال المسلمين إذ قال أبو هريرة: قال لي عمر: يا عدو الله وعدو المسلمين أو قال: وعدو كتابه سرقت مال الله؟^(٤)

وهو أول رواية اتهم بالكذب في الإسلام^(٥) وقد قال له عمر: أكثر من الحديث وأحر بك أن تكون كاذباً على رسول الله^(٦).

ومن ولاية عمر قنفذ الذي ضرب فاطمة ؓ فيكون معظم ولاية عمر من الملعونين على لسان النبي ﷺ والمتهمين بالعمل ضد الإسلام والمفضوحين بالفسق على لسان عمر. ومن غير اللائق تولى هؤلاء إمرة المسلمين وقد قال تعالى: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تُخَفِّذُ الْمُضِلِّينَ عَصُدًا﴾^(٧).

وقد برّر الخليفة عمر عدم استخدامه للمؤمنين الاوائل بعذر يتمثل في أنه لا

(١) الملل والنحل، الشهرستاني ٢٣/١.

(٢) المستدرك، الحاكم ٤٨٠/٤.

(٣) المستدرك على الصحيحين ١٦٧/٢ ح ٤٧٣، أسد الغابة ٢٢٤/٧، الإصابة، ابن حجر ٣٧٨/٤.

تهذيب التهذيب ٤٦٩/١٢ رقم ٢٨٦٠، مجمع الزوائد ٢٠٣/٩، ذخائر العقبين ٣٩، مقتل الحسين ؓ،

الخوارزمي ٥٢/١، تذكرة الخواص ٣١٠، كفاية الطالب، الكتبي ٣٦٤، ميزان الاعتدال ٥٣٥/١ رقم

٢٠٠٢.

(٤) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ١١٣/٣.

(٥) تاريخ آداب العرب ٢٧٨/١، البداية والنهاية، ابن كثير ٤٨.

(٦) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٣٦٠/١.

(٧) الكهف، ٥١.

يريد ان يدنسهم بالعمل^(١)!

ولكنَّ العمل شرف وخدمة وجهاد وليس فيه تدنيس، وقد عمل الأنبياء والصالحون ومنهم محمد ﷺ ولم يتدنسوا....!!

وثانياً: النص الالهي يقول: «إنَّ خير من استأجرت القوي الامين»، ولا يمكن ترك رقاب أُمَّة محمد ﷺ وأموالهم وأعراضهم ودينهم بيد الفجرة الفسقة... لذلك زنى المغيرة في البصرة وسرق أبو هريرة في البحرين. بل ان عمر كان يتهم كل ولاته بالسرقة، فقاسمهم أموالهم ونعالمهم.

وبذلك نفهم أنَّ تلك النظرية خاطئة لم تفدنا قديماً ولا تفيدنا مستقبلاً. ولقد راح عمر ضحية هذه النظرية يوم قتله أبو لؤلؤة عبد المغيرة بن شعبة، لأنَّ المغيرة الفاجر ظلم الناس ومنهم عبده.

وبسبب عدم اهتمام عمر بشكوى أبي لؤلؤة من المغيرة (وهي الشكوى الجدية الثالثة من المغيرة بعد شكوى الناس منه في البحرين والبصرة) فقد توجه انتقام أبي لؤلؤة صوب عمر وهكذا قُتل الكثير من الزعماء والرؤساء الكبار والصغار بسبب دفاعهم عن أعوانهم الظلمة.

قواعد عمر مع عماله ونظراته الى المترفين

كانت طريقة عمر مع عماله تتمثل في القواعد التالية:

كتابة مبلغ ماله قبل تعيينه، ثمَّ مناصفته لما حصل عليه من أموال في أيام ولايته، ومحاسبته سنوياً في موسم الحج.

تنفّره من تدخل زوجات العمال في امور ازواجهن الرسمية.

ومن قواعد عمر مع العمال عدم استعماله الصحابة الكبار، ولما سأله: مالك

لا تولي الأكابر من أصحاب رسول الله ﷺ. قال: أكره أن ادّسهم بالعمل^(١). وهذا النص يشير إلى ضرورة استخدام الطلقاء وغيرهم ممن تأخر في دخوله الإسلام، وإبعاد الصحابة الأوائل!

وكان عمر لا يرضى أن يؤمّر أهل الوَيْر على أهل المدر^(٢) وقد سار عمر على هذا الشرط مفضلاً أهل المدن على غيرهم.

وقال عمر: إني لم أخرج أن استعمل الرجل وأنا أجد أقوى منه^(٣) أي تجويزه استخدام المفضول مع وجود الفاضل، وفعلاً عين الطلقاء وترك الصحابة الأكابر.

ولكن عمر في مكان آخر قال ما يناه في شرطه المذكور؛ إذ لما استعمل عمر معاوية بن أبي سفيان على الشام وعزل شرحبيل بن حسنة قال: إني لم أعزله عن سخطه، ولكنني أريد رجلاً أقوى من رجل^(٤)، وقد أثبت شرحبيل قدرته في إدارة الأمور.

وفي الحقيقة كان عمر قد فضّل بني أميّة على غيرهم في الخلافة والولاية، وخصّص الشام لهم.

وعن الشعبي قال: كتب عمر في وصيته: ألا يقرّ لي عامل أكثر من سنة واقروا الاشعري أربع سنين^(٥). أي ان عمر طلب من خليفته تعيين ولايته سنة في الحكم بعد مماته.

(١) طبقات ابن سعد ٣/٢٨٣.

(٢) الوَيْر بفتحين البحر واحدها وبره والحضر أهل المدن والمعنى عدم قبوله باستعمال اعرابي على حضري.

(٣) طبقات ابن سعد ٣/٣٠٥.

(٤) ابن الاثير ٢/٢١٧.

(٥) ابن عساکر ص ٥٢٢، سير اعلام النبلاء للذهبي ٢/٣٩١.

وكان عمر يستقدم ولاته في كل موسم حج ، ويحاسبهم أمام الناس ، ويسمع لشكوى الناس منهم .

ولما أعطى عمر الدرة للشاكي المصري ليضرب محمد بن عمرو بن العاص ، قال عمرو : يا أمير المؤمنين : قد استوفيت واشتفيت ؟ ! أي إن ابن العاص اتهم عمر ابن الخطاب برغبته الانتقام منه ومن عائلته لمصلحة شخصية .

وكتب عمر الى عمرو بن العاص : « وقع إلى أنك تتكئ في مجلسك ، فإذا جلست فكن كسائر الناس ولا تتكئ »^(١) .

وكان عمر يندب لهم وكيلًا خاصًا يجمع شكايات الشاكين منهم ، ويتولى التحقيق والمراجعة فيها . وكان يأمر الولاة والعمال أن يدخلوا بلادهم نهاراً إذا قفلوا إليها من ولاياتهم ، لينظر ما حملوه معهم في عودتهم ، ويتصل نبأ بالحرس والارصاد الذين يقيمهم على ملاقى الطريق .

ومن قواعد عمر عدم استخدامه أرحامه فقد قال : مَنْ استعمل رجلاً لمودة أو لقرابة لا يُشغله إلا ذاك ، فقد خان الله ورسوله والمؤمنين^(٢) ، وقد خالف عمر هذا الشرط في قضية قدامة بن مظعون (صهره) .

وعن خالد والمثنى قال : إني لم أعزها عن ريبة ، ولكن الناس عظموها فخشيت أن يוכלوا اليها^(٣) .

وقيل : كان عمر بن الخطاب إذا استعمل عاملاً كتب عليه كتاباً وأشهد عليه رهطاً من الأنصار أن لا يركب برذوناً ولا يأكل نقياً ولا يلبس رقيقاً ، ولا يغلق بابه دون حاجات المسلمين لكنه استثنى معاوية من هذا الشرط .

(١) عبقريه عمر للعقاد ٦٦ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) الكامل في التاريخ ، ابن الاثير ١٩١/٢ .

ومن قواعده تفضيل قريش على غيرهم وتفضيل العرب على العجم في الوظائف الرسمية .

قال أبو جعفر عن رحلة عمر الى الشام : « فكتب إليهم أن يتلقوه برأس الجابية ليوم سماء لهم ، فلقوه وهو راكب حماراً ، وكان أول من لقيه يزيد بن أبي سفيان ، ثم أبو عبيدة بن الجراح ، ثم خالد بن الوليد على الخيول وعليهم الديباج والحرير ، فنزل عمر عن حماره وأخذ الحجارة ورماهم بها ، وقال : سرعان ما ألقيتم عن رأيكم ، إياي تستقبلون في هذا الزي ، وإنما شبعتم منذ سنتين ، سرع ما تترت بكم البطنة . ولقيه معاوية وعليه ثياب ديباج وحوله جماعة من الفلمان والخول ، فدنا منه فقبّل يده ، فقال : ما هذا يا ابن هند ! وإنك لعلّ هذه الحال مترّف صاحب كبوس ونعم ، وقد بلغني أن ذوي الحاجات يقفون ببابك ، فقال : يا أمير المؤمنين أمّا اللباس فإننا ببلاد عدو ، ونحبّ أن يَرى أثر نعمة الله علينا ، وأمّا الحجاب فإننا نخاف من البذلة جرأة الرعيّة .

فقال (عمر) : ما سألتك عن شيء إلا تركتني منه في أضيق من الرواجب ، إن كنت صادقاً فإنه رأي لبيب ، وإن كنت كاذباً فإنّها خدعة أريب ^(١) .

نلاحظ هنا تراجع عمر السريع عن قاعدته في الترف ، وقاعدته في منع الحجاب أمام أبواب الولاية لصالح معاوية بن أبي سفيان بينما عزل شرحبيل والمثنى دون أي تردد .

وقد قال المختار يزيد بن قيس في رسالة الى عمر يشكو فيها عمال الأهواز :
 فارس الى المختار فاعرف حسابه وأرسل الى جزء وأرسل الى بشر
 ولا تنسينّ النافعين كلاهما ولا ابن غلاب من سراة بني نصر
 وما عاصم منها بصغر عناية وذاك الذي في السوق مولى بني بدر

وأرسل إلى النعمان وأعرف حسابه وشبلاً فسله المال وابن محرّش فقسّمهم أهلي فداؤك إنهم ولا تدعوني للشهادة إنني نسؤوب إذا أبوا ونغزو إذا غزو إذا التاجر الداري جاء بفارة وصادر الحرث بن وهب أحد بني ليث بكر بن كنانة وقال له : ما قلاص واعبد بعثها بمائة دينار ؟ قال : خرجت بنفقة لي فأتجرت فيها .
 قال (عمر) : وإنا والله ما بعثناك للتجارة أدها .
 قال : أما والله لا أعمل لك بعدها .
 قال (عمر) : أنا والله استعملك بعدها ^(١) .

امتناع أبي بكر وعمر عن تعيين أقربائهما في السلطة

ولم يكن أبو بكر وعمر معتقدان بضرورة تعيين أرحامهما في الوظائف الحساسة . فلم يولّ عمر أبناءه في مناصب الدولة الحساسة اعتقاداً منه بهذا المنهج الذي اتبعه أبو بكر من قبل .
 والجماهير في العادة تحبّ سياسة ابتعاد القائد عن تعيين أرحامه وعدم تفضيله إيتاهم بالباطل على الناس . وهي سياسة ذكية في كسب قلوب الرعية . وكانت منهجية الرسول ﷺ قائمة على عدم تفضيل شخص على آخر إلا بالتقوى والقدرة . فلم يفضّل إنساناً على آخر بالباطل أبداً .

(١) فتح البلدان للبلاذري . ٩٠ ، ٢٢٦ ، ٣٩٢ . العقد الفريد ١/١٨٠ ، ٣١٠ ، معجم البلدان ٧٥/٢ . تاريخ ابن كثير ١١٥ ، ١٨٧/٧ ، السيرة الحلبية ٣/٢٢٠ ، الإصابة ٣/٣٨٤ ، ٦٦٦ ، الفتوحات الإسلامية ٢/٤٨٠ .

وقد تعلم الصحابة هذه المنهجية من النبي الاكرم ﷺ وادركوا أثرها في كسب ود الناس .

وكان أحد الناس قد طلب من عمر بعد طعنه تولية ابنه عبد الله . فقال له : ما أردت الله بذلك إن عبد الله لا يحسن طلاق زوجته ^(١) .

وقد شدَّ عمر عن نظريته تلك في مورد واحد ، حين عيَّن قدامة بن مظعون (خال ولديه عبد الله وحفصه) والياً على البحرين لكنه عزله بعد شربه خمرأ .

ولا يعني ابتعاد أبي بكر وعمر عن تعيين ارحامهما في السلطة حسن صفات ولاتهما المنصبين في البلدان بل كان ارحامهما اقل مكرأ وخبثأ ودهاء من اعضاء الحزب القرشي العاملين في جهاز الدولة من أمثال ابن العاص والمغيرة ومعاوية وعتبة والوليد بن عتبة . وقد قال عمر قبل موته : أخرجت سعد بن زيد (من مجلس الشورى) لقربائه مني .

فقال له في ابنه عبد الله بن عمر .

فقال : حسب آل الخطاب ما تحمّلوا منها . وإن عبد الله لم يحسن أن يطلق امرأته ^(٢) .

ولم توظف الدولة زيد بن الخطاب الذي استشهد في معركة اليمامة في خلافة أبي بكر . وكان معارضأ لخلافة أبي بكر كما صرح عمر بذلك ^(٣) .

وقد اصترأ عمر وابو بكر على سياسة الابتعاد عن تعيين الأرحام ، وهي إحدى الوسائل المهمة في كسب رضى الناس .

(١) واعتقد بأن ذلك الرجل القريب من عمر والمحب لعبد الله هو أبو موسى الاشعري الذي بايع عبد الله بن عمر في قضية التحكيم فوئخه عبد الله والمسلمون . وقد كنّوه بأحد الناس حفظأ لماء وجهه .

(٢) الكامل في التاريخ ، ابن الأثير ٦٥/٣ ، تاريخ الطبري ٢٩٢/٣ .

(٣) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ٣١/٢ ، ٣٤ ، المسترشد ، محمد بن جرير الطبري ، الشافعي ، المرتضى ص ٢٤٤ ، ٢٤٤ .

وقد ابتعد عثمان ومعاوية عن تلك النظرية التي اعتمدها رسول البشرية ﷺ وأكّد عليها.

اعتماد عمر على دهاة العرب

لقد كانت عادة قريش في الجاهلية تتمثل في الإعتماد على دهاة الناس، وتشجيع الأفراد في السير في هذه الخطى.

وقد اعتمد عمر على دهاة العرب فقرّبهم وهم: معاوية بن أبي سفيان، والمغيرة بن شعبة، وعمر بن العاص، وعبد الله بن أبي ربيعة المخزومي، وكعب الاحبار، وتميم الداري. وكان أبو بكر وعمر وعائشة على درجة عالية من الدهاء. وحاول المغيرة بن شعبة ان يحصل على مكانة مميزة من بين صحابة الرسول ﷺ، تمكّنه من كسب وظيفة عالية في الدولة.

وقال الإمام علي عليه السلام: لم يدخل في الإسلام إلاّ للّجوء إليه، بعد ان غدر بجماعة من قومه، فقتلهم وسلب أموالهم^(١). اذن دخوله في الإسلام لم يكن عن عقيدة دينية بل لمصلحة شخصية.

وبعد موت النبي ﷺ برز دوره مع رجال السقيفة مشاركاً لهم في تخطيط وتنفيذ عملية السقيفة وما اعقبها من خطوب.

ومن خلال وجوده في السقيفة وفي جملة المشاركين في الحملة على بيت فاطمة رضي الله عنها برز دوره أكثر في الرجال الساعين للحصول على مركز سياسي في الدولة، فنلاحظ مشاركته عمر وآخرين في وفد أبي بكر لاقناع العباس بن عبد المطلب بمبايعة أبي بكر مقابل مشاركته في السلطة... وأصل الفكرة من بنات أفكار المغيرة. وقد احترمت الدولة جهود المغيرة في حث الناس على بيعة أبي

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٨٠/٤.

بكر، فأرسلته والياً على البحرين.

ولما انصرف عثمان إلى بيت فاطمة ابنة قيس بعد بيعته قام المغيرة بن شعبة خطيباً فقال: يا أبا محمد الحمد لله الذي وفقك، والله ما كان لها غير عثمان، وعلي عليه السلام جالس. فقال عبد الرحمن: يا ابن الدباغة ما أنت وذاك، والله ما كنت أبايع أحداً إلا قلت فيه هذه المقالة^(١).

ولقد شخّص أبو بكر وعمر مكر ودهاء المغيرة وابن العاص فاعتمدا عليهما، فساهما في تخطيط وتنفيذ بيعة أبي بكر وبيعة عمر وبيعة عثمان وبيعة معاوية وإثر وفاة ابن العاص خطط المغيرة لبيعة يزيد.

ولقد بين الإمام علي عليه السلام التخطيط الماكر الذي فعلوه ضده ابتداءً من السقيفة إلى بيعة البعض لمعاوية. فقال لعمر بعد مبايعته لأبي بكر: احلب حلباً لك شطره، تولّيه أنت اليوم ليردّها عليك غداً^(٢).

وقال علي عليه السلام عن بيعة أبي بكر لعمر: فيا عجباً بينا هو يستقيلها في حياته إذ عقدها لآخر بعد مماته^(٣).

وقال عليه السلام عن بيعة ابن عوف لعثمان: خدعة وأيما خدعة^(٤).

وهكذا نلاحظ أن ابن شعبة وابن العاص قد بايعا لمن أحبّا ولمن إتفق معها على المشاركة في السلطة.

وبينما ضرب المغيرة بيده فاطمة بنت محمد عليها السلام وشارك في احراق دارها هاجم ابن العاص الأنصار بعد السقيفة لامتناعهم عن مبايعة أبي بكر^(٥).

(١) تاريخ الطبري ٣/٣٠٢.

(٢) الإمامة والسياسة، ابن قتيبة ١/١١١.

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٣/٤٠٩ الخطبة الشقشقية.

(٤) تاريخ الطبري ٣/٣٠٢.

(٥) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٦/٣٠.

وقال ابن العاص في أواخر عمره في قضية التحكيم: أثبت معاوية^(١).
فيكون الحاصل إتفاق مكررة ودهاة قريش والعرب من مثل ابن شعبة وابن
العاص وابن أبي ربيعة وكعب ومعاوية على معاداة أهل البيت عليهم السلام ومناصرة
أعدائهم!

وهكذا ضاعت النظرية الإسلامية في الحكم بواسطة دهاة العرب وذئابها،
التي لا تعرف للأصول والأديان احتراماً ولا للقيم منزلة والقاسم المشترك في ولاية
أبي بكر وعمر أنهم وقفوا ضد الخليفة علي بن أبي طالب عليه السلام فحاربوه في الجمل
وصفين وهو خليفة المسلمين بالنص الإلهي والوصية النبوية والبيعة الشعبية، وقد
قال رسول الله ﷺ: من خرج عن الطاعة وفارق الجماعة فمات ميتة
جاهلية^(٢).

وقال رسول الله ﷺ: يا علي لا يحبك إلا مؤمن، ولا يبغضك إلا منافق^(٣).
فكانت النتيجة ان سحق هؤلاء الدهاة نظرية الحكم في الإسلام القائمة على
النص والشورى بأقدامهم ومزقوها بأيديهم. فأقتنع البعض خطأ بأن نظرية
الحكم الإسلامية قائمة على الوصية الشخصية من شخص لآخر أو أنها قائمة على
نظرية الغلبة.

وإذا كان المغيرة الداهية الأول فالداهية الثاني الذي ناصر حكومة عمر
وأبي بكر هو عمرو بن العاص، وقد بلغ من دهائه ان أرسله رجال قريش، ثاني
اثنين لاقتناع ملك الحبشة بإرجاع المهاجرين الى مكة.

(١) تاريخ الطبري ٥٢/٤ طبعه الأعلمي.

(٢) صحيح مسلم، باب الأمر بلزوم الجماعة من كتاب الأمانة، صحيح البخاري، مسند أحمد بن حنبل
٩٧، ٨٣، ٧٠/٢.

(٣) صحيح الترمذي ٣٠١/٢، صحيح النسائي ٢٧١/٢، صحيح ابن ماجه ص ١٢، حلية أبي نعيم
١٨٥/٤، مستدرک الصحيحين ١٢٩/٣.

ولما فشل ابن العاص في اقناع ملك الحبشة في اليوم الأول قال : والله لأتينه غداً بما يبید خضراءهم . فقال له رفيقه : لا تفعل فإن لهم أرحاماً .

فلما كان الغد قال للنجاشي : إن هؤلاء يقولون في عيسى بن مريم قولاً عظيماً^(١) . ولولا النصر الإلهي للمهاجرين ودفاع جعفر بن أبي طالب لنجحت جهود ابن العاص ، في إعادة المهاجرين .

وبرز دور عمرو بن العاص بعد بيعة السقيفة ، إذ تحرك لمهاجمة الأنصار ، والانتقاص منهم ، لأنهم تراجعوا عن بيعة أبي بكر . فاشرك عكرمة بن أبي جهل في ذم الأنصار وبيان عيوبهم في الجاهلية .

ولعظيم مشاركته في دعم النظام أرسله ابو بكر قائداً لجيش في الشام ، وعيَّنه عمر والياً على مصر ، والوالي على مصر يكون والياً على افريقيا .

والداهية الثالث ، هو عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي ، رفيق ابن العاص في رحلته الى الحبشة .

لقد كانت قريش في عاداتها ترسل دهاتها في المأموريات الخطرة . وفي محاولتها ارجاع المسلمين من الحبشة انتخبت قريش رجلين توسَّمت بهما القدرة على اقناع ملك الحبشة ، وهما عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص .

ولقد كان ابن العاص في سفرته السابقة للحبشة قد اصطحب عمارة بن الوليد داهية بني مخزوم ، ولكنه غدر به عند الملك فقتله^(٢) وشاءت الأمور ان ينتخب عمر بن الخطاب هذين الرجلين الخطيرين لولاية اقليمين مهمين ألا وهما مصر واليمن . ولم يكن يحلم هذان الرجلان اللذان دخلا الإسلام متأخرين في نيل أقل من تلك الوظيفة ، فكيف بتلك الوظيفة الخطرة . في حين خاف الخليفة عمر من

(١) الكامل في التاريخ لابن الاثير ٨١/٢ .

(٢) نسب قريش ص ٣٢٢ .

تولية عبد الله بن عباس ولاية حمص الصغيرة.

والداهية الرابع الذي حصل على موقع ممتاز في الدولة العمرية، هو معاوية ابن أبي سفيان. وقد قال السيوطي فيه: كان معاوية من الموصوفين بالدهاء^(١).
اذ أصبح والياً على الشام ومسؤولاً عن الاسطول البحري، وتحت إمرته أكثر من مئة ألف مقاتل. ولم يرغب عمر ببروز أئمة لأي عامل إلا معاوية، فكانت له فيه نظرة أخرى اذ وصفه بكسرى العرب^(٢) مهيباً أياه للخلافة.

ومعاوية الذي استهزأ بأبي سفيان لدخوله في الإسلام قسراً، أصبح والياً على أكبر ولاية إسلامية ومتحفظاً للقفز على الخلافة. وقد اتفقت وجهتا نظر عمر ومعاوية في ضرورة التعاون مع المغيرة وابن العاص وكعب وأبي هريرة وتميم الداري وابن أبي ربيعة والوليد وسعيد بن العاص. اذ ارسل معاوية المغيرة وابن العاص الى الكوفة ومصر واليمن عليها كما فعل عمر. وأرسل معاوية أبا هريرة والياً على المدينة، وكان عمر قد أرسله الى البحرين ثم عمان.

والداهية الخامس كعب الأخبار الذي تقرّب من الخليفة عمر، فبرزت قدرة هذا الرجل في وضعه ودسه الأخبار اليهودية في أحاديث المسلمين. وتمكنه من اقناع عمر بالذهاب الى الشام، والامتناع من الذهاب الى العراق كما ذكرنا في موضعه الخاص به. وهو الذي اصطحب عمر في سفره الى الشام، ونصحه بخطورة خلافة الإمام علي عليه السلام في حين كان يشير ويحيي لخلافة معاوية^(٣).
وتمكن كعب بقدرته الفائقة من تحريف الكثير من الحقائق، ودسّ الكثير من الموضوعات في شريعة المسلمين وسيرتهم.

(١) تاريخ الخلفاء، السيوطي ١٩٤.

(٢) الاستيعاب، ابن عبد البر ٤٧٢/٣.

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ١١٥/٣. رسالة النزاع والتخاصم فيما بين بني أمية وبني هاشم للمقرئ ص ٥١، أضواء على السنة المحمدية، محمود ابورية ص ١٨٥.

وأقل ما يقال عن كعب: إنَّ أبا هريرة كان صنيعه من صنائعه؟! وأنه واحد من الذين أسسوا الأرضية لخلافة معاوية، فتكون عين كعب الاحبار اليمنى متوجهة لقبض سلطة المسلمين، وعينه اليسرى متوجهة صوب تحريف تراثهم ودينهم؟! وقلبه مشغول بسبل السيطرة على فلسطين!

ففي زمن الفتنة في أيام عثمان نادى كعب بالخلافة لمعاوية بعد عثمان. إذ روى وكيع عن الاعمش عن أبي صالح، أنَّ الحادي كان يحدو بعثمان قائلاً:

إنَّ الأمير بعده علي وفي الزبير خلق رضي

فقال كعب: بل هو صاحب البغلة الشهباء (يعني معاوية).

فبلغ ذلك معاوية فأثاء فقال: يا أبا اسحاق ما تقول هذا وها هنا علي والزبير واصحاب محمد ﷺ قال: أنت صاحبها، ولعلَّه أردف ذلك إني وجدت ذلك في الكتاب الاول^(١).

وعن اهتمام عمر بالدهاة من الرجال والنساء ذكر يوسف بن الماجشون: إذا اعياء الأمر المعضل دعا الاحداث فاستشارهم، لحدة عقولهم.

ومن الذين عملوا مع عمر وأبي بكر كان تميم الداري داهية النصارى، المتظاهر بالإسلام. وهكذا أصبح الحكم الإسلامي مرصوداً من ممثل النصارى تميم وممثل اليهود كعب ومن ممثلي قريش والاعراب المتظاهرين بالإسلام وهم معاوية وابن العاص وابن أبي ربيعة والمغيرة وابو سفيان وعتبة وابن أبي سرح!

لقد اهتمَّ تميم الداري وكعب بتحريف التراث والدين الإسلامي، فشرعا في وضع كل ما كان لازماً وضرورياً في هدمه وتحطيمه، للاستفادة من الفرصة السانحة. وقد حصل هؤلاء الدهاة على نفس مناصبهم في زمن معاوية إلا من مات

(١) رسالة النزاع والتخاصم فيما بين بني امية وبني هاشم للمقريزي، أضواء على السنَّة المحمدية

منهم مثل ابن أبي ربيعة . كما شخّص أبو بكر وعمر مبكراً قدرة أمّ المؤمنين عائشة ، فاعتمدا عليها وجعلى منها أحد أصحاب الفتوى في المدينة ، وجعلها عمر واحدة من ثلاث نساء يملكن أعلى راتب سنوي يفوق ما يتقاضاه الخليفة وكل مسلم ومسلمة^(١) . وقدرة عائشة الشخصية قد برزت واضحة في زمن وفاة النبي ﷺ وخلافة أبي بكر ، وخلافة عمر ، وفي ثورتها على عثمان ، وفتواها بقتله ، وفي أحداث معركة الجمل للمطالبة بدم عثمان .. وفي ذكرها الحديث المناسب لكلّ زمان ومكان . وكتب قيس بن سعد بن عبادة في فسقة العرب الذين عملوا مع معاوية وأحاطوا به مثل عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة وكعب الأحبار وأبي هريرة وعتبة بن أبي سفيان وسعيد بن العاص ومروان وابن أبي سرح قائلاً :

ولديك قوم ضالّون مضلّون ، طواغيت من طواغيت إبليس^(٢) .

وشارك بعض أفراد هذه المجموعة في اجهاض ابنتي النبي ﷺ زينب وفاطمة^(٣) . ولقد كان عمر أحد دهاة العرب وسياسته واعماله في زمن النبي ﷺ وفي زمن خلافة أبي بكر وخلافته تبين ذلك . وقد قال : احترسوا من الناس بسوء الظن^(٤) .

وقال عمر يصف نفسه : إنه ليس بالحنب (المخادع) ولكنّ الحنب لا يخدعه^(٥) . وهذا اعتراف منه بدهائه .

ومما يؤيد دهاء عمر بن الخطاب : قول المغيرة بن شعبة لعمر وبن العاص : « أنت كنت تفعل أو توهم عمر شيئاً فيلقنه عنك ؟ والله ما رأيت عمر

(١) تاريخ الحقوقي ١٥٣/٢ .

(٢) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ٦١/٦ .

(٣) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ٢٨٢/٦ .

(٤) عبقريّة عمر ٦١ .

(٥) عبقريّة عمر ٦٢ ، المقد الفريد ٦٨/٣ .

مستخلياً بأحدٍ إلا رحمته كائناً من كان ذلك الرجل .
وقال الشعبي نقلًا عن ابن الأثير الجزري : دهاء العرب أربعة : معاوية بن أبي سفيان وعمر بن العاص والمغيرة بن شعبة وزيد .
وقال أبو عمر في الاصابة : كان (زيد) من الدهاء الخطباء
الفصحاء استكتبه أبو موسى الاشعري واستعمله على شيء من البصرة فاقره
عمر^(١) .

دهاء ابن عباس

وقد عُرف عبد الله بن عباس بالدهاء فقال معاوية فيه : حرّكوه على الكلام ؛
لنبلف حقيقة صفته ، ونقف على كنه معرفته ، ونعرف ما صرف عنا من شبا حده ،
ووري عنا من دهاء رأيه .

ثم قال له معاوية : يا ابن عباس ما منع علياً أن يوجه بك حكماً .
فقال : أما والله لو فعل لقرن عمرأ (ابن العاص) بصعوبة من الإبل يوجع
كتفيه مراسها ، ولأذهلت عقله وأجرضته بريقه ، وقدحت في سويداء قلبه ، فلم
يبرم أمراً ولم ينفض ترأباً إلا كنت منه بمرأى ومسمع^(٢) .

وقال معاوية أيضاً : لله درك يا ابن عباس ، ما تكشف الأيام منك إلا عن
سيف صقيل ورأي أصيل ، وبالله لو لم يلد هاشم غيرك لما نقص عددهم^(٣) .

وقال ابن العاص لعتبة بن أبي سفيان في يوم الحكمين : «أما ترى ابن عباس
قد فتح عينيه ونشر أذنيه ، ولو قدر أن يتكلم بها فعل ، وإن غفلة أصحابه لمجبورة

(١) الاصابة لابن حجر ٥٨٠/١ .

(٢) كتاب المفاخرات ، الزبير بن بكار ، شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ١٠٥/٢ .

(٣) المصدر السابق ١٠٧/٢ ، كتاب المفاخرات ، الزبير بن بكار .

بفطنته وهي ساعتنا الطولى فاكفنيه»^(١).

ووصف ابن عباس كشف ابن العاص عورته للإمام علي عليه السلام في معركة صفين قائلاً: لنحت رجاء النجاة عورتك، وكشفت له خوف بأسه سوأتك؛ حذراً من أن يسطلمك بسطوته^(٢).

وقال عمر لجلسائه: واهأ لابن عباس! ما رأيته لاحتى (نازع) أحداً قط إلا خَصَمَه (غلبه)^(٣).

ورغم دهاء ابن عباس فقد امتنع عمر من تعيينه والياً على حمص خارجاً على نظريته لأنه هاشمي!

فعندما مات عامل حمص أرسل عمر إلى ابن عباس وهم بتوليته، ثم عدل، وذكر السبب قائلاً: يا ابن عباس إني خشيت أن يأتي علي الذي هو آت - يعني الموت - وانت في عملك فتقول: هلمّ إلينا ولا هلم إليكم دون غيركم^(٤).

وهكذا أهمل عمر ابن عباس الداهية المؤمن ووظف دهاة العرب غير الملتزمين بأصل وشرع وكذلك أهمل أبو بكر وعمر وعثمان قيس بن سعد بن عبادة وهو من دهاة العرب المؤمنين فقد عدّوه أحد دهاة العرب الخمسة وهم معاوية وعمر بن العاص وقيس بن سعد والمغيرة بن شعبة وعبد الله بن بديل^(٥).

وقال الحلبي في سيرته: من وقف على ما وقع بينه وبين معاوية لرأى العجب

(١) الأمامي، أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب.

(٢) كتاب العفاخرات، الزبير بن بكار، شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ١٠٥/٢.

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ١٠٧/٣، تاريخ الطبري ٣٠/٥، قصص العرب ٣٦٣/٢، الكامل في التاريخ، ابن الأثير ٦٣/٣، ٢٨٨.

(٤) مروج الذهب، المسعودي ٣٥٣/٢.

(٥) تاريخ الطبري ٩٤/٦، حوادث سنة ٤١ هـ، والكامل في التاريخ ١٤٣/٣، حوادث سنة ٤١ هـ، وأسد الغابة ٢١٥/٤، والاستيعاب القسم الثالث ١٢٨٩ رقم ٢١٣٤، أسد الغابة ٢٥١/٤.

من وفور عقله .

وقال ابن كثير : ولاه علياً نيابة مصر وكان يقاوم بدهائه وخديعته وسياسته معاوية وعمر وبن العاص^(١) .

وكتب معاوية إلى مروان والأسود بن أبي البختري : امددتما علياً بقيس بن سعد ورأيه ومكايده ، فوالله لو أنكما أمددتما بمائة ألف مقاتل ، ما كان ذلك بأغيظ إليّ من اخراجكما قيس بن سعد إلى علي^(٢) .

وقال قيس بن سعد : لولا أني سمعت رسول الله ﷺ يقول : المكر والخديعة في النار لكنت من أمكر هذه الأمة^(٣) .

وقال : لولا الإسلام لمكرت مكرأ لا تطيقه العرب^(٤) .

ولم تكن علاقة قيس وابوه جيده مع أبي بكر وعمر إذ كان قيس في سرية فيها أبو بكر وعمر ، فكان يستدين ويطعم الناس ، فقال أبو بكر وعمر : إن تركنا هذا الفتى أهلكت مال أبيه ، فشيأ في الناس ، فلما سمع سعد قام خلف النبي ﷺ ، فقال : من يعذرني من ابن أبي قحافة وابن الخطاب يبخلان عليّ ابني^(٥) .

فلم يستخدم أبو بكر وعمر سعداً وقيساً في وظيفة بالرغم من جهادهما وعقلهما ، ولم يبايع سعد لهما ، فقتل سعد بأمر عمر وبقي قيس بعيداً عن السلطة التي تنعم فيها الدهاة الفسقة (معاوية وابن العاص والمغيرة) .

(١) البداية والنهاية ١٠٧/٨ ، حوادث سنة ٥٩ هـ .

(٢) تاريخ الطبري ٩٤/٥ ، حوادث سنة ٣٨ هـ .

(٣) أسد الغابة ٢١٥/٤ ، تاريخ ابن كثير ١٠١/٨ .

(٤) الإصابة ٢٤٩/٣ ، الدرجات الرفيعة ٣٣٥ .

(٥) أسد الغابة ٤٢٥/٤ ، الدرجات الرفيعة ٣٣٥ نقلاً عن كتاب الفارات لإبراهيم بن سعيد

مقاسمة العمال نصف أموالهم

أخرج ابن سعد عن ابن عمر: أن عمر أمر عماله فكتبوا أموالهم، منهم سعد بن أبي وقاص، فشاطرهم عمر في أموالهم، فأخذ نصفاً وأعطاهم نصفاً.

وأخرج عن الشعبي أن عمر كان إذا استعمل عاملاً كتب ماله^(١). وقال خزيمة بن ثابت: كان عمر إذا استعمل عاملاً كتب له، واشترط عليه أن لا يركب برذوناً ولا يأكل نقياً، ولا يلبس رقيقاً، ولا يغلق باباً دون ذوي الحاجات، فإن فعل فقد حلت عليه العقوبة^(٢).

ونقل في كنز العمال، عن ابن عبد الحكم في فتوح مصر، عن يزيد بن أبي حبيب، أنه قاسمهم نصف أموالهم، وقد استشكل البعض على هذا العمل بأنه ان كان الخليفة عمر متيقناً من خيانة عماله فلماذا أبقاهم في عملهم؟! وان كان غير متيقن من خيانتهم، فكيف أجاز أخذ نصف أموالهم؟!.

وقال ابن أبي الحديد: كان عمر يصادر خَوْنَةَ العمال، فصادر أبا موسى الاشعري، وكان عامله على البصرة، وقال له: بلغني أن لك جاريتين، وأنتك تطعم الناس من جفنتين، واعاده بعد المصادرة الى عمله^(٣).

وكتب عمر جواباً لرسالة عمرو بن العاص جاء فيها: أما بعد فأني لست من تسطيرك وتشقيقك الكلام في شيء، إنكم معشر الامراء أكلتم الأموال، وأخلدتم الى الاعذار، فإئماً تأكلون النار، وتورثون العار، وقد وجَّهْتُ إليك محمد بن

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطي ١٤٦.

(٢) تاريخ الخلفاء للسيوطي ١٢٨.

(٣) شرح نهج البلاغة ٤٣/١٢.

مسلمة، ليشاطرك على ما في يديك والسلام^(١).

وذكر ابن الجوزي: وقد قاسم عمر غير واحد ماله اذ عزله منهم سعد بن أبي وقاص وأبو هريرة^(٢). ونلاحظ أنّ الخليفة عمر لم يقاسم سلمان الفارسي وحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر نصف أموالهم؛ لعدم امتلاكهم مالا. ويذكر أن عمر لم ينصب عمار ابن ياسر والياً على الكوفة بل نصبه إماماً للصلاة فيها في زمن سعد بن أبي وقاص^(٣). ولم يقاسم عمر معاوية بن أبي سفيان نصف ماله مستثنياً إياه من مقاسمة أمواله، واستخدامه الحرس، وتسييره المواكب العظيمة، واحتجابه عن الناس. فقد دققنا في أسماء الولاية الذين شاطرهم عمر نصف أموالهم فلم نجد لمعاوية ذكراً! وكان علي عليه السلام قد كتب لزياد أمين بيت المال في البصرة: لئن بلغني أنك خنت من في المسلمين شيئاً صغيراً أو كبيراً لاشدنّ عليك شدة تدعك قليل الوفير (فقير)، ثقيل الظهر (مسكين)، ضئيل الأمر (حقير)، والسلام^(٤).

استخدام الطلقاء

استخدم أبو بكر وعمر الطلقاء أكثر من استخدامهما السابقين في الإسلام. قال الخليفة عمر بن الخطاب: لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما استعملت أحداً من الطلقاء^(٥).

وقال عمر قولاً خطيراً لعثمان بعد جرحه: كأني بك قد قلّدتك قريش هذا الأمر لحبها إياك، فحملت بني أمية وبني أبي معيط على رقاب الناس

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٤٣/١٢.

(٢) تاريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزي ٥٨.

(٣) شذرات الذهب حوادث سنة ٢١ هـ.

(٤) شرح النهج ٤/٥٦٨.

(٥) ربيع البرار ٤/٢١٩.

وآثرتهم بالنبي^(١).

وقبل وفاته أُنذر عثمان بمقتله بهجوم الناس عليه وذبحه في فراشه بسبب إعطائه الأموال لبني أمية بلا انصاف^(٢) وظاهر الخبر من رسول الله ﷺ .

وقد احتج البعض على عمر استخدامه الطلقاء فجاء في شرح نهج البلاغة قولهم : وأعجب من ذلك قول عمر وقد قيل له : إنك استعملت يزيد بن أبي سفيان ، وسعيد بن العاص ، ومعاوية وفلاناً وفلاناً من المؤلفة قلوبهم من الطلقاء وأبناء الطلقاء ، وتركت ان تستعمل علياً والعباس والزبير وطلحة !

فقال : أمّا علي فأنبه من ذلك ، وأمّا هؤلاء النفر من قريش فإني أخاف ان ينتشروا في البلاد فيكثروا فيها الفساد .

فن يخاف من تأميرهم ، لثلا يطمعوا في الملك ويدّعيه كل واحد منهم لنفسه كيف لم يخف من جعلهم ستة متساوين في الشورى مرشحين للخلافة ، وهل شيء أقرب الى الفساد من هذا !^(٣)

وبدا انحلال الولاة وفسادهم وفسقهم بشكل ملحوظ في زمن عثمان ؛ إذ أقسم عبد الله بن عامر عامل عثمان على البصرة وفارس لئن ظفر بمدينة اصطرخر ليقتلن حتى يسيل الدم من باب المدينة ...

وخلف على اصطرخر أميراً من أمرائه في جيش يحفظونها . فنقب المسلمون المدينة ، فما دَرَوْا إلا والمسلمون معهم في المدينة . فأسرف ابن عامر في قتلهم ، وجعل الدم لا يجري من الباب فليل له : أفنيت الخلق ، فأمر بالماء فصب على الدم حتى خرج من الباب^(٤) .

(١) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ١/٦٢ ، ١/١٨٥ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ٩/٣٠ .

(٤) تاريخ الذهبي ٣/٣٢٦ .

وسار الوليد بن عقبة بن أبي معيط على منهج قدامة بن مظعون، فشرب الخمر، وجاء بساحر يهودي ليبرز فنه في مسجد الكوفة...^(١)
ونصب عثمان عبد الله بن أبي سرح (الملعون من قبل النبي ﷺ) والياً على افريقيا...

ونضجت حالة الانحراف في زمن عثمان متسببة في انطلاق شرارة الثورة على الخليفة من الكوفة ومصر، والبصرة. والفرق بين الحالتين ان الولاة كانوا يهابون عمر بن الخطاب ولا يخافون عثمان بن عفان. فسيطر عمر على ادارة الدولة على عكس عثمان الذي خوّل ادارتها الى مروان.

والواجب ذكره هنا ان عمر بن الخطاب ندم على بعض أعماله ولكنه لم يغيرها.. ومن أمثلة ذلك ندمه على استخدام الطلقاء.

انا اعتقد بأن الصراحة البدوية هي التي كانت تدفعه للاعتراف بأخطائه. ولكن المنهجية التي يسير عليها تمنعه من تغيير سلوكه.

فقد صرح باحقية الإمام علي عليه السلام للخلافة وبين النص الإلهي فيه ووصية النبي محمد ﷺ إليه، لكنه أوصى لعثمان!

وصرح بحمل عثمان لبني أمية على رقاب الناس، وثورة الناس عليه، وذبحهم له في فراشه، ولكن لم يمنعه ذلك من الوصية له!

وصرح بخطئه في استعمال الطلقاء، ولكنه لم يغير ذلك، بل أبقاهم في أعمالهم!

وأخبر عمر عمرو بن العاص بندمه لاستخدامه وترك أصحاب بدر، ولكنه لم ينفذ قوله، بل سار على منهجيته السابقة في استخدام قريش ودهاة العرب، وتفضيل بني أمية على غيرهم، إذ جاء: كتب عمر الى عمرو بن العاص ما يلي:

(١) الاستيعاب، ابن عبد البر ١٥٥٤/٤، أسد الغابة، ابن الأثير ٤٥٢/٥، مسند أحمد ١/٤٤٤.

بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله عمر أمير المؤمنين الى العاصي بن العاصي ، عجبت لك يا ابن العاص ، لجراتك علي وخلاف عهدي . أما أني قد خالفت فيك أصحاب بدر ، بمن هو خير منك ، واخترتك لجزائك عني ، وانفاذ عهدي ، فأراك قد تلوثت بما قد تلوثت^(١) .

وكان الطلقاء هم الذين دبروا هزيمة المسلمين في معركة حنين^(٢) .

ولاية الخليفة عمر

أردنا هنا ذكر أسماء وأفعال عمال عمر بن الخطاب لفهم توجهات عمر السياسية ومستوى علاقاته مع قبائل المهاجرين والانصار وغيرهم . ومن أراد معرفة شخص فليعرف أصحابه ومرافقيه .

ذكر الطبري في تاريخه : استعمل عمر على الحج عبد الرحمن بن عوف في السنة التي ولي فيها . فحج بالناس ثم حج سنه كلها بعد ذلك بنفسه ، وكان عمال عمر في هذه السنة على ما ذكر :

على مكة : عتاب بن أسيد (وقد اثبتنا في الكتاب مقتل عتاب بن اسيد مع أبي بكر بالسم) .

وعلى الطائف : عثمان بن أبي العاص .

وعلى اليمن : يعلى بن منبه .

وعلى اليمامة : حذيفة بن محصن .

وعلى البحرين : العلاء بن الحضرمي .

وعلى الشام : أبو عبيدة بن الجراح (الفهري) .

(١) تاريخ الخلفاء ، السيوطي ١٤٢ .

(٢) السيرة الحلبية ١٠٨/٣ .

وعلى خراج الكوفة: وما فتح من أرضها المثنى بن حارثة^(١).
 وعلى فلسطين: عمرو بن العاص ثم أصبح والياً لمصر بعد أن افتتحها^(٢).
 وفي زمن مقتل عمر كان عماله:
 مكّة: نافع بن عبد الحارث الخزاعي.
 الطائف: سفيان بن عبد الله الثقفي.
 صنعاء: يعلى بن أمية.
 الكوفة: المغيرة بن شعبه.
 البصرة: أبو موسى الأشعري.
 مصر: عمرو بن العاص.
 حمص: عمير بن سعد.
 دمشق: معاوية بن أبي سفيان.
 البحرين: عثمان بن أبي العاص الثقفي^(٣).
 عرب الجزيرة: الوليد بن عقبة بن أبي معيط^(٤).
 وذكر البلاذري جمعاً من عمال عمر بن الخطاب ممن أخذ فعلاً منهم وترك
 الأخرى وهم: أبو بكر نفع بن الحرث بن كلدة الثقفي.
 نافع بن الحرث بن كلدة الثقفي أخو أبي بكر.
 الحجاج بن عتيق الثقفي وكان على الفرات.

(١) ولكن المثنى قتل قبل معركة القادسية وتزوج سعد بن أبي وقاص إمرأته، وهي التي قالت في

القادسية: وأمشاء ولا مثنى للمسلمين اليوم فلطمها سعداً

(٢) وقد قال قبل موته: اللهم إنيك أمرتني فلم أأتم، وزجرتني فلم أنزجر: اللهم لا قومي فانتصر، ولا برئ

فاعتذر ولا مستكبر بل مستغفر لا إله إلا أنت، اسد الغابة ١٤٧/٤.

(٣) تاريخ الطبري ٣٠٤/٣.

(٤) تاريخ الطبري ٣٢٧/٣.

جزء بن معاوية (عمّ الأحنف) كان على سرق.

بشر بن المهتفز كان على جندي سابور.

إبن غلاب خالد بن الحرث من بني دهمان، كان على بيت المال بأصبهان.

عاصم بن قيس بن الصلت السلمي كان على مناذر.

سمرة بن جندب كان على سوق الأهواز^(١)، وقتل الكثير من المسلمين في

البصرة^(٢).

وهو الذي استلم اربعمائة الف درهم من معاوية ليروي نزول آية ذم في علي

ابن أبي طالب عليه وآية مدح في ابن ملجم^(٣).

النعمان بن عدي بن فضلة الكعبي كان على كور دجلة.

مجامع بن مسعود السلمي (صهر بني غزوان) كان على أرض البصرة

وصداقاتها.

شبل بن معبد البجلي ثم الاحمصي كان على قبض المغانم.

أبو مريم بن محرش الحنفي كان على رام هرمز.

وهؤلاء ذكرهم أبو المختار يزيد بن قيس بن يزيد في شعر قدمه الى عمر بن

الخطاب قائلاً:

أبلغ أمير المؤمنين رسالةً فأنت أمين الله في النهي والامر

وأنت أمين الله فينا ومن يكن أميناً لرّب العرش يسلم له صدري

فلا تدعن أهل الرساتيق والقرى يسيفون مال الله في الأدم والوفر

(١) وهو الذي طلب منه النبي ﷺ أن يبعثه نخلة الموجودة في بيت أحد المسلمين (المتذمر من دخول

سمرة بيته دون اذن) أو يعطيه بدلاً عنها في مكان آخر ، أو يعطيه نخلة في الجنة فرفض سمرة

اقتراحات نبي البشرية ﷺ !

(٢) تاريخ الطبري ١٣٢/٦ ، لسان العرب ، ابن منظور ٢٩٤/٣ .

(٣) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ٣٦١/١ .

لقد عين رسول الله ﷺ المؤمنين ، وعين أبو بكر الكثير من الطالحين ، ولم يحاسبهم ، وعينهم عمر ثم حاسبهم ، وعين عثمان الطالحين ثم حاسبهم واطلق أيديهم .

ومن عمال عمر :

عثمان بن أبي العيص الثقفي كان والياً على البحرين ، وقد استعمله رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر عليها^(١) .

العلاء بن الحضرمي من حضر موت ، وحليف بني أمية ، ولأه النبي ﷺ على البحرين ، وكذلك استعمله أبو بكر وعمر عليها ، وتوفي سنة أربع عشرة .

عمير بن سعد من بني عمرو بن عوف وهو عامل عمر على حمص .

نقيع بن الحرث بن كلدة الثقفي (أبو بكرة) ، وهو اخو زياد بن أبيه لأئمه ، وهو الذي شهد بالزنا على المغيرة بن شعبة (ولم يذكر ابن الاثير في أسد الغابة ، وابن حجر في الاصابة ، تولّيه منصباً لعمر)

وعلى اثر شهادة أبي بكرة جلده عمر .

نافع بن عبد الحرث الخزاعي قال ابن الاثير : استعمله عمر على مكّة والطائف .

وهو من مسلمة الفتح وقد انكر الواقدي أن تكون له صحبة ، وأثره عمر على مكّة^(٢) .

وذكر واسبب عزله من قبل عمر ، أنه جاء الى الخليفة عمر واستخلف على مكّة مولاه عبد الرحمن بن أبيزي^(٣) .

(١) أسد الغابة ج ٣ .

(٢) الاصابة لابن حجر ٥٤٥/٣ .

(٣) أسد الغابة لابن الاثير ٣٠٠/٥ .

ونافع بن الحارث بن كلدة الثقفي وهو اخو أبي بكره ومن الشهود الذين شهدوا بالزنا على المغيرة .

ولم يذكر في الاستيعاب وأسد الغابة والاصابة توليّه منصباً من قبل عمر .
ويعلى بن منية الذي أسلم يوم فتح مكة استعمله عمر على بعض اليمن ، واستعمله عثمان على صنعاء .

وهو الذي جاء لنصرة عثمان فانكسرت فغذّه في الطريق .
ثم قال : من خرج يطلب بدم عثمان فعليّ جهازه ، فأعان الزبير بأربعمائة ألف ، وحمل سبعين رجلاً من قريش ، وحمل عائشة على الجمل الذي شهدت القتال عليه .

ثم شهد الجمل مع عائشة ، ثم صار من أصحاب علي عليه السلام وقُتِل معه بصّفين^(١) .

وحذيفة بن محصن العلقاني . ذكر ابن شبة أن عمر قد ولّاه اليمامة .
وسفيان بن عبد الله بن أبي ربيعة الثقفي ، كان عاملاً لعمر على الطائف .
ومجاشع بن مسعود السلمي . وكان مجاشع أيام عمر على جيش يحاصر مدينة تَوْج ففتحها . وقد قُتِل يوم الجمل بالبصرة مع عائشة^(٢) .

ومن ولادة عمر : سمرة بن جندب ، وعاصم بن قيس ، والحجاج بن عتيك ، ونافع بن الحرث ، وسعيد بن العاص .

وسمرة بن جندب من غطفان غزا مع النبي ﷺ ، وكان معاوناً لزياد بن أبيه يستخدمه في الكوفة والبصرة .

قيل : مات سنة ثمان ، وقيل : تسع وخمسين ، وقيل : في اول سنة ستين ، وقال

(١) مختصر تاريخ ابن عساكر ، ابن منظور ٥٨/٢٨ .

(٢) أسد الغابة ٦٠/٥ .

ابن عبد البر: سقط في قدر مملوء ماء حاراً فكان ذلك تصديقاً لقول الرسول ﷺ له ولأبي هريرة ولأبي محذورة آخركم موتاً في النار^(١). وكان سمرة يتعالج بالقعود على قدر مملوء ماء حاراً من كزاز شديد أصابه، فسقط في القدر الحارّة مات.

وقد أخرج الطبري من طريق محمد بن سليم، قال: سألت أنس بن سيرين: هل كان سمرة قتل أحداً؟ قال: وهل يحصى من قتله سمرة؟^(٢) وقال سمرة لما عزله معاوية: لعن الله معاوية، والله لو أطعت الله كما أطعت معاوية لما عذّبتني أبداً^(٣).
وجزء بن معاوية بن حصين (عمّ الاحنف بن قيس) وكان عاملاً على الأهواز، قيل: له صحبة، وقيل: لا تصح له صحبة^(٤).

ومن المصادقات الغريبة ان أصبح سفيرا قريش الى ملك الحبشة واليين على ولايتين مهمّتين وهما: عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة المخزومي!! وأصبح المهاجرون إلى الحبشة جنوداً لها.

ونصّب عمر من بني أميّة وبني أبي معيد عدّة ولاة وهم: معاوية بن أبي سفيان، ويزيد بن أبي سفيان، والوليد بن عقبة، وعتبة بن أبي سفيان، وسعيد بن العاص، وجعل عثمان وزيراً أولاً له، فكانت الوزارة لهم في زمن عمر وعثمان.

ومن الأشخاص الذين لعنهم النبي ﷺ وفسّقه القرآن وأصبحوا في جهاز الدولة كان معاوية بن أبي سفيان والوليد بن عقبة. ثم أضاف إليهم عثمان اثنين (مروان وابن أبي سرح) فجعل واحداً وزيراً أولاً، والثاني والياً على أفريقيا.

ومن الولاة الذين اتّهمهم الخليفة عمر كان المغيرة بن شعبة اتّهمه بالفسق

(١) الاصابة لابن حجر ٧٩/٢.

(٢) تاريخ الطبري ١٣٢/٦.

(٣) روي من طريق عمر بن شبة.

(٤) اسد الغابة لابن الاثير ٣٣٧/١.

وأبو هريرة الذي اتهمه بالسرقة .

وكان معظم ولاية عمر من الطلقاء ، أو ممن أسلم في زمن قريب قبل فتح مكة ، وهم :

نافع بن عبد الحرث الخزاعي ، وكان والياً على مكة .

وبسبب طول مدة حكم عمر فقد تولى الولاية على مكة عدة أشخاص .

قنفذ وكان والياً على مكة .

عتاب بن أسيد بن أبي العيص بن أمية الأموي وكان والياً على مكة والطائف .

يعلى بن أمية التيمي ، وكان والياً على صنعاء .

حذيفة بن محصن العلقاء وكان والياً على اليمامة .

سفيان بن عبد الله بن أبي ربيعة الثقفي وكان والياً على الطائف .

جزء بن معاوية بن حصين ، وكان والياً على الاهواز .

معاوية بن أبي سفيان وكان والياً على الشام .

الوليد بن عقبة بن أبي معيط وكان والياً على عرب الجزيرة^(١) .

وهو الذي نزلت في حقه آية ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾^(٢) .

وزيد بن أبي سفيان وكان والياً على الشام .

وعتبة بن أبي سفيان وكان والياً على الطائف .

(١) تاريخ الطبري ٣/٣٢٧ طبعة الأعلمي .

(٢) سورة الحجرات : ٨ ، ولا خلاف بين أهل العلم بتأويل القرآن ان الآية المذكورة نزلت في حقه . أسد الغابة ، ابن الأثير ٥/٤٥١ ، الإصابة ، ابن حجر ٣/٦٣٧ ، ونسبه الحسن عليه السلام الى اليهود قائلاً : « وما أنت وقريش إنما أنت عليج من أهل صفورية ، وأقسم بالله لأنت أكبر في الميلاد وأسن ممن تدعى إليه » كتاب المفازات ، الزبير بن بكار ، شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ٢/١٠٤ طبعة دار الفكر الثالثة .

وسعيد بن العاص^(١).

ومن جملة الاشخاص الذين اشتركوا في الهجوم على بيت فاطمة بنت محمد ﷺ وأصبحوا ولاة ووزراء، وأُيد الرواة ذلك.

محمد بن مسلمة: وكان مبعوثاً لعمر على الولاة^(٢)، وعبد الرحمن بن عوف. المغيرة بن شعبة وكان والياً على البحرين ثم البصرة ثم الكوفة.

قنقذ بن جدعان وكان والياً على مكة^(٣).

سلمة بن سلامة وكان والياً على اليمامة^(٤).

زياد بن ليث وكان والياً على حضرموت^(٥).

وخالد بن الوليد^(٦)، وعثمان بن عفان^(٧).

وشارك معاوية بن أبي سفيان وعمر وبن العاص في الهجوم على بيت فاطمة رضي الله عنها^(٨). ولم يعين عمر من رجال معركة بدر وأحد إلا سلمان الفارسي وحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر وسعد بن أبي وقاص وقدامة بن مظعون. وكانت مدة حكم الخمسة قليلة. وكان عمر محباً لولاته فطلب من عثمان إبقاء ولاته في الحكم سنة بعد وفاته^(٩). وخلاصة صفات ولاة عمر بن الخطاب كالآتي:

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٢٩/٩.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٤٨/٦، السقيفة وفدك، الجوهرى ص ٥١.

(٣) هامش الملل والنحل للشهرستاني ٥٣/١، الوافي بالوفيات ١٧/٦، الإمامة والسياسة، ابن قتيبة ١٢/١.

(٤) السقيفة، أبو بكر الجوهرى، الإمامة والسياسة، ابن قتيبة ١١/١.

(٥) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٤٨/٦.

(٦) السقيفة وفدك، أبو بكر الجوهرى ص ٥١.

(٧) الاختصاص، المفيد ص ١٨٤ - ١٨٧ ط. مكتبة الصدوق.

(٨) صفين، المنتقى ص ١٦٣.

(٩) تاريخ أبي الفداء ٣٣٣/١.

فسق الله تعالى الوليد بن عقبة في كتابه الكريم وعيَّنه عمر والياً .

ولعن الله تعالى ونبيه معاوية ويزيد وعتبة .

وفسَّق عمر المغيرة وكذلك المسلمون ونسبوه إلى الالحاد .

وفسَّق الله تعالى ابن العاص وسماه بالابتر ولعنه رسول الله ﷺ ووصفه عمر

بالعاصي ووصمه المسلمون بالالحاد ، بينا عيَّنه عمر والياً على مصر .

ووصم رسول الله ﷺ أبا موسى الأشعري بالنفاق ، وكذلك علي عليه السلام

والمسلمون^(١) .

واتَّهم عمر وعلي عليه السلام والمسلمون أبا هريرة بالكذب والسرقة وعيَّنه عمر

والياً على البحرين ثم عمان^(٢) .

ومنهم من أصل يهودي ومتَّهمون وهم الوليد بن عقبة بن أبي معيط وكعب

الأحبار (مستشار عمر) وزيد بن ثابت^(٣) بينما كان واعظ الدولة تميم الداري

نصراني الأصل والميول^(٤) .

ومعظم ولاية عمر من الطلقاء أو ممن لم يسلم قبل معركتي بدر واحد ، وممن له

مساهمة فعالة في محاربة الإسلام والمسلمين مثل ابن العاص وابن أبي ربيعة

ومعاوية .

المغيرة بن شعبه

يجدر بنا أولاً معرفة كيفية دخول المغيرة إلى الإسلام والسبب الداعي لذلك .

كان المغيرة قد قتل ثلاثة عشر نفساً من قومه ذهبوا معه إلى زيارة ملك

(١) لاحظ ترجمة أبي موسى الأشعري في هذا الكتاب .

(٢) لاحظ ترجمة أبي هريرة في هذا الكتاب .

(٣) اقرأ تراجمهم في هذا الكتاب .

(٤) اقرأ ترجمته في هذا الكتاب .

مصر المقوقس، دون سبب، وسلب متاعهم، ثم جاء الى النبي ﷺ ليسلم. فقال له الرسول ﷺ: أما إسلامك فنقبله، وأما أموالهم فلا آخذ منها شيئاً، هذا غدر ولا خير في الغدر^(١).

وقد حاول المغيرة بن شعبه، منذ اليوم الأول لوفاة الرسول ﷺ أن يتدخل في السياسة للحصول على منصب رسمي.

والمغيرة هو الذي نصح أبا بكر وعمر بكسب العباس الى جانبها وذلك بمشاركته في السلطة قائلاً:

الرأي ان تلقوا العباس فتجعلوا له ولولده في هذه الإمرة نصيباً^(٢). ليقطعوا بذلك ناحية علي بن أبي طالب.

فأجابهم العباس قائلاً: وأما قولك: إن رسول الله ﷺ منا ومنكم، فإن رسول الله ﷺ من شجرة نحن أغصانها، وانتم جيرانها. وأما قولك: يا عمر: إنك تخاف الناس علينا فهذا الذي قد تموه أول ذلك وبالله المستعان^(٣).

وواضح من هذا الحوار ان هدف المغيرة كان دنيوياً، ولكن العباس رفض هذا المطلب ورد أبا بكر وعمر وابن الجراح وابن شعبه.

وبذلك يكون المغيرة ممن شيد بناء أبي بكر وعمر في السلطة.

ورغم اعتراف عمر بفسقه إلا أنه كان يحمله كثيراً بحيث نصبه على اكبر ولاية في ذلك الزمان ألا وهي الكوفة الشاملة لمناطق واسعة من العراق وايران واذريجان. وكان المغيرة يكسب قلب عمر بدهائه، فلقد قال المغيرة لعمر: أنت اميرنا ونحن المؤمنون فأنت أمير المؤمنين^(٤). وهذا يذكرنا بدهاء كعب في كسب قلب عمر يوم

(١) سير اعلام النبلاء للذهبي ١٢٠/٣.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٢٢٠/١.

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٢٢٠/١.

(٤) مختصر تاريخ ابن عساكر لابن منظور ٢٦١/١٨.

يوم سمَّاه بالفاروق^(١)، وقال علي عليه السلام فيه : إنه رجل يلبس الحق بالباطل . وقال : إنما كان إسلامه لفجرة وغدره غدرها بنفر من قومه فتك بهم فهرب^(٢) . وممَّا ذكر من دهاء المغيرة واستخدامه للوسائل الملتوية في الوصول إلى أهدافه :

« لقد همَّ عمر عليه السلام بأنَّ يعزل المغيرة عن العراق ويوليَّ جبير بن مطعم مكانه ، وأوصى جبيراً أن يكتُم ذلك ، ويتجهز للسفر . فأحسَّ المغيرة بذلك وسأل جليساً أن يدسَّ امرأته ، وهي مشهورة بلفظ الأخبار ، حتَّى سمَّيت لقاطة الحصا ، لتستطلع النبا من بيت جبير .

وذهبت إلى بيته فإذا امرأته تصلح أمره ، فسألتها : إلى أين يخرج زوجك ؟ قالت إلى العمرة ... قالت لقاطة الحصا : بل كتمك . ولو كانت لك عنده منزلة لا طَّلَعك على أمره . فجلست امرأة جبير متفضِّبه ، ودخل عليها وهي كذلك ، فلم تزل حتَّى أخبرها ، وأخبرت لقاطة الحصا .

وذهب المغيرة إلى عمر ففأخذه بما علم ، وهو يقول له : بارك الله لأُمير المؤمنين في رأيه وتوليته جبيراً ...

فلم يعجب عمر من وقوفه على السر ، بل قال : كأنِّي بك يا مغيرة قد فعلت كيت وكيت ، وأنشدك الله هل كان كذلك ؟ قال المغيرة : اللهم نعم ... فأبقاه عمر على ولايته ولم يزل واليه على العراق حتَّى مات^(٣) . وقال عمر : من استعمل فاجراً وهو يعلم أنَّه فاجر فهو مثله^(٤) .

(١) أسد الغابة في معرفة الصحابة ، ابن الأثير ١٥١/٤ ، الكامل في التاريخ ، ابن الأثير ٥٣/٣ ، تاريخ المدينة المنورة ، ابن شبة ٦٦٢/٢ .

(٢) شرح نهج البلاغة ٨٠/٤ .

(٣) عبقريّة عمر للعقاد ٤٢ .

(٤) تاريخ عمر لابن الجوزي ٥٦ .

والوالي الوحيد الذي اوصى عمر باخراجه هو المغيرة ، لتسببه في قتله ، إذ اوصى عثمان بتعيين سعد مكانه في الكوفة !

وكانت علاقة عمر مع المغيرة جيدة جداً ، فقد أسرَّ إليه رأيه في أبي بكر ، وحفظ له عمر مشاركته في أحداث السقيفة ، وما بعدها من خطوب ، فأثقفه من رجم محقق في قضية أم جميل في البصرة ، وولاه على البحرين والبصرة والكوفة .

قال الحسن بن علي رضي الله عنه للمغيرة : إنَّ حدَّ الله في الزنا ثابت عليك ، ولقد درأ عمر عنك حقاً الله سائله عنه ، ولقد سألت رسول الله ﷺ هل ينظر الرجل الى المرأة يريد أن يتزوجها ، فقال ﷺ : لا بأس بذلك يا مغيرة ما لم ينو الزنا . لعلمه بأنك زان ^(١) . وبعدما قال رسول الله ﷺ الولد للفراش وللعاهر الحجر نصح المغيرة زياداً بقتل أصله إلى أصل معاوية ^(٢)

وجاء : أبغض الأحياء الى رسول الله ﷺ بنو أمية وبنو حنيفة وثقيف ^(٣) . وأعمال المغيرة المخالفة للدين في الجاهلية والإسلام كثيرة ، منها غدره بقومه وقتله لهم وزناه بالبصرة ، وعمله مع معاوية ، ومحاربتة أهل البيت عليهم السلام .

وجاء في كتاب الأغاني : أنَّ المغيرة في أثناء ولايته للكوفة لقي أعرابياً من بني تميم بظهر الكوفة وهو لا يعرف المغيرة . فسأله المغيرة : ما تقول في أميرك المغيرة ؟ قال : أعور زنأ ^(٤) .

وهناك عدَّة ولاة أقوياء ومعروفون بالفساد والنفاق ، حكموا بلداناً مهمَّة ، طيلة فترة حياة عمر ، وهم معاوية وابن العاص والأشعري وابن أبي

(١) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ١٠٤/٢ .

(٢) مروج الذهب ، المسعودي ٦/٣ .

(٣) المستدرك ، الحاكم ٤٨٠/٤ .

(٤) الأغاني ١٥-١٣٨ طبعة سامي .

ربيعة والمغيرة^(١).

وقد استمرَّ المغيرة في انحيازه إلى جانب الباطل، فلما حدثت الحرب بين الإمام علي عليه السلام ومعوية جاء المغيرة فصلَّى بالناس ودعا معاوية^(٢).

لقد طلب معاوية المسيطر على الشام من طلحة والزبير السيطرة على البصرة والكوفة ليحاصروا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في الحجاز.

وبينما سعى معاوية وطلحة بن الزبير لفرض تلك الفكرة بالحرب والقوة فقد سعى المغيرة بن شعبة إلى فرضها بالحيلة والمكر.

إذ قال المغيرة: «يا أمير المؤمنين إن لك عندي نصيحة، فقال: وما هي؟ قال: إن أردت أن يستقيم لك ما أنت فيه فاستعمل طلحة بن عبيد الله على الكوفة، والزبير بن العوام على البصرة، وابعث معاوية بعهد على الشام، حتى تلزمه طاعتك، فإذا استقر قرارك رأيت فيه رأيك» ولم يستجب علي عليه السلام لذلك^(٣). وفي سنة أربعين هجرية افتعل المغيرة حيلة ماكرة ليكون أميراً للحج في زمن معاوية إذ زعم ابن حرير أن المغيرة افتعل كتاباً على لسان معاوية ليلى إمرة الحج عامئذٍ، وبادر إلى ذلك عتبة بن أبي سفيان، وكان معه كتاب من أخيه بإمرة الحج، فتعجل المغيرة فوقف بالناس يوم الثامن ليسبق عتبة إلى الأمرة^(٤).

(١) ذهب المغيرة بن شعبة والي الكوفة إلى دير هند بنت النعمان بن المنذر. وهي فيه عمية مترهبة خاطباً لها. فقالت: لو كنت جنتي لجمال أو حال لأطلبك (قبلتك) ولكن أردت أن تشرف بي في محافل العرب، فنقول: نكحت ابنة النعمان بن المنذر، وإلا فأبي خير في إجتماع أعور وعمياء، فبعث إليها: كيف كان أمركم؟ قالت: أمسينا وليس في الأرض عربي إلا وهو يرهنا أو يرغب إلينا، وأصبحتنا وليس في الأرض عربي إلا ونحن نرهه ونرغب إليه. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٣٠٥/٨.

(٢) سير أعلام النبلاء، الذهبي ١٢٢/٣.

(٣) مروج الذهب، المسعودي ٣٧٣/٢.

(٤) البداية والنهاية، ابن كثير ١٧/٨.

أي وقف المغيرة بالناس في اليوم الثامن في عرفات بدل اليوم التاسع مما يعني أن يوم رمي الجمرات والنحر والحلق قد أصبح في اليوم التاسع لا العاشر! فافسد المغيرة على الناس حجّهم كي يتولّى امارّة الحج! ولما أرسل عثمان المغيرة إلى ثوار العراق ومصر قالوا له: يا أعبور وراءك، يا فاجر وراءك، يا فاسق وراءك^(١).

وقد نصح المغيرة معاوية بتولية يزيد خليفة له وقال: لقد وضعت رجل معاوية في غرز بعيد الغاية على أمة محمد ﷺ!، وفتقت فتقاً لا يرتق أبداً!، ثم رجع المغيرة إلى الكوفة، ووافد مع ابنه موسى عشرة ممن يثق بهم من شيعة بني أمية، واعطاهم ثلاثين ألف درهم، فقدموا عليه، وزينوا له بيعة يزيد. فقال معاوية: لا تعجلوا بكذا، وكونوا على رأيكم؛ ثم قال لموسى سرّاً: بكم اشتري أبوك من هؤلاء دينهم؟ قال: بثلاثين ألفاً، قال: لقد هان عليهم دينهم^(٢).

وانا أعجب كيف انتخب أبو بكر وعمر وعثمان مجموعة سراق ومحتالين من افسق وافسد خلق الله تعالى ونصبوهم ولاة على الولايات الإسلامية. وقد اعترف عمر والصحابه بفسقهم بل اعترف الولاة أنفسهم بفجورهم، فعندما نصب معاوية المغيرة والياً على الكوفة، قال عمرو بن العاص لمعاوية: تستعمل المغيرة على الخراج فيقتال المال فيذهب فلا تستطيع أن تأخذ منه شيئاً، استعمل على الخراج من يخافك^(٣).

وكان ولاة عمر وأبي بكر وعثمان قد خرجوا على امام زمانهم علي ﷺ وحاربوه، بينما قال النبي ﷺ: حربه حربي وسلمه سلمي، وقال ﷺ: اللهم انصر

(١) أنساب الأشراف، البلاذري ١١١/٥-١١٢.

(٢) الكامل في التاريخ، ابن الأثير ٢١٤/٣-٢١٥، تاريخ الطبري ١٦٩/٦-١٧٠.

(٣) تاريخ الطبري ١٢٧/٤.

من نصره واخذل من خذله ، وقال ﷺ له : لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق^(١) . فتحققت النصوص في نفاقهم ومحاربتهم النبي ﷺ مثلها كان آباؤهم .

عمرو بن العاص

وقد كان عمرو بن العاص من دهاة العرب لا يقل مكرأ عن كعب الاحبار ، وبينما كان كعب يخدم اليهودية كان ابن العاص يخدم الكفر !

وقد مرّت علاقة ابن العاص مع عمر بمحالات قوة وفتور ، ففي زمن الرسول ﷺ وبالأذات في معركة ذات السلاسل كانت فاترة ، وفي السقيفة التحق ابن العاص (المترقب للفرص) بركب أبي بكر ، وعندما شاهد اشكالا في علاقة الانصار مع الحكومة ، تقدّم مسرعاً للنيل من الانصار ما استطاع الى ذلك سبيلا^(٢) . فأصبحت علاقته مع الدولة جيدة ، فأرسله أبو بكر قائداً للجيش ، ففتح مصر واصبح والياً عليها بأمر عمر . وقيل : إن ابن العاص هو الذي لقّب عمر بأمير المؤمنين وليس المغيرة . واعترف عمرو قبل وفاته بتركه الشهادة ، القضاء ، الكندي ٣٢ . ولما ضعفت العلاقة بينها حيناً قال ابن العاص : لعن الله زماناً صرت فيه عاملاً لعمر . والله لقد رأيت عمر وأباه على كل واحد منهما عباءة قطوانية لا تتجاوز مأبض ركبتيه ، وعلى عنقه حزمة حطب^(٣) .

وكانت بين عمر بن الخطاب وعمرو بن العاص هتات ، ذكرها الخواكم في كتاب المغازي^(٤) قال : بعث رسول الله ﷺ عمرو بن العاص في غزوة ذات

(١) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، صحيح الترمذي ٣٠١/٢ ، صحيح النسائي ٢٧١/٢ .

(٢) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ٢٩/٦ .

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٥٨/١ .

(٤) كتاب المغازي ، الخواكم ٤٣/٣ .

السلاسل، وفيهم أبو بكر وعمر، فلما انتهوا إلى مكان الحرب، أمرهم عمرو أن لا ينثروا ناراً، فغضب عمر بن الخطاب، وهم أن ينال منه، فنهاه أبو بكر وأخبره أنه لم يستعمله رسول الله عليك إلا لعلمه بالحرب، فهدأ عنه عمر^(١).

وقد كتب عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص وكان عامله على مصر: من عبد الله عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص: سلام عليك، فإنه بلغني أنه فشئت لك فاشية من خيل وإبل وغنم وبقر وعبيد، وعهدي بك قبل ذلك أن لا مال لك، فاكتب إلي من أين أصل هذا المال؟ ولا تكتمه.

فكتب إليه عمرو بن العاص: إلى عبد الله أمير المؤمنين سلام عليك فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد: فإنه أتاني كتاب أمير المؤمنين يذكر فيه ما فشأني وأنه يعرفني قبل ذلك لا مال لي، وإني أعلم أمير المؤمنين أنني في أرض السمر فيها رخيص، وإني أعالج من الحرفة والزراعة ما يعالج أهله، وفي رزق أمير المؤمنين سعة، والله لو رأيت خيانتك حلالاً ما خنتك، فاقصر أيها الرجل، فإن لنا أحساباً، هي خير من العمل لك، إن رجعنا إليها عشنا بها، ولعمري إن عندك من تدم معيشته ولا تدم له، فأني كان ذلك، ولم يفتح قفلك ولن نشاركك في عملك.

فكتب إليه عمر: أما بعد: فإني والله ما أنا من أساطيرك التي تسطر، ونسبك الكلام في غير مرجع لا يعني عنك أن تزكي نفسك، وقد بعثت إليك محمد بن مسلمة، فشاطره مالك، فإنكم أيها الأمراء، جلستم على عيون المال لم يزعجكم عذر، تجمعون لأبنائكم، وتمهدون لأنفسكم، أما إنكم تجمعون العار وتورثون النار والسلام. فلما قدم عليه محمد بن مسلمة، صنع له عمرو طعاماً كثيراً، فأبى محمد بن مسلمة أن يأكل منه شيئاً، فقال له عمرو: أتحرمون طعامنا؟

فقال: لو قدّمت إليّ طعام الضيف أكلته، ولكنّه قدّمت إليّ طعاماً هو تقدمة شر، والله لا أشرب عندك ماءً، فاكتب لي كلّ شيء هو لك ولا تكفه، فشاطره ماله باجمعه، حتّى بقيت نعلاه فأخذ أحدهما وترك الآخرى، فغضب عمرو بن العاص فقال: يا محمد بن سلمة قَبِّحَ اللهُ زماناً عمرو بن العاص لعمر بن الخطاب فيه عامل، والله إنّى لأعرف الخطاب يحمل فوق رأسه حزمة من الخطب، وعلى ابنه مثلها، وما منها إلاّ في غرة لا تبلغ رصفيه، والله ما كان العاصي بن وائل يرضى أن يلبس الديباج مزوّراً بالذهب.

قال له محمد: أسكت والله عمر خير منك وأماً أبوك وأبوه في النار، والله لولا الزمان الذي سبقته فيه لألفيت معقل شاة يسرّك غزرها ويسرّك بكرها.

فقال عمرو: هي عندك بأمانة الله، فلم يخبر بها عمر. وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا رأى رجلاً يضرب في كلامه (يخلط) قال: أشهد أنّ الذي خلّقتك وخلق عمرو بن العاص واحد^(١). والظاهر أن عمر قد كان معجباً بكلام عمرو بن العاص وتوجهاته، والنص السابق شاهد على ذلك، مثلما كان معجباً بمعاوية فوصفه بكسرى العرب. والملاحظ من سيرة عمر أنّها مليئة بالمكائد والحيل فقد أرسله أهل قريش إلى الحبشة لأرجاع المسلمين لقتلهم والانتقام منهم. وفي سفره إلى الحبشة مع عمارة بن الوليد بن المغيرة نراه قد أقدم على قتل رفيق سفره بمكيّة شيطانية^(٢). وبعد وفاة النبي ﷺ حاول ابن العاص الحصول على منصب عالٍ في الدولة، فأعلن عن انضمامه إلى حزب قريش المعادي لأهل البيت ﷺ والأنصار. وعلى الأثر ولّاه عمر فلسطين ثمّ ولّاه على جيوش مصر. ولما عزله عثمان

(١) كتاب الحيوان للجاحظ ٥/٥٨٧. وقال ما ينهني لأبي عبد الله أن يسبي على الأرض إلاّ أسيراً
الاصابة ٣/٥.

(٢) نسب قريش ٣٢٢.

أقام الدنيا ولم يقعدھا عليه . وعندما قُتِل عثمان قال عمرو بن العاص : قتلته وأنا في الشام^(١) . وبعد فترة قصيرة وعلى أثر اتفاقه مع معاوية على استلام ولاية مصر مقابل دعمه لمعاوية أعلن عمرو المطالبة بدم عثمان فكانت صفقة لبيع دين بدنيا^(٢) . وقال ابن العاص لمعاوية : لا اعطيك ديني حتى آخذ من دنياك ، قال معاوية : لك مصر طعمة^(٣) .

وقد قال خالد بن سعيد بن العاص (والي الرسول ﷺ على اليمن) : يا معشر قريش إنَّ عمرأ دخل في الإسلام حين لم يجد بداً من الدخول فيه ، فلما لم يستطع أن يكيد به بيده كاده بلسانه^(٤) .

وكان عمر قد انتحل الإسلام انتحالاً مستبطناً الكفر بعد قول ملك الحبشة له : ويحك يا عمرو أطعني وأتبعه ، فإنه والله لعلى الحق ، وليظهرن على من خالفه ، كما ظهر موسى على فرعون وجنوده^(٥) .

وقال علي بن أبي طالب عن ابن العاص ومعاوية واعوانهم : والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما أسلموا ولكن استسلموا ، وأسرؤوا الكفر ، فلما وجدوا أعواناً رجعوا إلى عداوتهم مثلاً ، إلا أنهم لم يدعوا الصلاة^(٦) .

ولما قال معاوية لعمر : اتبعني . قال : لماذا ، للآخرة ؟ فوالله ما معك آخرة ، أم للدنيا فوالله لا كان حتى أكون شريكك فيها . قال : فانت شريكي فيها^(٧) .

(١) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ١٠٣/٢ ، تاريخ الطبري ٥٥٩/٣ .

(٢) تاريخ الطبري ٥٦٠/٣ .

(٣) وقعة صفين ص ٣٤-٣٩ ، تاريخ اليعقوبي ١٨٤/٢-١٨٦ ، تاريخ ابن خلدون ٦٢٥/٢ .

(٤) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ٣٢/٦ .

(٥) سيرة ابن هشام ٣١٩/٣ .

(٦) كتاب صفين لابن مزاحم ص ٢١٥ .

(٧) العقد الفرید ١٤٤/٤ .

ولما رحل عمرو بن العاص إلى معاوية قال ابنه عبد الله بن عمرو: بال
 الشيخ على عقبه، وباع دينه بدنياه^(١). وقال عتبة بن أبي سفيان لمعاوية:
 أعط عَمْرًا إنَّ عَمْرًا تارك دينه اليوم لدنيا لم تُحْزُ
 وبعد خروج عمرو من رحل معاوية سأله ابنه: ما صنعت؟ قال: أعطانا
 مصر. قالوا: وما مصر في ملك العرب. قال: لا أشبع الله بطونكم إن لم يشبعكم
 مصر^(٢).

وقال عمار لابن العاص: بعث دينك بمصر، تبأ لك، وطالما بغيت الإسلام
 عوجاً، والله ما قصدك وقصد عدو الله ابن عدو الله بالتعلل بدم عثمان إلا الدنيا^(٣).
 ذكر ابن أبي الحديد المعتزلي أن المعتزلة تصف عمرو بن العاص ومعاوية بن
 أبي سفيان بالالحاد^(٤)، ونقل أبو يعلى قائلًا: كنّا مع النبي ﷺ فسمع صوت غناء،
 فقال: انظروا، فصعدت فنظرت، فإذا معاوية وعمرو بن العاص يتغنيان، فجئت
 فأخبرت النبي ﷺ فقال: اللهم إركسهما في الفتنة ركساً، اللهم دعهما إلى النار دعاً.
 وقد أخرج الحديث أحمد بن حنبل، وأئده السيوطي، وقال: وله شاهد من
 حديث ابن عباس أخرجه الطبراني في الكبير عنه قائلًا: سمع النبي ﷺ صوت
 رجلين يتغنيان وهما يقولان:

ولا يزال جوادي تلوح عظامه ذوي الحرب عنه أن يجن فيقبرا
 فسأل عنها فقيل له: معاوية وابن العاص فقال ﷺ: اللهم إركسهما في الفتنة
 ركساً، ودعهما إلى النار دعاً.

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٦٣/٢ خطبة ٢٦.

(٢) وقعة صفين ص ٣٤-٤٠، شرح نهج البلاغة ٦٧-٦١/٢ خطبة ٢٦، تاريخ اليعقوبي ١٨٤/٢-١٨٦.

رغبة الآمل في كتاب الكامل مج ٢/ج ٣/٢١٠، قصص العرب ٣٦٨/٢ رقم ١٤٩.

(٣) التذكرة، ابن الجوزي ص ٩٢، وقعة صفين ص ٣٢٠.

(٤) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٥٣٧/٤.

وهذا القول شاهد على كفرهما ، وهو يضاف الى أقواله السابقة ﷺ في بني أمية .

ولما كان عمرو بن العاص والياً لمصر ، كان ابنه يجري الخيل في ميدان السباق ، فنازعه بعض المصريين السبق ، واختلفا بينهما لمن يكون الفرس السابق . وغضب ابن الوالي فضرب المصري وهو يقول : أنا ابن الأكرمين ، فاستدعى عمر الوالي وابنه حين رفع إليه المصري أمره . ونادى بالمصري في جمع من الناس أن يضرب خصمه قائلاً له : اضرب ابن الأكرمين ... ثم أمره أن يضرب الوالي ؛ لأن ابنه لم يجرؤ على ضرب الناس إلا بسلطانه ^(١) .

والظاهر أنه ضربه بعد المشادة التي وقعت بين عمر وابن العاص . وقد ذكر ابن الكلبي (هشام بن محمد) المتوفى في سنة ٢٠٤ هجرية نسبه في كتابه مثالب العرب ^(٢) قائلاً : وأما النابغة أم عمرو بن العاص - هي حبشية - فإنها كانت بغية ، قدمت مكة ومعها بنات لها فوق عليها العاص بن وائل في عدة من قریش ، منهم : أبو لهب ، وأميمة بن خلف ، وهشام بن المغيرة ، وأبو سفيان ، فولدت عمراً فتخاصم القوم جميعاً فيه ، كل يزعم أنه ابنه .

ثم أضرب عنه ثلاثه ، وأكبر عليه اثنان وهما : العاص بن وائل وأبو سفيان ابن حرب ، فحكما أمه فيه ، فقالت : للعاص . فليل لها بعد ذلك : ما حملك على ما صنعت ؟ وأبو سفيان أشرف من العاص ؟

فقالت : إن العاص كان ينفق على بناتي ، ولو ألحقته بأبي سفيان لم ينفق علي العاص شيئاً ، وخفت الضيعة .

وزعم ابنها عمرو بن العاص أن أمه من عذره بن أسد بن ربيعة ، كما ذكره

(١) عبقريه عمر للمقاد ٤٥ .

(٢) مثالب العرب ، باب تسمية ذوي الرأيات ، هشام بن محمد الكلبي .

سبط بن الجوزي^(١) وروى معظم المفسرين أن آية ﴿إِنْ شَاءَ رَبُّكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ قد نزلت فيه^(٢). فبين القرآن نسبه الوضيع ونسب أبنائه أيضاً! فيكون ابنه أوه ليس من صلبه وأيد ذلك غائمة. وقد قال الإمام علي عليه السلام عنه: الأثر بن الأثر^(٣).

وقالت غائمة بنت غانم لعمر: إني والله لعارفة بعيوبك وعيوب أمك، وإني أذكر لك ذلك عيباً عيباً؛ ولدت من أمة سوداء مجنونة حمقاء، تبول من قيام، وتعلوها اللثام، إذا لامسها الفحل كانت نطفها أنفذ من نطفته، ركبها في يوم واحد أربعون رجلاً! وأما أنت فقد رأيتك غاوباً غير راشد ومفسداً غير صالح، ولقد رأيت فحل زوجتك على فراشك فاعرت ولا أنكرت^(٤).

وروى أبو عبيدة بن المثنى المتوفى سنة ٢٠٩^(٥): أن عمراً اختصم فيه يوم ولادته رجلان: أبو سفيان، والعاص بن وائل وفي ذلك قال حسان بن ثابت:

أبوك أبو سفيان لا شك قد بدت لنا فيك من بينات الدلائل

وقال الإمام الحسن لعمر بن العاص بمحضر معاوية وأعوابه: أما أنت يا ابن العاص فإن أمرك مشترك، وضعتك أمك مجهولاً من عهر وسفاح،

(١) التذكرة ١١٧، السيرة الحلبية ٤٧/١، العقد الفريد ١٦٤/١.

(٢) الطبقات، ابن سعد ١١٥/١، المعارف، ابن قتيبة ١٢٤، تاريخ دمشق لابن عساكر ١٣٠/٧.

(٣) جمهرة الرسائل ٤٨٦/١.

(٤) المعاسن والأضداد، الجاحظ ١٠٢-١٠٤، المعاسن والمساوي، البيهقي ٦٩١-٧١، وذكر أن أروى بنت العارث بن عبد المطلب نسب معاوية وعمر بن العاص الوضيع أيضاً، بلاغات النساء ص ٢٧، العقد الفريد ١٦٤/١، روض المناظر ٤/٨، ثمرات الاوراق ١٣٢/١، دائرة المعارف لفريد وجدي ٢١٥/١.

وقال ابن عباس لعمر: إنك من اللثام الفجرة... دخلت في قريش ولست منها، فانت الساقط بين فراشين لا في بني هاشم رحلك ولا في بني عبد شمس رحلتك، فانت الاثيم الزنيم، العقد الفريد، ابن عبد ربه ٢٠٣/٣.

(٥) كتاب الأنساب، شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ١٠٠/٢.

فتحاكم فيك أربعة من قریش ، فغلب عليك جزأها الأهمهم حسباً ، وأخبثهم منصباً ، ثم قام أبوك فقال : أنا شافى محمد الأبتَر ، فأُنزِكَ الله فيه ما أنزل^(١) .

ولما أرسل عثمانُ ابن العاص إلى ثوار العراق ومصر قالوا له : لا سلّم الله عليك ! إرجع يا عدو الله إرجع يا ابن النابغة ! فلست عندنا بأمين ولا مأمون^(٢) .

واراد ابن العاص فتح الاسكندرية للغنيمة ! فكذب على عثمان بن عفان وادّعى أنهم نقضوا عهدهم مع المسلمين . فعهد إليه ، فحارب أهلها وافتتحها ، وقتل المقاتلة ، وسبي الذرية . فنقم ذلك عليه عثمان ، ولم يصحّ عنده نقضهم العهد ، فأمر برد السبي الذين سبوا من القرى إلى مواضعهم ، وعزل عمرأ من مصر^(٣) .

ولما أتاها خبر مقتل عثمان قال : أنا أبو عبد الله إذا نكأت قرحة أدميتها وقال : أنا أبو عبد الله قتلته وأنا بوادي السباع . ثم قال لمعاوية : أم والله إن قاتلنا معك نطلب بدم الخليفة إن في النفس من ذلك ما فيها ، حيث نقاتل من تعلم سابقته وفضله وقرابته ، (علياً عليه السلام) ، ولكنّا إنما أردنا هذه الدنيا ، فصالحه معاوية وعطف عليه^(٤) . وعندما قال عمرو بن العاص : أشهد أن لا إله إلا الله ، قال له عمار بن ياسر : اسكت فقد تركتها في حياة محمد ومن بعده يا عمرو بعت دينك تبأ

(١) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ١٠١/٢ .

(٢) أنساب الأشراف ، البلاذري ١١١/٥ - ١١٢ .

(٣) الاستيعاب ٤٣٥/٢ ، شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ١١٢/٢ .

(٤) أنساب الأشراف ، البلاذري ٧٤/٥ - ٨٧ ، تاريخ الطبري ١٠٨/٥ - ١٢٤ ، الكامل في التاريخ ، ابن

الأثير ٦٨/٣ ، تذكرة السبط ٤٩ ، جمهرة رسائل العرب ٣٨٨ ، شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد

لك^(١). وقال خالد بن سعيد بن العاص : يا معشر قريش إنَّ عَمراً (ابن العاص) دخل في الإسلام حين لم يجد بداً من الدخول فيه ، فلما لم يستطع أن يكيده بيده كاده بلسانه ، وإنَّ مِنْ كيده الإسلام تفريقه وقطعه بين المهاجرين والأنصار^(٢).

وابن العاص الذي اتَّفقت الآراء على كفره ، وَلَعَنَهُ النبي ﷺ ، كيف يتولَّى ولاية مصر طيلة حكم عمر بن الخطاب ؟! وقد قال ابن العاص : إِنَّمَا أَرَدْنَا هَذِهِ الدُّنْيَا^(٣) وقال ابن عمر : وَأَمَّا أَنْتَ يَا عَمْرُو فَظُنُّونَ^(٤).

وكان عمرو يؤذي رسول الله ﷺ بمكَّة ، ويشتمه ويضع في طريقه الحجارة ، إذ كان ﷺ يخرج من منزله ليلاً فيطوف بالكعبة ، وكان عمرو يجعل له الحجارة في مسلكه ليعثرَ بها ، وكان ابن الخطاب يؤذي النبي ﷺ أيضاً قبل اسلامه .

وهو أحد القوم الذين خرجوا الى زينب ابنة رسول الله ﷺ لما خرجت مهاجرة من مكَّة الى المدينة ، فروَّعوها وقَرَّعوا هُودَجها بكعوب الرماح ، حتَّى أجهضت جنيناً ميتاً من أبي العاص بن الربيع بعلمها ، فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ نال منه وشقٌّ عليه مشقة شديدة ولعنهم^(٥) ، وقتل المسلمون محسن بن فاطمة ﷺ .

ولم يحكم عمرو في مصر بعد مقتل الإمام علي ﷺ إلا ثلاث سنين فتوفِّي في سنة ٤٣ هـ وقال قبل وفاته لابنه : أصلحت لمعاوية دنياه ، وأفسدت ديني آثرت دنياي وتركت آخري ، عُمِّي علي رشدي حتَّى حضرتني أجلي ، كأني بمعاوية قد حوى مالي ، وأساء فيكم خلافتي .

(١) التذكرة . سبط ابن الجوزي ٥٣ ، كتاب صفين ، نصرب بن مزاحم ١٧٦ ، شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ٣٧٣/٢ .

(٢) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ٣٢/٦ .

(٣) تاريخ الطبري ٥٦٠/٣ .

(٤) وقمة صفين ص ٦٢ .

(٥) روى ذلك الواقدي ، شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ٢٨٢/٦ .

ثم استصفي (معاوية) مال عمر... وولى أخاه عتبة ابن أبي سفيان مصر^(١)
وعزل ابن عمرو بن العاص عن الحكم وكان معاوية قد عاهد ابن العاص
على إعطائه مصر طعمه له ولعائلته، لكنه سرعان ما نقض اتفاقه المذكور
وعن الأعمال الدنيوية المعادية لله سبحانه وتعالى قال الحسن البصري:
أفسد أمر الناس اثنان: عمرو بن العاص يوم أشار على معاوية برفع المصاحف
فحملت، ونال من القراء، فحكم الخوارج، فلا يزال هذا التحكيم إلى يوم القيامة،
والخيرة بن شعبة، فإنه كان عامل معاوية على الكوفة فكتب إليه معاوية: إذا
قرأت كتابي فأقبل معزولاً، فابطأ عنه، فلما ورد عليه قال: ما أبطأ بك؟ قال: أمر
كنت أوطئه وأهينه، قال: وما هو؟ قال: البيعة ليزيد من بعدك! قال: أوقد فعلت؟
قال: نعم.

قال: ارجع إلى عملك.

فلما خرج قال له أصحابه: ما وراءك؟ قال: وضعت رجل معاوية في غرز
غبي لا يزال فيه إلى يوم القيامة. قال الحسن (البصري): فمن أجل ذلك بايع هؤلاء
لأبنائهم، ولولا ذلك لكانت شورى إلى يوم القيامة^(٢).

وعندما حارب عمرو بن العاص علياً عليه السلام في معركة صفين وبيده لواء
رسول الله ﷺ قال علي عليه السلام: هذا لواء عقده رسول الله ﷺ وقال: «مَنْ يأخذه
بحقه؟ فقال عمرو: وما حقه يا رسول الله؟ فقال: لا تفرّ به من كافر، ولا تقايل به
مسليماً، فقد فرّ به من الكافرين في حياة رسول الله ﷺ، وقد قاتل به المسلمون
اليوم»^(٣).

(١) تاريخ اليعقوبي ٢/٢٢٢.

(٢) تاريخ الخلفاء، السيوطي ١/٢٠٥.

(٣) الأخبار الطوال، أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري ط. الحلبي وشركاء ١٧٤/٥.

الوليد بن عقبة بن أبي معيط

والوليد من الطلقاء الذين أسلموا قهراً عند الفتح. وأبوه من المعادين للرسول ﷺ فقتله النبي ﷺ صبراً بعد معركة بدر بيد علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وقد نصبه عمر والياً على عرب الجزيرة^(١).

وقد نزل القرآن بتفسيق الوليد بن عقبة: ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِيقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾. وقد ذكر ابن الأثير: ولا خلاف بين أهل العلم بتأويل القرآن أن قوله تعالى ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِيقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾^(٢) أنزلت في الوليد بن عقبة، وذلك أن رسول الله ﷺ بعثه مصدقاً إلى بني المصطلق، فعاد وأخبر عنهم أنهم ارتدوا ومنعوا الصدقة^(٣).

وكان عمر بن الخطاب أول من أرسل الوليد والياً على عرب الجزيرة^(٤). وذكر ابن قتيبة بأن عمر قد أرسله على صدقات بني تغلب^(٥). وقال عقيل بن أبي طالب للوليد: إِنَّكَ لَتَتَكَلَّمُ يَا ابْنَ أَبِي مَعِيطَ كَأَنَّكَ لَا تَدْرِي مَنْ أَنْتَ، وَأَنْتَ عُلِجَ مِنْ أَهْلِ صَفُورِيَّةٍ - وهي قرية بين عكا واللاجون من أعمال الأردن من بلاد طبرية كان ذكوان أبوه يهودياً منها -^(٦). وقال النبي ﷺ

(١) تاريخ الطبري ٣/٣١١، سيرة ابن هشام ١/٣٨٥، ٢/٢٥٧. وتفسير الآيات ﴿ويوم يعض الظالم على يديه...﴾ الفرقان: ٣٠-٣٢ من تفسير القرطبي والطبري والزمخشري وابن كثير والرازي. البداية والنهاية، ابن كثير ٣/٣٢٧ طبعة دار إحياء التراث.

(٢) المعجم، ٥.

(٣) أسد الغابة، ابن الأثير ٥/٤٥١، طبعة دار أحياء التراث، مختصر تاريخ ابن عساكر ٢٦/٣٣٨.

(٤) تاريخ الطبري ٣/٣٢٧ طبعة الأعلمي، الكامل في التاريخ، ابن الأثير ٣/٨٢ ط. صادر، بيروت.

(٥) المعارف، ابن قتيبة ص ٣١٩.

(٦) مروج الذهب، المسعودي ١/٣٣٦.

لعقبة بن أبي معيط: إنما أنت يهودي من أهل صفورية^(١).

وعندما أرسل عثمان الوليد والياً على الكوفة وعزل سعد بن أبي وقاص قال له سعد: والله ما أدري أكنست بعدنا أم حيقنا بعدك^(٢). وفي الكوفة جاء الوليد بساحر يهودي لا يراز سحره في مسجد الكوفة أمام المسلمين، فأحدث فتنة هناك واضطر جندب لقتل ذلك الساحر. وشرب الوليد الخمر وصلى سكران، قال عمر بن شبة: صلى الوليد بن عقبة بأهل الكوفة صلاة الصبح أربع ركعات، ثم التفت إليهم فقال: أزيدكم؟ فقال عبد الله بن مسعود: ما زلنا معك في زيادة منذ اليوم^(٣). ونزل في الوليد أيضاً آية: ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾^(٤). قال: يعني بالمؤمن علياً وبالفاسيق الوليد بن عقبة^(٥).

وقال ابن عبد البر: صلى الوليد الصبح أربع ركعات وقال: هل أزيدكم^(٦). وقال أبو الفداء في تاريخه: إن قصة صلاته بالناس الصبح أربعاً وهو سكران مشهورة مخرجه^(٧).

وقال السيوطي: صلى الوليد بأهل الكوفة أربع ركعات، وصار يقول في ركوعه وسجوده: اشرب واسقني^(٨).

(١) السيرة الحلبية ١٨٦/٢.

(٢) سيرة ابن هشام ١٥٥٤/٤، أسد الغابة، ابن الأثير ٤٥٢/٥.

(٣) الاستيعاب ١٥٥٤/٤، أسد الغابة، ابن الأثير ٤٥٢/٥.

(٤) السجدة، ١٨.

(٥) مختصر تاريخ ابن عساكر، ابن منظور ٣٦/٣٤٠.

(٦) الاستيعاب، ابن عبد البر ٦٣٤/٣، مسند أحمد ١٤٤/١، سنن البيهقي ٣١٨/٨، تاريخ السيوطي

١٤٢/٢.

(٧) تاريخ أبي الفداء ١٧٦، الاصابة، ابن حجر ٦٣٨/٣.

(٨) تاريخ الخلفاء، السيوطي ١٠٤، سيرة الحلبية ٣١٤/٢، الاغانى، أبو الفرج الأصفهاني ١٧٨/٤.

سعد بن أبي وقاص

سعد من بني زهرة من قريش، شأنه في ذلك شأن عبد الرحمن بن عوف واصله من بني عذرة، وهو من الجماعة التي أيدت أبا بكر وعمر وعثمان ونصرتهم في مناجهم واهداهم ووصلهم الى الخلافة، وقد حفظ له عمر هذه الخدمة فولاه على جيوش العراق، ثم جعله والياً على الكوفة فترة ثم عزله وأوصى خليفته بإرجاعه والياً عليها.

وكانت علاقته بالدولة قوية الى درجة ان أوصى عمر الى أربعة أشخاص منهم سعد بن أبي وقاص فقد أوصى: ان تكون البيعة بيد عبد الرحمن بن عوف فقال: إن انقسم رجال الشورى الستة الى قسمين فالقول ما قاله ابن عوف. فأوصى إلى عثمان بالخلافة^(١).

وأوصى عمر خليفته بتعيين سعد بن أبي وقاص والياً على الكوفة^(٢)، أي ان عمر أوصى الى ثلاثة رجال من أهل مجلس الشورى وهم عثمان وابن عوف وسعد^(٣).

وأوصى عمر بتولية أبي موسى الأشعري على البصرة^(٤) وفي مقابل هذا لم يعط عمر أي امتياز للثلاثة الآخرين في الشورى!

ولكن عثمان نقض ما أبرمه عمر، ونكث ما عهد به، إذ طرد سعداً من ولاية الكوفة، وعين أخاه من أمه الوليد بن عقبة مكانه، ثم طرد عبد الرحمن من مجلسه

(١) ذكرنا ذلك في هذا الكتاب في موضعه.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ص ٥٠.

(٣) مختصر تاريخ ابن عساكر ٢٥٤/٩.

(٤) شرح نهج البلاغة ص ٥٠.

ومن خلافته وخلع أبا موسى الأشعري من ولاية البصرة!

وعن احراق عمر لباب بيت سعد جاء : قيل : أنه (سعد) اتخذ باباً مبوباً من خشب ، وخصّ على قصره خصاً من قصب ، فبعث عمر بن الخطاب محمد بن مسلمة الانصاري ، حتّى أحرق الباب والخص ، وأقام سعداً في مساجد الكوفة ، فلم يقل فيه إلا خيراً^(١).

وأخذ عمر نصف أموال سعد بعد اقراره بها .

وقد طال عمر سعد الى أيام حكم معاوية فقال معاوية له : يا أبا اسحاق أنت الذي لم يعرف حقنا وجلس فلم يكن معنا ولا علينا .

فقال سعد : إني سمعت رسول الله ﷺ يقول لعلي : أنت مع الحق ، والحق معك حيثما دار .

قال : فقال معاوية : لتأتيني على هذا بيئته . قال : فقال سعد : هذه أم سلمة تشهد على رسول الله ﷺ فقاموا جميعاً فدخلوا على أم سلمة . فقالوا : يا أم المؤمنين : إن الأكاذيب قد كثرت على رسول الله ﷺ وهذا سعد يذكر عن النبي ﷺ ما لم نسمعه ، أنه قال يعني لعلي : أنت مع الحق والحق معك حيثما دار .
فقالت أم سلمة : في بيتي هذا قال رسول الله ﷺ لعلي : أنت مع الحق والحق معك حيثما دار .

قال : فقال معاوية لسعد : يا أبا اسحاق ، ما كنت ألوم الآن ، إذ سمعت هذا من رسول الله ﷺ وجلست عن علي ؟ لو سمعتُ هذا من رسول الله ﷺ لكنت خادماً لعلي حتّى أموت^(٢) . إن سعد بن أبي وقاص قد سمع هذا الحديث من فم

(١) فتوح البلدان للبلاذري ص ٢٨٦ ، تاريخ الطبري ١٥٠/٣ .

(٢) مختصر تاريخ ابن عساكر ، ابن منظور ٢٧٠/٩ ، وروى سعد أيضاً حديث : يا علي لا يهيك إلا مؤمن ولا يبيضك إلا منافق .

الرسول ﷺ لكُتُه ترك علياً، وبائع أبا بكر وعمر، وتركه ثانية في مجلس الشورى فبايع عثمان، وتركه ثالثة إذ لم يبايع له بعد بيعة الناس العامة له ولم يحارب معه، ثم بايع معاوية؟

وسمع معاوية بالحديث من فم سعد وأم سلمة، ثم أمر بلعن علي عليه السلام من على ما أذن المسلمون؟!

فلا أدري من الذي صنيعه أشدُّ قبحاً معاوية أم ابن أبي وقاص؟! وقال عمر عن علي عليه السلام: إنه مولى كل مؤمن ومؤمنة^(١) إلا أنه تركه وأوصى إلى عثمان بن عفان!

لقد كان سعد والياً لعمر على الكوفة وكان معاوية والياً له على الشام، وهذان الولايان مع باقي ولاية عمر المشهورين كانوا كلهم ضدَّ علي بن أبي طالب عليه السلام وهم عمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة، وعبد الله بن أبي ربيعة المخزومي، وأبو موسى الأشعري، وأبو هريرة.

ولما قُتِل علي عليه السلام وتولَّى معاوية زار سعد الشام، إذ جاء: «أن سعد بن أبي وقاص وفد على معاوية فأقام عنده شهراً يقصر الصلاة أو شهر رمضان فافطره»^(٢).

وعن ضمرة بن ربيعة قال: قال حفص: «قَدِم سعد بن أبي وقاص على معاوية... فبايعه وما سأله شيئاً إلا أعطاه إياه»^(٣).

وتولَّى سعد بن أبي وقاص والحسن بن علي بن أبي طالب في أيام بعدما

(١) ذخائر العقبين ص ٦٨، الصواعق المحرقة ١٠٧، الرياض النظرة، الحافظ ابن سلمان ١٧٠/٢، الفتوحات الإسلامية ٣٠٧/٢.

(٢) مختصر تاريخ ابن عساكر، ابن منظور ٢٥٢/٩.

(٣) المصدر السابق ٢٥٣/٩.

مضى من إمارة معاوية عشر سنين^(١).

وذكر ابو الفرج الأصفهاني قتل معاوية لها.

أبو موسى الاشعري

كان أبو موسى قد قدم مكّة في الجاهلية ، وحالف سعيد بن العاص بن أميّة ، وجاء مع قومه الى المدينة أثناء وجود الرسول ﷺ في خيبر ليعلمن اسلامه .

وكان من المقرّبين الى عمر لذلك عيّنه والياً على البصرة ثم أوصى الى خليفته بابقاء أبي موسى والياً على البصرة . ولكنّ عثمان لم يعمل بوصيّة عمر .

إذ جاء : « وعزله عن البصرة ، وولاها عبد الله بن عامر بن كريز ، فنزل أبو موسى حينئذ بالكوفة وسكنها ، فلما دفع أهل الكوفة سعيد بن العاص ، ولوا أبا موسى ، وكتبوا الى عثمان يسألونه أن يوليّه ، فأقرّه عثمان على الكوفة الى أن مات ، وعزله عليّ ﷺ عنها فلم يزل واجداً منها على عليّ »^(٢).

وكان أبو موسى قد جاء بأموال جلييلة من العراق ، فقسمها كلّها عثمان في بني أميّة^(٣) ولم يعترض أبو موسى على ذلك ، في حين استعفى زيد بن أرقم من عمله كأمين ببيت المال احتجاجاً على اعطاء أموال كثيرة من قبل عثمان لأفراد بني أميّة . هذا في المدينة ، وفي الكوفة استقال عبد الله بن مسعود لنفس السبب^(٤).

وقد أفنى أبو موسى الأشعري (عبد الله بن قيس) عمره للعمل لصالح الحزب القرشي .

(١) مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ، ابن منظور ٢٧١/٩ .

(٢) الاستيعاب بهامش الأصابة ، ابن عبد البر ٣٧٢ .

(٣) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ١٩٩/١ .

(٤) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ٦٦/١ ، طبع مصره شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ٦٧/١ .

وقد قال الإمام علي عليه السلام عنه : صُيغَ في العلم صبغة ثم خرج منه . وكان أبو موسى الأشعري من المنحرفين عن الإمام علي عليه السلام وقد جاء في مبغض علي عليه السلام من الحديث ما جاء (١) .

ولما جاء نبأ مقتل عثمان إلى أهل الكوفة قال هاشم (بن عتبة بن أبي وقاص) لأبي موسى الأشعري : تعال يا أبا موسى بايع لخير هذه الأمة علي فقال : لا تعجل . فوضع هاشم يده على الأخرى : فقال هذه لعلي وهذه لي . وقد بايعت الناس علياً وأنشده :

أبايع غير مكترث علياً ولا أخشى اميراً أشعرياً
أبايعه واعلم أن سأرضي بذلك الله حقاً والنبياً (٢)

وفي موضوع حذيفة بن اليمان ومعرفته بأسماء المنافقين وأحوالهم ، ذكر حذيفة اسمه وأحواله فيهم ، إذ ذكر العالم الأندلسي ابن عبد البر في الاستيعاب قائلاً : « فقد روي فيه (الأشعري) لحذيفة كلام كرهت ذكره ، والله يغفر له » (٣) .

واستمر أبو موسى معادياً لعلي عليه السلام فقد تبطئ الناس عن الحرب مع علي عليه السلام في معركة الجمل ، ودعا إلى خلع علي عليه السلام في قضية الحكيم (٤) .

وقد خلع علي عليه السلام عن ولاية الكوفة ، وقال له الأشر : فوالله إنك لمن المنافقين قديماً (٥) . وكتب إليه علي بن أبي طالب عليه السلام : « فإنك امرؤ ضللك الهوى ، واستدرجك الغرور » (٦) .

(١) يا علي لا يحبك إلا مؤمن ولا يهتضك إلا منافق ، صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ١ / ١٢٠ .

(٢) الإصابة ، ابن حجر العسقلاني ، ٥٩٢ / ٣ .

(٣) الاستيعاب بهامش الإصابة ، ابن عبد البر ٣٧٢ .

(٤) تاريخ الطبري ٤٩ / ٤ ، ٥٠ .

(٥) تاريخ الطبري ٥٠٦ / ٣ .

(٦) المقدر الفريد ، ابن عبد ربه الأندلسي ٣٢٥ / ٤ .

وقال الأشعث بن قيس ومن ارتد بعد ذلك إلى رأي الخوارج: رضينا نحن بأبي موسى الأشعري، فقال علي: قد عصيتموني في أول هذا الأمر فلا تعصوني الآن. إني لا أرى أولي أبا موسى الأشعري، فقال الأشعث ومن معه: لا نرضى إلا بأبي موسى الأشعري قال عليه السلام: ويحكم هو ليس بثقة، قد فارقتي وخذّل الناس مني وفعل كذا وكذا وذكر أشياء فعلها أبو موسى، ثم إنه هرب شهوراً حتى أمنتته^(١). وعن مجاهد عن الشعبي: كتب عمر في وصيته لا يقر لي عامل أكثر من سنة، واقرّ الأشعري على البصرة أربع سنين^(٢).

وقال ابن الكلبي: ولّاه عمر على صدقات جهينة، وقال غيره: كان عند عمر معد لكشف الأمور المعضلة في البلاد وعندما أبطأ خبر عمر على أبي موسى الأشعري، ذهب الأشعري إلى امرأة في بطنها شيطان ليسألها عن عمر^(٣).

قدامة بن مضعون

وهو صهر عمر بن الخطاب ذكر ابن حجر العسقلاني في كتابه الاصابة: استعمل عمر قدامة على البحرين في خلافته، وله معه قصّة، قال البخاري حدّثنا أبو اليمان، أنبأنا شعيب عن الزهري أخبرني عبد الله بن عامر ابن ربيعة، (وكان أكبر بني عدي، وكان أبوه شهد بدرًا مع النبي صلى الله عليه وسلم). إن عمر استعمل قدامة بن مضعون على البحرين، وكان شهد بدرًا، وهو خال عبيد الله بن عمر وحفصة، كذا اختصره البخاري، لكنّه موقوف وقد أخرجه عبد الرزاق بطوله. قال: أنبأنا معمر عن ابن شهاب، أخبرني عبد الله بن عامر بن ربيعة: أن عمر

(١) مروج الذهب، المسعودي ٣٩١/٢.

(٢) الاصابة ٣٦٠/٢، الطبقات، ابن سعد ٤٥/٥.

(٣) تاريخ السيوطي ص ١٢١.

استعمل قدامة بن مضعون على البحرين، وهو خال حفصة وعبيد الله إبني عمر فقدم الجارود (سيد عبد القيس) على عمر من البحرين، فقال: يا أمير المؤمنين: إن قدامة شرب فسكر، وإني رأيت حداً من حدود الله حقاً على أن أرفعه اليك.

قال من يشهد معك؟ قال أبو هريرة.

فدعا أبا هريرة فقال: بم تشهد: قال: لم أره شرب الخمر، ولكني رأيته سكران يقي. فقال: تنطعت في الشهادة، ثم كتب إلى قدامة أن يقدم عليه من البحرين فقدم. فقال الجارود: أقم على هذا كتاب الله.

فقال عمر: أخصم أنت أم شهيد؟

فقال: شهيد.

فقال: قد أدّيت شهادتك. قال فصمت الجارود، ثم غدا على عمر فقال: أقم على هذا حدّ الله.

فقال عمر: ما أراك إلا خصماً وما شهد معك إلا رجل واحد.

فقال الجارود: انشدك الله. فقال عمر: لتمسكن لسانك أو لأسوأئك.

فقال الجارود: ما ذاك بالحق أن يشرب ابن عمك الخمر وتسؤوني.

فقال أبو هريرة: يا أمير المؤمنين إن كنت تشك في شهادتنا، فأرسل إلى ابنة الوليد فاسأها - وهي امرأة قدامة - فأرسل عمر إلى هند بنت الوليد ينشدها، فأقامت الشهادة على زوجها.

فقال عمر لقدامة: إني حادك.

فقال قدامة: لو شربت كما تقول ما كان لكم أن تحدوني.

فقال عمر: لم؟

قال قدامة: قال الله عز وجل: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا ... ﴿١﴾.

فقال عمر: اخطأت التأويل، أنت إذا اتقيت الله اجتنبت ما حرم الله. ثم أقبل عمر على الناس فقال: ما ترون في جلد قدامة؟

فقالوا: لا نرى أن تجلده ما دام مريضاً، فسكت على ذلك أياماً، ثم أصبح وقد عزم على جلد قدامة: ما ترون في جلد قدامة؟ فقالوا: لا نرى أن تجلده ما دام وجعاً.

فقال عمر: لان يلقي الله تحت السياط أحب إلي من أن ألقاه وهو في عني. إئتوني بسوط تام فأمر به فجلد فغاضب عمر قدامة وهجره (٢).

والشيء العجيب في الأمر، ان قدامة بن مظعون من أهل بدر، وهو الوحيد منهم الذي حد في شرب الخمر.

والأعجب من ذلك ما قاله قدامة لعمر: محلاً بذلك كل حرام من الطعام. والأشد عجباً ما صنعتة الأيادي الأموية في حديث: إن الله اطلع على أهل بدر فقال: افعالوا ما شئتم فقد غفرت لكم! (٣)

وشرب قدامة للخمر وفعل عمر معه أكبر دليل على بطلان نظرية عدالة الصحابة التي أوجدها الأمويون.

أولاد أبي سفيان (معاوية ويزيد وعتبة)

روى الكثير من الصحابة ما نزل من القرآن في لعن وذم بني أمية وما قاله الرسول ﷺ فيهم، وما ذكره الرواة من كفر معاوية.

(١) المائدة، ٩٣.

(٢) الاصابة في تمييز الصحابة ٢٢٨/٣، الاستيعاب ١٢٧٨/٣.

(٣) البداية والنهاية ٣٩٨/٣.

أخرج المتقي الهندي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿أَنسَم...﴾ إلى قوله تعالى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا ﴿١﴾.

قال هما الأفجران من قريش: بنو المغيرة وبنو أمية ﴿٢﴾.

وقال عمر: سمعته (رسول الله ﷺ) يقول: ليصعدن بنو أمية على منبري، ولقد رأيتهم في منامي ينزون عليه نزو القردة وفيهم أنزل: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ﴾ ﴿٣﴾.

وقد روى الزبير بن بكار في الموفقيات، ما يناسب هذا عن المغيرة بن شعبة قال: قال لي عمر يوماً: يا مغيرة هل أبصرت بهذه عينك العوراء منذ أصيبت قلت: لا.

قال: أما والله ليعورن بنو أمية الإسلام، كما عورّت عينك هذه، ثم ليعميئن، حتى لا يدري أين يذهب ولا أين يجي. قلت: ثم ماذا يا أمير المؤمنين.

قال: ثم يبعث الله تعالى بعد مائة وأربعين أو بعد مائة وثلاثين وفداً كوفد الملوك، طيبة ريحهم، يعيدون إلى الإسلام بصره وشتاته. قلت من هم يا أمير المؤمنين، قال: حجازي وعراقي.

وبعد ما سمع المغيرة هذا الحديث النبوي اشتد في دعم ومساعدة الأمويين! وقال ابن أبي الحديد: معاوية عند أصحابنا، مطعون في دينه، منسوب إلى الاتحاد، قد طعن فيه ﷺ ﴿٤﴾.

وقال ابن أبي الحديد: روى شيخنا أبو عبد الله البصري المتكلم رحمه الله تعالى، عن نصر بن عاصم الليثي، عن أبيه قال: أتيت مسجد رسول الله ﷺ،

(١) إبراهيم: ٢٨.

(٢) كنز العمال ٤٤٤/١، حديث ٤٤٥٢.

(٣) تفسير الدر المنثور، الدلائل، البيهقي، تاريخ ابن عساكر، الاسراء، ٦٠.

(٤) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٥٣٧/٤.

والناس يقولون: نعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله، فقلت: ما هذا؟ قالوا: معاوية قام الساعة فأخذ بيد أبي سفيان فخرجا من المسجد.

فقال رسول الله ﷺ: لعن الله التابع والمتبوع، ربّ يوم لأمتي من معاوية ذي الاستاء^(١)، وروى أحمد في مسنده شرب معاوية للخمر أيام حكمه^(٢).

وروى أحمد بن أبي طاهر في كتاب أخبار الملوك: أن معاوية سمح المؤذن يقول: أشهد أن لا إله إلا الله، فقالها ثلاثاً فقال: أشهد أن محمداً رسول الله، فقال: لله درك يا ابن عبد الله لقد كنت عالي الهمة، ما رضيت لنفسك إلا أن يقرن اسمك باسم رب العالمين.

لذلك عزم المعتضد العباسي على لعن معاوية على المنابر، وأمر بإنشاء كتاب يقرأ على الناس، وكان من جملته في ذكر أبي سفيان: فحارب مجاهداً، ودافع مكابداً، وأقام منابذاً، حتى قهره السيف، وعلا أمر الله وهم كارهون، فتقول الإسلام غير منطو، واسر الكفر غير مقلع عنه، فعرفه بذلك رسول الله والمسلمون وميز له المؤلفة قلوبهم، فقبله وولده على علم منه، فمأ لعنهم الله به على لسان نبيه ﷺ قوله: والشجرة الملعونة في القرآن، ونخوفهم فما يزيدهم إلا طغياناً كبيراً، ولا إختلاف بين أحد أنه أراد بها بني أمية. ومنه قول الرسول - وقد رآه على حمار ومعاوية يقوده ويزيد يسوقه - لعن الله الراكب والقائد والسائق.

وقال أبو سفيان فيبيعة عثمان: تلقفوها يا بني عبد مناف تلقف الكرة، فما هناك جنة ولا نار^(٣) وفي لفظ المسعودي: يا بني أمية تلقفوها تلقف الكرة، فوالذي يحلف به أبو سفيان ما زلت أرجوها لكم، ولتصيرن إلى صبيانكم وراثته^(٤)، وقد

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٧٩/٣، أسد الغابة لابن الأثير ١١٦/٣.

(٢) مسند أحمد ٤٧٦/٦ ح ٢٢٤٣٢.

(٣) تاريخ الطبري ٣٥٧/١١، النزاع والتخاصم ص ٥٦، الاغانى ٣٥١/٦ - ٣٥٦.

(٤) مروج الذهب، المسعودي ٤٤٠/١، العشمانية، الجاحظ ص ٢٣.

لعن النبي ﷺ أبا سفيان في سبعة مواطن^(١).

وقال أبو سفيان في معركة اليرموك عند انتصار الروم : إيه بني الأصفر ، ثم انتصر المسلمون. وسي كهف النفاق ، كتاب النزاع والتخاصم ص ٣٠ ، تاريخ يعقوبي ٢/٢١٨.

وقال الرسول ﷺ : إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه^(٢).

واستناداً لهذا كيف نُصِّب معاوية في ولاية الشام ؟ ولا أدري على أي وجه استند الخليفة عمر في توليته ، بعد أن سمع بنفسه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ضد معاوية وبني أمية ؟ ولو وصل أبو سفيان إلى الحكم فهل كان سيولي غير معاوية ويزيد وعتبة وابن العاص والوليد وابن أبي سرح وابن أبي ربيعة المخزومي والمغيرة وسعيد بن العاص وعتاب بن اسيد ؟

أمّا عن كيفية وصول بني أمية إلى الحكم بعد النبي ﷺ ؟ فالجواب عنه يتمثل في أن القوم (جماعة السقيفة) أرادوا إرضاء أبي سفيان بعد السقيفة ، فولّوا ابنه يزيد ، وأعطوا لابني سفيان ما جمعه من الصدقات . ولما قالوا لأبي سفيان : إنّه قد ولّى ابنك قال وصلّته رَحِمَ^(٣).

ثمّ استمرّ هذا المنحى لإرضاء الامويين ، فولّى عمر معاوية على الشام وأبقاه فيها طيلة فترة حكمه ، ولم يرهقه في شيء .

وبالرغم من أنّ عمر قد ضرب بعض الناس لتصرفاتهم إلّا أنّه اختلف تصرفه مع معاوية . إذ كان معاوية على رأس الولاية الذين أحبّهم عمر . وقالت غائغة بنت عانم ليزيد بن معاوية : من أنت كلاك الله ؟ قال : يزيد بن معاوية .

(١) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ٢/١٠٢ ، ٣/٧٩ ، ٤/٥٣٧ ، اسد الغابة ٣/١١٦ .

(٢) السيوطي في اللآلئ المصنوعة ، فصل مناقب الصحابة .

(٣) تاريخ الطبري ٢/٤٤٩ ، إذ ولّى أبو بكر يزيد على الشام واقترعه عمر . المعارف ، ابن قتيبة ص ٣٤٥ .

قالت : فلا رعاك الله يا ناقص لست بزائد .

فتغير لون يزيد ، فأقْبَأه فأخبره ، فقال : هي أسنُّ قريش وأعظمهم .

ثم قالت لمعاوية : وأما أنت يا معاوية ؟ فاكنت في خير ولا ربييت في خير^(١) .

وقال عمار بن ياسر لابن العاص : والله ما قصدك وقصد عدوُّ الله ابن عدوِّ

الله (معاوية بن أبي سفيان) بالتعلُّل بدم عثمان إلَّا الدنيا^(٢) .

وقد قال الأصمعي وابن هشام الكلبي : إنَّ معاوية من أربعة وهم عبارة بن

الوليد ومسافر بن عمرو وأبو سفيان ، والعباس بن عبد المطلب^(٣) .

وقال الكلبي في كتابه مثالب العرب : كانت هند من المغيليات ، وكانت تميل

إلى السودان من الرجال ، وكانت إذا ولدت ولداً أسود قتلتها .

وذكر الحافظ أبو سعيد إسماعيل الحنفي في كتاب مثالب بني أمية : أن مسافر

ابن عمر بن أمية بن عبد شمس كان ذا جمال وسخاء ، عشق هنداً وجامعها سفاحاً ،

فاشتهر ذلك في قريش وحملت هند .

فلما ظهر السفاح هرب مسافر من أبيها عتبة إلى الحيرة ، وكان فيها سلطان

العرب (عمر بن هند) وطلب عتبة (أبو هند) أبا سفيان ووعدته بمال كثير ،

وزوجه ابنته هنداً ، فوضعت بعد ثلاثة أشهر معاوية ، ثم ورد أبو سفيان على عمرو

ابن هند أمير العرب ، فسأل عن حال هند ، فقال : إني تزوجتها ، فمرض مسافر

ومات^(٤) . وقد عامل عمر بن الخطاب معاوية معاملة خاصة ، تختلف عن بقية

الولاة إذ كان معجباً به ، وهذا ما أغضب عالم مصر محمود أبو رية إذ قال : مما يدعو

(١) المعاسن والأضداد ، الجاحظ ١٠٢-١٠٤ ، المعاسن والسائئ ، البيهقي ٦٩/١-٧١ .

(٢) التذكرة ، سبط ابن الجوزي ٥٣ .

(٣) مثالب العرب ، الكلبي ، تذكرة الخواص ، ابن الجوزي ٢٠٢ ط ، النجف ، ربيع الأبرار ، الزمخشري

٥٥١/٣ ، شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ١١١/١ .

(٤) كتاب مثالب بني أمية ، بهجة المستفيد ، الشيخ أبو الفتوح محمد بن جعفر بن محمد الهمداني .

الى الملاحظة هنا أننا لم نجد عمر عليه السلام قد أتبع هذه السنة (معاملة الولاة بشدة) في معاوية بن أبي سفيان، فقد أبقاه عاملاً على دمشق سنين طويلة، ولم يعجزه بالعزل كغيره، وكان ذلك ممّا أعان معاوية على طغيانه، وأن يحكم حكماً قيصرياً طوال أيامه، وخاصة بعد أن استولى على الشام كله في عهد عثمان. ثم امتد هذا الطغيان الأموي الى ما بعد معاوية حتى تسلم العباسيون الحكم^(١).

وتوفي يزيد في ذي الحجة من ذلك العام (١٩ هـ) في دمشق واستخلف أخاه معاوية على عمله، فكتب إليه عمر بعهدِه على ما كان من عمل الشام، ورزقه ألف دينار في كل شهر^(٢). ذلك أن عمر قد جزع على (وفاة) يزيد بن أبي سفيان جزعاً شديداً، وكتب الى معاوية بولايته الشام، فأقام أربع سنين، ومات (عمر). وقالوا: ورد البريد بموت يزيد على عمر، وأبو سفيان عنده، فلما قرأ الكتاب بموت يزيد قال لأبي سفيان: أحسن الله عزاك في يزيد ورحمه، ثم قال له أبو سفيان: مَنْ وليت مكانه يا أمير المؤمنين؟

قال (عمر): أخاه معاوية.

قال (أبو سفيان): وصلتك رحم يا أمير المؤمنين^(٣).

والاستفهام من جزع عمر على موت يزيد الطليق بن الطليق، وفي الجزيرة العربية عشرات الآلاف من المؤمنين.

وكانت علاقة عمر بمعاوية علاقة خاصة تختلف عن علاقته بسبقيّة الولاة. فقد كان عمر يمت المواقب العظيمة للولاة فمنهم واستثنى معاوية. وكان عمر يكره وقوف الناس في باب الولاة إلا في باب معاوية.

(١) أبو هريرة شيخ المضيرة ٨٦-٨٧.

(٢) الاستيعاب لابن عبد البر ٤٧١/٣.

(٣) الاستيعاب لابن عبد البر ٤٧١/٣.

وقال عمر إذ دخل الشام ورأى معاوية : هذا كسرى العرب ، فلما دنا منه قال له (عمر) : أنت صاحب الموكب العظيم ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين . قال (عمر) : مع ما يبلغني عنك من وقوف ذوي الحاجات ببابك ! ...
قال (عمر) : لا أمرك ولا أنهاك ^(١) .

وبعد ما سمح عمر لمعاوية بالاحتجاج في ولايته اشتد معاوية في هذا الأمر في أيام ملكه فردّ عبد الرحمن بن أبي ربيعة وعبد الله بن خالد بن أسيد ولم يأذن لواحد منها مدة سنة ، ولم يأذن للثاني مدة سنتين ^(٢) !

في حين كان عمر نفسه لا يحتجب ، فقد جاء عن زيد بن أسلم عن أبيه قال : خلا عمر لبعض شأنه ، وقال أمسك عليّ الباب ، فطلع الزبير فكرهته حين رأيته ، فأراد أن يدخل فقلت : هو في حاجة ، فلم يلتفت إليّ وأهوى ليدخل ، فوضعت يدي في صدره ، فضرب أنفي فأذماه ، ثم رجع ، فدخلتُ على عمر فقال : ما بك ؟ قلت : الزبير !

فأرسل إلى الزبير ، فلما دخل جثتُ فقمْتُ لأنظر ما يقول له .

فقال : ما حملك على ما صنعت ، أدميتني للناس ؟

فقال الزبير يحكيه ويمطط في كلامه : أدميتني ! أحتجب عنا يا ابن الخطاب !

فوالله ما احتجب مني رسول الله ولا أبو بكر ! فقال عمر كالمعتذر : إني كنتُ في بعض شأني !

قال أسلم : فلما سمعته يعتذر إليه يشستُ من أن يأخذ لي بحقٍ منه .

فخرج الزبير فقال عمر : إنّه الزبير وآثاره ما تعلم ! فقلت : حقّ حَقك ^(٣) .

(١) الاستيعاب لابن عبد البر ٤٧٢/٣ ، تاريخ الطبري ١٨٤/٦ .

(٢) الأخبار الموقفات ٢٩٧ - ٢٩٩ .

(٣) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ٤٥/١٢ .

وكان حبّ عمر لمعاوية يبرز في مواطن عديدة: فقد ذمّ معاوية عند عمر يوماً، فقال: دعونا من ذمّ فتى قريش، من يضحك في الغضب، ولا ينال ما عنده إلا على الرضا، ولا يؤخذ ما فوق رأسه إلا تحت قدميه^(١).

ولمّا وليّ عمر بن الخطاب عتبة بن أبي سفيان الطائف وصدقاتها ثمّ عزله تلقاه في الطريق، فوجد معه ثلاثين ألفاً.

فقال: أتى لك هذا؟

قال: والله ما هو لك ولا للمسلمين، ولكنّه مال خرجت به لضيقة اشتريها. فقال عمر: عاملنا وجدنا معه مالا ما سبيله إلا بيت المال، ورفع. فلمّا ولي عثمان قال لأبي سفيان: هل لك في هذا المال؟ فإنّي لم أرَ لاخذ ابن الخطاب فيه وجهاً. قال: والله إنّ بنا إليه حاجة، ولكن لا ترد فعل من قبلك فيرد عليك من بعدك. وقد شهد عتبة معركة الجمل مع عائشة فذهبت عينه يومئذ، وشهد صفين مع معاوية، ثمّ تولى الطائف.

وقد زار أبو سفيان معاوية فلمّا رجع من عنده دخل على عمر فقال: أجزنا أبا سفيان. قال: ما أصبنا شيئاً فنجزك به.

فأخذ عمر خاتمه فبعث به إلى هند وقال للرسول: قل لها: يقول أبو سفيان: انظري الخرجين اللذين جئت بهما فاحضريهما، فما لبث عمر أن أتى بخرجين فيهما عشرة آلاف درهم، فطرحهما عمر في بيت المال، فلمّا ولي عثمان ردّهما عليه، فقال أبو سفيان: ما كنت لأخذ مالاّ عابه عليّ عمر.

وكان أبو بكر قد عينّ يزيد بن أبي سفيان على جيش من جيوش الشام^(٢). وعينّ عتبة بن أبي سفيان والياً على الطائف، وعينّ عمر يزيد بن أبي سفيان والياً

(١) الاستيعاب ٤٧٢/٣.

(٢) أسد الغابة لابن الأثير ٤٩٢/٥.

على فلسطين، ولما مات يزيد عين بدله معاوية بن أبي سفيان^(١).

وبذلك تكون عائلة أبي سفيان أهم عائلة اعتمد عليها عمر وابو بكر في شؤونهم الخارجية بتعيينهم ثلاثة أخوة منها ولاة وهم يزيد وعتبة ومعاوية... وهذه بداية سيطرة عائلة أبي سفيان على حكم المسلمين. ولما عزل عمر سعداً وخالداً أبى معاوية في الشام، وهذا ما أثار استغراب العالم المصري محمود أبو رية الذي قال: «فبقي معاوية في حكم الشام طيلة حكم الخليفة عمر. ولما أوصى عمر إلى عثمان الأموي فقد أوصى بصورة غير مباشرة إلى معاوية بولاية الشام».

وهكذا عادت السلطة والقدرة إلى الأمويين في عام ٢٤ هجرية ببيعة عثمان، بعد أن فقدوها في عام فتح مكة (٨ هجرية). وبقيت في يدهم إلى أيام ظهور الدعوة العباسية وهزيمة جيش مروان الثاني آخر سلاطين بني أمية.

ويمكن القول إن الأمويين لم يفقدوا السلطة إلا في ثلاث سنوات فقط تبدأ بفتح مكة وتنتهي بوفاة النبي ﷺ، إذ ولّى أبو بكر العديد من الأمويين الحكم وعلى رأسهم يزيد بن أبي سفيان في الشام، وعتبة بن أبي سفيان في الطائف، وعتاب بن أسيد في مكة، وعثمان بن عفان في الوزارة!

ثم زاد عمر في عدد الولاة منهم، ثم ضاعفهم عثمان، محتكراً الحكم لهم وقد حدث هذا في ضل حياة أبي سفيان وهند بنت عتبة تلك المرأة التي اقترحت على جيش زوجها وهم في طريقهم إلى معركة أحد نبش قبر أمية بنت وهب أم رسول الله ﷺ في منطقة الأبواء وضافت: «فان أسر ﷺ منكم أحداً فديتم كل انسان بارب من آرابها أي جزء من اجزائها»^(٢).

ومثلت بقتلى المسلمين في أحد واتخذت من أذان الرجال وأنوفهم خدماً

(١) أسد الغابة لابن الاثير ٥٦٠/٣.

(٢) المسيرة الحلبية ٢١٨/٢.

وقلائد^(١). روى الزبير بن بكار في كتابه الموفقيات عن مطرف بن المغيرة بن شعبة أنه قال: وفدت مع أبي المغيرة إلى معاوية، فكان أبي يأتيه يتحدث عنده ثم ينصرف إليّ، فيذكر معاوية، ويذكر عقله، ويعجب مما يرى منه، إذ جاء ذات ليلة، فامسك عن العشاء، فرأيتة مغتماً فانتظرت ساعة، وظننت أنه لشيء حدث فينا، أو في عملنا، فقلت له: مالي أراك مغتماً منذ الليلة؟ قال: يا بُنيّ إني جئت من عند أخبت الناس، قلت له: وما ذاك؟ قال: قلت له، وقد خلوت به: إنك قد بلغت مُنالك يا أمير المؤمنين! فلو أظهرت عدلاً، وبسطت خيراً، فإنك قد كبرت ولو نظرت إلى أخوتك من بني هاشم، فوصلت أرحامهم، فوالله ما عندهم اليوم شيء تخافه.

فقال لي: هيهات! هيهات! ملك أخوتيم فعدل وفعل ما فعل، فوالله ما غدا أن هلك، فهلك ذكره إلا أن يقول قاتل: ملك أبو بكر، ثم ملك أخو عدي فاجتهد وشمر عشر سنين، فوالله ما غدا أن هلك فهلك ذكره إلا أن يقول قاتل: عمر، ثم ملك أخونا عثمان فملك رجل لم يكن أحد في مثل نسبه فعمل ما عمل، وعمل به، فوالله ما غدا أن هلك فهلك ذكره، وذكر ما فعل، وأن أخا هاشم يصرخ به في كل يوم خمس مرات: أشهد أن محمداً رسول الله، فأني عمل بيق مع هذا لا أم لك؟ لا والله إلا دفناً دفناً^(٢).

وقال الحسن بن علي عليه السلام لمعاوية: انت ببيعة الرضوان كافر، وبيعة الفتح ناكث، وانك يا معاوية وأباك من المؤلفة قلوبهم، تسرون الكفر وتظهرون الإسلام وتستألون بالأموال^(٣).

(١) تاريخ الطبري ٢٠٤/٢.

(٢) الموفقيات، الزبير بن بكار ٥٧٦-٥٧٧، وذكره السعودي في حوادث سنة اثنتي عشرة ومائتين

بهاشم ابن الاثير ٤٩/٩.

(٣) كتاب المغاخرات، الزبير بن بكار، شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ١٠٢/٢.

وقد أرسل قيس بن سعد كتاباً إلى معاوية جاء فيه: أما بعد فأنتك وثن ابن وثن، دخلت في الإسلام كرهاً، وخرجت منه طوعاً، ولم يقدم إيمانك، ولم يحدث نفاقك^(١). وكثر الجاحظ معاوية، رسالة الجاحظ في بني أمية الملحقه بكتاب النزاع والتخاصم ٦٦. وقال له عقيل بن أبي طالب: تركته (علياً عليه السلام) على ما يحب الله ورسوله وألفيتك على ما يكره الله ورسوله^(٢).

وقال صعصعة بن صوحان لمعاوية في مجلسه في الشام: علي وأصحابه من الأئمة الأبرار، وأنت واصحابك من أولئك (الفسقة)^(٣).

واعترافات افراد بني أمية بالكفر واضحة، إذ دخل ابو سفيان على عثمان بعدما عمي فقال: ها هنا أحد؟ قالوا: لا، قال: اللهم اجعل الأمر أمر جاهلية، والملك ملك عاصية، واجعل أوتاد الأرض لبني أمية^(٤). وقال: تلقفوها تلقف الكرة فولذي يحلف به أبو سفيان ما من جنة ولا نار^(٥).

وفي معركة تبوك شاهد النبي صلى الله عليه وسلم معاوية وعمرو بن العاص يسيران ويتحدثان فقال: إذا رأيتموها اجتماعاً ففرقوا بينهما، فانهما لا يجتمعان على خير أبداً^(٦). وقال الحسن البصري: أربع خصال في معاوية، لو لم تكن فيه منهن إلا واحدة لكانت موبقة: الأولى: انتزاعه على هذه الأمة بالسفهاء بغير مشورة، وفيهم بقايا الصحابة وذووا الفضيلة. الثانية: استخلاف ابنه السكير الحمير، يلبس الحرير، ويضرب بالطناير.

(١) البيان والتبيين، الجاحظ ٨٧/٢.

(٢) مروج الذهب، السعدي ٣٦/٣.

(٣) المصدر السابق.

(٤) مختصر تاريخ دمشق، ابن عساكر ٦٧/١١، مروج الذهب، السعدي ٣٤٣/٢.

(٥) مروج الذهب ص ٣٤٣، شرح نهج البلاغة ١٧/٩.

(٦) العقد الفريد، ابن عبد ربه ٢٢١/٤.

الثالثة: ادّعاؤه زياداً.

الرابعة: قتله حجر بن عدي وأصحابه، ويل له من حجر وأصحابه، ويل له من حجر وأصحابه^(١).

وقد قال علي عليه السلام: لكل أمة آفة، وآفة هذه الأمة بنو أمية^(٢).

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: اللهم العن الراكب والقائد والسائق (أبو سفيان ومعاوية وعتبة)^(٣). وبينما كان بنو أمية أبغض الخلق إلى الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم والصحابة، أصبحوا أقرب المقرّبين للخليفة في زمن أبي بكر وعمر وعثمان! ووصف عمر معاوية بالمصلح^(٤).

أبو هريرة الدوسي

أسلم أبو هريرة متأخراً وقدم المدينة والنبي صلى الله عليه وآله وسلم في خيبر، وسكن في المدينة في مساكن أهل الصفة^(٥).

ولقد عيّنه عمر والياً على البحرين ثم قال له: هل علمت من حين استعملتك

(١) تاريخ الطبري في حوادث سنة ٥٠ هجرية، الكامل في التاريخ، ابن الأثير ٢٠٢/٣. تاريخ ابن عساكر ٣٢٩/٢.

(٢) كنز العمال ٩١/٦. النزاع والتخاصم ص ١٤.

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ١٠٢/٢، المفاهرات، الزبير بن بكار.

(٤) كنز العمال ٦٠٦/١٢ ح ٢٧٥٤٩.

(٥) أهل الصفة (كما قال أبو الفداء في تاريخه المختصر) أناس فقراء لا منازل لهم ولا عشاير، ينامون على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في المسجد ويظلمون فيه، وكانت صفة المسجد مشواهم، فنسبوا إليها، وكان إذا تمعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يدعوهم طائفة يتمعنون معه، ويفرق منهم طائفة على الصحابة ليعشواهم. وقد اعترف بأنه صحب النبي صلى الله عليه وآله وسلم على ملء بطنه، أضواء على السنة المحمدية، محمود أبو رية ٢٠٤. أي أنه لم يصحبه للهداية.

على البحرين وانت بلا نعلين، ثم بلغني أنك ابتعت أفراساً بألف دينار وستائة دينار. قال: كانت لنا أفراس تتاجت، وعطايا تلاحت فأراد عمر أخذها.

قال: ليس ذلك لك.

قال له عمر: بلى والله وأوجع ظهرك. ثم قام إليه بالدرة فضربه بها، حتى أدماه، ثم قال له: إيت بها.

قال: احتسبتها عند الله.

قال: ذلك لو أخذتها من حلال وأديتها طائعاً. أجشت من حجر البحرين يجهي الناس لك لا للمسلمين؟ لا والله ما رجعت بك أميمة (أمه) إلا لرعية الحمر. وفي كتاب البداية والنهاية لابن كثير جاء: إن عمر استعمل أبا هريرة على البحرين فقدم بعشرة آلاف فقال له عمر: استأثرت بهذه الأموال أي عدو الله وعدو كتابه.

فقال أبو هريرة: لست بعدو الله، ولا عدو كتابه ولكن عدو من عاداهما.

فقال: فمن اين هي لك؟

قال: خيل نتجت وغلة ورقيق لي وأعطية تنابت علي... وان عمر غرمه في العمالة الاولى إثنين عشر ألفاً^(١).

وقد اتهمه عمر بالكذب على رسول الله ﷺ وضربه بدرته وصرح أبو هريرة برفضه الذهاب الى البحرين ثانية والياً لعمر^(٢).

وقد قال له عمر: أكثر من الحديث، وأحربك أن تكون كاذباً على رسول الله^(٣).

(١) البداية والنهاية لابن الأثير ١١٦/٨ - ١١٧.

(٢) البداية والنهاية لابن الأثير ١١٧/٨، تاريخ آداب العرب ٢٧٨/١.

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٣٦٠/١.

وقال أبو هريرة لعمر: أخشى أن تضربوا ظهري، وتشتموا عرضي، وتأخذوا مالي، وأكره أن أقول بغير حلم وأحكم بغير علم^(١).

ودعوى أبي هريرة: أخشى أن تضربوا ظهري، وتشتموا عرضي^(٢) و... اتهام منه لعمر بإقدامه على ضرب الناس بلا سبب، وشتيمهم بلا داع.

ثم أرسله عمر والياً على عمان بعد اطلاعه على كذبه وسرقته! اذ مات عمر وواليه على عمان أبو هريرة^(٣). اذ كيف يحصل هذا وعند عمر يقين قاطع بسرقة أبي هريرة لأموال المسلمين وكذبه على الرسول ﷺ.

ولا أدري كيف تربى الناس في البحرين ووالهم متهم بالكذب والسرقة، ووالهم السابق (المغيرة) وصفه عمر بالفاجر وتذمر منه أهالي البحرين، وولي عمر الثالث على البحرين كان قدامة بن مضعون، الذي لم يكن يشرب الخمر ويسكر فقط بل يحلل شربها!^(٤)، وبينما ارسل عمر هؤلاء المتجاهرين بالفسق إلى ولاية البحرين وارسل أمثالهم إلى الولايات الأخرى كان المؤمنون المتقون من أمثال المقداد وعمار وابن مسعود وقيس بن سعد بن عبادة والأحنف بن قيس وسهل بن حنيف والحباب بن المنذر وجابر الأنصاري عاطلين عن العمل.

ثم أصبح أبو هريرة مع معاوية بن هند في حربه ضد علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فعينه السفاح ابن ارطاة والياً لمعاوية على المدينة^(٥).

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ١١٣/٣.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ١١٣/٣.

(٣) تاريخ البقوي ١١٣/٢.

(٤) تاريخ الطبري ٥٠١/٣.

(٥) الفارات، إبراهيم بن هلال الثقفي ١٢٨/١، شرح نهج البلاغة ٢١٣/١، الكامل لابن الأثير سنة ٤٠ هـ.

خالد واسباب العداء بينه وبين عمر

لقد أسلم خالد متأخراً، بعد ان أيقن بانتصار النبي ﷺ، وشاهد تفوق الجيش الإسلامي عدة وعدداً. ثم ارتكب مذبحتين ضد المسلمين، مرة حين أرسله الرسول ﷺ بعد فتح مكة، ومرة يوم أرسله أبو بكر. وقد ادعى خالد بن الوليد أن مالك بن نويرة ارتدّ بكلام بلغه عنه، فانكر مالك ذلك. وقال: أنا على الإسلام ما غيرت ولا بدلت وشهد له أبو قتادة وعبد الله بن عمر.

فقدّمه خالد وأمر ضرار بن الازور الاسدي فضرب عنقه، وقبض خالد امرأته أم متمم فتزوّجها. فبلغ عمر بن الخطاب قتله مالك بن نويرة وتزويجه امرأته.

فقال لأبي بكر رضي الله عنه: إنّه قد زنى فارجمه.

فقال أبو بكر: ما كنت لأرجمه، تأوّل فأخطأ.

قال: فإنّه قد قتل مسلماً، فاقتله.

قال: ما كنت لأقتله. تأوّل فأخطأ. قال: فاعزله.

قال: ما كنت لأشيم - أي لاغمد - سيفاً سلّه الله عليهم أبداً^(١).

ولما أمر خالد بقتل مالك التفت مالك إلى زوجته وقال لخالد: هي التي قتلتني، وكانت في غاية الجبال، فقال خالد: بل الله قتلك برجوعك عن الإسلام.

فقال مالك: أنا على الإسلام، فقال خالد: يا ضرار اضرب عنقه!

وقال أبو غير السعدي:

قضى خالد بغياً عليه بعمره وكان له فيها هوئى قبل ذلك

فامضى هواه خالد غير عاطف عنان الهوى عنها ولا متالك
 فأصبح ذا أهل واصبح مالك إلى غير أهل هالكاً في الهوالك^(١)
 وكتب (أبو بكر) إلى خالد أن يقدم عليه ففعل. ودخل المسجد وعليه قباء،
 وقد غرز في عمامته أسهماً. فقام إليه عمر فنزعها وحطّمها وقال له: قتلت إمراً
 مسلماً، ثم نزوت على امرأته، والله لأرجنك بأحجارك^(٢).
 وخالد لا يكلمه يظن أن رأي أبي بكر مثله، ودخل على أبي بكر وأخبره
 الخبر، واعتذر إليه فعذره، وتجاوز عنه، وعسّفه في التزويج الذي كانت عليه
 العرب من كراهية أيام الحرب، فخرج خالد وعمر جالس فقال: هلم إلي يا ابن أم
 سلمة، فعرف عمراناً أبا بكر قد رضي عنه، فلم يكلمه^(٣).
 إن تجاوز أبي بكر عن خالد في قتله وزناه يشبه تجاوز عمر عن المغيرة في
 زناه في البصرة، وأجاء الحدود حق من الحقوق أوجب الله تعالى في القرآن.
 ثم فعل ابن أم الحكم (أحد ولاية معاوية بن أبي سفيان) ما فعله خالد من الزنا، إذ
 سجن رجلاً وكرهه على طلاق زوجته الجميلة، وتزوجها هو، ولما رآها معاوية
 أعجب بها، فقال لتلك المرأة المحصنة: اختاري إن شئت أنا، وإن شئت ابن أم
 الحكم (الوالي)، وإن شئت الأعرابي (زوجها)، فاختارت زوجها الفقير^(٤). الشيء
 الملفت للنظر أن خالد بن الوليد كان رفيق أبي بكر. فهو الذي شارك في بيعته في
 السقيفة، وشارك في حملة القوم على دار فاطمة عليها السلام.
 وكما توجد خطوط سياسية في جهاز السلطة الواحد، فإن خالداً كان من

(١) تاريخ أبي الفداء، عماد الدين أبي الفداء ٢٢١/١، ٢٢٢.

(٢) وسوف يأتي أن عمر قد دعا إلى قتل خالد لعده قديم وخطير بينهما، فكان خالد يسميه بالاعيس

واخته تسميه ابن حنتمة، طبقات ابن سعد ٣٩٧/٧، تاريخ البهقوي ٩٥/٢.

(٣) الكامل في التاريخ لابن الاثير ٣٥٨/٢-٣٥٩.

(٤) تاريخ دمشق لابن عساکر ٢٩/٢٥٢.

خطأ أبي بكر. ولما ولي عمر الخلافة عزله وولّى أبا عبيدة مكانه. وكانت علاقتهما سيئة قديماً، بين سيد في قومه (خالد) وأجير عندهم (عمر). فقد ذكر بان عمر خرج مع الوليد بن المغيرة المخزومي خادماً له إلى الشام يحمل متاعه ويطبخ طعامه^(١)، وقالت الرواية بان عمر كان عسيفاً للوليد بن المغيرة، والعسيف هو المملوك أو الأجير^(٢) ولم يُتهم عمر في قتل خالد بن الوليد المخزومي فقط بل اتهمه أبوه الوليد بن المغيرة المخزومي بنيته في قتله في الجاهلية عندما ذبح عمر للمغيرة (اثناء خدمته له) كبشاً، فاتهمه بالرغبة في قتله بكثرة الزيت واللحم في حر الحجاز وعناء السفر! وكانت العلاقة بين الاثنين فيما نوع من التنافس، خاصة وأن الاثنين يسعيان لنهل المراكز العليا في السلطة. وكان عمر وخالد قد تصارعا في الجاهلية إثر مشاحنة فصرعه خالد^(٣). وظاهر الأمر كان الصراع شديداً إذ قال الشعبي: فكسر خالد ساق عمر، فعولجت وجُبرت^(٤).

وقال خالد يوم وصل كتاب عمر بتنحيته وتولية أبي عبيدة بن الجراح: الحمد لله الذي قضى على أبي بكر بالموت، وكان أحبّ إليّ من عمر، والحمد لله الذي ولّى عمر، وكان أبغض إليّ من أبي بكر^(٥). وذكر ابن حجر ان أبا بكر ولّى خالداً على الشام وعزله عمر بعد ان ولّى أبا عبيدة بن الجراح عليها^(٦) ومن الطبيعي أن ينظر خالد بتعالى لاجير أبيه (عمر ابن حنتمة). وان ينظر عمر له نظرة ملؤها الحقد والكراهية.

(١) شرح النهج ١٢/١٨٣.

(٢) اقرب الموارد: مادة عسف.

(٣) عمر بن الخطاب، عبد الكريم الخطيب ص ١٧٧.

(٤) مختصر تاريخ ابن عساكر ٢٢/٨.

(٥) تاريخ الطبري ٥٩٨/٢.

(٦) الإصابة، ابن حجر ٤١٣/١ الشخان، البلاذري ص ٢٠٠، الطبقات ٢٤٨/٣، نهاية الارب ١٩/١٥٤.

وقال الاستاذ هيكل في كتابه الصديق أبو بكر: «إنَّ أبا قتادة الانصاري غضب لفعلة خالد اذ قتل مالكا وتزوج امرأته فتركه منصرفاً الى المدينة مقسماً أن لا يكون أبداً في لواء عليه خالد. وأنَّ متمم بن نويرة أخا مالك ذهب معه، فلماً بلغا المدينة ذهب أبو قتادة، ولا يزال الغضب آخذاً منه مأخذه، فلقى أبا بكر فقصر عليه أمر خالد، وقتله مالكا وزواجه من ليلي. وأضاف أنَّه أقسم ان لا يكون أبداً في لواء عليه خالد.

قال: لكنَّ أبا بكر كان معجباً بخالد وإنتصاراته، ولم يعجبه قول أبي قتادة، بل انكر منه (قوله)، وبذلك تكون صفحة العلاقة بين عمر وخالد سيئة قديماً طواها عمر بطرده من الشام، وإخراجه من الحياة السياسية.

وكانت علاقة خالد مع ابن عوف غير جيدة؛ اذ سبَّه خالد في زمن النبي ﷺ^(١) فيكون ابن عوف وعمر متفقين في نظرتها الى خالد المحسوب على خط أبي بكر. واستمر خالد في منهجه غير مهال بمعارضة المسلمين له. فلماً صالح خالد أهل اليمامة وكتب بينه وبينهم كتاب الصلح، وتزوج ابنة مجاعة ابن مرارة الحنفي، وصل إليه كتاب أبي بكر: لَعَمْرِي يَا ابْنَ أُمِّ خَالِدٍ، إِنَّكَ لَفَارِغٌ حَتَّى تَتَزَوَّجَ النِّسَاءَ، وحول حجرتك دماء المسلمين لم تحف بعد. (في كلام اغلظ له فيه) فقال خالد: هذا الكتاب ليس من عمل أبي بكر هذا عمل الاعيس (يعني عمر).

ولما كان خالد بن الوليد يحارب في العراق كتب إليه أبو بكر يأمره بالمسير الى الشام قائلاً: إِنِّي قَدْ اسْتَعْمَلْتُكَ عَلَى جَنْدِكَ وَعَهَدْتُ إِلَيْكَ عَهْداً تَقْرَأُهُ وَتَعْمَلُ بِمَا فِيهِ، فسر الى الشام حتَّى يوافقك كتابي، فقال خالد: هذا عمر بن الخطاب حَسَدَنِي أَنْ يَكُونَ فَتَحَ الْعِرَاقَ عَلَى يَدَيَّ^(٢).

(١) أسد الغابة لابن الاثير ١١٠/٢.

(٢) طبقات ابن سعد ٣٩٧/٧.

وقد غضب خالد على عمر بعد عزله فقال: «إن أمير المؤمنين استعملني على الشام حتى إذا كانت بثنية -أي حنطة وعسلأ- عزلني وآثر بها غيري»^(١). ولما تولى عمر أرسل رسالة الى خالد في الشام جاء فيها: بلغني أنك، تدلكت بخمر، وإن الله تعالى قد حرّم ظاهر الخمر وباطنها^(٢).

وقال اليعقوبي: «وكان عمر سبي الرأي في خالد على أنه ابن خاله؛ لقول كان قاله في عمر. ولما عزله عمر عن الشام قال خالد: رحم الله أبا بكر لو كان حياً ما عزلني. وكتب عمر الى أبي عبيدة: ان كذب خالد نفسه فيما كان قاله غلماؤه، وإلا فانزع عمامته، وشاطره ماله. فشاور خالد أخته فقالت: والله ما أراد ابن حنتمة إلا ان تكذب نفسك ثم يزعك من عملك فلا تفعلن. فلم يكذب نفسه فقام بلال فزع عمامته، وشاطره أبو عبيدة ماله، حتى نعله فأفرد واحدة عن الاخرى^(٣)». ومشكلة عمر مع خالد خطيرة وقديمة تعود إلى الجاهلية يوم كان عمر عسيفاً للوليد بن المغيرة المخزومي وكانت أمه حنتمة عسيفة (جارية) لهشام بن الوليد. ولما ادعى عمر نسب أمه حنتمة لبني مخزوم قبيلة خالد، رد خالد ذلك، وقد اشترط عمر على خالد في إبقائه في قيادته في الشام تكذيب نفسه فيما قاله في حنتمة، فامتنع خالد من ذلك، فكانت النتيجة عزله وأهانتة ومقاسمته ماله وموته في ظروف مشكوكة أثم منع عمر النساء من النياحة عليه.

وعندما وصل عمر الى سدة السلطة، وتمكّن من خالد، وفي بما تعهد به من قتل خالد، بما ارتكبه من قتل وزنا خاصة وان عمر كان يؤمن يقيناً بأن خالد أ قد قتل وزنا، وقتل عمر لخالد في قضية مالك بن نويرة تعني الحكم على أبي بكر

(١) عبقرية عمر للمقاد ٤٨. الوافي بالوفيات ١٣/٢٦٧.

(٢) مختصر تاريخ دمشق ٢١/٨.

(٣) تاريخ البقوي ٩٥/٢، أقول وقوله: على أنه ابن خاله لأن أمه حنتمة قد ربّاه بنو المغيرة فهي ليست

قبل الحكم على خالد ، في قضية مضت عليها سنتان .

ولمَّا عَزَلَ خالد عن الحكم ، وجاء الى المدينة ساءت العلاقة بينهما أكثر فأكثر . ولمَّا تكلم خالد ضدَّ عمر قال له شخص : صبراً أيها الأمير فإنَّها الفتنة . فما تردَّد خالد أن قال : أما وابن الخطاب حي فلا .

فالظاهر ان خالدًا كان يخاف من عمر ، ويحذر جانبه ، وكان ابن عوف يشاطر عمر في نظره الى خالد .

وذكر الطبري « كان عمر كَلِمًا مرَّ بخالد قال : يا خالد : أخرج مال الله من تحت استك فيقول : والله ما عندي من مال ، فلمَّا أكثر عليه عمر قال له خالد : يا أمير المؤمنين ما قيمة ما أصبت في سلطانكم أربعين ألف درهم ؟ فقال عمر : قد أخذت ذلك منك بأربعين ألف درهم .

قال (خالد) : هو لك .

قال (عمر) : قد أخذته ، ولم يكن لخالد مالاَ إلاَّ عُدَّة ورقيق فحسب ذلك فبلغت قيمته ثمانين ألف درهم فناصفه عمر ذلك فأعطاه أربعين ألف وأخذ المال ، فقبل له : يا أمير المؤمنين لو رددت على خالد ماله ؟ فقال : إنما أنا تاجر للمسلمين ، والله لا أردُّه عليه أبداً ، فكان عمر يرى أنَّه قد اشتقَّ من خالد حين صنع به ذلك »^(١) .

واستمرَّت حالة المنافرة بين عمر وخالد فقالوا : « دخل خالد على عمر وعليه قيص حرير فقال عمر : ما هذا يا خالد ؟ فقال : وما به بأس يا أمير المؤمنين ؟ أليس قد لبسه عبد الرحمن بن عوف ؟

فقال : وأنت مثل ابن عوف ؟ ولك مثل ما لابن عوف ؟ عزمت على من بالبيت إلاَّ أخذ كلَّ واحد منهم طائفة ممَّا يليه . قال : فمزَّقه حتَّى لم يبق منه

شيء»^(١). أحلّ عمر لبس الحرير لابن عوف وحرّمه على خالد! ولما مات خالد كان مهاجراً لعمر^(٢).

وفي ظل هذه الظروف العصية من العلاقة بين عمر وخالد وما فعله عمر من عزله وإهانته، مات خالد فجأة في سنة ٢١ هجرية. ثم أبطل عمر مجلس النياحة بمناسبة وفاته والمقام في بيت زوج النبي ﷺ ميمونة بنت الحارث الهلالية، وضرب كل نساء بني مخزوم الحاضرات في المجلس بنفسه وبدرته، وقد بلغ غضبه على النائحة على خالد (قوله عند سقوط خمارها من ضربه): «دعوها فلاحرمة لها»^(٣). وانتقام عمر من نساء بني مخزوم وقوله فيهن يؤكّد موقفهن وقولهن وموقف وقول خالد السلمي من عمر. وبعد ما قُتل خالد قال عمر: هلك أبو سليمان رحمه الله، فقال له طلحة بن عبيد الله:

لا أعرفُكَ بعد الموتِ تَندُبُنِي وفي حياتي ما زَوَّدَتْنِي زادي^(٤)
وقال ثعلبة بن أبي مالك: «رأيت ابن الخطاب يَبْقَاءَ ومعه نفر من المهاجرين والأنصار، فإذا أناس من أهل الشام يصلُّون في مسجد قباء، فقال (عمر): من القوم؟ قالوا: من اليمن. قال: أيّ مدائن الشام نزلتم؟ قالوا: جَمْعُ، قال: هل كان من مُعَرِّبٍ خبر؟ (أي هل من خبر جديد) قالوا: موت خالد بن الوليد يوم رحَلْنَا من حمص»^(٥).

فعمر ذهب إلى شمال المدينة حيث مسجد قباء بانتظار خبر من الشام، وبالذات من حمص موطن خالد فبشّروه بموت خالد!

(١) تاريخ ابن كثير ١١٥/٧.

(٢) العقد الفريد ١٩٨/٣.

(٣) كنز العمال، المتقي الهندي. عبقرية عمر. العقاد ص ٣٣.

(٤) مختصر تاريخ ابن عساكر ٢٦/٨.

(٥) مختصر تاريخ دمشق، ابن عساكر ٢٦/٨.

وكان صفوان بن أمية قد ارسل عمير بن وهب إلى المدينة لقتل النبي ﷺ وبقى يسأل الركبان عنه ، حتى قدم راكب فاخبره باسلامه^(١) .
 وذكر الزبير بن بكار : انقرض ولد خالد بن الوليد فلم يبق منهم أحد .
 وورث أيوب بن سلمة دورهم بالمدينة . أي بعد مقتل عبد الرحمن بن خالد بواسطة معاوية . ومقتل المهاجر بن خالد بن الوليد مع علي ﷺ في صفين^(٢) .
 ومن غريب الصدف وقوع حادثنا مقتل خالد وابنه في مدينة حمص في الشام .

حذيفة بن اليمان العبسي

وكان أفضل ولاية عمر من أرسله الى المدائن عاصمة الفرس . والظاهر انه قصد ذلك لأسباب منها كون المدائن عاصمة الدولة الكسروية ، وهذا يعني وجود أهمية لها في نظر الفرس . وتمكّن سلمان الفارسي من اللغة الفارسية وقدرته أفضل من غيره في معاملة الفرس .

وفي المدائن يوجد الأعداء فأراد عمر السيطرة عليهم وارضائهم ، فلم يرسل عمر سلمان وحذيفة إلى الشام والكوفة واليمن لوجود جيوش المسلمين فيها ! (وعندما أرسل عماراً إلى الكوفة حصر عمله في امامة الصلاة في الكوفة وذلك في زمن ولاية سعد بن أبي وقاص)^(٣) .

ولم يستخدم أبو بكر وعثمان ومعاوية فرداً من أتباع علي ﷺ وبقى ذلك من خصوصيات عمر مثلما اختص عمر ببيان مناقب علي ﷺ ، والنصوص الإلهية على

(١) السيرة الحلبية ١٩٧/٢ .

(٢) جمهرة النسب ، السائب الكلبي . طبع مكتبة النهضة العربية .

(٣) شذرات الذهب ، حوادث سنة ٢١ هـ .

ولايته ، واحقيقته بالخلافة بصورة ملفته للنظر .

وحذيفة بن اليمان من أصحاب النبي ﷺ وله أعمال وأقوال كثيرة تثبت علمه واخلاصه وإيمانه . وقد قُتِل أبوه في معركة أحد .

وقد خرج الى المدائن على حمار موكف تحته زاده ، فلما قدم المدائن ، استقبله أعظم الدهاقين (التجار) وببده رغيف وعرق من لحم .

ولما قرأ عليهم عهده قالوا : سل ما شئت قال : طعاماً آكله ، وعلف حماري هذا - ما دمت فيكم - من تب ، فأقام ما شاء الله ، ثم كتب إليه عمر : أقدم فلماً بلغه قدومه ، كمن له على الطريق وكانت هذه عادته فلماً رآه على الحال التي خرج عليها أتاه فالتزمه . وقال : أنت اخي وأنا أخوك^(١) .

ذكر ابن الاثير في اسد الغابة : « وحذيفة صاحب سر رسول الله ﷺ في المنافقين ، لم يعلمهم أحد إلا حذيفة ، أعلمهم بهم رسول الله ﷺ » .

وكان عمر اذا مات ميّت يسأل عن حذيفة ، فإن حضر الصلاة عليه صلّى عليه عمر ، وإن لم يحضر حذيفة الصلاة عليه ، لم يحضر عمر^(٢) . وذكر ابن عساكر وابن منظور وابن حزم عدم صلاة حذيفة على أبي بكر^(٣) .

وذكر ابن حزم الاندلسي أن حذيفة بن اليمان العسبي لم يصلّ على أبي بكر وعمر^(٤) . بينما صلّى حذيفة والأشتر واصحابهم على أبي ذر المنفي إلى صحراء الربرة^(٥) . وجاء في سنن مسلم : « قال الخليفة عمر : أيكم سمع النبي ﷺ يذكر الفتن التي تموج موج البحر ؟ قال حذيفة : فأسكت القوم : فقلت : أنا . قال :

(١) أبو هريرة شيخ المضرة ، محمود أبو رية .

(٢) الاستيعاب لابن عبد البر ٢٧٨/١ بهامش الاصابة ، أسد الغابة لابن الاثير ٤٦٨/١ .

(٣) مختصر تاريخ ابن عساكر لابن منظور ٢٥٢/٦ ، طبعة دار الفكر .

(٤) كتاب المعلن ، ابن حزم ٢٢٤/١١ طبع دار الآفاق الجديدة - بيروت .

(٥) تاريخ اليعقوبي ١٧٣/٢ .

أنت لله أبوك.

قال حذيفة: سمعت رسول الله ﷺ يقول تعرض الفتن على القلوب كالحصير عوداً عوداً... أن بيتك وبينها باباً مغلقاً يوشك أن يكسر... أن ذلك الباب رجلٌ يقتل أو يموت»^(١).

والرجل الذي قتل وبه فتحت الفتنة بابها كان عثمان بن عفان وقيل عمر. وقال ابن حجر العسقلاني عن حذيفة وأبيه: «وشهدا أحداً فاستشهد اليان بها؛ وروى حديث شهوده أحداً واستشهاده بها البخاري. وشهد حذيفة الحنفدي، وله بها ذكر حسن وما بعدها، وروى حذيفة عن النبي ﷺ الكثير...». قال العجلي: استعمله عمر على المدائن، فلم يزل بها حتى مات بعد قتل عثمان وبعدبيعة علي عليه السلام بأربعين يوماً، وذلك في سنة ست وثلاثين.

وروى علي بن يزيد عن سعيد بن المسيب عن حذيفة: خيرني رسول الله ﷺ بين الهجرة والنصرة، فأخترت النصر، وروى مسلم عن عبد الله بن يزيد الخطمي عن حذيفة، قال: لقد حدثني رسول الله ﷺ ما كان وما يكون حتى تقوم الساعة. وفي الصحيحين أن أبا الدرداء قال لعلقمة: أليس فيكم صاحب السر الذي لا يعلمه غيره، (يعني حذيفة).

وجاء فيهما (الصحيحين) أيضاً عن عمر: أنه سأل حذيفة عن الفتنة. وشهد حذيفة فتوح العراق وله بها آثار شهيرة^(٢).

وقال حذيفة لا تقوم الساعة حتى يسود كل قبيلة منافقوها.

وقالوا لحذيفة: إن عثمان قد قتل فما تأمرنا؟ قال: الزموا عماراً.

قيل: إن عماراً لا يفارق علياً، قال: إن الحسد أهلك الجسد، وإنا ينفركم

(١) صحيح مسلم ٢٣١/١، حديث ١٤٤.

(٢) الإصابة لابن حجر العسقلاني ٣١٧/١.

من عمار قربه من علي ! فوالله لعلي أفضل من عمار ابعد ما بين التراب والسحاب ،
وإنَّ عماراً من الأخيار»^(١).

زياد بن ليبيد بن ثعلبة

وهو زياد بن ليبيد بن ثعلبة الخزرجي ، أسلم مع رسول الله ﷺ في مكة ثم جاء معه الى المدينة ، فكان يقال له مهاجري أنصاري . وقد ذكر رسول الله ﷺ شيئاً فقال : ذاك عند ذهاب العلم . قالوا : يا رسول الله وكيف يذهب العلم ، ونحن نقرأ القرآن ونقرّنه أبناءنا ، ويقرّوه أبناءونا أبناءهم ؟ قال : ثكلتك أمك ابن أم ليبيد ، أو ليس اليهود والنصارى يقرأون التوراة والانجيل ولا ينتفعون منها بشيء ؟^(٢)

وزياد هو الذي اعتنق الزبير مع رجل آخر من الأنصار ، ودقوا به الحجر في حادثة الهجوم على بيت فاطمة عليها السلام^(٣) . ذكر الواقدي وغيره أنه كان عامل النبي ﷺ على حضرموت^(٤) وهو الذي تسبّب في ارتداد وحرب كنده للإسلام^(٥).

قنفذ بن جدعان

وقنفذ بن عمير بن جدعان هو مولى لابي بكر^(٦) ، وهو الذي هجم مع عمر

(١) كنز العمال ، المتقي الهندي ٥٣٢/١٣ .

(٢) أسد الغابة لابن الأثير ٢٧٤/٢ .

(٣) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ٤٨/٦ .

(٤) الكامل في التاريخ ، ابن الأثير ٣٣٦/٢ طبعة دار صادر ١٩٦٥ . ١٣٨٥ هـ .

(٥) البداية والنهاية ٤٠٩/٨ .

(٦) الإمامة والسياسة لابن قتيبة ١٣/١ . هامش الملل والنحل ٥٣/١ . الوافي بالوفيات ١٧/٦ .

وآخرين على بيت فاطمة عليها السلام، فأحرقوا بابها وضغطوه على سيدة نساء العالمين .
وقد ذكر اسم قنفذ في أحداث ما قبل الهجوم وما بعد الهجوم على بيت
فاطمة عليها السلام إذ قال أبو بكر لقنفذ: اذهب فادع لي علياً^(١).
وذكر ابن عبد البر: وهو قنفذ بن عمير بن جدعان التميمي له صحبة، ولأه
عمر مكة، ثم عزله، وولى نافع بن عبد الحارث^(٢)، ولم يأخذ نصف ماله .
وقد ذكر ابن شهر آشوب أن ابن قتيبة ذكر ضرب قنفذ لفاطمة عليها السلام في كتابه
المعارف (الطبعة القديمة) قائلاً: «إن محسناً فسد من زخم قنفذ العدوي»^(٣).

سلمة بن سلامة

وعندما سار المسلمون إلى بدر سأل اعرابي رسول الله ﷺ اخبرني بما في
بطن ناقتي هذه . فقال له سلمة بن سلامة: لا تسأل رسول الله ﷺ، أقبل عليّ، أنا
أخبرك عن ذلك، نزوت عليها في بطنها منك سخلة، فقال له رسول الله ﷺ: مه
افحشت على الرجل ثم اعرض عن سلامة^(٤). وهو سلمة بن سلامة بن وقش
الانصاري من المسلمين الأوائل، وقيل: أنه شهد معارك الرسول ﷺ.
وقال أبو بكر الجوهري عن أحداث بيت فاطمة عليها السلام: «فجاء عمر في
عصابة منهم أسيد بن حضير وسلمة بن سلامة بن وقش...»^(٥).

(١) الإمامة والسياسة ١٣/١.

(٢) الاستيعاب ٣/٣٦٦، أسد الغابة، تجريد أسماء الصحابة ١٧/٢، ت ٤٣٢٣، العقد الشين ٧. الاصابة

لابن حجر ٢٤١/٣.

(٣) مناقب آل أبي طالب ٤٠٧/٣ طبعة دار الأضواء.

(٤) السيرة الحلبية ١٤٩/٢، سيرة ابن كثير ٣٩٠/٢.

(٥) السقيفة وفدك، أبو بكر الجوهري. شرح نهج البلاغة ٤٧/٦.

ولما سيطرت الجماعة على الحكم، أرسل عمر بن الخطاب سلمة بن سلامة والياً على اليمامة^(١). واليمامة في ذلك الوقت ولاية كبيرة وكثيرة الخيرات! وبذلك يكون سلمة بن سلامة من الولاة الذين يشار اليهم بالبنان في حكومة الخليفة عمر.

عبد الله بن أبي ربيعة

وهو عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي، الذي أرسلته قريش مع عمرو بن العاص الى الحبشة لإعادة المسلمين الفارين الى هناك، لتنتقم منهم طغاة قريش^(٢). وبالرغم من اعلان عبد الله بن أبي ربيعة عن دخوله الإسلام إلا أنه بقي يتربص بالإسلام الدوائر. إذ قال الواقدي في مغازيه بأن عبد الله بن أبي ربيعة قد خرج مع أبي سفيان وصفوان بن أمية إلى معركة حنين ينظرون لمن تكون الدائرة واضطربوا خلف الباب، والناس يقتتلون^(٣). والمعروف عن الطلقاء في معركة حنين بأنهم هم الذين دبروا هزيمة المسلمين في تلك المعركة^(٤).

أي كانت أعمال عبد الله بن أبي ربيعة واحدة قبل وبعد اعلانه الإسلام! وكانت قريش لا ترسل شخصاً في سفارة إلا إذا كان من دهاتها. وقد أسلم في يوم فتح مكة فهو من الطلقاء.

وقال ابن حجر العسقلاني: «ولي عبد الله الجند لعمر، واستمر إلى ان جاء لينصر عثمان، فسقط عن راحلته بقرب مكة فمات، ويقال: إن عمر قال لأهل

(١) أسد الغابة لابن الأثير ٤٢٩/٢، وتصجيل المنفعة ١٦٠.

(٢) مختصر تاريخ ابن عساكر ٦٣/٦.

(٣) مغازي والواقدي ٨٩٥/٢.

(٤) السيرة الحلبية ١٠٨/٣.

الشورى: لا تختلفوا فإنكم إن اختلفتم جاءكم معاوية من الشام وعبد الله بن أبي ربيعة من اليمن، فلا يريان لكم فضلاً لسابقتكم، وإن هذا الأمر لا يصلح للطلاق ولا لأبناء الطلقاء^(١). وعندما اختلف عمار وابن أبي سرح فيبيعة علي عليه السلام وعثمان وقف المقداد الى جانب عمار بينما وقف عبد الله بن أبي ربيعة الى جانب ابن أبي سرح قائلاً لابن عوف: صدق (ابن أبي سرح) إن بايعت عثمان قلنا سمعنا واطعنا^(٢). وقال ابن عساكر: وبعد مقتل عثمان وقف عبد الله بن أبي ربيعة الى جانب المعادين للإمام علي عليه السلام وأعلن عن استعداده لتجهيز الناس لتلك الحرب^(٣). وظاهر الأمر انه وصل مكة بعد مقتل عثمان ثم مات فيها. فيكون ابن أبي ربيعة قد بدأ حياته السياسية معادياً للإسلام في رحلته الى الحبشة لقتل جعفر ابن أبي طالب وصحبه، وختمها بدعوته لقتل علي بن أبي طالب عليه السلام وصحبه!

دعم عمر لابن عوف وابن ثابت وابن مسلمة

لقد قرَّب عمرُ عبد الرحمن بن عوف بحيث أصبح من مشاوري الخليفة المقربين. وكان ابن عوف قد اشترك في بيعة أبي بكر وبيعة عمر وبيعة عثمان. وهو الذي احتجَّ على مقولة عمار بن ياسر في الحج، يوم قال: لو مات أمير المؤمنين لبايعت علياً عليه السلام^(٤). إذ كان مخالفاً لأهل البيت عليه السلام، ومحباً للمنهج القرشي، لذا آخى النبي ﷺ بينه وبين عثمان بعد الهجرة إلى المدينة وبقي ابن عوف مخلصاً لنهج عمر، إذ وافق على وصيته لعثمان بن عفان، وسمى لامضائها.

(١) الإصابة لابن حجر المصقلاني ٣٠٥/٢.

(٢) تاريخ المدينة المنورة، ابن شبة ٩٣٠/٣.

(٣) مختصر تاريخ دمشق، لابن عساكر ٥٨/٢٨.

(٤) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٢٩/٢.

وفي المقابل قرّبه عمر وساعده بما أمكن حتّى أرسله أميراً على الحج في السنة الاولى من حكمه وجعله وزيراً مقرباً في حكومته . وزوّجه من غزال بنت كسرى ، فولدت له عثمان وكثر ماله في خلافة عمر وعثمان فصالح امرأته المطلقة على ثلاثة وثمانين ألفاً ، وباع كيدمة من عثمان باربعين الف دينار (ذهباً)^(١) . وقال عبد الرحمن لأُمّه : قد خفت ان يهلكني كثرة مالي . انا اكثر قریش مالاً . قالت : يا بني انفق فإنّي سمعت رسول الله يقول : إنّ من أصحابي من لا يراني بعد ان أفارقه^(٢) . وقول أمّه له تابع ممّا اشتهر به من البخل ، إذ وصفه عمر قائلاً : إنّ رجلاً ممسك^(٣) . وذكر اليعقوبي في تاريخه قائلاً : وكان الغالب عليه (عمر) عبد الله ابن عباس وعبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان^(٤) .

وجاء في رواية بأنّ عبد الرحمن بن عوف قد شكّا الى رسول الله ﷺ كثرة القتل وقال : يا رسول الله تأذن لي أن ألبس قيصاً من حرير ؟ قال : فإذا ن له ، فلما توفي رسول الله ﷺ وأبو بكر وقام عمر أقبل بابنه أبي سلمة وعليه قيص من حرير فقال عمر : ما هذا ؟ ثمّ ادخل يده في جيب القميص فشقه إلى سفله ، فقال له عبد الرحمن : أما علمت أنّ رسول الله ﷺ . أحله لي ؟ فقال : إنّما أحله لك لأنك شكوت إليه القتل فأما لغيرك فلا^(٥) أقول : إن رواية حلّة الحرير لابن عوف فقط دون أفراد المسلمين يروها هو نفسه ، وهي باطله عقلاً وسنداً ، ولو كانت صحيحة لجوّز رسول الله ﷺ لبس الحرير لكل المسلمين ، وقد جوّز ابن عوف لبس الحرير لنفسه أولاً ثمّ جوّزها لابنه !! الزيف مدّعا بالاذن النبوي

(١) مختصر تاريخ ابن عساكر ٣٥٧/١٤ ، البداية والنهاية ١٨٤/٧ ، الاصابة ٤١٧/٢ .

(٢) الاستيعاب ، محمد بن عبد البر القرطبي ٣٨٩/٢ ، وهذا الحديث يطل نظرية عدالة الصحابة .

(٣) تاريخ اليعقوبي ١٥٨/٢ .

(٤) تاريخ اليعقوبي ١١١/٢ .

(٥) طبقات ابن سعد ١٣٠/٣ .

له بلبس الحرير! وقد أحلَّ عمر لوزيره عبد الرحمن لبس الحرير وحرَّمه على ابنه! ولا أدري كيف جوَّز ابن عوف لابنه لبس الحرير؟ هل كان ذلك بسبب القمل أيضاً؟ وإذا كان القمل متلازم مع الوساخة، فهل هو متلازم مع ابن عوف وأولاده من دون المسلمين؟ وعيَّنه عمر اماماً للصلاة عند طعنه وعيَّنه خليفة بعد عثمان، ومن المقرَّبين لعمر كان زيد بن ثابت الذي استخلفه عمر على المدينة ثلاث مرَّات في حجَّتين، وفي مسيره إلى الشام وقرَّبه عثمان، وأمر عثمان زيَّداً برئاسة لجنة جمع القرآن وكان زيد على بيت المال في زمن عثمان، ويستخلفه عند ذهابه إلى الحج لحبِّه له.

وكان زيد عثمانيًّا، ولم يكن فيمن شهد شيئاً من مشاهد علي مع الانصار^(١). وقد جاء عن خارِجة بن زيد بن ثابت: كان عمر يستخلف زيد بن ثابت إذا سافر، فقلَّما رجع إلَّا أقطعه حديقه من نخل^(٢)، وهكذا كثرت أموال زيد وابن عوف. أما محمد بن مسلمة فهو من الأنصار، وقد آخى النبي ﷺ بينه وبين ابن الجراح. واستعمله عمر بن الخطاب على صدقات جهينة.

وكان صاحب العمال أيام عمر. فكان عمر إذا شكى إليه عامل أرسل محمداً يكشف الحال. فقد أرسله عمر إلى عماله ليأخذ شطر أموالهم لثقتهم به^(٣) وهو الذي قتل سعد بن عبادَة بأمر عمر^(٤). وذكر أبو بكر الجوهري في كتابه السقيفة وفدك أن محمد بن مسلمة كان من المشتركين في الهجوم على بيت فاطمة عليها السلام^(٥).

(١) الاستيعاب لابن عبد البر، هامش الاصابة ٥٥٣/١، ٥٥٤.

(٢) الاصابة لابن حجر ٥٦٢/١.

(٣) الاصابة، ابن حجر ١١٢/٥.

(٤) العقد الفرید ٢٤٧/٤، السقيفة وفدك، عبد الفتاح عبد المقصود ص ١٣. أنساب الأشراف. البلاذري.

(٥) السقيفة وفدك، أبو بكر الجوهري ٥١، الموجود في كتاب شرح ابن أبي الحديد على نهج البلاغة.

نظرية الحزب القرشي

في اليهود

دوافع كعب في دخوله الإسلام؟

أخرج ابن جرير عن عيسى بن المغيرة، قال: تذاكرنا عند ابراهيم اسلام كعب، فقال: اسلم كعب في زمان عمر، أقبل وهو يريد بيت المقدس، فرَّ على المدينة، فخرج إليه عمر، فقال: يا كعب أسلم. قال أُلستم تقرأون في كتابكم ﴿مَنْ قَتَلَ الَّذِينَ هُمُومُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا فَمَثَلُ الْجَنَّةِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾^(١) وأنا قد حملت التوراة، فتركه، ثم خرج حتى انتهى إلى حمص^(٢) والظاهر أن كعباً قد التقى بمعاوية بن أبي سفيان في الشام وهناك تم التنسيق بينهما على أن يعلن كعب اسلامه ليسهل تطبيق أهدافه اليهودية.

ويذكر أن معاوية كان في اليمن (حيث كان يسكن كعب) قبل فتح مكة! ومن هناك أرسل رسالة لأبيه أبي سفيان ينذره من مغبة دخوله في الإسلام جاء فيها:

يا صخر لا تسلمن يوماً فتفضحننا بعد الذين يبدرون أصبحوا مزقاً^(٣)
فعاد كعب الى المدينة وأعلن اسلامه بعد أن رفض دعوة عمر بن الخطاب السابقة له لدخول الإسلام، ومنذ ذلك اليوم بدأ التنسيق واضحاً بين معاوية بن أبي

(١) الجمعة: ٥.

(٢) البر الثور ١٦٩/٢، سورة النساء، ٤٧.

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ١٠٢/٢.

سفيان وكعب الأحبار للسيطرة على حكم المسلمين وتحطيم تراثهم^(١) وهكذا كان في زمن عمر بن الخطاب أربعة يهود يدعون الإسلام أولهم كعب الأحبار وثانيهم عبد الله بن سلام والوليد بن عقبة بن أبي معيط^(٢) وزيد بن ثابت.

وكان كعب يحاول التقرب من عمر، فقال: يا أمير المؤمنين هل ترى في منامك شيئاً؟ قال: فانتهره فقال: إنا نحب رجلاً يرى أمر الأمة في منامه^(٣).

وكان كعب مثلاً للآيتين القرآنتين: ﴿وَدُّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَزُدُّوكُمْ مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنْفُسِهِمْ مَّنْ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ...﴾^(٤).

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(٥).

وقد أسلم كعب في السنة السابعة عشر للهجرة، بعد فتح الشام، وتنصيب معاوية والياً عليها فظاهر الأمر التقاء كعب بمعاوية في الشام وأتفاقيهما على عودة كعب الى المدينة وعلان اسلامه! وفعلاً رجع كعب الأحبار من الشام الى المدينة وأعلن اسلامه.

لقد كان كعب الأحبار صاحب شخصية ذكّية، لكن بتوجهات شيطانية. فقد رفض هذا الحبر الأعظم ديانة محمد ﷺ، وعارضها وحاربها. وعندما انتصر الإسلام في جبهة الشام، وفتح المسلمون فلسطين، وحرروا القدس من سلطة الروم، انتبه كعب من غفلته أو لنقل توجهه كعب لاستغلال هذه الفرصة المتاحة. فالقدس بيد المسلمين، والمسلمون طيبون ومسامحون في الدين عليه يمكن عودة

(١) راجع كتاب المفاحرات، الزبير بن بكار، وكتاب اضواء على السنة المحمدية، لعالم الأزهري محمود أبي ريمه. اضواء على السنة المحمدية ص ١٣٥ - ١٣٩.

(٢) مروج الذهب، المسعودي ٣/٣٣٦.

(٣) مختصر تاريخ ابن عساكر لابن منظور ٢٨٧/١٨. اضواء على السنة المحمدية ص ١٣٥ - ١٣٩.

(٤) البقرة: ١٠٩.

(٥) آل عمران: ٧١.

اليهود إلى فلسطين التي أُخرجوا منها بأمر الروم؟

والنصارى لا سلطة لهم على الشام، ولا قدرة لهم على تعذيب اليهود، أو منعهم من دخول القدس مثل السابق. والسبب الآخر في هذه الفرصة الذهبية، هو وصول معاوية بن أبي سفيان إلى منصب الحاكم العام والوالي الإسلامي في الشام. ومعاوية وأبو سفيان معروفان عند اليهود بالكفر ولهما علاقة وطيدة بهم. والسبب الآخر، أن اليهود لم يكونوا يرغبون في سكن الحجاز، فهي غير مقدسة في نظرهم، وخيراتها قليلة، وحركاتهم مرصودة هناك.

وبعد انتصار النبي ﷺ عليهم في المعارك المختلفة، أصبحت مواردهم المالية ضئيلة، وأراضيهم محدودة المساحة وصغيرة. ولقد كان عمر بن الخطاب يحترم التوراة، وفيه رغبة لسماع أخبار الكتب اليهودية عن الماضي والحاضر والمستقبل. ولقد أيد العلماء والمحققون إسلام كعب الأخبار في زمن عمر^(١)، ورغم ذلك ملأ الدنيا بأحاديثه التي لا أساس لها من الصحة دون رؤيته الرسول ﷺ.

قال الذهبي في تذكرة الحفاظ، إنه (كعب) قدم من اليمن في دولة أمير المؤمنين عمر، فأخذ عنه الصحابة وغيرهم، وروى جماعة من التابعين عنه، ومات بمصر في سنة ٣٢ أو ٣٣ أو ٣٨، بعدما ملأ الشام وغيرها من البلاد الإسلامية برواياته وقصصه المستمدة من الأخبار كما فعل تميم الداري في الأخبار النصرانية. ومن اليهود الذين أعلنوا إسلامهم أيضاً عبد الله بن سلام^(٢).

(١) تاريخ الطبري، مختصر تاريخ ابن عساکر.

(٢) وهو من يهود بني قينقاع في المدينة، قيل: إنه أسلم على يدي النبي ﷺ قبل وفاته بعامين، أخرجه البرقي في الأصابة، ابن حجر ٣٢٠/٢.

والظاهر أن الصحابة ما كانت لتسمع كلامه كما يدل عليه هذا الخبر:

جاء عبد الله بن سلام إلى عثمان المحاصر فقال له عثمان: ما جاء بك؟ قال: جئت في نصرك. قال:

دوافع عمر في استخدام كعب وتميم وأمثالهم

وقد اندفع عمر بن الخطاب للاستفادة من كعب الأحبار وقيم الداري وعبد الله بن سلام لأسباب عديدة منها:

: ادعاء هؤلاء الإسلام، وتصريحهم بامتلاكهم علوم أهل الكتاب.

: وقول كعب المغربي: ما من شيء إلا وهو مكتوب في التوراة! ^(١)

: امتلاك بعض الأحبار والرهبان لقدرة دهائية أعظم مما يمتلكه دهاء

قريش، مما جعل عمر وآخرون ينضرون اليهم بكل تقدير واحترام.

: الأسئلة الكثيرة الموجهة لعمر من قبل الناس جعلته في وضع صعب،

إضطرَّ معه لدفع هؤلاء للإجابة عن هذه الأسئلة الكثيرة والصعبة. وهذا ما يفسر

سبب قيام تميم بالقاء القصص في مسجد النبي ﷺ، والقائه خطبة في كل يوم جمعة

(قبل خطبة الجمعة) ^(٢).

أخرج إلى الناس فاطرُهم عَنِّي، فإنك خارج خيرٌ إليّ منك داخل. فخرج عبد الله إلى الناس فقال: أيها الناس إنَّه كان إسمي في الجاهلية فلان فسماني رسول الله ﷺ عبد الله و... فآله الله في هذا الرجل أن تقتلوه. فولقه لئن قتلتموه لطرُدُنَّ جيرانكم الملائكة وليسلُنَّ سيف الله العمود عنكم فلا يُقْتَدَ إلى يوم القيامة. قالوا: اقتلوا اليهوديِّ واقتلوا عثمان، أسد الغابة لابن الأثير ٢٤٦/٣.

هنا نلاحظ شهادة الصحابة ببقاء ابن سلام على يهوديته. وخوف عثمان من بقاء ابن سلام في بيته لعدم ثقة المسلمين به. وقد شهد عبد الله بن سلام مع عمر فتح بيت المقدس، مختصر تاريخ ابن عساکر، ابن منظور ٢٤٦/١٢. فيكون عبد الله بن سلام وكعب الأحبار قد صحبا عمر في سفرته إلى الشام!

(١) أضواء على السنة المحمدية، محمود أبو رية ص ١٦٥.

(٢) تاريخ المدينة المنورة، ابن شبة ٧/١، ٨، ١١ طبع مكة المكرمة، الإصابة، ابن حجر ٢٥٦/١.

الاستيعاب بهامش الإصابة، ابن عبد البر ١٨٤/١.

واضطرار عمر للسؤال من الإمام علي عليه السلام لحل بعض المعضلات والمشكلات الدينية والعلمية والقضائية يفصح عن حقيقة هذا الموضوع. وبين الفراع الكبير الذي تركه ابعاد الثقل الثاني بعد القرآن عن مرجعية المسلمين.

: احتكاك عمر بأهل الكتاب قبل الإسلام وفي زمن النبي ﷺ للحصول على بعض الإجابات سهل عليه استخدام هؤلاء المدّعين للإسلام لاحقاً. : رغبة عمر في استخدام دهاة الناس، تحت نظرية الفاسق القوي أفضل من المؤمن الضعيف (وقد ذكرنا هذه النظرية في موضوع الولاية).

من طلب من كعب السكن في المدينة ؟

أول من طلب من كعب الأحبار السكن في المدينة المنورة، هو الخليفة الثاني عمر بن الخطاب.

فقد طُلب منه البقاء في المدينة، وبدأ يُقرَّبُ مجلسه، ويعرفه بعنوان العالم^(١).

وبعد رفض عمر لأهل البيت عليه السلام كمرجع ديني وفقهي، أراد الاستفادة من كعب الاحبار وغيره ليحلّوا محلهم.

وكان عصر عمر يشهد خللاً كبيراً في المرجعية، بفقدان النبي ﷺ وعزل أهل بيته : وهذا ما دعاه الى ابقاء كعب في المدينة، وأخذه معه الى الشام، وإقامة مجالس الوعظ له للاستفادة منه.

ولقد كان عمر قد أنس مرّة بقراءة التوراة، وحاول ان يقرأها أمام

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ٣٥٨/٢ طبعة بيروت.

النبي ﷺ، إلا أن النبي ﷺ غضب لذلك، فلم يلتفت عمر إلى غضبه، ممّا اضطرّ أبا بكر للقول لعمر: ثكلتك الثواكل ما ترى بوجه رسول الله.

فقال عمر: أعودُ بالله من غضبِ الله ورسوله.

فقال ﷺ: لقد جئتمكم بها بيضاء نقية، لا تسألوهم عن شيء، فأبأنهم لن يهدوكم وقد ضلّوا فإنه لو كان موسى حيّاً بين أظهركم ما حلّ له إلا أن يتبعني^(١).

وبالرغم من غضب النبي ﷺ على عمر، وطلبه من المسلمين عدم السؤال من اليهود، إلا أن عمر في زمن خلافته فتح باب السؤال من اليهود على مصراعيه، فأصبح كعب مرجعاً خطيراً للمسلمين، يسألونه عن كل معضلة، بدءاً من التوحيد وانتهاءً بالآخرة! وستجد في هذا الموضوع أسئلة عمر من كعب.

وسمح له عمر بأن يقصّ في مسجد النبي ﷺ بالرغم من تذكّر ابن عوف حديثاً نبوياً يوصم أمثاله بالاحتيال^(٢).

وانتشرت أحاديث كعب وتميم الداري فأصبح هؤلاء ثقلأً ثانياً إلى جانب القرآن الكريم، مكان أهل البيت ﷺ، وهذا مصداق قول عمر: حسبنا كتاب الله. وبواسطة كعب وتميم تمكّن عمر من النجاة من كثير من الاسئلة الموجهة إليه من قبل المسلمين.

وكان الطريق الثاني لعمر للهروب من الاسئلة الموجهة إليه هو منع هذه الاسئلة، سواء كانت عن تفسير القرآن أو عن العقائد. وكما ذكرنا في بابه، فقد ضرب عمر من سأل عن تفسير القرآن^(٣).

في حين قال علي عليه السلام للناس: سلوني، فوالله لا تسألوني عن شيء يكون لي

(١) سنن الدارمي ١١٥/١ طبعة دمشق، مسند احمد بن حنبل ٣/٢٨٧، ٤٧٠.

(٢) مختصر تاريخ ابن عساكر ١٨٦/٢١.

(٣) كنز العمال ٥١٠/٢ ح ٤١٦٩، المصاحف لابن الانبار، ونصر المقدسي في العجة.

يوم القيامة إِلَّا حَدَّثَكُمْ بِهِ، وَسَلَوْنِي عَنْ كِتَابِ اللَّهِ فَوَاللَّهِ مَا مِنْ آيَةٍ...
ولما كان صبيغ قد ضُرب من قبل الخليفة الثاني، ضرباً شديداً أياماً
عديدة، لأجل سؤاله عمر عن آية والذاريات ذرواً، فقد سأل ابن الكواء (الذي
أصبح خارجياً من بعد) من الإمام علي عليه السلام عن والذاريات ذرواً، وكان يتصوّر
بأنه عليه السلام سوف يجيب مثلهما أجاب عمر، من ضربه ومنعه من السؤال.
فقال علي عليه السلام: الذاريات هي الرياح التي تحرك القمح والشعير بعد
نضوجها.

فقال ابن الكواء: وما معنى الجاريات يسراً؟

فقال علي عليه السلام: السفن.

قال ابن الكواء: وما معنى المقسمات أمراً.

قال علي عليه السلام: الملائكة^(١).

ومن أسباب توجّه الخليفة لكعب وتميم وعبد الله بن سلام واهتمامهم بهم: إنَّ
العرب قبل الإسلام كانوا ينظرون الى اليهود والنصارى على أنَّهم أهل ثقافة
ودين، وهذه النظرة استمرّت عند البعض من المسلمين.

كما ان عمر كان يقرب الدهاة ويشاورهم ويستفيد من آرائهم.

وكعب واحد من هؤلاء الدهاة الى جنب ابن العاص والمغيرة ومعاوية وعبد
الله بن أبي ربيعة.

وهؤلاء الدهاة قد حرّفوا الشريعة وأشاعوا الفتن، ونشروا الفساد،
وخربوا البلاد إذ وضعوا الأسس لتحطيم الاسلام سياسياً واقتصادياً واجتماعياً
وترائياً.

(١) كنز العمال ٣٥٧/٢، تفسير ابن كثير ٢٣١/٤ طبعة مصر، فتح الباري ٢٢١/١٠ طبعة مصر، تفسير

الطبري ١١٦/٢٦ طبعة مصر، اوفست بيروت.

زيد بن ثابت والوليد بن عقبة من أصول يهودية

جاءت روايات صحيحة من طريق ابن أبي وعبد الله بن مسعود تؤكد بأن زيد بن ثابت كان يهودياً.

فعن ابن إسحاق عن أبي الأسود قال: قيل لعبد الله (بن مسعود) ألا تقرأ على قراءة زيد؟ قال: مالي ولزيد ولقراءة زيد، لقد أخذت من في رسول الله ﷺ سبعين سورة، وإن زيد بن ثابت لليهودي له ذؤابتان^(١).

وعن حمير بن مالك قال عبد الله قرأت من في رسول الله ﷺ سبعين سورة وزيد بن ثابت له ذؤابة في الكتاب^(٢).

وقال ابن أبي الصحابي الجليل القدر: لقد قرأت القرآن وزيد هذا غلام ذو ذؤابتين يلعب بين صبيان اليهود في المكتب^(٣).

وقد تولى زيد بن ثابت وظائف مهمة في حكومات أبي بكر وعمر عثمان، فقد تولى القضاء لعمر بن الخطاب وكان نائباً له على المدينة في أسفاره.

وبلغ حب عمر له أن كتب له رسالة من الشام مقدماً اسمه على اسمه قائلاً: إلى زيد بن ثابت من عمر^(٤).

إن عمر خالف الأعراف السياسية في تقديم اسم زيد عليه ولأجل ابعاد اصله اليهودي عن الأذهان قالوا: بأن رسول الله ﷺ أمر زيداً بتعلم العبرية ! لنكران معرفته بالعبرية.

(١) تاريخ المدينة المنورة ١٠٠٦/٣.

(٢) مسند أحمد ١/٣٨٩، ٤٠٥، ٤٤٢.

(٣) الدرجات الرفيعة ٢٢، الإيضاح، الفضل بن شاذان ٥١٩.

(٤) تاريخ المدينة المنورة، عمر بن شبة ٦٩٣/٢، سير أعلام النبلاء، الذهبي ٤٣٨/٢.

فعن عبيد قال: قال زيد بن ثابت: قال لي رسول الله تحسن السريانية، إنها تأتيني كتب. قال: قلت: لا.

قال تعلمها، قال: فتعلمتها في سبعة عشر يوماً^(١).

ويرد هذا الادعاء وجود عبد الله بن سلام وغيره الذين اسلموا في زمن الرسول ﷺ في المدينة ويمحسنون اللغتين العبرية والعربية فلا حاجة لأمر الرسول ﷺ لشخص بتعلم العبرية.

ومن المحال أن يتعلم زيد بن ثابت العبرية في سبعة عشر يوماً.

إن زيد بن ثابت لم يكن من الأنصار وليس له نسب بينهم مما يثبت أصوله اليهودية، إذ اختلفوا في نسبه، وبأن كذب ما ادعوه له من أنساب^(٢).

وإن عبد الله بن مسعود وابن أبي قد أثبتا نسب زيد اليهودي بما لا مجال فيه للشك.

وبينما كان زيد بن ثابت من أصول يهودية وهو على القضاء كان الوليد بن عقبة بن أبي معيط اليهودي الأصل والياً على عرب الجزيرة^(٣) وكان كعب الأحبار وزيراً مقرباً من عمر بن الخطاب، وقد بقي هؤلاء مع عبد الله بن سلام إلى أواخر أيام حياتهم موالين لعثمان ومعاوية ومعادين لأمر المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ متأمرين عليه!

والمؤاخذات على زيد بن ثابت هي ادعاؤه الزيادة في القرآن الكريم وموقفه المعادي لأهل البيت عليه السلام، بينما أوصى ﷺ بالثقلين القرآن وأهل البيت عليه السلام. وبينما بايع زيد لأبي بكر وعمر وعثمان وقف موقفاً معارضاً لبيعة علي عليه السلام.

(١) مسند أحمد بن حنبل ١٨٢/٥، صحيح البخاري ١٢٠/٨، المبسوط، السرخسي ٨٩/١٦.

(٢) سيرة ابن هشام ٥٢٠/٢، ٣١٣/٢، الجرح والتعديل ٢٥٥/٩، أسد الغابة ٢٢١/٢، ٤٨/٤، مسند أحمد ١١٥/٥.

(٣) تاريخ الطبري ٣١١/٣، أسد الغابة، ابن الأثير ٤٥١/٥.

أما الوليد فقد فسَّقه القرآن الكريم في آية ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ﴾، وعارض الوليد أهل البيت عليهم السلام وحارهم وساعد معاوية بن أبي سفيان، وأعلن الفسق والفجور في الكوفة فطرده الناس^(١).

المرجعية الدينية في زمن الخلافة

و المرجعية الدينية، مصدر بيان القوانين الالهية، والأحكام الشرعية التكليفية والوضعية، وأنَّها الحكم الفصل في الأمور القضائية والسياسية والاجتماعية. ولا نعني بالمرجعية الدينية قدرتها على الاجتهاد الشخصي، في مقابل النص الإلهي، بل قدرتها على استنباط النص الإلهي، من القرآن والحديث الشريف.

القرآن لآئته كتاب الله، والحديث على أساس كون النبي صلى الله عليه وآله لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى.

وثبتت مرجعية أهل البيت عليهم السلام بقول الله سبحانه: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُعِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاغِبُونَ﴾^(٢).

وقول النبي صلى الله عليه وآله: إني تارك فيكم الثقلين، كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وأحدهما أكبر من الآخر، لن تضلوا إن تمسكتم بهما، وإنهما لن يفترقا إلى أن يردا عليَّ الحوض يوم القيامة^(٣).

(١) الاستيعاب، ابن عبد البر ٦٣٤/٣، مستند أحمد ١٤٤/١، سنن البيهقي ٣١٨/٨.

(٢) المائدة، ٥٥، ذكره الشبلنجي في نور الأبصار، ١٧٠، وقال: نقله أبو إسحاق أحمد التلملي في تفسيره، وانظر الدر المنثور للسيوطي والكشاف للزمخشري في تفسير الآية.

(٣) صحيح مسلم ١٢٢/٧، مستند أحمد بن حنبل ١٨١/٥، صحيح الترمذي ٦٢١/٥، السيرة النبوية لابن دحلان بهامش السيرة الحلبية ٢٣١/٣، المعجم الصغير للطبراني ١٣١/١، كنز العمال ١٦٥/١.

فثقل أهل البيت عليهم السلام مساوٍ لثقل القرآن بالنص، وهم مفسرون للكتاب العزيز ومبينون للحديث الصحيح.

والاستقامة مشروطة بالتمسك بهما، والضلال والانحراف مقرون بالابتعاد عنها. وقد بين عمر هذه الولاية، يوم قال لاعرابي في بيان منزلة علي عليه السلام: إنه مولى كل مؤمن ومؤمنة، ومن ليس مولاه فليس بمؤمن^(١).

وجاء في الكتاب الحكيم: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾^(٢). وقد قال الرسول ﷺ في خطبة يوم الغدير: أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنِّي أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ. قالوا: بلى فأخذ بيد علي عليه السلام فقال: من كنت مولاه فهذا علي مولاه^(٣).

وقال النبي ﷺ: ما تريدون من علي؟ ما تريدون من علي؟ إن علياً مَنِّي وأنا منه، وهو ولي كل مؤمن بعدي^(٤).

وجاء في القرآن الكريم: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾^(٥). وتفسيرها انهم مسؤولون عن ولاية علي بن أبي طالب عليه السلام^(٦).

وقول العزيز العظيم: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ فيه اطلاق، يعني أنه أولى بهم في الأمور الدينية والدنيوية. وهذه المكانة يمتلكها علي بن أبي طالب عليه السلام، بقول النبي ﷺ: من كنت مولاه فهذا علي مولاه.

(١) أخرجه الدارقطني في صواعق ابن حجر، ١٠٧.

(٢) الأحزاب، ٦.

(٣) مسند أحمد بن حنبل ٣٨١/٤، سنن ابن ماجه ٥٥/١، سنن الترمذي ٥٣٣، خصائص النسائي، ٣.

(٤) سنن الترمذي ٢٩٧/٢، مسند أحمد بن حنبل ٣٥٦/٦، خصائص النسائي، ٢٤، مجمع الزوائد،

الهشمي ١٢٧/٩.

(٥) الصافات، ٢٤.

(٦) الصواعق المحرقة لابن حجر المصقلاني، تفسير الآية.

ولا توجد مرجعية دينية ودينية أعلى من مرجعية أهل البيت عليهم السلام، كما فهمنا من الآيات والأحاديث السابقة.

ومن مهازل الدنيا تدخل كعب الأخبار في موضوع صلاحية الإمام علي عليه السلام للخلافة^(١)، فرفض صلاحيته، وأيد صلاحية معاوية بن هند لها؟... وما عشت أراك الدهر عجبا!

ولكن كيف يقدم عمر على السؤال من كعب، عن صلاحية علي عليه السلام للخلافة، وهو نفسه القاتل فيه: هذا مولاك ومولى كل مؤمن، ومن لم يكن مولاه فليس بمؤمن^(٢).

وقد أيد المسلمون هذه المرجعية الدينية الإلهية في بيعة الغدير، يوم قال كل فرد مسلم لمولاهم علي عليه السلام: يخ يخ لك يا ابن أبي طالب، أصبحت مولاي ومولى كل مسلم ومسلمة^(٣).

وبينا تعتمد مرجعية أهل البيت عليهم السلام على نصوص القرآن والحديث الشريف، تعتمد مرجعية كعب الأخبار وتقيم الداري وأمثالهم على نصوص الكتب المزورة والأحاديث المختلفة، التي كذبها الله ورسوله.

وقد نطق كعب بنص مكذوب، غش به عمر بن الخطاب وغيره تمثل في قوله: ما من شيء إلا وهو مكتوب في التوراة^(٤).

وأي مراجعة للكتب المقدسة تثبت لنا كذب هذا الحديث. وقد أثبت الله تعالى كذب كتب أهل الكتاب بقوله سبحانه: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ١١٥/٣ طبع دار إحياء الكتب العربية.

(٢) أخرجه الدارقطني في صواعق ابن حجر، ١٠٧.

(٣) مسند أحمد بن حنبل ٣٨١/٤، سنن ابن ماجه ٥٥/١، سنن الترمذي ص ٥٣٣، خصائص النسائي ص ٣.

(٤) أضواء على السنة المحمدية، أبو رية، ١٦٥.

مواضعه^(١). وقد أثبت الصحابة كذب أحاديث كعب وقصصه، وتابعهم في ذلك الرواة والحفاظ والعلماء. وكان عمر بن الخطاب قد رفض مرجعية أهل البيت عليهم السلام في يوم الخميس بقوله: حسبنا كتاب الله. وقد أيّده في هذا المنحنى مجموعة من الصحابة، بالرغم من أنهم يابغوا علياً عليه السلام على هذه المرجعية الدينية والسياسية في يوم الغدير.

ورفض كعب الأخبار أيضاً مرجعية علي عليه السلام مصرّحاً بذلك^(٢). وبالرغم من أن مرجعية المسلمين عند جماعة حسبنا كتاب الله أصبحت في عهدة الخليفة، إلّا أن عمر قد جعل كعباً مرجعاً دينياً وسياسياً يرجع إليه في القضايا المهمة والخطيرة.

وعلى رأس القضايا التي أفتى بها كعب ورجع إليه فيها عمر هي قضية الاجتهاد الشخصي في قبال النص. ونعني بكون كعب مرجعاً دينياً في زمن عمر رجوع الخليفة إليه في قضايا دينية مهمة. وعمر مخيرٌ في الرجوع إليه وليس مسيراً. وبالرغم من دهاء عمر وذكائه، إلّا أن كعب الأخبار غلبه في هذه القضية المهمة، وأوحى إليه زوراً بأنّه عالم خطير، يجب على أمثال عمر الرجوع إليه. واستصحب العرب لسألة رجوعهم في استلثهم إلى أهل الكتاب قبل الاسلام وتعوّذهم على ذلك وعلى كسب الشفاء والعافية منهم، هو الذي دعا عمر إلى ادامة الاعتماد على كعب وقيم. خاصّة وإن كعباً وقيماً قد أظهر الإسلام زوراً، وأعلنّا تسلّطها على علوم أهل الكتاب، واحتفاظها بالكتب المقدسة.

ومن أدلة ما ذكرنا: رجوع عمر إلى هؤلاء في القضايا الدينية^(٣)، ورجوع

(١) النساء، ٤٦.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١١٥/٣.

(٣) الدر المنثور ٣٤٧/٥، تنبيه الخواطر ونزهة النواظر، ورام بن أبي فراس ٦٠٥/٢، مستند أحمد

عائشة الى اليهود (بعد موت النبي ﷺ) في طلب الشفاء^(١).

ورجوع أبي هريرة، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عمرو بن العاص في أسئلتهم الى أهل الكتاب وعلى رأسهم كعب^(٢).

ونحن لا ننكر رجوع عمر الى علي عليه السلام في أحيان كثيرة، إلا أن كعب الأحبار وقيماً وعبد الله بن سلام كانوا في قلب السلطة، سافروا مع عمر الى الشام، ودرسوا في مسجد النبي ﷺ، وخطبوا في عاصمة الخلافة في كل جمعة، ولما انتقلت السلطة الى دمشق في زمن معاوية، انتقل كعب وقيم الى هناك، فخطبا في مسجدهما الكبير. وقد سار معاوية على خطى عمر في هذا المجال، فاسحاً المجال أمامهما في المسجد الجامع للعاصمة، ومقرباً لهما في دار الحكومة، يسألها عن القضايا الدينية والسياسية.

ولا يعني ذلك عدم رجوع الصحابة الى علي عليه السلام (المرجعية الحقيقية للمسلمين) للسؤال عن بعض الأمور.

فقد ثبت رجوع أبي بكر الى علي عليه السلام^(٣).

وثبت رجوع عمر إليه عليه السلام^(٤).

ورجوع عثمان إليه عليه السلام^(٥).

١٤٢/١، مجمع الزوائد ٢٣٩/٥، مستدرک الصحيحين ١٢٦/٣، تهذيب التهذيب، ابن حجر ٣٢٠/٦.

أسد الغابة، ابن الأثير ٢٢/٤.

(١) الموطأ، مالك بن أنس ٥٠٢/٢.

(٢) تفسير ابن كثير ١٠٤/٣، ١٠٥، السيوطي في الفيته ص ٢٣٧، ص ٢٣٨.

(٣) كنز العمال ٩٩/٣، الرياض النضرة ١٩٥/٢.

(٤) سنن أبي داود ١٤٧/٢٨، صحيح البخاري ٢٤٩٩/٦.

(٥) موطأ مالك بن أنس، ٣٦، ١٧٦، مسند أحمد ١٠٤/١.

ورجوع معاوية إليه ﷺ^(١).

ورجوع عائشة وابن عمر إليه ﷺ^(٢).

ورجوع الصحابة الى علي ﷺ يثبت مرجعيته الحقيقية.

وأصبح تميم الداري، وكعب الأحبار مرجعين مهمين لمسلمي المدينة، يعلنان الصحابة شريعة الله تعالى، بالرغم من عدم مشاهدة كعب للنبي ﷺ، وإسلام تميم قبل سنة من وفاة الرسول ﷺ !!

ولا أدري كيف يقصُّ ويعظ هذان، في مسجد النبي ﷺ وفيه كبار الصحابة من المهاجرين والأنصار! فكان تميم يطرح الثقافة النصرانية للمسلمين في مسجد النبي ﷺ مرتين في الأسبوع في زمن عمر، وثلاث مرَّات في زمن عثمان.

وكذلك كان يفعل كعب الأحبار بطرح الثقافة اليهودية في مسجد النبي ﷺ وفي عاصمته الشهيرة، وفي المدينة الإمام علي ﷺ وابن مسعود وابن أبي!

وطرح هذه الأحاديث المزيفة من قبل هذين المشبوهين، تسبَّب في تحريف الكثير من التفسيرات القرآنية للآيات والأحكام الفقهية والأصول الاعتقادية! وقد استغل هذان الشخصان فترة وجودهما في المدينة لتحقيق ما أسلما من أجله. وساعدهما على طرح ثقافتها وأحاديثها عدَّة أمور:

منها احترام عمر لها، وتفضيله لها على جميع الصحابة من المهاجرين والأنصار في مسألة الوعظ الديني وقول القصص. وهذا يعطي قولها الوثاقة والصحة. ومنها قيام هذين الشخصين بطرح أفكارهما في المسجد النبوي الشريف، وبذلك تضاف مسحة من الصدق والروحانية على أحاديثها المزيفة. إنَّ طرح تلك الأفكار قبل صلاة الجمعة عند اجتماع المسلمين، مكنَّ تميماً

(١) موطأ مالك، ١٢٦، الاستيعاب ٤٦٣/٢.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الطهارة ٢٩٣/١، ح ٢٧٦، فتح الباري في شرح البخاري ١٦/١٦٨.

من نقل أفكاره وأحاديثه إلى جميع أهل المدينة وزوارها واعطاء أحاديثه روحانية خاصة. ومن الأمور الخطيرة، إن الناس خارج المدينة المنورة مثل الشام والعراق واليمن وباقي مدن الجزيرة كانوا ينظرون إلى ما يصدر عن الرسول ﷺ، والخلفاء، وما قيل في مسجد النبي ﷺ، وبحضور الخليفة، والصحابة، على أنه حقائق لا يشوبها الشك!

والخطير في الأمر أن تميمًا وكعبًا كانا يتحدثان في أيام منع ذكر الحديث النبوي وتدوينه من قبل عمر^(١). فكان السؤال عن تفسير القرآن غير مسموح به، وكذلك السؤال عن المسائل الاعتقادية، والأحاديث النبوية.

وفي ظل عدم تمكن الصحابة من قول الحديث، كان تميم وكعب يتحدثان في مدينة المصطفى. وبذلك يكون تميم وكعب هما المرجعان الدينيان اللذان يرجع إليهما الصحابة في السؤال عن المسائل الدينية، ولهما الحق في التدريس في المسجد.

وكان فقدان المرجعية الدينية لأهل البيت ﷺ، هو الذي دفع عمر للإعتدال على غيرهم. لأن نظرية النبي ﷺ تتمثل في الثقلين كتاب الله وأهل البيت ﷺ، وهذا ما طرحه النبي ﷺ في يوم الخميس أثناء مرضه، وفي حجة الوداع، وفي غدير خم، وغيرها. بينما كانت نظرية قريش: حسبنا كتاب الله. وقد وجد عمر أن كتاب الله نفسه يحتاج إلى مفسر، وأن شريعة الله تحتاج إلى مرجع ديني، وهذا ما يفسر مسألة اعتماد عمر على كعب وتمام لسد ذلك الفراغ المرجعي!

ولقد اعتمد في بعض المناسبات على الامام علي عليه السلام، في حل بعض المعضلات الفقهية والاعتقادية والقضائية ذكرناها في هذا الكتاب فقال عندها عمر: لولا علي لهلك عمر^(٢).

(١) طبقات ابن سعد ١٤٠/٥، تاريخ ابن كثير ١٠٧/٨.

(٢) الاستيعاب، ابن عبد البر الأندلسي ١١٠٣/٣.

وكان اعتماد الدولة الاستراتيجي في المسائل الخطيرة ونشر الثقافة العامة والأحاديث الدينية يتم أسبوعياً بالاعتماد على كعب وقيم . وهذا لا ينافي اعتقاد الدولة بأفضلية علي عليه السلام على غيره من أمثال كعب وقيم . لكن كعباً وقيماً في خط الحزب القرشي ، ومن ضمن رموزه ، بينما كان الإمام علي عليه السلام من الخط المنافس لهم ، فكان أبو بكر وعمر وعثمان ومعاوية وآخرون من أعضاء الدولة ، بينما كان علي عليه السلام والعباس وابنه وأبو ذر وسلمان وعمار من خط المعارضة .

والحكومات السياسية عادة ما تدعم أفرادها بكل قوة ، دون مراعاة لأموال كثيرة ، مع غض نظر عن أخطائهم . وفي نفس الوقت تناهض منافسيها وتمنعهم أسباب القوة المعنوية والاقتصادية والعسكرية والسياسية وغيرها . وتفتش عن أخطائهم لضربهم ، وتعمل لتحجيمهم ؛ ودعم كعب وقيم وتولية أفراد بني أمية مناصب الدولة ومنع أفراد بني هاشم وظائفها من أدلة ذلك .

ولقد تسببت السياسة في وصول كعب وقيم الى ما لم يحلم به هذان العنصران . وفي السياسة يكون التقاء المصالح فوق ما عداها . فلقد سمح عمر بن الخطاب في زمنه لكعب الأحمق والقيم الداري بقول القصص في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم . ولم يكن ذلك معروفاً في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر^(١) .

وبالرغم من ذكر عبد الرحمن بن عوف لحديث : لا يقص إلا أمير أو مأمور أو مراء فإن كعباً استمر في قصصه وعمر واصل أذنه بذلك .

فعن كثير بن مرة ، أن عوف بن مالك الأشجعي شاهد جماعة مجتمعين على رجل في مسجد جنص فقال عوف : ما هذه الجماعة ؟ قالوا : كعب يقص على الناس . قال : يا ويح ! أما سمع قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يقص إلا أمير أو مأمور أو

(١) انظر تاريخ المدينة المنورة لابن شبة ، ١/٧٨ ، ١١ طبع مكة المكرمة .

مراءٍ أو محتال^(١).

وهكذا حصل كعب وتميم على منصبي الواعظ والقاص في مسجد النبي ﷺ بدل كبار الصحابة، من تلاميذ رسول الله ﷺ وقد جرى هذا بتخطيط من عمر وأمره! وترجمة تميم هي:

وهو تميم بن أوس بن خارجة الداري النصراني. ذكر ابن عبد البر أن تميم الداري قد أسلم في سنة تسع هجرية، وكان يسكن المدينة، ثم أنقل منها إلى الشام، بعد قتل عثمان^(٢).

وقال عنه ابن حجر العسقلاني كان راهب أهل عصره، وأوّل من قصّ، وذلك في عهد عمر، وصاحب قصّة الجساسة^(٣). وقد قيل أنّه أسلم عند منصرف النبي ﷺ من تبوك، حيث قدم إليه تميم مع عشرة من الدارين.

ونصارى الشام وخاصة رجال الدين كان عندهم خبر من عيسى ﷺ بخروج النبي أحمد في الحجاز. وقد أخبر راهب نصراني النبي محمداً ﷺ بذلك الخبر قبل المبعث النبوي أثناء ذهاب النبي ﷺ مع عمه أبي طالب إلى الشام للتجارة، كما أخبر أحد رهبان الشام محمداً ﷺ بذلك أثناء ذهابه في تجارة خديجة^(٤). وتوثّق هذا الخبر بانتصار النبي ﷺ على يهود الجزيرة وكفارها، وسيطرته على دولة كبيرة الأطراف تضم اليمن وعمان والبحرين.

وبعد يتقن تميم الداري بذلك وقدمه لإعلان اسلامه، ظهر المنحى المادي الدينوي بارزاً على اسلامه، كما صرّح هو: قال أبو هند الداري: قدمنا على رسول الله ﷺ ونحن ستة نفر تميم بن أوس، ونعيم بن أوس أخوه، ويزيد بن قيس،

(١) رواه الطبراني في الاوسط مجمع الزوائد ١٩٠/١، تاريخ المدينة المنورة لابن شبة ٨/١.

(٢) كتاب الإستيعاب بهامش الاصابة، ابن عبد البر الأندلسي ١٨٤/١ ط. أولى دار احياء التراث.

(٣) الاصابة لابن حجر ١٨٤/١.

(٤) تاريخ الطبري ٣٥/٢.

وأبو هند بن عبد الله - وهو صاحب الحديث - وأخوه الطيب بن عبد الله، فسأله رسول الله ﷺ عبد الرحمن وفاكه بن النعمان فأسلمنا، وسألنا رسول الله ﷺ أن يقطعنا من أرض الشام، فقال رسول الله ﷺ: سَلُّوا ما شئتم. فقال تميم: أرى أن نسأله عن بيت المقدس وكُورها، فقال أبو هند: وكذلك يكون فيها ملك العرب، وأخاف أن لا يتم لنا هذا، فقال تميم: فنسأله بيت جبرين^(١) وكورتها. فقال أبو هند: هذا أكبر وأكبر. فقال: فأين ترى أن نسأله؟ فقال: أرى أن نسأله عن القرى التي يقع فيها حصن تل مع آبار ابراهيم، فقال تميم: أصبت ووفقت. قال: فقال رسول الله ﷺ: تميم أتحب تخبرني بما كنتم فيه أو أخبرك؟ فقال تميم: يا رسول الله ﷺ، نزداد إيماناً. فقال رسول الله ﷺ: أردتم أمراً واراد هذا غيره، ونعم الرأي ما رأي...»^(٢).

وهنا نلاحظ وجود هدف مشترك بين تميم الداري وكعب الأحبار، فتميم أسلم ظاهراً للحصول على القدس أو على الأرض الكبيرة المحصورة بين بيت المقدس وغزة. فهو أراد هذه المنطقة المهمة في فلسطين مقابل نطقه بالشهادة. وأراد كعب الحصول على مناطق فلسطين المقدسة مقابل اعلانه للشهادة؟
فيتبين واضحاً أن تيمماً وصحبه، قد أعلنوا اسلامهم، مع طلبهم الحصول على أراضي واسعة ومهمة!

ثم حاول تميم وصحبه وضع حالة مقدسة لنفسه بشقئ صنوف الكذب والاحتيال وساعده في ذلك رجال قریش، فقد جاء: أن تميم الداري كان يقرأ القرآن في ركعة؟^(٣) «وأن تميم الداري نام ليلة لم يَقمْ يتهجدُ فيها حتى أصبح، فقام

(١) بيت جبرين: لغة في جبريل: بليد بين بيت المقدس وغزة وبينه وبين القدس مرحلتان، وبين غزة أقل من ذلك (معجم البلدان).

(٢) مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، ابن منظور ٣١٣/٥.

(٣) مختصر تاريخ ابن عساكر، ابن منظور ٣١٩/٥، طبعة دار الفكر.

سنة لم ينم فيها عقوبةً للذي صنع! ^(١) وهذا مستحيل إلا في محبلة حزب قريش .
وجاء أيضاً : بينا نحن ذات يوم ، إذ خرجت نازاً بالحرة ، فجاء عمر الى تميم
فقال : قُم إلى هذه النار ، فقال : يا أمير المؤمنين ومن أنا وما أنا ؟ قال : فلم يزل به
حتى قام معه ، قال : وتبعتهما فانطلقا الى النار ، فجعل تميم يحوشها بيده حتى دخلت
الشعب ، ودخل تميم خلفها ، قال : فجعل عمر يقول : ليس من رأى كم لم ير قالها
ثلاثاً ^(٢) . ووصف عمر تقيماً : بأنه خير المؤمنين ^(٣) ، وأنه خير المؤمنين ^(٤) . وإن
تقيماً اشترى حلةً بألف درهم ، فكان يقوم فيها بالليل إلى الصلاة ^(٥) وكان الله
سبحانه لا يحب صلاة الفقراء دون حلل غالية ؟ !

وكان عمر نفسه يجلس الى دروس تميم في المسجد ^(٦) . وهكذا تحوّل المسجد
النبوي الشريف إلى مدرسة يدرس فيها تميم النصراني دينه وثقافته ، واضحى
تلاميذ رسول الله ﷺ طلاباً لحبر النصراري الأعظم .

وأفعال وأقوال عمر مع تميم اعطته مكانة اجتماعية ودينية كبيرة ، فأصبح
تميم الداري مرجعاً دينياً مهماً عند المسلمين .

وحديث الجساسة رواه تميم الداري : أنه ركب البحر في نفر من أهل
فلسطين فرمت بهم الريح الى جزيرة ، فخرجوا فإذا هم بشئ طويل الشعر كبير ، لا
يدرون ما تحت الشعر أذكر أم أنثى ! فقلنا لها : ألا تخبرينا وتستخبرينا ؟ فقالت : ما
أنا بمخبركم شيئاً ولا مستخبركم ، ولكن اتنوا هذا الدير فإن فيه من هو فقير إلى أن

(١) المصدر السابق ، ٣٢ .

(٢) المصدر السابق ، ٣٢١ .

(٣) المصدر السابق ، ٣٢١ .

(٤) البداية والنهاية لابن كثير ١٥٣/٦ ، دلائل النبوة للبيهقي ٨٠/٦ .

(٥) مختصر تاريخ ابن عساكر ، ابن منظور ٣٢٢/٥ .

(٦) مختصر تاريخ ابن عساكر ، ابن منظور ٣٢٢/٥ .

يخبركم ويستخبركم، قالوا: ما أنت؟ قالت: أنا الجساسة. فأتينا الدّير فإذا فيه انسان نضر وجهه، به زمانة (عاهة). قال - واحسبه موثق - من أنتم؟ قلنا: نفر من العرب، قال: هل خرج نبيّكم؟ قالوا: نعم، قال: فما صنعتم؟ قلنا: أتبعوه، قال: أما إنّ ذلك خير لهم، قال: فما فعلت فارس والروم؟ قلنا: العرب تغزوهم، قال: فما فعلت البحيرة؟ قلنا ملأى تدفق، قال: فما فعل نخل بين الأردن وفلسطين؟ قلنا: قد أطعم، قال: فما فعلت عين زُغَر (موضع بالشام)؟ قال: تستقي ويسقى منها، قال: أنا الدجّال، أما إني سأطأ الأرض كلّها ليس طيّبة، قال رسول الله ﷺ: طيّبة المدينة لا يدخلها^(١).

وهذا الحديث مثال للأحاديث الكاذبة والقصص الخيالية التي طرحها تميم في مسجد النبي ﷺ لتشويه سمعة الإسلام، وإشاعة الخرافات بين المسلمين.

أما لماذا خاف عمر على حياة تميم عند طلبه القصّ في مسجد النبي ﷺ؟ فلأن عمر يدرك عدم موافقة الصحابة على سماع الأحاديث النصرانية المزيفة إذ جاء: إن تميم الداري استأذن عمر بن الخطاب في القصص، فقال له عمر: أتدري ما تريد، إنك تريد الذبح، ما يؤمنك أن ترفع نفسك حتى تبلغ السماء ثم يضعك الله^(٢).

وقال عمر أيضاً: إني أخاف أن يجعلك الله تحت أقدامهم. وقال أبو عاصم مرّة: إنه الذبح وأشار إلى خلقه^(٣) لأنّ عمر يعرف بأنّ تميماً سوف يقص أساطير أهل الكتاب وعلومهم الزائفة مما يسبب انتقام المسلمين منه.

(١) مختصر تاريخ ابن عساكر لابن منظور ٣٠٧/٥، ٣٠٨.

(٢) مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، ابن منظور ٢٣٢/٥.

(٣) تاريخ المدينة المنورة، عمر بن شبة ١٢/١.

وقيل إنَّ عمر قال له : عِظْ قَبْلَ أَنْ أُخْرِجَ فِي الْجُمُعَةِ ، فَكَانَ يَفْعَلُ ذَلِكَ يَوْمًا وَاحِدًا فِي الْجُمُعَةِ ، فَلَمَّا كَانَ عَثْمَانُ اسْتَزَادَهُ فَزَادَهُ يَوْمًا وَاحِدًا^(١) .

ولكي يدافع عمر عنه ويمنع من قتله ويسهّل برنامجه في نشر ثقافته وعلومه بين المسلمين فقد جلس عمر نفسه في درسه أولاً ثُمَّ جعل درسه في مسجد رسول الله ﷺ ثانياً وبدأ في سؤاله واحترامه أمام المسلمين ثالثاً !

وقد صدقت فِرَاسَةُ عُمَرَ فِي ذِهَبِ تَقْيِيمِ الدَّارِيِّ . ذَلِكَ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ لَمْ يَقْبَلُوا سَمَاعَ أَحَادِيثِ تَقْيِيمِ الْمَزِيْفَةِ ، وَشَكَّكُوا فِي أَهْدَافِهِ ، وَبِمَجْرَدِ مَقْتَلِ عَثْمَانَ ، فَرَّقُوا تَقْيِيمَ الشَّامِ ؟ وَفِي نَفْسِ ذَلِكَ الْوَقْتُ فَرَّقَ كَعْبُ الْأَحْبَارِ إِلَيْهَا حَيْثُ حِمَايَةُ مَعَاوِيَةَ السِّيَاسِيَّةِ وَالْأَمْنِيَّةِ وَلَوْ بَقِيََا فِي الْمَدِينَةِ لَقَتَلَهُمَا الْمُسْلِمُونَ وَدَفَنُوهُمَا فِي مَقْبَرَةِ الْيَهُودِ (حَشْ كَوَكَبَ) . فَقَدْ قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ : « وَكَانَ يَسْكُنُ الْمَدِينَةَ ، ثُمَّ انْتَقَلَ مِنْهَا إِلَى الشَّامِ بَعْدَ قَتْلِ عَثْمَانَ »^(٢) .

وَكَانَ عُمَرُ قَدْ أَذِنَ لَتَقْيِيمِ أَنْ يَذْكُرَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ، قَبْلَ أَنْ يُخْرِجَ عُمَرَ ، وَلَمَّا اسْتَأْذَنَ تَقْيِيمُ عَثْمَانَ ، أَذِنَ لَهُ أَنْ يَذْكُرَ يَوْمِينَ مِنَ الْجُمُعَةِ ، فَكَانَ تَقْيِيمُ يَفْعَلُ ذَلِكَ^(٣) .

وَأَذِنَ عُمَرُ لَتَقْيِيمِ أَنْ يَقْصُصَ فِي يَوْمِ السَّبْتِ أَيْضًا ، إِذْ قَالَ : سَنَجْمَعُهُمْ عَلَى قَاصٍ يَقْصُصُ لَهُمْ فِي يَوْمِ سَبْتٍ مَرَّةً إِلَى مِثْلِهَا مِنَ الْآخِرِ ، فَأَمَرَ تَقْيِيمُ الدَّارِي^(٤) وَلَا أُدْرِي لِمَاذَا فِي يَوْمِ السَّبْتِ ؟

فَكَانَ تَقْيِيمُ يَقْصُصُ فِي زَمَنِ عُمَرَ مَرَّتَيْنِ قَبْلَ خُطْبَةِ الْجُمُعَةِ مَرَّةً ، وَفِي يَوْمِ السَّبْتِ مَرَّةً أُخْرَى ، وَالْإِلَى جَانِبِ تَقْيِيمِ كَانَ كَعْبُ يَقْصُصُ فِي مَسْجِدِ الرَّسُولِ ﷺ مَا صَبَحَ مَسْجِدَ

(١) المصدر السابق .

(٢) كتاب الإستهجاب بهامش الاصابة ١٨٤/١ .

(٣) قتله المقرئزي ، ١٢٩ ، تاريخ المدينة المنورة ، عمر بن شبة ١١/١ .

(٤) المصدر السابق .

النبي ﷺ مكاناً يُدرس ويخطب فيه كعب اليهودي وقيم النصراني بدل محمد ﷺ وعلي ﷺ (الثقل الثاني بعد القرآن) . وتغيير ثقافة المسلمين نحو الأسوأ هو الذي تسبّب في فتنة المسلمين وانتشار المفاصد السياسيّة والاجتماعية لاحقاً .

تميم الداري أول من قصّ في مسجد الرسول ﷺ

حدّثنا هارون بن معروف قال : حدّثنا محمد بن سلمة الحراني ، عن ابن اسحاق ، عن نافع ، عن ابن عمر رضي الله عنها قال : خرج عمر ﷺ إلى المسجد ، فرأى حلقاً في المسجد ، فقال : ما هؤلاء ؟ فقالوا : قصاص . فقال : وما القصاص ؟ سنجمعهم على قاص يقصّ لهم في يوم سبت مرّة إلى مثلها من الآخر . فأمر تميم الداري ﷺ . وحدّثنا موسى بن مروان البرقي قال : حدّثنا محمد بن حرب الخولاني ، عن الزبيري ، عن الزهري ، عن السائب بن يزيد : أنه لم يكن قص على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر ﷺ . كان أول من قصّ تميم الداري ﷺ ، استأذن عمر ابن الخطاب ﷺ أن يقصّ على الناس قائماً ، فأذن له عمر ﷺ ^(١) . وبينما طلب عمر من تميم النصراني وكعب الأحبار أن يقصّا على المسلمين من قصص أهل الكتاب قال الله تعالى : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ ^(٢) .

﴿ وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نَقُصُّ بِهٖ فَوَاقِدَ ۖ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ ۚ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ^(٣) .

قال : وجلس إليه هو (عمر) وابن عباس رضي الله عنها .

(١) مجمع الزوائد عن الإمام احمد ١٩٠ ، تاريخ أبي زرعة ٣٣٥ ح ١٩١٥ .

(٢) يوسف : ٣ .

(٣) هود : ١٢٠ .

وقال أبو عاصم مرة: وجلس إليه (عمر) مع أصحابه وهو يقصّ، فسمعه يقول (إياك وزلّة العالم) فأراد أن يسأله عنها، فكره أن يقطع به. قال: وتحدّث هو (عمر) وابن عباس رضي الله عنهما وتقيم يقصّ، وقاما قبل أن يفرغ^(١).

وحدّثنا ابن أبي رجاء قال: حدّثنا إبراهيم بن سعد، عن ابن شهاب: أنه سُئل عن القصص فقال: لم يكن إلّا في خلافة عمر رضي الله عنه، سأله تميم رضي الله عنه أن يرخص له في مقام واحد في الجمعة، فرُخص له (فسأله أن) يزيده فزاده مقاماً آخر. (في يوم السبت) ثم استخلف عثمان رضي الله عنه فاستزاده مقاماً آخر، فكان يقوم ثلاث مرّات (اسبوعياً).

وحدّثنا محمد بن يحيى قال: أنبأنا عبد الله بن موسى التيمي عن ابن أسامة ابن يزيد، عن ابن شهاب قال: أوّل من قصّ في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله تميم الداري: استأذن عمر رضي الله عنه أن يذكر الله مرّة فأبى عليه، ثم استأذن أخرى، فأبى عليه، حتى كان آخر ولايته، فأذن له أن يذكر يوم الجمعة قبل أن يخرج عمر رضي الله عنه. فاستأذن تميم رضي الله عنه في ذلك عثمان بن عفان رضي الله عنه فأذن له أن يذكر يومين من الجمعة، فكان تميم يفعل ذلك^(٢).

وعن السائب بن يزيد أنه لم يكن يقصّ على عهد النبي صلى الله عليه وآله ولا أبي بكر ولا عمر، وكان أوّل من قصّ تميم الداري استأذن عمر أن يقصّ على الناس قائماً فأذن له^(٣). والظاهر أن عمر سمح لرجل آخر بالقص في مكّة فعن ثابت البناني قال: أوّل من قصّ عبيد بن عمير على عهد عمر بن الخطاب^(٤). وذكر ابن الأثير أن عبيد بن عمير بن قتادة قاصّ أهل مكّة. وبينما ذكر البخاري أنّه رأى النبي صلى الله عليه وآله

(١) تاريخ المدينة المنورة، ابن شبة ١٢/١ طبعة مكّة.

(٢) تاريخ المدينة لابن شبة ١١/١.

(٣) كنز العمال ٢٨٠/١٠، حديث ٢٩٤٤٧، رواه أحمد والطبراني في الكبير.

(٤) كنز العمال ٢٨٠/١٠، حديث ٢٩٤٤٨.

ذكر مسلم أنه ولد على عهد النبي ﷺ^(١). وقال الذهبي عنه في ميزان الاعتدال: أنه لا يُعرف، تفرّد عنه ابن أبي ذئب^(٢).

ولم يذكر ابن حجر العسقلاني عبيد بن عمير في كتابيه الاصابة ولسان الميزان، ولم يذكره ابن منظور في كتاب مختصر تاريخ ابن عساكر. فاذا كان عبيد بن عمير فرضاً قاص أهل مكّة، فإنّ تميماً قاصّ أهل المدينة.

ومن النصارى الذين اندسوا في الإسلام وكذبوا في الحديث ابن جريج الرومي الذي مات سنة ١٥٠ هـ. وكان البخاري لا يوثقه وهو على حق في ذلك. قال الذهبي في تذكرة الحفاظ: إنّه من أصل رومي فهو نصراني الأصل، ويقول عنه بعض العلماء: إنّه كان يضع الحديث^(٣).

وبسبب كثرة الرواة المنّسين والكاذبين قال الحافظ الدارقطني: إنّ الحديث الصحيح في الحديث الكذب كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود^(٤).

ثمّ تطوّر القصص في زمن الأمويين وزاد فيه الكذب والافتراء على الله ورسوله: حدّث عبد الله بن بريدة قال: حدّثني أبي بريدة قال: أصبح رسول الله ﷺ فدعا بلالاً فقال: «يا بلالُ بم سبقتني الى الجنة؟ ما دخلتُ الجنة قط إلا سمعت خشخشتك أمامي. دخلتُ البارحة الجنة، فسمعت خشخشتك أمامي، فأتيْتُ على قصرٍ مُربّع مشرف من ذهب فقلتُ: لئن هذا القصر؟ قالوا: لرجل من العرب. فقلتُ: أنا عربي! لمن هذا القصر؟ قالوا: لرجل من قريش، فقلتُ: أنا قرشي! لمن هذا القصر؟ قالوا: لرجلٍ من أمة محمد ﷺ فقلتُ: أنا محمد! لمن هذا القصر؟ قالوا: لعمر بن الخطاب.»

(١) اسد الغابة لابن الأثير ٥٤٥/٣.

(٢) ميزان الاعتدال، الذهبي ٢١/٣.

(٣) اضواء على السنّة المحمدية، أبو ريمّة، ١٩٤.

(٤) كتاب الامتلاء الصحيح، ٢١٥.

فقال بلال: يا رسول الله ما أذنت قط إلا صليت ركعتين، وما أصابني حدث قط إلا توضأت عندها، ورأيت أن الله عليّ ركعتين، فقال رسول الله ﷺ: ^(١) بهما.

فصوّر الراوي بلالاً وعمر أفضل من رسول الله ﷺ! وإنتشرت الأحاديث والقصص في تفضيل الصحابة على النبي ﷺ، فقد وضع تميم وكعب أساساً للقص المعارض لله والنبي ﷺ والإسلام. عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ جالساً فسمعنا لفظاً وصوت صبيان. فقام رسول الله ﷺ فإذا حبشة تُزْفِنُ (ترقص) والصبيان حولها فقال: «يا عائشة تعالي فأنظري، فجئت فوضعت لمحي عليّ منكب رسول الله ﷺ، فجعلت أنظر إليها ما بين المنكب إلى رأسه فقال لي: أما شِيعَتِ، أما شِيعَتِ؟

قالت: فجعلت أقول: لا. لأنظر منزلتي عنده. إذ طلع عمر، قالت: فارفض الناس عنها، قالت: فقال رسول الله ﷺ: إني لأنظر إلى شياطين الجنّ والإنس قد فرّوا من عمر. قالت: فرجعت ^(٢).

وأمثال هذه الأحاديث وضعت بعد زمن عمر، تمجيداً له وانتقاصاً من النبي ﷺ.

ولقد أعطيت عائشة أمّ المؤمنين في زمن أبي بكر وعمر منصب المفتي والمرجع الديني فكانت تدعم الدولة بقتاواها. ولسوء رأيها في عثمان أقدمت على إصدار فتوى بأهدار دمه قاتلة:

(١) صحيح الترمذي ٢٠٥/٣، حديث ٣٩٥٤.

(٢) صحيح سنن الترمذي ٢٠٦/٣، حديث ٣٩٥٦.

اقتلوا نعثلاً فقد كفر^(١). وفعلاً قال الرجل الأسود الذي ذبح عثمان: أنا قتلت نعثلاً. ومن الأحاديث المنتشرة زوراً بيد القصاصين ومن سار على نهجهم ما جاء: لو كان بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب^(٢).

: لو لم أبعث فيكم لبعث عمر^(٣).

: أن شاعراً أنشد النبي ﷺ شعراً فدخل عمر، فأشار النبي ﷺ إلى الشاعر أن اسكت، فلما خرج عمر، قال له: عُد فعاد.

فدخل عمر فأشار النبي ﷺ بالسكوت مرّة ثانية، فلما خرج عمر سأل الشاعر رسول الله ﷺ عن الرجل، فقال: هذا عمر بن الخطاب وهو رجل لا يحب الباطل^(٤).

وهدف راوي الحديث اثبات إن الرسول ﷺ أهل باطل، ويجب الباطل، والعياذ بالله تعالى.

وبينا اخترع عمر بن الخطاب منصب القاص في المسجد كان الله تعالى قد حصر هذه الوظيفة بالنبي محمد ﷺ إذ جاء: مرّ الحسن يوماً وقاص يقصّ على باب مسجد رسول الله ﷺ فقال الحسن: ما أنت؟ فقال: أنا قاصّ يا ابن رسول الله.

قال: كذبت، محمد القاصّ، قال الله عزّ وجلّ: فاقصص القصص. قال: فأنا مذكّر. قال: كذبت، محمد المذكّر، قال له عزّ وجلّ: فذكر إنّما أنت مذكّر. قال: فما أنا؟ قال: المتكلّف من الرجال^(٥).

(١) تاريخ الطبري ٤٧٧/٣، الكامل في التاريخ ٢٠٦/٣.

(٢) سنن الترمذي ٢٨٢/٥، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٧٨/١٢.

(٤) المصدر السابق.

(٥) تاريخ الحقوقي ٢٢٨/٢.

كعب الأحبار والمرجعية

لقد أصبح كعب الأحبار مرجعاً عاماً للدولة يرجع إليه الخليفة في شؤون الدولة المختلفة :

عن سليمان بن يسار قال : كتب عمر بن الخطاب الى كعب الأحبار ، أن اختر لي المنازل ، فكتب إليه ..

يا أمير المؤمنين ، إنّه بلغنا أن الاشياء اجتمعت فقال السخاء : أريد اليمن ، فقال حسن الخلق أنا معك وقال الجفاء : أريد الحجاز فقال الفقر : وأنا معك وقال البأس : أريد الشام فقال السيف : وأنا معك الى نهاية الحديث ^(١) .

وسأل عمر كعباً عن علي عليه السلام والخلافة : ما تقول في علي ، أشر علي في رأيك ، واذكرني ما تجدونه عندكم ^(٢) .

وسأل عمر كعباً عن الخليفة المقبل : إلى من يفضي الأمر عندكم ^(٣) .

وقد يكون لتنبؤ أحد علماء أهل الكتاب باعتلاء عمر سلطنة البلاد مستقبلاً تأثير كبير في أخذ عمر عن أهل الكتاب وثانياً للمكانة الثقافية العالية لأهل الكتاب قبل الاسلام في نفوس البعض :

جاء في تصانيف أبي أحمد العسكري ، أن عمر كان يخرج مع الوليد بن المغيرة في تجارة للوليد الى الشام ، فلما كان باللقاء لقيته رجل من علماء الروم ، فجعل ينظر إليه ، ويطيل النظر لعمر ، ثم قال : اظن اسمك - يا غلام - عامراً أو عمران أو نحو ذلك ؟ قال : اسمي عمر ، قال : اكشف عن فخذيك ، فكشف فإذا علي

(١) مختصر تاريخ ابن عساكر لابن منظور ١٣٣/١ .

(٢) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ١١٥/٢ ، طبع دار احياء الكتب العربية .

(٣) المصدر السابق .

أحدهما شامة سوداء في قدر راحة الكف، فسأله أن يكشف عن رأسه، فإذا هو اصلع، فسأله أن يعتمد بيده فاعتمد فإذا أعسر أيسر. فقال له: أنت ملك العرب. قال: فضحك عمر مستهزئاً. فقال: أو تضحك؟ وحقّ مريم البتول، أنت ملك العرب، وملك الروم، وملك الفرس، فتركه عمر وانصرف مستهيناً بكلامه، فكان عمر يحدث بعد ذلك، ويقول: تبني ذلك الرومي، راكب حمار، فلم يزل معي حتى، باع الوليد متاعه، وابتاع بثمانه عطاءً وثياباً، وقفل الى الحجاز، والرومي يتبعني، لا يسألني حاجة، ويقبل يدي كل يوم...»^(١).

وقد ابتدع كعب شيئاً خطيراً جعل الكثير من الناس يتبعوه إذ قال: «ما من شيء إلا وهو مكتوب في التوراة»^(٢).

ولما كان المسلمون لا يقرأون اللغة العبرية، فقد أصبحوا أسرى بيد كعب وأمثاله، ينقل لهم كل ما يهوى ويحب باسم قال الله تعالى في الكتاب المقدس !! وبواسطة هذه الحيلة أصبح كعب مرجعاً خطيراً لبعض المسلمين، يسيرهم كما يشاء.

هذا بالنسبة للذين لم ينتبهوا للكذبة، أما الآخرون فقد ضربوا بأقواله عرض الحائط. وأما الذين انساقوا في تيار كعب وأصبحوا من متهودة المسلمين، فقد رواوا حديثاً كعيباً باسم النبي ﷺ جاء فيه: حدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج^(٣). وقد ذكرت الأخبار أن عبد الله بن عمرو بن العاص، وهو أحد تلاميذ كعب، قد أصاب يوم اليرموك زاملتين من علوم أهل الكتاب، فكان يحدث منها، وزاد ابن حجر قائلًا: فتجنب الأخذ عنه لذلك كثير من أئمة التابعين^(٤).

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٨٣/١٢ - ١٨٤.

(٢) أضواء على السنة المحمدية، أبو رية، ١٦٥.

(٣) تفسير ابن كثير ٤/١.

(٤) فتح الباري ١٦٧/٦.

وقد جاء في التوراة المزورة خطاب لليهود: قد اختارك الرب، لكي تكون له شعباً خاصاً، فوق الشعوب على وجه الأرض^(١).

ومن أدلة كون هذا الشعب فوق الشعوب عندهم «أن الله تعالى صار يعقوب في طول الليل فعجز عنه؟! بل عجز الله تعالى عن التخلص والفرار من يعقوب، فإضطر الباري عز وجل الى إستعطاف يعقوب، والتوسل به كي يطلقه قائلاً: «أطلقني لقد طلع الفجر».

«فقال له يعقوب: لا أطلقك ان لم تباركني، فباركه الرب وسماه اسرائيل» أي الذي يصارع ويجاهد الله؟! فهذه الأحاديث المخزية والمضحكة أصبحت مرجعاً للمسلمين في زمن كعب وعبد الله بن سلام وتيم الداري بقولها كعب وتيم لتحريف المسلمين في يوم الجمعة، وبقية أيام الاسبوع، وفي مسجد النبي ﷺ.

في حين ينظر اليهود الى أمم العالم كعبيد، إذ جاء في كتاب التلمود: نحن شعب الله المختار نحتاج الى نوعين من الحيوان، نوع أعجم كالذئاب والأنعام والطير، ونوع الحيوان الانساني، وهم سائر الأمم من الشرق والغرب.

ولقد نجح كعب في اقناع عمر بأمر كثيرة مثل زيارة الشام، وعدم زيارة العراق، وتولية معاوية وعدم تولية علي عليه السلام والاهتمام بصخرة القدس وتنظيفها، وهي ليست أكثر من عجل بني اسرائيل.

وقد دعا كعب الى عدم التعبد بالنصوص الالهية ان دعت الحاجة، ووافقه عمر على ذلك^(٢).

وفي عام الرمادة سنة ١٨ هجرية قال كعب لعمر: إن بني اسرائيل كانوا إذا أصابهم مثل هذا استسقوا بعصبة الانبياء، وهنا جاءت روايات بأن عمر قال: هذا

(١) سفر التثنية، الاصحاح، ١٤.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ١/٣٦٠، ١١٥/٣.

عم رسول الله وصنو أبيه ، وسيد بني هاشم العباس ، وقال أنس : إن عمر قال : إنا كنا نتوسل إليك بنبينا ففسقنا ، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا ففسقنا^(١) .
وسأل عمر من كعب الأخبار عن الشعر هل يجد له ذكراً في التوراة^(٢) ،
وسأله ما عدن؟^(٣)

فيكون عمر بن الخطاب قد رجع إلى كعب في مسائل عديدة ، كما سيتوضح ذلك لاحقاً . والمجئ بكعب إلى مسجد النبي ﷺ لالقاء دروسه وخطبه الدينية ، جعل لأحاديثه قداسة دينية . وقال ابن كثير في تفسيره : « لقد سعى أبو هريرة وغيره لالصاق أحاديث كعب بالنبي ﷺ في عملية تدليس خطيرة^(٤) .

ولأجل سماح عمر لكعب بقول القصص والخطب في مسجد النبي الشريف وجلس عمر في مجلسه فقد أخذ الكثير من المسلمين عنه !
إذ جاء أن كعب الأخبار قال : نجد مكتوباً في الكتاب أن مقبرة بغري المدينة على حافة السيل ، يحشر منها سبعون ألفاً ليس عليهم حساب ! فأوصى أبو سعيد المقبري لأبنه سعيد : إن أنا هلكت فادفني في مقبرة بني سلمة التي سمعت من كعب^(٥) !

وقد ذكر البخاري في سننه حديث النبي ﷺ بحرمة استقبال واستدبار القبلة . وبعد أن ثبت ذلك ، ذكر لاحقاً قول عبد الله بن عمر باستدبار النبي ﷺ للقبلة !

(١) أضواء على السنة المحمدية ، محمود أبو رية . ١٦٠ .

(٢) كتاب العمدة لابن رستيق ، ٨ .

(٣) الدر المنثور ٥٧/٤ .

(٤) تفسير ابن كثير ١٠٥ ، ١٠٤/٣ .

(٥) وفاء الوفاء ٨١/٢ ط . الآداب ، وتاريخ المدينة المنورة ، ابن شبة ٩٢/١ .

إذ جاء عن عبد الله بن عمر تلميذ كعب: ارتقيت فوق ظهر بيت حفصة، لبعض حاجتي، فرأيت رسول الله ﷺ يقضي حاجته، مُستدبر القبلة مُستقبل الشام^(١).

وذكر علماء الحديث في باب رواية الصحابة عن التابعين أو رواية الأكابر عن الأصاغر: «أن أبا هريرة والعبادلة (ومنهم عبد الله بن عمر) ومعاوية وأنس وغيرهم قد رووا عن كعب الأحبار اليهودي الذي أظهر الاسلام خداعاً»^(٢).

وفي حديث آخر عن عبد الله بن عمر قال: لقد ظهرت ذات يوم على ظهر بيتنا فرأيت رسول الله ﷺ قاعداً على لبنتين مُستقبل بيت المقدس^(٣). وذكر البخاري في نفس الصفحة حديثاً نبوياً قال الرسول ﷺ: إذا أتى أحدكم الغائط فلا يستقبل القبلة ولا يؤمها ظهره^(٤).

وهكذا دس البخاري السم في العسل إذ ثبت مخالفة النبي ﷺ للشريعة التي جاء بها! هذا ان كان كتاب البخاري للبخاري نفسه، إذ أن محمود أبو رية يدعي تزوير الكثير من أحاديث البخاري بعد موت البخاري. إذ مات البخاري قبل أن يبعض كتابه^(٥). أما لو كان البخاري نفسه قد كتبه، فيكون لنا معه كلام آخر. إذ أن ذلك كافٍ لاثباتهما بالكذب والاعتداء على الساحة النبوية المقدسة. وعلى كلتا صورتين يثبت عدم صحة كل ما جاء في كتاب البخاري.

(١) صحيح البخاري ١/١٣٦، باب ١١، باب لا تستقبل القبلة بغائط أو بول.

(٢) أضواء على السنة المحمدية، محمود أبو رية ص ٢١٥.

(٣) صحيح البخاري ١/١٣٧، باب ١١١.

(٤) صحيح البخاري: باب لا تستقبل القبلة بغائط أو بول ١/١٣٥.

(٥) أضواء على السنة المحمدية، محمود أبو رية، ٣١٦.

كعب يعرف جنة عدن

أخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد عن قتادة رضي الله عنه قال في بعض القراءة: الذين يحملون العرش في قوله فاغفر للذين تابوا من الشرك واتبعوا سبيلك... وفي قوله وأدخلهم جنات عدن قال: إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: يا كعب ما عدن؟ قال: قصور من ذهب في الجنة يسكنها النبيون والصديقون وأئمة العدل^(١). وعن الحسن البصري أن عمر قال لكعب: ما عدن؟

قال: هو قصر في الجنة، لا يدخله إلا نبي أو صديق أو شهيد أو حاكم^(٢). وعن الحسن قال: قال عمر بن الخطاب: حدثني يا كعب عن جنات عدن! قال: نعم يا أمير المؤمنين! قصور في الجنة لا يسكنها إلا نبي أو صديق أو شهيد أو حاكم عدل، فقال عمر: أما النبوة فقد مضت لاهلها، وأما الصديقون فقد صدقت الله ورسوله: وأما الحكم العدل فأني أرجو الله أن لا أحكم بشي إلا لم آل فيه عدلاً، وأما الشهادة فأني لعمر بالشهادة^(٣).

فقال عمر بن الخطاب عند ذلك ألا تسمع يا كعب ما يحدثنا به ابن أم عبد عن أدنى أهل الجنة ماله فكيف باعلاهم، قال يا أمير المؤمنين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ان الله كان فوق العرش والماء، فخلق لنفسه داراً بيده فزيتها بما شاء، وجعل فيها ما شاء من الثمرات والشراب، ثم أطبقها فلم يرها أحد من خلقه منذ خلقها جبريل ولا غيره من الملائكة ثم قرأ كعب ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ

(١) الدر المنثور ٣٤٧/٥.

(٢) الدر المنثور ٥٧/٤.

(٣) كنز العمال ٥٦٠/١٣، حديث ٣٥٧٦٠.

أَعَيْنِي^(١) الآية. وخلق دون ذلك جنتين فزَيَّنَها بما شاء وجعل فيهما ما ذكر من الحرير والسندس والاستبرق وأراها من شاء من خلقه من الملائكة، فمن كان كتابه في عليين نزل تلك الدار، فاذا ركب الرجل من أهل عليين في ملكه لم يبق خيمة من خيام الجنة إلا دخلها من ضوء وجهه، حتى أنهم ليستنشقون ريحه ويقولون: واهها هذه الريح الطيبة، ويقولون: لقد أشرف علينا اليوم رجل من أهل عليين، فقال عمر: ويحك يا كعب ان هذه القلوب قد استرسلت فاقبضها، فقال كعب يا أمير المؤمنين: إن لجهنم زفرة ما من ملك ولا نبي إلا يخز لركبته حتى يقول ابراهيم خليل الله رب نفسي نفسي وحتى لو كان لك عمل سبعين نبياً إلى عملك لظننت أن لن تنجو منها^(٢).

رجوع معاوية إلى كعب ودعمه له

وذكر ابن عساكر أن معاوية أمر كعباً بالقصص^(٣). وسأل معاوية كثيراً من كعب الاحبار كما كان يسأله عمر: نقل ابن عباس: كنت عند معاوية فقرأ الآية السادسة والثمانين من سورة الكهف بشكل خاص، فاعترضت. فسأل معاوية من عبد الله بن عمرو بن العاص فأئده الأخير! فقال ابن عباس: إن القرآن نزل في بيتنا. وفي حُلِّ لمعاوية للأمر، فقد أرسل شخصاً يسأل ذلك من كعب الاحبار، وقال عنه: ألا إن كعب الاحبار أحد العلماء^(٤).

(١) السجدة، ١٧.

(٢) الدر المنثور للسيوطي ٢٥٧/٦.

(٣) مختصر تاريخ ابن عساكر ١٨٧/٢١، كنز العمال حديث ١٥٠٢٩.

(٤) الطبقات الكبرى لابن سعد ٣٥٨/٢ طبعة بيروت.

فعاوية يرفض رأي عبد الله بن عباس في القرآن ويسأل كعباً عنه وسأل عمر كعب الأحبار عن الشعر في التوراة. فقال كعب: إن مجموعة من أبناء اسماعيل وعلى صدورهم الأنجيل ينطقون الحكمة، ويقولون الامثال واعتقد بأنهم من العرب^(١).

ونسب كعب وعبد الله بن سلام ما قاله حذيفة عن حلول الفتنة مع موت عمر لأنفسهما، ونشرا ذلك في زمن عثمان على أنه قيل في زمن عمر: إذ روى كعب أنه قال لعمر: ويل للملك الأرض من ملك السماء، فقال عمر: إلا من حاسب نفسه. فقال كعب: إنك مصراع الفتنة^(٢).

كعب: كان الله (تعالى) على صخرة بيت المقدس في الهواء!

روي عن ابن عباس رضي الله عنه: أنه حضر في مجلس عمر بن الخطاب يوماً وعنده كعب الأحبار إذ قال عمر: يا كعب أحافظ أنت للتوراة؟ فقال كعب: إني لأحفظ منها كثيراً، فقال رجل من جنبه في المجلس: يا أمير المؤمنين سله أين كان الله جل جلاله قبل أن يخلق عرشه، ومم خلق الماء الذي جعل عرشه عليه، فقال عمر: يا كعب هل عندك من هذا علم؟ فقال كعب: نعم يا أمير المؤمنين نجد في الأصل الحكيم أن الله تبارك وتعالى كان قديماً قبل خلق العرش، وكان على صخرة بيت المقدس في الهواء، فلما أراد أن يخلق عرشه ثقل ثقله كانت منها البحار الفامرة واللجج الدائرة، فهناك خلق عرشه من بعض الصخرة التي كانت تحته، وأخر ما بقي منها لمسجد قدسه.

قال ابن عباس رضي الله عنه: وكان علي بن أبي طالب ﷺ حاضراً فعظم

(١) العمدة لابن الرشيقي ص ٢٥ طبعة مصر.

(٢) مختصر تاريخ دمشق ٣٤٧/١٩.

علي ربه وقام على قدميه ونفض ثيابه فأقسم عمر عليه لما عاد إلى مجلسه ففعل^(١)
قال عمر: غص علينا يا غواص^(٢) ما يقول أبو الحسن؟ فما علمتك إلا مفرجاً
للغم.

فالتفت علي عليه السلام إلى كعب فقال: غلط أصحابك وحرّفوا كتب الله وفتحوا
الفرية عليه، يا كعب ويحك إن الصخرة التي زعمت لا تحوي جلاله ولا تسع
عظمته، والهواء الذي ذكرت لا يحوز أقطاره^(٣) ولو كانت الصخرة والهواء قديمين
معه لكانت لهما قدمته، وعزّ الله وجلّ أن يقال: له مكان يؤمى إليه، والله ليس كما
يقول الملحدون، ولا كما يظن الجاهلون، ولكن كان ولا مكان بحيث لا تبلغه
الأذهان، وقولي: كان محدث كونه وهو ممّا علّم من البيان. بقول الله: خلق الإنسان
علّمه البيان. فقولي له: كان ممّا علّمني من البيان؛ لأنطق بحجّة عظمة المنان، ولم
يزل ربنا مقتدراً على ما يشاء، محيطاً بكلّ الأشياء، ثمّ كوّن ما أراد بلا فكرة حادثة
أصاب ولا شبهة دخلت عليه فيما أراد، وإنّه عزّ وجلّ خلق نوراً ابتدعه من غير
شيء، ثمّ خلق منه ظلمة وكان قديراً أن يخلق الظلمة لا من شيء، كما خلق النور من
غير شيء، ثمّ خلق من الظلمة نوراً وخلق من النور ياقوته غلظها كغلظ سبع
سموات وسبع أرضين، ثمّ زجر الياقوته فاعت^(٤) لهيبته، فصارت ماءً مرتعداً،
ولا يزال مرتعداً إلى يوم القيامة. ثمّ خلق عرشه من نوره وجعله على الماء،
وللعرش عشرة آلاف لسان، يستبح الله كلّ لسان منها بعشرة آلاف لغة، ليس فيها
لغة تشبه الأخرى، وكان العرش على الماء، ومن دونه حجب الضباب^(٥) وذلك

(١) في بعض النسخ (فعل).

(٢) وأراد بقول يا غواص علياً عليه السلام.

(٣) في بعض النسخ لا يجوز بالجيم أي لا يتجاوز.

(٤) ماع يبيع ميعاناً: ذاب.

(٥) الضباب بالفتح رطوبة في الهواء تنشى الأرض كال دخان.

قوله : وكان عرشه على الماء ليلوكم ، يا كعب ويحك إن من كانت البحار تفلته على قولك كان أعظم من أن تحويه صخرة بيت المقدس أو يحويه الهواء الذي أشرت إليه أنه حلّ فيه .

فضحك عمر بن الخطاب وقال : هذا هو الأمر ، وهكذا يكون العلم لا يكون كعلمك يا كعب ، لا عشت إلى زمان لا أرى فيه أبا حسن ^(١) .

سؤال عن المستقبل وعن الدجال

وسأل عمر من كعب الإخبار قائلاً : إني أسألك عن أمر فلا تكتمني . قال والله لا أكتملك شيئاً أعلمه .

قال (عمر) : ما أخوف شيء تخافه على أمة محمد ﷺ ؟ قال : أئمة مضلين .

قال عمر : صدقت قد أسرّ ذلك إليّ ، وأعلمنيه رسول الله ﷺ ^(٢) .
وفعلاً سار كعب على ما اعتقده من تخريب الاسلام بأئمة مضلين ، فدعا عمر لدعم معاوية فاستجاب عمر .

ولو لاحظنا ولاية أبي بكر وعمر لوجدنا الولايات الكبرى بيد أئمة مضلين بينما انذرهم بذلك رسول الله ﷺ وفعللاً أوجد معاوية والأمويون وأعوانهم من أمثال ابن العاص وابن شعبة مشاكل للمسلمين ما زالوا يشكون منها ، ويرزحون تحت أعبائها .

وعن سالم ، عن أبيه : أن عمر سأل رجلاً من اليهود ، فقال له : قد بلوت منك صدقاً ، فحدثني عن الدجال . فقال : يقتله ابن مريم بباب لد ، واطن

(١) تنبيه الخواطر ونزهة النواظر . الأمير ورام بن أبي فراس ٢/٥٠٦ .

(٢) مسند أحمد ٤٢/١ ، ورواه في مجمع الزوائد ٢٣٩/٥ . وقال (رواه أحمد ورجاله ثقات) .

ذلك الرجل كعباً^(١).

فقال عمر لكعب الأحبار: قد بلوت منك صدقاً؟ بينما قال النبي ﷺ: لا تصدقوا أهل الكتاب^(٢).

ولو جئنا إلى أحاديث كعب، وراجعنا التوراة لوجدناها أحاديث كاذبة أوجدها كعب بأسم ذكر الكتاب المقدس ونحن نعلم أن التوراة نفسها مزورة، وقد ذكر ذلك النبي ﷺ فكيف يكون كعب صدوقاً وهو ذلك الكذوب العنيد! وقد كذبه الإمام علي عليه السلام وابن عوف ومعاوية والبخاري وابن عساكر وغيرهم^(٣).

كعب يدعو إلى الكفر

أخرج ابن مردويه، عن عبد الرحمن بن ميمون، أن كعباً دخل يوماً على عمر بن الخطاب، فقال له عمر: حدثني إلى ما تنتهي شفاعتي محمد يوم القيامة؟ فقال كعب: قد أخبرك الله في القرآن، إن الله يقول: ﴿مَا سَأَلَكُمْ فِي سَفَرٍ﴾ إلى قوله ﴿الْبَاقِينَ﴾^(٤)، قال كعب: فيشفع يومئذ، حتى يبلغ من لم يصل صلاة قط، ولم يطعم مسكيناً قط، ومن لم يؤمن ببعث قط، فاذا بلغت هؤلاء لم يبق أحد فيه خير^(٥).

هنا بين كعب دخول الكفار وغير المصلين الجنة، فيدعو بذلك إلى عدم الإيمان وعدم الصلاة وعدم الزكاة بطريقة شيطانية؟!

(١) معجم ما استجمع ٤/٤٧.

(٢) صحيح البخاري ٥/١٥٠-٢١٣.

(٣) صحيح البخاري ٨/١٦٠، مقدمة ابن خلدون، تفسير ابن كثير، سورة النحل، مختصر تاريخ دمشق

لأبن عساكر ١/١٣٣.

(٤) المذكر، ٤٢-٤٧.

(٥) الدر المنثور ٦/٢٨٦.

وحدّثنا عبد الله، حدّثني أبي ثنا أسود بن عامر، حدّثنا حماد بن سلمة، عن أبي سنان، عن عبيد بن آدم وأبي مريم وأبي شعيب، أنّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان بالجابية فذكر فتح بيت المقدس، قال: فقال أبو سلمة: فحدّثني أبو سنان، عن عبيد بن آدم قال: سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لكعب: أين ترى أن أصلي. فقال: إن أخذت عني صليت خلف الصخرة، فكانت القدس كلّها بين يديك. فقال عمر رضي الله عنه: ضاهيت اليهودية، لا ولكن أصلي حيث صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتقدّم إلى القبلة فصلي، ثمّ جاء فبسط رداءه، فكّس الكناسة في رداءه وكّس الناس^(١).

إنّ دعوة كعب لعمر للصلاة خلف الصخرة يهدف منها إلى جعل الصخرة قبلة المسلمين، ومعبوداً لهم مثلها كان عجل بني اسرائيل !
ويقال إنه (عمر) لبّي حين دخل بيت المقدس، فصلى فيه تحية المسجد بحراب داود، وصلى بالمسلمين فيه صلاة الغداة من الغد، فقرأ في الأولى سورة (ص) وسجد فيها والمسلمون معه، وفي الثانية بسورة بني اسرائيل، ثمّ جاء إلى الصخرة فاستدل على مكانها من كعب الأحبار، وأشار عليه كعب أن يجعل المسجد من ورائه، فقال: ضاهيت اليهودية. ثمّ جعل المسجد في قبلي بيت المقدس، وهو المسجد العمري اليوم، ثمّ نقل التراب عن الصخرة في طرف رداءه وقبائه، ونقل المسلمون معه في ذلك، وسخر أهل الأردن في نقل بقيتها، وقد كانت الروم جعلوا الصخرة مزبلة لأنّها قبلة اليهود، حتّى أن المرأة كانت ترسل خرقة حيضها من داخل الحوز لتلقّي في الصخرة، وذلك مكافأة لما كانت اليهود عملت في القمامة، وهي المكان الذي كانت اليهود صلبوا فيه المصلوب، فجعلوا يلقون على قبره القمامة، فلأجل ذلك سمّي ذلك الموضع القمامة، وانسحب هذا الاسم على

(١) مسند أحمد ٣٤/١، ورواه في الدر المنثور ١٥١/٤ عن أحمد.

الكنيسة التي بناها النصارى هنالك^(١).

ولا يوجد دليل على قداسة الصخرة ؟ وإنما توجه اليهود إليها كما توجهوا من قبل إلى عجل قارون ! وبعد جهد جهيد من قبل المسلمين لتنظيف المكان من الأوساخ والنجاسات لجعل ذلك المكان موقعاً لمسجد المسلمين.

قال هشام بن محمد : أخبرني ابن عبد الرحمن القشيري عن امرأة ابن حباشة النيري قالت : خرجنا مع عمر بن الخطاب عليه السلام ، أيام خرج إلى الشام ، فنزلنا موضعاً يقال له القتل ، قالت : فذهب زوجي شريك يستقي فوقعت دلوه في القلّت (العين) فلم يقدر على أخذها لكثرة الناس ، فقبل له : أخر ذلك إلى الليل ، فلما أمسى نزل إلى القلّت ولم يرجع فأبطأ ، وأراد عمر الرحيل فأتيتته وأخبرته بمكان زوجي ، فأقام عليه ثلاثاً وارتمل في الرابع ، وإذا شريك قد أقبل ، فقال له الناس : أين كنت ؟ فجاء إلى عمر عليه السلام وفي يده ورقة يوارىها الكف وتشتمل على الرجل وتواريه ، فقال : يا أمير المؤمنين إنني وجدت في القلّت سرباً وأتاني آت فأخذني إلى أرض لا تشبهها أرضكم ويساتين لا تشبه بساتين أهل الدنيا ، فتناولت منه شيئاً ، فقال لي : ليس هذا أوان ذلك ، فأخذت هذه الورقة فاذا هي ورقة تين . فدعا عمر كعب الاحبار وقال : أتجد في كتبكم أن رجلاً من أمتنا يدخل الجنة ثم يخرج ؟

قال : نعم وإن كان في القوم أنباتك به .

فقال : هو في القوم ، فتأملهم .

فقال : هذا هو ، فجعل شعار بني نمر خضراء إلى هذا اليوم !^(٢)

(١) البداية والنهاية ٦٤/٧ .

(٢) معجم البلدان ٣٨٧/٤ .

وجاء قال كعب لعمر: يا أمير المؤمنين اعهد فإنك ميتٌ في ثلاثة أيام. فقال عمر: الله إنك لتجد عمر في التَّوراة؟ قال: لا ولكن أجد صِفَتَكَ وَحِلْيَتَكَ^(١).
في القصة الأولى واضح الاتفاق بين ذلك الرجل الكذاب وبين كعب الأخبار؟ ولكن العجب في تصديق عمر له!
وفي الحادثة الثانية الكذب واضح على كلام كعب لأن هذه الكذبة أوجدها كعب بعد مقتل عمر، أي في زمن عثمان، كي تزداد ثقة الناس به ويقول له!

زَوَّرَ كَعْبٌ حَدِيثَ اثْنِي عَشَرَ خَلِيفَةً

عن نعيم بن حماد: حدثنا ضمرة عن ابن شوذب عن أبي المنهال^(٢) عن أبي زياد عن كعب قال: إنَّ الله وهب لاسماعيل من صلبه إثني عشر قِيَمًا، أفضلهم أبو بكر وعمر وعثمان.

واسند عبد الله بن عمر حديث كعب الى الرسول ﷺ فقال: «قال رسول الله ﷺ يكون على هذه الأئمة اثنا عشر خليفة: أبو بكر الصديق أصبتم إسمه، عمر الفاروق....»^(٣).

وحديث اثني عشر خليفة ذكره البخاري ومسلم^(٤) دون اسماء.
إذ روى البخاري الحديث في سننه عن سمرة بن جندب: سمعت النبي ﷺ يقول: يكون اثنا عشر أميراً فقال كلمة لم أسمعها فقال أبي: إنّه يقول: كلهم

(١) مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ٣٥/١٩.

(٢) البداية والنهاية ٢٨١/٦.

(٣) كنز العمال ٦٧/٦.

(٤) قل جابر بن سمرة: «كنت مع أبي عند النبي ﷺ فسمعت يقول: بعدي اثنا عشر خليفة ثم أخفى صوته. فقلت لأبي: ما الذي أخفى صوته؟ قال: قال ﷺ: كلهم من بني هاشم. انظر مسند أحمد بن حنبل ٨٩/٥-٩٢، مستدرک الحاكم ٥٠١/٤، بتاييد المودة، ٤٤٤، صحيح البخاري ١٠١/٩.

من قريش^(١).

وذكره مسلم في صحيحه: قال النبي ﷺ: «إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ لَا يَنْقُضِي حَقٌّ يَمْضِي فِيهِمْ اثْنَا عَشَرَ خَلِيفَةً كُلَّهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ»^(٢).

وذكر القندوزي في ينابيع المودة في الباب السابع والسبعين عن بعض علماء العامة أنه قد روى حديث جابر بن سمرة (الخلفاء من بعدي اثنا عشر) وقال في آخره: كلهم من بني هاشم.

وقد روى الحافظ أبو نعيم في حليته (٨٦/١) بسنده عن ابن عباس: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَحْيَا حَيَاتِي وَيَمُوتَ مَمَاتِي وَيَسْكُنَ جَنَّةَ عَدْنٍ غُرْسَهَا رَبِّي فَلْيُؤَالَ عَلِيًّا مِنْ بَعْدِي، وَلْيُؤَالَ وَلِيِّهِ، وَلْيَقْتَدِ بِالْأَئِمَّةِ مِنْ بَعْدِي، فَاتَّهَمَ عَتْرَتِي خَلَقُوا مِنْ طِينَتِي، رَزَقُوا فَهْمًا وَعِلْمًا وَوَيْلَ لِلْمَكْذُوبِينَ بِفَضْلِهِمْ مِنْ أُمَّتِي الْقَاطِعِينَ فِيهِمْ صِلَتِي لَا أَنَا لَهُمُ اللَّهُ شَفَاعَتِي».

لقد وضع كعب وصحبه بدل عبارة كلهم من بني هاشم، عبارة أفضلهم أبو بكر وعمر وعثمان. بينما قال علي بن أبي طالب عليه السلام: «إِنَّ الْأَئِمَّةَ مِنْ قُرَيْشٍ، غُرِسُوا فِي هَذَا الْبَطْنِ مِنْ هَاشِمٍ، لَا تَصْلُحُ عَلَى سِوَاهُمْ وَلَا تَصْلُحُ الْوَلَاةُ مِنْ غَيْرِهِمْ»^(٣).

جَسَمُ كَعْبٍ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَوَصَمُ دَاوُدَ بِالْخَطِيئَةِ

والرواية في هذا الموضوع على لسان عمر بن الخطاب، ففي تفسير قوله تعالى عن نبيه داود عليه السلام ﴿وَإِنْ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنُ مَنَاقِبٍ﴾^(٤).

(١) صحيح البخاري باب كتاب الأحكام.

(٢) صحيح مسلم ١٠٠/٤، ح ٥، فتح الباري ١٣/١٨٠.

(٣) نهج البلاغة، الإمام علي عليه السلام خطبة ٤٤.

(٤) ص: ٢٥.

وعن السدي بن يحيى قال حدثني أبو حفص عن رجل قد أدرك عمر بن الخطاب أن الناس يصيهم يوم القيامة عطش وحر شديد فينادي المسادي داود فيسق على رؤوس العالمين، فهو الذي ذكر الله ﴿وَأَنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزْلَفَىٰ وَحُسْنَ مَنَاقِبَ﴾ ثم روى عن عمر بن الخطاب عن النبي ﷺ أنه ذكر يوم القيامة فعظم شأنه وشدته قال ويقول الرحمن لداود ﷺ: مر بين يدي، فيقول داود: يا رب أخاف أن تدحضني خطيئتي، فيقول: خذ بقدمي فيأخذ بقدمه عز وجل فيمر.

قال: فتلك الزلقة التي قال الله ﴿وَأَنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزْلَفَىٰ وَحُسْنَ مَنَاقِبَ﴾^(١).

وفي أحاديث كعب كفر من وجوه متعددة، وهنا وصف داود بالخطيئة وجسم الله تعالى.

عمر بين جوابين مختلفين من علي ﷺ وكعب

في هذا المقال ذكرنا كلاماً خطيراً ذكره الطبري دارت رحاه بين عمر وعلي ﷺ وعثمان وكعب. ولقد أسلم الثلاثة في مكة وعاشروا النبي ﷺ وكعب رجل يهودي ماكر إدعى بأنه أسلم في السنة السابعة عشرة هجرية والحديث كان في نفس تلك السنة ؟!

فاتفق الثلاثة الأوائل على أهمية المشرق ومن ضمنه الكوفة مركز جيوش المسلمين المتوجهة للمشرق، فهم المجاهدون الذين فتحوا إيران والهند وكاشغر وبخارى وسمرقند.

ولكن كعباً خالفهم بنحيت يهودي واتهم بلدان المشرق وأهلها بالشر وفضّل الشام عليها بلا دليل شرعي أو عقلي؟! وكانت النتيجة أن أخذ عمر برأي كعب

(١) رواه في كنز العمال ٤٨٨/٢، الدر المنثور للسيوطي ٣٠٥/٥.

وطرح اعتقاده الشخصي جانباً! وترك رأي عثمان! وترك نصيحة علي بن أبي طالب عليه السلام الذي قال فيه النبي ﷺ أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد المدينة فليأت الباب ^(١).

وفعلأ ذهب عمر بمعية كعب الى الشام وترك العراق بالرغم من أنه قد زار الشام سابقاً عدة مرات ولم يزر العراق.

وإليك ما دار بين عمر وعلي عليه السلام وعثمان وكعب من تاريخ الطبري: جمع (عمر) الناس في جهادي الأولى سنة سبع عشرة فاستشارهم في البلدان فقال: إني قد بدا لي أن أطوف على المسلمين في بلدانهم؛ لانظر في آثارهم، فأشيروا عليّ، وكعب الأحمبار في القوم، وفي تلك السنة من امارة عمر أسلم، فقال كعب: «بأيها تريد أن تبدأ يا أمير المؤمنين؟ قال (عمر): بالعراق.

قال كعب: فلا تفعل؛ فإن الشر عشرة أجزاء والخير عشرة أجزاء، فجزء من الخير بالمشرق وتسعة بالمغرب، وإن جزءاً من الشر بالمغرب وتسعة بالمشرق، وبها قرن الشيطان وكل داء عضال.

فقال علي عليه السلام: إن الكوفة للهجرة بعد الهجرة، وإنها لقبة الاسلام، وليأتين عليها يوم لا يبقى مؤمن إلا أتاها وحن إليها، والله لينصرن بأهلها كما انتصر بالحجارة من قوم لوط.

وقال عثمان: يا أمير المؤمنين إن المغرب أرض الشر، وإن الشر قسم مائة جزء، فجزء في الناس وسائر الأجزاء بها.

قال عمر: الكوفة رح الله وقبة الاسلام وجمجمة العرب يكفون ثغورهم

(١) مستدرك الصحيحين ١٣٦/٣، أسد الغابة، ابن الأثير ٢٢/٤، تهذيب التهذيب لابن حجر ٣٢٠/٦، المتقي في كنز العمال ١٥٢/٦، ١٥٦.

ويمدّون الأمصار فقد ضاعت موارث أهل عمواس فأبدأ بها^(١).

وبالرغم من اتفاق وجهات نظر الإمام علي عليه السلام وعثمان وعمر، إلا أن عمر ترك ذلك وأخذ بوجهة نظر كعب الأحبار فامتنع من زيارة العراق.

وهدف كعب من أخذ عمر إلى الشام تثبيت الأحاديث اليهودية المزيفة في تفضيل الشام على بلدان العالم.... وإعادة الاعتبار لأماكن اليهود المقدسة، ومنها قبّة الصخرة. وما زال بعض المسلمين يطلق على صخرة كعب الأحبار اسم الصخرة المقدسة؟ لاحظ المهزلة وقد قيل: شرُّ البلية ما يضحك!

ويهدف أيضاً إلى تهينة الأجواء لإعادة يهود الحجاز إلى موطنهم فلسطين وتهينة الأرضية للقاء عمر مع معاوية بحضوره؟! تشييد بناء حكم بني أمية؟! وقد كان كعب قد رشّح معاوية للخلافة وحذّر عمر من وصول علي عليه السلام إلى الحكم^(٢).

سرُّ كره اليهود للروم والعراقيين

ويذكر أن اليهود الذين سكنوا جزيرة العرب تمثّلوا في أكبر ثلاث قبائل وهم القينقاع وقريظة والنضير. وقد فرّ هؤلاء اليهود من فلسطين إلى الحجاز بعد انتصار الروم عليهم. وهؤلاء اليهود انتقموا من نصارى نجران في قضية أصحاب الأخدود. فاضطر نصارى الشام للاتفاق مع عرب يثرب للانتقام من هؤلاء اليهود.

ولما كانت اليهود تحتمي بحصونها، فقد تمّ الاتفاق على استدراجهم خارج حصونهم، وفعلاً تمّ ذلك، وانتقم النصاري من اليهود شرّاً انتقام. فوزعت الغنائم

(١) تاريخ الطبري ١٦٠/٣.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١١٥/٣. رسالة النزاع والتخاصم فيما بين بني هاشم وبني أمية للمفريزي ٥١.

بين عرب يثرب وعرب الشام.

فعاد اليهود الى سلاحهم الفتاك الا وهو سلاح الفتنة، فأوقعوا الخلاف بين الاوس والخزرج متمثلًا في حرب بعاث. فانقم اليهود من عرب يثرب شرَّ انتقام!

وبسبب وقوف الأنصار إلى جانب النبي ﷺ ضد بني قينقاع وبني قريظة وخيبر محطمين قدرة اليهود في جزيرة العرب، فقد حقد اليهود على أهالي المدينة المنورة، ووطدوا علاقتهم مع كفَّار قريش. وعلى رأس هؤلاء أبو سفيان ومعاوية. فوجد اليهود في قريش ضالَّتهم المنشودة. لذلك سعى اليهود الى هدفين الأول دعم قريش وبني أمية والثاني تحطيم بني هاشم والأنصار. وقد أشار كعب الى ذلك عملاً بترشيح معاوية للخلافة ودعمه بالحديث الكاذب، وحصر الخلافة في قريش، وأخراج الأنصار وبني هاشم منها. وهذه الأرضية ساعدت على قتل بني هاشم والأنصار معاً في مواقع متعددة منها كربلاء والحرة.

وقد أثبتنا في هذا الكتاب أنَّ حديث اثني عشر خليفة الذي نزل في حق أهل بيت النبوة: قد حرَّفه كعب الى الخلفاء وأدخل معاوية فيه.

فيكون اليهود قد أخرجوا بني هاشم والأنصار من الخلافة تشريعاً، بينما وضع كعب وغيره الأحاديث الكاذبة لمدح عمر لكسبه، ثم مدحوا معاوية وحطوا من علي عليه السلام الذي قتل سيد اليهود الحارث بن أبي زينب وصرع مرحباً وفتح خيبر!

وزينب بنت الحارث هذه هي التي أسلمت كذباً مثل كعب وابن سلام، وسُمَّت النبي ﷺ بكبش، فقتلت بشر بن البراء الذي أكل مع النبي ﷺ^(١).

إنَّ سرَّ كره كعب للروم والعراقيين، هو أفعالهم السابقة باليهود في فلسطين

(١) الاصابة، ابن حجر ٣١٤/٤.

وتخطيطهم دولة اليهود في زمنين مختلفين . وما زال هذا الكره موجوداً وخاصةً ضدّ العراقيين .

وجاء في القرآن الكريم ما يلي : ﴿ وَفَضَّلْنَا إِبْرَاهِيمَ إِسْمَاعِيلَ فِي الْكِتَابِ لِنُفْهِدَهُ فِي الْأَرْضِ مُرْتَدِّينَ وَلَتَجِدُنَّ أَعْلَافَ كَثِيرًا ، فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَئِهِمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَرِيحٍ فَجَاسُوا خِلَالِ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا ۝ ^(١) .

فحصل اليهود على ضربتين قاصمتين في زمنين مختلفين : الضربة الأولى لهم كانت بواسطة نبوخذ نصر ملك بابل الذي هاجم مملكة اليهود قبل ألف سنة على ظهور الاسلام ، فدمّر ملكهم وأحرق هيكل سليمان وقتل اليهود وساق الآخرين أسرى الى بابل ، ولأجل هذه الضربة حقد كعب وأمثاله على العراق والعراقيين .

والضربة الثانية وقعت سنة ٧٠ للميلاد بيد تيطس الروماني ، الذي فتح القدس وقتل مليون نسمة على ما قدره يوسيفوس (الذي شهد الواقعة بنفسه) وباع آخرين في أسواق الرقيق ، وفرّ آخرون الى بلدان العالم المختلفة ، ومنها جزيرة العرب ! بقي أحبار اليهود يتحينون الفرصة لعودة اليهود إلى فلسطين وإعادة تأسيس الدولة العبرية . وبسبب هذه الحملة الرومية حقد اليهود على الروم وبقوا منتظرين للانتقام منهم . ولما انتصر الجيش الاسلامي على الروم وفتحوا القدس اعتبر كعب ذلك الفتح انتقاماً لليهود من الروم ، وفرصة لعودتهم الى فلسطين . وقد ذكر الطبري اشارة كعب الى هذا الانتقام ^(٢) .

وقد أظهر كعب شدة كرهه للعراقيين بقوله : في العراق عصاة الجن ، وبها باض ابليس ، وفرّخ . وقد أثر كعب على عمر في كرهه للعراقيين . وذكر ابن سعد في

(١) الاسراء ، ٥٣ .

(٢) تاريخ الطبري ١٦٠/٤ .

طبقاته ذلك^(١). والتفت ابن عساكر أيضاً إلى كره كعب للعراق^(٢) قائلاً: والمحفوظ عن كعب سوء القول في العراق.

كعب: في العراق عصاة الجن وبها باض ابليس وفرّخ

وجاء في كنز العمال: أراد عمر أن لا يدع مصرأً من الامصار إلا أتاه، فقال له كعب: لا تأتي العراق فإنّ فيه تسعة أعشار الشر^(٣). وقال أيضاً: «إنّ فيها تسعة اعشار السحر: فسقة الجن وبها الداء العضال^(٤). وعن أبي ادريس قال: قدم علينا عمر بن الخطاب الشام فقال: إني أريد أن آتي العراق، فقال له كعب الاحبار: أعيذك بالله يا أمير المؤمنين من ذلك! قال: وما تكره من ذلك؟ قال: بها تسعة أعشار الشر وكل داء عضال وعصاة الجن وهاروت وماروت، وبها باض إبليس وفرّخ^(٥). ولا أدري كيف باض أبليس! ولم يذكر كعب المدة التي ينام فيها ابليس فوق بيضه!!

عن الهيثم بن عمار قال: سمعت جدي يقول: «لما ولي عمر بن الخطاب زار أهل الشام فنزل بالجابية... فبلغ أهل العراق أنه زار أهل الشام فكتبوا إليه يسألونه أن يزورهم كما زار أهل الشام، فهم أن يفعل فقال له كعب: أعيذك بالله يا أمير المؤمنين أن تدخلها! قال: ولم؟ قال: فيها عصاة الجن وهاروت وماروت يعلمان الناس السحر، وفيها تسعة أعشار الشر وكل داء معضل، قال عمر: قد

(١) طبقات ابن سعد ٤٤٢/٧.

(٢) مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ١٣٢/١.

(٣) كنز العمال ١٧٣/١٤، حديث ٣٨٢٧٩.

(٤) كتاب صيانة الانسان عن وسوسة ابن دحلان، ٥٣٨.

(٥) كنز العمال أيضاً ١٧٣/١٤، حديث ٣٨٢٨٠.

فهمت كل ما ذكرته غير الداء المعضل فما هو؟ قال: كثرة الاموال، هو الذي ليس له شفاء، فلم يأتها عمر»^(١).

وبعجب الانسان من دهاء هذا الرجل ومكره وتمكّنه من التأثير على عمر واقناعه في مناسبات عديدة وفي شؤون مختلفة !

المكذبون لكعب الأحبار

وقد اتهم الصحابة كعب الأحبار (الذي أسلم متأخراً في سنة سبع عشرة هجرية) في دينه، وهذا ما يدل على معرفتهم بزيف اسلامه وخبث نواياه:

فقد اتهمه عبد الرحمن بن عوف بالاحتيال إذ جاء: «كان كعب الأحبار يقصُّ فقال عبد الرحمن بن عوف: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا يقصُّ إلا أميرٌ أو مأمورٌ أو محتال. فأتي كعب فقيل له: ثكلتك أمك، هذا عبد الرحمن يقول كذا وكذا، فترك القصص، ثم إن معاوية أمره بالقصص فاستحل ذلك بعد^(٢) وهذا النص يبيِّن قول كعب للقصص في زمن عمر، وفي زمن معاوية.

واتهمه عبد الله بن مسعود إذ جاء رجل الى عبد الله بن مسعود فقال: إن كعباً يقرأ عليك السلام ويبشركم أن هذه الآية نزلت في أهل الكتاب: ﴿وَإِذَا أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ﴾^(٣) قال ابن مسعود: وعليه السلام إذا أنت أتيت فأخبره أنها نزلت وهو يهودي^(٤). وجواب ابن مسعود بيان لعدم معرفة كعب

(١) كنز العمال ١٤٨/٨، حديث ٣٨٢٠٠.

(٢) مختصر تاريخ ابن عساكر لابن منظور ١٨٦/٢١ ط. دار الفكر.

(٣) آل عمران: ١٨٧.

(٤) مختصر تاريخ ابن عساكر لابن منظور ١٨٧/٢١ ط. دار الفكر.

بالتفسير وانه يكذب في أجوبته .

وجاء عن قتادة أن كعباً قال : « إِنَّ السَّماءَ تدور على قطب كقطب الرحمن . فبلغ ذلك حذيفة فقال : كذب كعب ! » (١) « إِنَّ اللهَ يُنْفِثُكَ للسَّمَاوَاتِ والأَرْضِ أَنْ تَزُولَا » (٢) . ومن المكذِّبين لكعب الأحبار عبد الله بن عباس . فقد قال ابن عباس لرجل مقبل من الشام : من لقيت ؟ قال كعباً ، قال : وما سمعته يقول ؟ قال : سمعته يقول : إِنَّ السَّمَاوَاتِ على منكب ملك . فقال : كذب كعب ، أما ترك يهوديته بعد ! ثم قرأ : « إِنَّ اللهَ يُنْفِثُكَ السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ أَنْ تَزُولَا » (٣) .

وقد كذَّب ابن عساكر صاحب تاريخ دمشق كعب الأحبار (٤) ، بتضعيفه الأحاديث التي قالها حول العراق ؟

وحتى معاوية كذَّب كعباً فقد عقد البخاري في صحيحه باباً تحت عنوان (باب قول النبي ﷺ لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء) وقد شكك فيه بصدق كعب الاحبار فقال : أخبرنا شعيب أبو اليمان عن الزهري أخبرني حميد بن عبد الرحمن سمع معاوية يحدث رهطاً من قریش بالمدينة وذكر كعب الاحبار فقال : إن كان من أصدق هؤلاء المحدثين الذين يحدثون عن أهل الكتاب وإن كنا مع ذلك لنبلوا عليه بالكذب !! (٥) .

وعن أبي هريرة قال : كان أهل الكتاب يقرأون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الاسلام فقال رسول الله ﷺ لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم . وقولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل اليكم ... الآية (٦) .

(١) سورة فاطر ٤١/٣٥ ، مختصر تاريخ ابن عساكر لابن منظور ١٨٧/٢٩ ط . دار الفكر .

(٢) كتاب الكافي الشافي لابن حجر العسقلاني ، ١٣٩ .

(٣) مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ، ابن منظور ١٣٣/١ .

(٤) صحيح البخاري ١٦٠/٨ .

(٥) ونحوه في صحيح البخاري ج ٥ ، ص ١٥٠ ، وج ٨ ، ص ٢١٣ .

ثم روى صيحة ابن عباس في المسلمين ليكفوا عن أخذ ثقافتهم من أهل الكتاب ! فقال (حدثنا موسى بن اسماعيل حدثنا ابراهيم أخبرنا ابن شهاب عن عبيد الله بن عبد الله ان ابن عباس (رضي الله عنهما) قال : كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء وكتابكم الذي أنزل على رسول الله ﷺ أحدث تقرأونه محضاً لم يشب وقد حدثكم أن أهل الكتاب بدّلوا كتاب الله وغيروه وكتبوا بأيديهم الكتاب وقالوا : هو من عند الله ؛ ليشتروا به ثمناً قليلاً ؟ الا ينهاكم ما جاء من العلم ..)^(١).
وقد كذب ابن كثير كعباً قاتلاً ، والأقرب في هذه السياقات أنها متلقاة عن أهل الكتاب ممّا وجد في صحفهم كروايات كعب ووهب ساعهما الله تعالى فيما نقلاه إلى هذه الأمة من أخبار بني اسرائيل من الأوابد والغرائب والمجانب بما كان وما لم يكن ومما حرّف وبدل ونسخ ، وقد اغنانا الله بما هو أصح منه وانفع وأوضح وأبلغ والله الحمد والمثنة واتهمه ابو ذر باليهودية^(٢).

وقد كذب ابن خلدون كعباً ووهب بن منبه^(٣).

كذلك كذب محمد رشيد رضا كعب الأخبار قاتلاً : « إن ثبوت العلم الكثير لا يقتضي نفي الكذب . وكان جلّ علمه عندهم ما يرويه عن التوراة ليقبل وغيرها من كتب قومه وينسبه إليها ليقبل ولا شك أنه كان من أذكي علماء اليهود قبل اسلامه وأقدرهم على غش المسلمين بروايته بعده » .

واضاف محمد رشيد رضا أنه من زنادقة اليهود الذين اظهروا الاسلام لتقبل أقوالهم في الدين ، وقد راجت دسيسته حتى انخدع به بعض الصحابة ورووا عنه ، وصاروا يتناقلون قوله بدون اسناد إليه ، حتى ظنّ بعض التابعين ومن بعدهم أنها ممّا سمعوه عن النبي ﷺ وأدخلها بعض المؤلفين في الموقوفات التي لها حكم المرفوع

(١) صحيح البخاري ٢٠٨/٨ ، ١٦٢/٣ .

(٢) تفسير ابن كثير ، سورة النمل ، مختصر تاريخ ابن عساكر ٢٨٩/٢٨ .

(٣) مقدمة ابن خلدون .

كما قال المحافظ ابن كثير في مواضع من تفسيره^(١).

وقال محمد رشيد رضا أيضاً: «إنَّه كان بركان الخرافات، واجزم بكذبه، بل لا أثق بإيمانه»^(٢).

وقال في كعب ووهب: «إنَّ شرَّ رواة هذه الاسرائيليات، أو أشدَّهم تسليماً وخداعاً للمسلمين هذان الرجلان فلا تجد خرافة دخلت في كتب التفسير والتاريخ الاسلامي في أمور الخلق والتكوين والانبياء وأقوامهم والفتن والساعة والآخرة، إلا وهي منها مضرب المثل، ولا يهولن أحد انخداع بعض الصحابة والتابعين بما بثَّاه وغيرهما من هذه الأخبار؛ فإنَّ تصديق الكاذب لا يسلم منه أحد من البشر ولا المعصومين من الرسل»^(٣).

ويقصد بالصحابة المخدوعين عمر وأصحابه.

وقال محمد رشيد رضا: رأينا الشيء الكثير في روايتها مما نقطع بكذبه، لمخالفة ما روياه، فما كانا يعزوانه للتوراة وغيرها من كتب الأنبياء فجزمنا بكذبهما...

وقال عن روايتها: إنَّ أكثرها خرافات اسرائيلية شوَّهت كتب التفسير وغيرها من الكتب، وكانت شبةً على الاسلام يحتج بها أعداؤه الملاحدة أنَّه كغيره دين خرافات وأوهام وما كان فيها غير خرافة. فقد تكون الشبهة فيه أكبر كالذي ذكره كعب من صفة النبي في التوراة^(٤).

وهكذا بينت تلك النصوص اتِّهام الصحابة والعلماء لكعب وأصحابه بالكفر والكذب والخيانة.

(١) مجلة المنار ٢٧/٧٥٢.

(٢) مجلة المنار ٢٧/٦٩٧.

(٣) المصدر السابق ٢٧/٧٨٢.

(٤) مجلة المنار ٢٧/٦١٨.

وقال الشيخ محمود أبو رية: (.. وقد كان أقوى هؤلاء الكهان دهاء وأشدّهم مكرًا، كعب الاحبار ووهب بن منبه، وعبد الله بن سلام. ولما وجدوا أن حيلهم قد راجت بما أظهره من كاذب الورع والتقوى، وأن المسلمين قد سكنوا إليهم، واغتروا بهم، جعلوا أول همهم أن يضربوا المسلمين في صميم دينهم، وذلك بأن يدسوا إلى أصوله التي قام عليها ما يريدون من أساطير وخرافات، وأوهام وتزوهات، لكي تنتهي هذه الاصول وتضعف.

فلما عجزوا عن أن ينالوا من القرآن الكريم لانه قد حفظ بالتدوين، واستظهره آلاف من المسلمين، وأنه قد أصبح بذلك في منعة من أن يزد فيه كلمة أو يدس إليه حرف اتجهوا إلى التحديث عن النبي ﷺ، فافتروا ما شاءوا أن يفتروا عليه أحاديث لم تصدر عنه.

وأعانهم على ذلك أن ما تحدّث به النبي ﷺ في حياته لم يكن محدّد المعالم، ولا محفوظ الاصول، لانه لم يكتب في عهده صلوات الله عليه كما كتب القرآن، ولا كتبه صحابته من بعده، وأن في استطاعة كل ذي هوى أو دخلة سيئة، أن يدس إليه بالافتراء، ويسطوا عليه بالكذب.

ويسرّ لهم كيدهم أن يجدوا الصحابة يرجعون إليهم في معرفة ما لا يعلمون من أمور العالم الماضية.

ال ابن الجوزي: لما لم يستطع أحد أن يدخل في القرآن ما ليس منه أخذ أقوام يزيدون في الحديث ما لم يقل^(١).

... وبواسطة كعب وابن منبه وسواهما من اليهود الذين أسلموا تسرّيت إلى الحديث طائفة من أفاصيص التلمود (الاسرائيليات)، وما لبثت هذه الروايات ان

(١) كتاب اضواء على السنة المحمدية ١٤٩، تاريخ ابن عساكر ١٤/٢.

أصبحت جزءاً من الاخبار الدينية والتاريخية .

قال محمود أبو ريّة عالم الأزهر: إنَّ كعب الأحمار هو الصهيوني الأول^(١) .

والحاصل كذَّبه رشيد رضا وعبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن مسعود وحذيفة بن اليمان وعبد الله بن عباس وابن عساكر ومعاوية وابن كثير وابن خلدون وكذَّبه أيضاً علي بن أبي طالب عليه السلام عند افتراء كعب على الكوفة وأهلها ، وكذَّبه عثمان في قضية افتراءه على أهل المشرق وكذَّبه عمر في قضية جلوس الله على قبة الصخرة في الهواء^(٢) .

وبعد ما جعل عثمانُ كعباً مشاوراً مقرباً له أخذ يتدخل في شؤون الناس والدولة ، فقال له أبو ذر الغفاري في مجلس عثمان : يا ابن اليهودية ما أنت وما ها هنا ؟ وقال لعثمان : والله لتسمعنَّ مِنِّي أو لا أدخل عليك : والله لا يسمعُ أحدٌ من اليهود إلا فتنوه^(٣) .

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أبي ذر : ما تُقِلُّ الغبراء ولا تُظِلُّ الخضرَاءُ مِنِّي ذي لهجةٍ أصدق ولا أوفى من أبي ذر^(٤) .

وعندما مدح كعب ابن عوف على عظم الأموال التي خلفها قال أبو ذر : ما يُدريك يا ابن اليهودية ليؤدِّن صاحب هذا المال يوم القيامة أن لو كان عقارب

(١) مجلة الرسالة العدد ٦٥٦ ، وقد مات كعب الأحمار في حمص ودفن فيها ولكنهم في مصر قد جعلوا له قبة عالية يزورها الناس ويتبركون بها وهذه القبة قائمة بمسجد كبير في شارع الناصرية في القاهرة تنفق عليه وزارة الاوقاف من أموالها .

وقد هُتِفَ كعب الأرضية لعياته وقد يكون لموته أيضاً فقد انتشر ببركته حديث هذا لفظه : ليبحثن الله من مدينة بالشام يقال لها حمص سبعين ألفاً يوم القيامة لا حساب عليهم ولا عذاب . ومن العجيب أنهم أسندوا هذا الحديث إلى عمر (كتاب الجامع الصغير للسيوطي ج ٢) .

(٢) تاريخ الطبري ١٦٠/٣ ، تنبيه الخواطر ، الأمير ورام ٥/٢ - ٦ .

(٣) مختصر تاريخ ابن عساكر ، ابن منظور ٢٨/٢٩٩ .

(٤) مختصر تاريخ ابن عساكر ، ابن منظور ٢٨/٢٩٩ .

تَلَسَّعُ السَّوْدَاءُ مِنْ قَلْبِهِ^(١).

وقال أهل المدينة عن عبد الله بن سلام: كَذَّبَ الْيَهُودِي كَذِبَ الْيَهُودِ^(٢).

أسرار خطيرة: تدخل كعب في انتخاب خلفاء المسلمين

لقد تدخل كعب في شؤون الخليفة عمر السياسية والدينية ووضع أحاديث كثيرة كاذبة في حقه لجذبه إلى جنبه وإعلاء شأنه في سبيل تمرير مخططاته الخطيرة. ومن أحاديثه: أن الحق سبحانه أول من يصفح عمر يوم القيامة. وأنه محدث وغير ذلك من أباطيل يهودية.

إن كعب الاحبار لم يعلن اسلامه في زمن النبي ﷺ بالرغم من كل البراهين وأعلن اسلامه في زمن عمر ليس حباً في الاسلام بل استغلالاً لفرصة متاحة. إن كعباً الذي جسّم الله سبحانه وافترى على الانبياء ووصهم بالخطيئة من المستبعد ان يكون محباً للمؤمنين.

وإن كعب الاحبار الذي سعى بكل قدراته لتمجيد افكار اليهودية وتحطيم الشريعة الاسلامية من الطبيعي ان يكون عدواً للمسلمين. وعداء كعب لله سبحانه ولرسوله ﷺ وللمؤمنين بين جداً. واشهر دليل على ذلك حبه لمعاوية وكرهه لعلي عليه السلام؛ وكذبه في الحديث النبوي.

ان تدخل كعب في شؤون الخليفة عمر واضح ومعروف فلقد أصبح مستشاراً له في الشؤون الدينية والسياسية يسأله الخليفة عن الجنة والنار وعن المستقبل وعن شروط الخليفة ومن يكون ورأيه في علي عليه السلام وغير ذلك. فذهب عمر إلى الشام بنصيحة كعب وامتنع عن زيارة العراق بأشارته.

(١) طبقات ابن سعد ٢٣٢/٤، حلية الأولياء ١٦٠/١، تاريخ الطبري ٢٨٦٠/٥، تاريخ ابن شبة ١٠٣٧/٣.

(٢) تاريخ المدينة المنورة، ابن شبة ١١٨٤/٣.

وتدخل كعب في شؤون الخلفاء والقيادات من ناحية إيجابية وسلبية .
فلقد تدخل بصورة سلبية محضة ضد الإمام علي عليه السلام خوفاً من وصوله إلى
السلطة ، وتدخل بصورة إيجابية محضة في صالح معاوية . وستأتيك النصوص
وتدخل في إدارة الدولة زمن عثمان ^(١) .

اطّلاع كعب على وصية عمر لعثمان

من الامور الخطيرة الحاصلة بعد وفاة الرسول ﷺ هي وصول اناس إلى
قلب السلطة الاسلامية من امثال كعب الاحبار . ولقد تمكّن كعب بدهائه وعمله
الدؤوب من الاطّلاع على أسرار الدولة والاستفادة من ذلك في سبيل دعم مصالح
اليهود وأهدافهم . وبعد التحقيق في الاوضاع السائدة في ذلك الزمن تأكّد لي معرفة
كعب بخطوط الدولة الإسلامية ونقاط ضعفها وقوتها .

فلقد عرف كعب كلّ ما يتعلق ببني هاشم وبني أميّة ورجالهما وافكار
المسؤولين في الدولة وتوجهات عمر وخططه ورغباته واسراره .

خاصة وانه قد عاشه فترة غير قصيرة وسافر معه في رحلة طويلة إلى
الشام ، واطلع كعب على علوم الغيب للنبي ﷺ في مقتل الخلفاء وحكم بني أمية .
واليك حديث كعب ثم حديث عمر والحديثان متفقان في المعنى : قال عمر بن
الخطاب لكعب الاحبار : كيف تجد نعتي ؟ قال : أجد نعتك قرناً من حديد ،
قال : وما قرن من حديد ؟ قال : أمير شديد لا تأخذه في الله لومة لائم . قال : ثم
مه ؟ قال : ثم يكون من بعدك خليفة تقتله فئة ظالمة ، قال : ثم مه قال : ثم يكون
البلاء ^(٢) .

(١) مختصر تاريخ دمشق ٢٨/٢٩٩ .

(٢) تاريخ الخلفاء للسيوطي ١٢١ .

ومن أدلة معرفة كعب بخلافة عثمان لعمر قوله: نجده (أمر الخلافة) يستقل بعد صاحب الشريعة والاثنتين من أصحابه إلى أعدائه^(١) ويعترف كعب هنا بأن بني أمية قاطبة أعداء النبي ﷺ، وهو يدعهم.

وقد قال الخليفة عمر لعثمان قبل موته: هيات اليك كأني بك قد قلدتك قریش هذا الامر لحبها إياك، فحملت بني أمية وبني أبي معيط على رقاب الناس، وآثرتهم بالنبي، فسارت إليك عصابة من ذنبان (ذؤبان) العرب فذبجوك على فراشك، والله لئن فعلوا لتفعلن، ولئن فعلت ليفعلن، ثم أخذ بناصيته فقال: فاذا كان ذلك فاذكر قولی فإنه كائن^(٢).

فكعب اخذ فكرة ثورة الناس على عثمان من عمر الذي عاصر عثمان لفترة طويلة، وعرف أعماله مع بني أمية من أمثال الحكم بن أبي العاص وعبد الله بن أبي سرح وغيرهم في زمن الرسول ﷺ وزمن أبي بكر.

ومن الطبيعي ان يزداد جنوح عثمان نحو بني أمية بعد توليه الخلافة لأنه فعل أفعالاً عجيبة معهم والرسول ﷺ حاضر، فكيف يكون الأمر بعد وفاة الرسول ﷺ.

إن معرفة كعب بتولي عثمان للخلافة من بعد عمر وفراصة عمر فيه يعتبر من الاسرار الخطيرة للدولة.

واطلاع كعب على مثل هذه الأسرار يبين وجود علاقة مستتنة بين عمر وكعب. ويتعبّر آخر يبين انضمام كعب الى جماعة الحكومة والحزب القرشي.

إن مسألة حب عثمان لبني أمية معروفة للصحابة، وخطورة هذه الاعمال

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١١٥/٣.

(٢) كتاب السيفانية لابي عثمان، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٦٢/١، ١٨٥/١، وكتاب الإمام علي

عبد الفتاح عبد المقصود ٣١٠/١.

واضحة؛ لان المسلمين يعيشون في العصر الاسلامي الأول، وفي فترة قريبة من زمن الرسول ﷺ، وهذا يعني انهم سيثورون على اي منهج يخالف أطروحة النبي ﷺ، ولأجل ذلك فقد عرف ذلك عمر والعباس وغيره.

فقد قال العباس عم النبي ﷺ بعد معرفته بوصول عثمان إلى الخلافة من خلال مجلس عمر السداسي: وأيم الله لا يناله (الحكم) إلا بشر لا ينفع معه خير^(١). وقد عرف كعب الاحبار بخطورة بني أمية على الإسلام من خلال الآيات والاحاديث النازلة في حقهم. فقد قال الرسول ﷺ: « رأيت بني أمية على منابر الارض وسيملكونكم فتجدونهم أرباب سوء ».

وقال النبي ﷺ: إذا بلغت بنو أمية أربعين اتخذوا عباد الله خولاً ومال الله نحلاً وكتاب الله دغلاً^(٢). وانزل الله سبحانه: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ﴾^(٣).

وأخرج الطبري والقرطبي أنه لما رأى رسول الله ﷺ بني أمية ينزون على منبره نزو القردة ساء ذلك فما استجمع ضاحكاً حتى مات ﷺ. وبسبب ذلك دعم كعب الكفر الأموي بكل قوة فرش معاوية للخلافة.

وفي الموضوع التالي ترى ما قاله كعب في الإمام علي عليه السلام وفي معاوية وبما يبين معرفة كعب بتطلعات الصحابة وأفكارهم وماضيهم وأهدافهم.

ومن دلائل اصرار عمر المسبق على تولية عثمان بعده ما ذكره عمر بن شبة انه سأل أسقفاً: كيف تجد الذي بعدي؟ قال: خليفة صالحاً غير أنه يؤثر قرابته. قال: يرحم الله عثمان ثلاثاً^(٤) فعرف الناس برغبته في عثمان.

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير ٦٨/٣.

(٢) مستدرك الصحيحين ٤٧٩/٤، كنز العمال ٣٩/٦.

(٣) الاسراء: ٦٠.

(٤) تاريخ المدينة المنورة ١٠٧٩/٣.

كعب ينصح عمر

وعن ابن عباس قال: تبرّم عمر بالخلافة في آخر أيامه وخاف العجز وضجر من سياسة الرعية، فكان لا يزال يدعو الله بان يتوفاه، فقال لكعب الاحبار يوماً وأنا عنده: إني قد أحببت ان أعهد إلى من يقوم بهذا الامر، واظن وفاقى قد دنت، فما تقول في علي؟ أشّر عليّ في رأيك، واذكرني ما تجدونه عندكم؛ فأنّكم تزعمون أن امرنا هذا مسطور في كتبكم، فقال: أمّا من طريق الرأي فإنه لا يصلح رجل متين الدين لا يفضي على عورة ولا يحلم عن زلة ولا يعمل باجتهد رأيه. وليس هذا من سياسة الرعية في شيء، وأما ما نجده في كتبنا فنجده لا يلي الامر ولا ولده وان وليه كان هرج شديد.

قال: وكيف ذاك؟

قال: لآته أراق الدماء ومن أراق الدماء لا يلي الملك.

إن داود لما أراد ان يبني حيطان بيت المقدس، أوحى الله إليه انك لا تبنيه؛ لانك اרכת الدماء وانما يبنيه سليمان.

فقال عمر: إليس بحق أراقها؟

قال كعب: داود بحق أراقها يا أمير المؤمنين.

قال: فإلى من يفضي الأمر تجدونه عندكم.

قال: نجده ينتقل بعد صاحب الشريعة والاثنين من أصحابه إلى اعدائه الذين حاربوه وحاربهم على الدين^(١). في هذا النص يشير كعب إلى خلافة عثمان ومعاوية لعمر. واصفاً اياهم باعداء الدين وقد بلغ الكيد اليهودي انه صرّح بعدم وجود حظ لعلي عليه السلام في الخلافة استناداً إلى التوراة؛ وعدم صلاحيته لأنه متين

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١١٥/٣.

الدين ! ثم دافع كعب عن دماء كفار قريش ، ولم يصّر ح بحق علي عليه السلام في قتل هؤلاء الكفار أم لا ؟ مما يبين دفاعه عنهم وأفصح كعب عن معرفته بخطّة حزب قريش في منع استقرار حكومة علي بن أبي طالب عليه السلام قائلاً : وإن وليه كان هرج شديد .
وفعلوا حربى الجمل وصفين وتسيّبوا في حرب النهروان !

ولقد حقد كعب على علي عليه السلام لإراقته دماء اليهود في خيبر فأصبح في نظر كعب غير صالح للخلافة المسلمين ! بينما حقد معاوية وطلقاء مكّة على علي عليه السلام لإراقته دماء طغاة قريش ! فأصبح ثار اليهود والكفار متمثلاً في علي عليه السلام .

ثم أشار كعب إلى وجود حظ لمعاوية في الخلافة ، فقد روى وكيع عن الأعمش عن أبي صالح أن الحادي كان يعدو بعثمان قائلاً :

إنّ الأمير بعده علي وفي الزبير خلق رضي

فقال كعب الاحبار : بل هو صاحب البغلة الشهباء يعني معاوية ، فبلغ ذلك معاوية فأتاه فقال : يا أبا اسحاق أتقول هذا وما هنا علي والزبير وأصحاب محمد ﷺ ؟ قال : أنت صاحبها ^(١) . ولعلّه أردف ذلك بقوله له : إنّي وجدت ذلك في الكتاب الاول !!

وفي هذين الحديثين عدّة أمور مهمة ، منها اعتماد عمر على مشورة كعب في القضايا الخطيرة ومنها الخلافة .

وواضح من سؤال عمر أنّه يريد جواباً من الكتب اليهودية لاعتقاده بها . وهذا يثبت أنّ عمر ما زال معتمداً على صحّة هذه الكتب قبل اسلامه وبعده ، بالرغم ممّا قاله الرسول ﷺ من كذب هذه الكتب وتزويرها بواسطة اليهود وقوله ﷺ لعمر : يا ابن الخطاب امتهوكون أنتم كما تهوكت اليهود والنصارى ،

(١) رسالة النزاع والتخاصم فيما بين بني أميّة وبني هاشم للمقرئزي ٥١ ، الكامل في التاريخ ، ابن الأثير

وذلك ردّاً على قول عمر لرسول الله ﷺ: إن أهل الكتاب يحدّثونا بأحاديث قد أخذت بقلوبنا^(١).

والنقطة المهمة الأخرى هي إجابة كعب من عند نفسه وتصوير ذلك بأنّه من الكتب المقدسة؟ والعجيب هو اعتقاد عمر بوجود أخبار المستقبل والغيب في تلك الكتب المقدسة وبصورة كاملة وشاملة.

واعتماد عمر المنقطع النظير بكتب اليهود وأخبارهم يثبت لنا معرفة عمر قبل البعثة وبعدها بقرب ظهور النبي محمد ﷺ في جزيرة العرب وانتصاره هناك. ووظف كعب اعتقاد عمر بالكتب المقدسة تلك وأخباراته في دفع السلطة عن علي ﷺ وتوجيهها إلى معاوية؛ والسيطرة على مرجعية المسلمين السياسية والدينية.

وتشبيه كعب لعلي ﷺ بالنبي داود يثبت اعتقاده بمنزلة علي ﷺ الألهية كما قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا بِهَا أَسْتَيْقِنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلُمًا وَعُغُورًا﴾^(٢).

وقد عمل كعب الداهية في عدّة محاور: المحور الأول تهيئة الخلافة لمعاوية وتفضيل الشام على غيرها، المحور الثاني: نقل اليهود إلى فلسطين، المحور الثالث: تفضيل بيت المقدس والصخرة على غيرها، المحور الرابع: طمس تراث المسلمين ونشر تراث اليهود.

رُشْح كعب معاوية للخلافة

اطلق كعب العنان لنفسه كي يثبت ما شاء من الخرافات والاسرائ依يات التي تشوه بهاء الدين، يعاونه في ذلك تلاميذه الكبار أمثال: عبد الله بن عمرو بن

(١) أسباب النزول، السيوطي ٢١/١.

(٢) النمل: ١٤.

العاص وعبد الله بن عمر وأبو هريرة .

«ولما اشتعلت نيران الفتنة في زمن عثمان واشتد زفيرها حتى التهمت عثمان فقتلته وهو في بيته ، لم يدع هذا الكاهن الماكر هذه الفرصة تمر دون ان يهتبلها ، بل أسرع ينفخ في نارها ويسهم بكيدة اليهودي فيها ما استطاع إلى ذلك سبيلاً . وقد كان من كيدته في هذه الفتنة أن ارهص بيهوديته بأن الخلافة بعد عثمان ستكون لمعاوية ؛ فقد روى وكيع عن الاعمش عن أبي صالح : أن الحادي كان يحدو بعثمان يقول :

إن الأمير بعده علي وفي الزبير خلق رضي

فقال كعب الاحبار : بل هو صاحب البغلة الشهباء (يعني معاوية) وكان يراه يركب بغلة . فبلغ ذلك معاوية فأتاه فقال : يا أبا اسحاق ما تقول هذا لها هنا علي والزبير وأصحاب محمد قال : أنت صاحبها . ولعله أردف ذلك بقوله : إنني وجدت ذلك في الكتاب الاول^(١) . وقال كعب : إن ملك النبي محمد في الشام حين قال : ومهاجره طيبة وملكه بالشام^(٢) .

وقد روى كعب ما يؤمن به لمصلحة اليهود قائلاً : أهل الشام سيف من سيوف الله ، ينتقم الله بهم ممن عصاه .

ومجدح كعب لمعاوية وجنده وبلد حكمه وترشيحه إياه للخلافة قبل ان يرشح معاوية نفسه لها ، يكون كعب هو المفكر والعقل المدبّر وفتية الحزب القرشي والأموي .

وظاهر الأمر أن كعباً هو الذي أقنع عمر بأهلية معاوية للخلافة ، لذلك لما

(١) أضواء على السنة المحمدية لمحمود أبو ربة ، رسالة النزاع والتخاصم فيما بين بني أمية وبني هاشم

للمفريزي ٧٩ ، ٧٨ ، ٥١

(٢) نهاية الارب ١/٣٣٣ ، الممجب في تلخيص اخبار المغرب ص ١٥ تاريخ دمشق ١/٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ .

سافر عمر مع كعب إلى الشام وصف عمر معاوية بكسرى العرب .
فقد روى كعب وعبد الله بن سلام عن التوراة: في السطر الأول:
محمد رسول الله عبده المختار، لا فظ ولا غليظ ولا صخاب بالاسواق، ولا
يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويغفر، مولده بمكة وهجرته بطيبة، وملكه
بالشام^(١). وهكذا صور كعب وابن سلام حكم معاوية للحكماء للنبي ﷺ ؟!
ولما أصبحت المرجعية الدينية عند كعب الأخبار لقوله: «ما من شيء إلا
وهو مكتوب في التوراة» وإيمان عمر بها، فقد أخذ معاوية يسأله عن كل مسألة
دينية وغيرها تأتي على ذهنه كما كان يفعل عمر:
فقد سأله عن النيل: هل تجد لهذا النيل في كتاب الله خبراً؟ قال كعب: أي
والذي فلق البحر لموسى عليه السلام^(٢).

وسأل معاوية من مرجعه الديني كعب الأخبار: يا أبا إسحاق: أخبرني عن
كرسي سليمان بن داود وما كان عليه ومن أين هو؟ فأجابه بمخارفات عجيبة^(٣).

كعب رفع مكانة تلاميذه

لقد تمكن كعب من استغلال فرصة وجوده في المدينة المنورة قرباً
بمجموعة من التلاميذ منهم أبو هريرة وعبد الله بن عمرو بن العاص وعبد الله بن
عمر^(٤).

وبدأ كعب في السعي لرفع مكانة تلاميذه ساعياً إلى مساعدتهم في نشر

(١) سنن الدارمي.

(٢) النجوم الزاهرة ١/٣٣.

(٣) يراجع تفاسير الفخر الرازي والطبري وأبي السمود والنسابة على هامش تفسير الطبري ٣/٨٧.

(٤) تفسير ابن كثير ٣/١٠٤، ص ١٠٥.

أحاديثه بين المسلمين. فقال كعب عن عبد الله بن عمرو بن العاص: أنت أفقه العرب. ودعا الناس للسؤال من عبد الله بن عمرو، ولما أجابهم الأخير، قال كعب عنه: صدّق الرجلُ عالمُ والله! ^(١)

ومدح كعب الأخبار أبا هريرة فقال: ما رأيتُ أحداً لم يقرأ التوراة أعلم بما فيها من أبي هريرة ^(٢). وهذا اعتراف واضح من كعب بكذب تلميذه.

وقد انتشرت احاديث كعب في كتب تاريخ وتفسير الطبري وتفسير الدر المنثور، وفي كتب كثيرة أخرى.

وقد ساء التدوين الى درجة خطيرة تمثلت في أخذ الصحابة عن التابعين، مثل أخذ أبي هريرة عن كعب الأخبار.

وقد قال السيوطي في الفيته في باب رواية الأكابر عن الاصاغر، والصحابة عن التابعين ^(٣).

وقد روى الكبار عن صغار	في السنّ أو في العلم والمقدار
ومنه أخذ الصحب من اتباع	وتابع عن تابع اتباع
كالجبر عن كعب وكالزهرى	عن مالك ويحيى الانصاري

وقد سمى أبو هريرة وغيره لالصاق أحاديث كعب بالنبي ﷺ في عملية تدليس خطيرة، وقال ابن كثير في تفسيره بعد أن أورد حديثاً عن أبي هريرة: لعلّ أبا هريرة تلقاه عن كعب الأخبار، فإنه كان كثيراً ما يحالسه ويحدثه، فحدث أبو هريرة، فتوهم بعض الرواة أنه مرفوع فرفعه، والله أعلم ^(٤).

(١) تاريخ الطبري ٤٠٢/١ الطبعة الثانية بتحقيق أبي الفضل إبراهيم، تفسير الطبري ٥٥/٢٣ طبعة بولاف

١١٥/١، الاصابة ٢٩٩/٣، الاصابة ٢٩٨/٣، تهذيب التهذيب الجلد الأخير، البداية والنهاية ١٠٣/٨.

(٢) تاريخ الذهبي. تذكرة الحفاظ ٣٦/١، الاصابة ٢٠٦/٤.

(٣) السيوطي في ألفيته، ٢٣٧، ٢٣٨.

(٤) تفسير ابن كثير ١٠٤/٣، ١٠٥.

وقد ذكر الذهبي : سمعت شعبة بن الحجاج يقول : كان أبو هريرة يدلس^(١) وما ذكرناه مصداق لقول الإمام علي عليه السلام : إن أبا هريرة أكذب الناس ، أو أكذب الأحياء على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم^(٢).

وقال عبد الله بن عمر عنه : كذب أبو هريرة^(٣).

وقالت عنه عائشة : « رحم الله أبا هريرة لقد كان رجلاً مهذاراً »^(٤).

وجاء في كتاب البداية والنهاية عن مسلم بن حجاج قال : اتقوا الله وتحفظوا في الحديث ، فوالله لقد رأيتنا نجالس أبا هريرة فيحدث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ويحدث عن كعب الأحبار ، ثم يقوم فاسمع بعض من كان معنا : يجعل حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن كعب ، وحديث كعب عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . وفي لفظ يجعل ما قاله كعب عن رسول الله ، وما قاله رسول الله عن كعب ، فاتقوا الله وتحفظوا في الحديث^(٥).

نظرية كعب : اتباع منهج المصلحة والابتعاد عن النص

قال كعب للخليفة عمر : إنه لا يصلح رجل (للخلافة) لا يعمل باجتهد رأيه^(٦) . وقال كعب في نفس ذلك النص : « لا يصلح رجل (للخلافة) لا يحلم عن زلة » . مثلاً رجل ارتكب الزنا أو القتل أو السرقة . وتركه في رأي كعب يعني الحلم . وهكذا طلب كعب من المسلمين ترك النصوص الإلهية كما فعلت اليهود ؟

(١) سير أعلام النبلاء ، الذهبي ٤٣٨/٢ ، البداية والنهاية ، ابن كثير ص ٨ .

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣٦٠/١ .

(٣) جامع بيان العلم ١٥٤/٢ .

(٤) الأحكام ، الآمدي ١٠٦/٢ .

(٥) البداية والنهاية ، ابن كثير ١٠٩/٨ .

(٦) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١١٥/٣ .

والاعتذار عن ذلك بسياسة الرعية !

ووفق نظرية كعب يكون الإمام علي عليه السلام غير صالح للخلافة في حين يكون ابن هند ويزيد و مروان صالحين لها !

وبفضل تأثير كعب على الخليفة عمر ، ودهاء ابن الأخبار في تهينة نظرية دينية للخلفاء ، فقد صرّح عمر وفعل مالم يفعله أبو بكر من مثل قوله : مستعتان كانتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله أحرمهما وأعاقب عليهما . وقوله في صلاة التراويح نعمت البدعة ، وجعل تكبيرات صلاة الميت أربعاً بدل خمس ومنعه زكاة المؤلف قلوبهم وقد أطلق الخلفاء اسم الإجتهد على أعمالهم المخالفة للنصوص الألهية والنبوية .

نظرية المصلحة واعتماد الرأي

لقد أوجب الله سبحانه وتعالى نظرية التبعّد بالنص الشرعي ، وفرضها على المسلمين ولم يستثن منها النبي محمداً صلى الله عليه وآله فوصفه قائلاً : ﴿إِنَّهُ الْوَحْيُ يُوْحِي﴾^(١) وقال تعالى : ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾^(٢) و ﴿قَدْ إِنْشَأْنَا نَبِيًّا وَوَعْدْنَا نَبِيًّا وَمَا يَوْحَى إِلَهِي مِنْ رَبِّي﴾^(٣) .

قال الاستاذ خالد محمد المصري في كتابه (الديمقراطية) : ترك عمر بن الخطاب النصوص الدينية المقدسة من القرآن والسنة ، عندما دعت المصلحة لذلك ، فبينما يقيم القرآن للمؤلف قلوبهم حظاً من الزكاة ، ويؤدّيه الرسول وأبو بكر ، يأتي عمر فيقول : لا نعطي على الاسلام شيئاً ، وبينما يمجّز الرسول وأبو بكر

(١) النجم ، ٤ .

(٢) العاقة ، ٤٤-٤٦ .

(٣) الاعراف ، ٢٠٣ .

بيع أمهات الأولاد، يأتي عمر فيحرم بيعهن، وبينما الطلاق الثلاث في مجلس واحد يقع واحداً، بحكم السنة والاجماع، جاء عمر فترك السنة وحطَّم الاجماع^(١). وهذا النص واضح في مخالفة عمر للنصوص الألهية في أزمنة وأمكنة مختلفة.

وعن حفص بن عمر، قال: كان عمر بن الخطاب إذا كثر عليه الخصوم، صرفهم إلى زيد، فلي رجلًا ثمَّ صرفه إلى زيد، فقال له (عمر): ما صنعت؟

قال: قُضي عليَّ يا أمير المؤمنين؟

قال: لو كنت أنا لقضيت لك.

قال: لما يمنعك وأنت ولي الأمر؟

قال (عمر): لو كنت أردك إلى كتاب الله، وسنة نبيِّه فعلت، ولكنِّي إنما أردك إلى رأيي، والرأي مشير.

لذلك خالف عمر مبادئ صلح الحديبية.

ولم يرضَ عمر بصلاة النبي ﷺ على ابن أبي. وعصى أبو بكر وعمر وأمر النبي ﷺ بالانخراط في حملة أسامة بن زيد. وخالف أبو بكر وعمر طلب النبي ﷺ بالهجرة بصحيفة ودواة لكتابة وصيته في يوم الخميس، وقالوا: النبي ﷺ يهجر!؟

ولمَّا قال النبي ﷺ: إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي في يوم الخميس قالوا: حسبنا كتاب الله^(٢).

أي ان الله سبحانه ورسوله يريدان كتاب الله وأهل البيت ﷺ، وعصبة

(١) الديمقراطية ١٥٠.

(٢) صحيح البخاري ٣٧/١، الصواعق المحرقة، ابن حجر المقلاني ١٢٤/٩، ح ٤٠ طبع مكتبة القاهرة صحيح مسلم ٢٢/٥-٢٦ ح ٢٤٠٨، مسند أحمد ٤٩٢/٥ ح ١٨٧٨، الدر المنثور ٢٤٩/٧.

قريش تريد كتاب الله فقط ١٢

وقال النبي ﷺ من كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللهم والي من والاه، وعاد من عاداه، بينا بايع عمر لابن بكر.

وقد اعترف الخليفة عمر بذلك في أكثر من مناسبة أي بمخالفة النصوص الإلهية فقال: لقد أراذك الحق يا أبا الحسن، ولكن قومك أبوا^(١). ويقصد عمر بقومك رجال قريش وهو منهم.

وعمر يصدق في ذلك؛ لأن طلقاء قريش لم يكونوا مع علي بن أبي طالب ﷺ، ومثلما بايع عمر لأبي بكر، فقد أوصى لعثمان من بعده طبقاً لاتفاق قبائل قريش في تناوب السلطة!

ورأى عمر أن المتعة ليست على ذوقه فحاشا، ورأى أن تكبيرات صلاة الميت لو كانت أربعاً أفضل من خمس فأمضاها.

ورأى الخليفة أن صلاة التراويح بشكل جماعي تروق له فقررها!! وشاهد عمر موكب معاوية فخماً، وصاحبه داهية، وابن أبي سفيان فاستثناء من أمره بمنع المواكب المجللة.

ورأى عمر أن قريشاً تليق للخلافة فقط دون غيرها، فأجرى ذلك الأمر ومنع باقي المسلمين من الخلافة.

ومنع عمر قول حيي على خير العمل من الصلاة، لاعتقاده بأنها تثبط عن الجهاد، فقال: ثلاث كن على عهد رسول الله، وأنا أنهي عنهن، وأحرمهن، وأعاقب عليهن: متعة النساء، ومتعة الحج، وحيي على خير العمل^(٢).

ومنع عمر الصلاة تيمناً، فلو فقد الماء فلا صلاة، والمصلحة في نظره هي إنه

(١) تاريخ الإسلام السياسي ١/ ٢٧٣.

(٢) شرح التجرید، القوشجي، وأخر مبحث الإمامة وهو من أئمة الاشارة صحيح مسلم، ٣/ ٣٣٢.

لَوْ رُخِّصَ لَهُمْ فِي التَّيْمِمِ ، لَرُخِّصُوا التَّيْمِمَ مَعَ بَرْدِ الْمَاءِ ^(١) .

وقد دعا كعب الأحبار للاستعداد عن النصوص الدينية ، والتوجه نحو الاجتهاد الشخصي ، اذ قال : « إِنَّهُ لَا يَصْلَحُ رَجُلٌ (لِلخَلَافَةِ) لَا يَعْمَلُ بِاجْتِهَادِ رَأْيِهِ » ^(٢) . بينما قال الإمام علي عليه السلام : فَلَا رَأْيَ فِي الدِّينِ ، إِنَّمَا هُوَ أَمْرُ الرَّبِّ وَنَهْيُهُ ^(٣) .

فيكون كعب وعمر يتفقان في الاعتماد على الرأي الشخصي ، ولو في مقابل النصوص الدينية ، لمصلحة أو دونها . ومخالفة عمر للنصوص واضحة إذ طلب من أبي بكر عزل اسامة من وظيفته التي نصبه النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيها فقال له أبو بكر : ثكلتك أمك يا ابن الخطاب ، استعمله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتأمرني أن أعزله ^(٤) .

ومخالفة أبي بكر للنصوص كثيرة ، إذ دعا المسلمون لقتل خالد بن الوليد بعد قتله مالك بن نويرة واصحابه وزناه بزوجة مالك فقال أبو بكر اجتهد فأخطأ .

وكذب أبو بكر وعمر فاطمة رضي الله عنها في قضية فداك واغضاها بينما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : فاطمة بضعة مني فمن اغضبها فقد اغضبني ومن اغضبني فقد اغضب الله ^(٥) .

ولكن النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم ، وهو رسول الله ، وخاتم الأنبياء ، لم يتبع هذه النظرية ، بل سار على النصوص الإلهية ، والأوامر ربانية ، كما قال الله عز وجل : ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴾ ^(٦) وقوله تعالى : ﴿ وَتَقُولُ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ لِأَخْذًا مِنْهُ ﴾

(١) راجع سنن أبي داود ٨١/١ ، صحيح البخاري ٧٣/١ ، سنن النسائي ١٦٩/١ ، مسند احمد ٤/٣٢٠ .

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١١٥/٣ .

(٣) كتاب بحار الأنوار ٤٢٣/٢٩ خطبة الإمام علي عليه السلام بعد فتح البصرة .

(٤) الكامل في التاريخ ، ابن الأثير ٣٣٥/٢ .

(٥) مستدرک الصالحين ١٥٣/٣ ، ميزان الاعتدال ٧٢/٢ ، الإصابة ٣٧٨/٤ ، تهذيب التهذيب ٦٩/١٢ .

تذكرة الخواص ص ٣١٠ .

(٦) النجم ، ٤ .

بالنبيين ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿١﴾ وقوله تعالى: ﴿إَتَّبِعْ مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ (٢). وهكذا يتوضَّح الفرق بين أصحاب نظرية النص الالهي، وبين أصحاب نظرية المصلحة.

أحاديث كعب

انتشرت أحاديث كعب بين المسلمين ولكن ليس باسم أحاديث يهودية بل باسم أحاديث نبوية؟! وقد صرح النبي ﷺ بتبعية بعض المسلمين لليهود قائلاً: لتهوكون كما تهوكت اليهود والنصارى (٣).

ومن هذه الأحاديث الكاذبة ما رواه البزار عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: إنَّ الشمس والقمر ثوران في النار يوم القيامة! فقال الحسن وما ذنبهما؟ فقال: أحدثك عن رسول الله، وتقول ما ذنبهما؟ (٤)

وهذا الكلام نفسه قد قاله كعب بنصه، فقد روى أبو يعلى الموصلي، قال كعب: يجاء بالشمس والقمر يوم القيامة كأنهما ثوران عقيران فيقذفان في جهنم يراهما من عبدهما (٥). وكيف لا يحدث هذا وقد أصبح كعب معلماً للمسلمين يعلمهم الحديث في مسجد رسول الله ﷺ!

وروى الحاكم في المستدرک والطبراني - ورجاله رجال الصحيح - عن أبي هريرة: أن النبي قال: إنَّ الله أذن لي أن أحدث عن ديك رجلاه في الأرض وعنقه

(١) الحاقة، ٤٤-٤٦.

(٢) الانعام، ١٠٦.

(٣) كنز العمال ١/٢٠١، ١/٣٧٠، مجمع الزوائد ٨/٢٦٢، مستد أحمد ٣/٣٨٧.

(٤) اضواء على السنة المحمدية، محمود أبو رية، ٢١٦.

(٥) حياة الحيوان الكبير، الدميري ص ٢٢٢.

مثبتة تحت العرش وهو يقول : سبحانك ما أعظم شأنك ! قال : فيرد عليه ما يعلم ذلك من حلف بي كاذباً^(١).

وروى مسلم عن أبي هريرة : أخذ رسول الله ﷺ بيدي ، فقال خلق الله التربة يوم السبت وخلق فيها الجبال يوم الأحد وخلق الشجر يوم الاثنين وخلق المكروه يوم الثلاثاء وخلق النور يوم الأربعاء وبث فيها الدواب يوم الخميس وخلق آدم عليه السلام بعد العصر من يوم الجمعة في آخر الخلق من آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر الى الليل .

وقد روى هذا الحديث أحمد والنسائي عن أبي هريرة ! وقد قال البخاري وابن كثير وغيرهما : إنّ أبا هريرة قد تلقى هذا الحديث عن كعب الأحبار ؛ لأنّه يخالف نص القرآن في أنّه خلق السماوات والأرض في ستة أيام . ومن العجيب أنّ أبا هريرة قد صرح في هذا الحديث بسماحه من النبي ﷺ وأنه ﷺ قد أخذ بيده حين حدثه به . وإني لاتحدى الذين يزعمون أنهم على شيء من علم الحديث عندنا ، وجميع من هم على شاكلتهم في غير بلادنا أن يحملوا لنا هذا المشكل^(٢).

ومن أحاديث كعب التي رواها تلميذه أبو هريرة ما فيه أهانة للنبي ﷺ ومدح لموسى ﷺ وهو ما خطّط له كعب . إذ جاء في كتاب صحيح البخاري : استب رجلان رجل من المسلمين ورجل من اليهود ، قال المسلم : والذي اصطفى محمداً على العالمين ، فقال اليهودي والذي اصطفى موسى على العالمين ، فرفع المسلم يده عند ذلك فلطم وجه اليهودي . فذهب اليهودي الى النبي ﷺ فأخبره بما كان من امره وأمر المسلم ، فدعا النبي ﷺ المسلم فسأله عن ذلك فأخبره ، فقال النبي ﷺ : لا تخبروني على موسى ، فإنّ الناس يصتقون يوم القيامة فأصعق معهم فأكون أوّل

(١) أضواء على السنة المحمدية ، ٢١٦ .

(٢) أضواء على السنة المحمدية ، محمود أبو ربة ، ٢١٧ .

من يَفِيقُ ، فإذا موسى باطِشْ جانبَ العَرْشِ فلا أدري أكان فيمن صَعِقَ فأفاقَ قَبلي أَوْ كان يَمُنُّ استثنى الله^(١) .

وكان كعب مؤسس ومنفذ برنامج الحديث الموضوع المعارض للنبي ﷺ وباقي الأنبياء والقرآن ، وقد نشر البخاري حديثاً موضوعاً آخر لكعب فيه اساءة للنبي ﷺ إذ روى قال ﷺ : لا تخيروني من بين الأنبياء ، فان الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يَفِيقُ فإذا أنا بموسى أخذ (بيدي)^(٢) .

وقد اشاع اليهود أن النبي ﷺ كان يتعلم من التوراة والإنجيل في غار حرّاء . ونشروا في كتابهم الذي يسمونه بالكتاب المقدس ! أن بعض الأنبياء ارتكبوا الزنا^(٣) .

ومن أحاديث كعب الكاذبة قوله : ما من شبر في الأرض إلّا وهو مكتوب في التوراة التي أنزل على نبيه موسى ﷺ ما يكون عليه وما يخرج منه الى يوم القيامة^(٤) . وعبر هذا الحديث وأمثاله غش كعب بعض الناس ، حتى بدأوا يسألونه عن كل أمر معضل وعن كل قضية مثيِّبة !

ومن أحاديث كعب ما رواه عبد الله بن عمر : أن أُمَّة محمد ثلاثة أثلاث ، فثلث يدخلون الجنة بغير حساب ، وثلث يحاسبون حساباً يسيراً ثم يدخلون الجنة ، وثلث يدخلون الجنة بشفاعَةِ أحمد^(٥) .

يريد كعب أن يدعوا أُمَّة محمد ﷺ الى الفجور والفسوق ما داموا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عتاب شأنهم في ذلك شأن اليهود الذين حصلوا على

(١) صحيح البخاري ٢٥٤/٣ ، كتاب الخصومات .

(٢) صحيح البخاري ١٨٦/٤ ، ٢١٢ .

(٣) الكتاب الثاني لصموئيل ، الاصحاح .

(٤) رواه الطبري والبيهقي في الدلائل ، الاستيعاب ، ابن عبد البر ٥٣٣/٢ .

(٥) ضحى الإسلام ٩٧/٢ .

بطاقات الجئنة من أساتذة كعب !

وقال الدكتور أحمد أمين: أتصل بعض الصحابة بهوب بن منبه وكعب الأحبار وعبد الله بن سلام، وأتصل التابعون بآبن جريج وهؤلاء كانت لهم معلومات يروونها عن التوراة والإنجيل وشروحها وحواشيها، فلم ير المسلمون بأساً من أن يقصوها بجانب آيات القرآن فكانت منبعاً من منابع التضخم^(١).

وروى كعب من مفترياته عن صفة النبي ﷺ في التوراة قال: في السطر الأول محمد رسول الله عبده المختار مولده مكّة ومهاجرة طيبة وملكه بالشام^(٢).

وقد روى رفيق كعب عبد الله بن سلام حديثاً مشابهاً لذلك^(٣). وهكذا هتأ كعب وآبن سلام الارضية لحكومة الشام الأموية مقدّمة لاعادة حكومة اليهود في فلسطين؟!

وقال كعب: أسماء النبي ﷺ في الكتب السالفة: محمد وأحمد وحمايط (أي حامي الحرم)^(٤). وذكر ابن كثير: لما أسلم كعب في الدولة العمرية، جعل يحدث عمر ﷺ فربما استمع له عمر، فترخص الناس في استماع ما عنده ونقلوا ما عنده من غيبٍ وسمين^(٥).

وكتب محمود أبو ريّة قائلاً: ولكن لم يلبث عمر أن فطن لكيدته، وتبيّن له سوء دخلته، فنهاه عن الحديث، وتوعده إن لم يترك الحديث عن الأول أو ليلحقنه بأرض القردة^(٦).

(١) ضحى الإسلام ١٣٩/٢.

(٢) رواه الدارمي. تاريخ ابن عساكر ١/١٤، ٥٧، ٦٧، ٦٩، ٧٥، ٧٩، ٨٧، ٩١.

(٣) سنن الترمذي، فتح الباري ٤/٢٧٤.

(٤) كتاب المغرب، الجواليقي، ١٢٣.

(٥) تفسير ابن كثير ٤/١٧.

(٦) اضواء على السنة المحمدية، ١٥٧.

والحقيقة أن عمر قد منع كعباً من قول الحديث النبوي، ولم يمنعه من ذكر ما في الكتب السالفة، فالمنوع عند عمر هو الحديث الحمدي قولاً وتدويناً. وهذا القرار بالمنع قد اتَّخذه عمر وأبو بكر في زمن خلافة أبي بكر وسارا عليه، وتبعهما عثمان. وقد تعجَّب معاوية من أحاديث كعب الحنظليّة قائلًا: أنت تقول: إنَّ ذا القرنين كان يربط خيله بالثرثرا؟ فقال كعب: إن قلت ذلك فإن الله، قال: وآتيناه من كلِّ شيء سبباً.

قال ابن كثير في تفسيره^(١) والذي أنكره معاوية على كعب هو الصواب، والحق مع معاوية في ذلك الانكار؛ فإنَّ معاوية كان يقول عن كعب: إنَّا كنَّا لنبلوا عليه الكذب.

وذكر القرطبي عن خالد بن معدان عن كعب، أنَّه قال: لما خلق الله تعالى العرش قال: لم يخلق الله تعالى خلقاً أعظم مني، واهتزَّ تعاظماً، فطَوَّقه الله بحِيَّة لها سبعون ألف جناح، في كل جناح سبعون ألف ريشة، في كل ريشة سبعون ألف وجه، في كل وجه سبعون ألف فم، في كل فم سبعون ألف لسان، يخرج من أفواهها كل يوم من التسبيح عدد قطر المطر، وعدد ورق الشجر، وعدد الحصى والثرى، وعدد أيام الدنيا، وعدد الملائكة أجمعين، والتَوَّت الحِيَّة على العرش، فالعرش إلى نصف الحِيَّة، وهي ملتوية عليه، فتواضع عند ذلك^(٢).

وهكذا صوِّر كعب هذه الترهات لينشغل الناس بها ويتركون التوجه إلى خلق الله البديع ونظم الكون.

وأخرج أبو الشيخ في العظمة عن كعب قال: الأرضون السبع على صخرة، والصخرة في كفِّ ملك، والملك على جناح الحوت، والحوت في الماء،

(١) تفسير ابن كثير ١٠١/٣.

(٢) تفسير القرطبي. تفسير سورة غافر.

والماء على الريح، والريح على الهواء، ريح عقيم لا تلقح، وإنَّ قرونها معلقة في العرش^(١) وهذه الأكاذيب تشابه أكاذيب اليهود في التوراة.

ومن خرافات كعب واساطيره قوله: إنَّ في الجنة ملكاً لو شئت أن أسميه لسميته، يصوغ لأهل الجنة الحلي منذ أن خلقه الله الى يوم القيامة، لو أهرز قلب منها (أي سوار) لرد شعاع الشمس، كما ترد الشمس شعاع القمر^(٢).

وعبر هذه الخرافات أشاع كعب وسلفه الأكاذيب في الديانات الثلاثة اليهودية والمسيحية والإسلام، ﴿وَيَمَكُرُونَ وَيَمَكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾^(٣).

أخبار متسترون بالإسلام

ويمكن تستر بالإسلام من أخبار يهود بني قينقاع وغيرهم سعد بن حنيف، وزيد بن اللصيت وسلامة بن الحمام ونعمان بن أبي عامر ورافع بن حرملة ومالك ابن أبي نوفل وداعس وسويد^(٤)، ونعمان بن أوفى.

وزيد بن اللصيت هو الذي قال حين ضلَّت ناقة رسول الله ﷺ يزعم محمد أنَّه يأتيه خبر السماء وهو لا يدري أين ناقتة.

فقال رسول الله ﷺ: عدوا لله في رحله. وتعاون هؤلاء مع كعب ووهب بن منبه وعبد الله بن سلام وقيم الداري لهدم الاسلام.

(١) اضواء على السنة المحمدية، أبو رية، ١٦٣.

(٢) المصدر السابق، ١٦٥.

(٣) الأنفال: ٣٠.

(٤) مخازي الواقدي ١٠٥٩/٢.

دراسة الكتب المقدسة والاستفادة منها

روى أحمد عن جابر بن عبد الله، أن عمر بن الخطاب أتى النبي ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب، فقرأه على النبي فغضب وقال: أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب؟ والذي نفسي بيده لو أن موسى حياً ما وسعه إلا أن يتبعني^(١).

وفي رواية: فغضب وقال ﷺ: لقد جئتكم بها بيضاء نقية لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به أو باطل فتصدقوا به.

فقد كان النبي ﷺ يرفض رفضاً باتاً الاستماع إلى أهل الكتاب وقراءة كتبهم إيماناً منه بكذب هؤلاء وافترائهم على الله سبحانه والانبيا: ودسهم الباطل في شريعة السماء. وقد دخل مجموعة من رجالات اليهود إلى الاسلام لتشويه صورته وتخريب بنيته وافساد معالنه. وعلى رأس هؤلاء كعب الأحبار ووهب بن منبه وعبد الله بن سلام، فقد سعى هؤلاء إلى ارضاء الخلفاء ونشر قصص الخيال، على أنه من التوراة. وكان الخليفة عمر يرمي على اليهود في المدينة المنورة بعد اسلامه، ليسألهم عن أمور مختلفة ومحاورهم، ولكن النبي ﷺ لم يكن يحب ذلك لمعرفته بكره اليهود للاسلام والمسلمين، وفساد ديانتهم وكذبهم وافترائهم على الناس. فكان النبي ﷺ يعتقد بعقم الاستفادة من كتبهم وعلومهم لأنها محرقة وكاذبة.

وكان الرسول ﷺ لا يرضى على رجل من المسلمين يغشى اليهود ويدرس عندهم، فقد جاء في كنز العمال عن الشعبي: نزل عمر بالروحاء، فرأى ناساً يبتدرون أحجاراً فقال: ما هذا؟ فقالوا: يقولون إن النبي ﷺ صلى إلى هذه الأحجار، فقال: سبحانه الله ما كان رسول الله إلا راكباً، مرّ بواد فحضرت الصلاة

(١) سنن الدارمي ١/١١٥، كنز العمال، ٢/٣٥٣، الدر المنثور، السيوطي ١٤٨/٥، اسد الغابة ٣/١٢٦.

فصل^١. ثم حدث فقال: إني كنت أغشى اليهود يوم دراستهم، فقالوا: ما من أصحابك أحد أكرم علينا منك، لأنك تأتينا، قلت وما ذاك إلا إني أعجب من كتب الله كيف يصدق بعضها بعضاً، كيف تصدق التوراة الفرقان والقرآن التوراة، فرأى النبي ﷺ وأنا أكلهم يوماً، فقلت أنشدكم بالله وما تقرأون من كتابه أتعلمون أنه رسول الله؟ قالوا: نعم. فقلت: هل كنتم والله، تعلمون أنه رسول الله ثم لا تتبعونه. فقالوا: لم نهلك. ولكن سألناه من يأتيه نبوته. فقالوا: عدونا جبريل لأنه ينزل بالغلظة والشدة والحرب والهلاك ونحو هذا، فقلت: ومن سلمكم من الملائكة؟ قالوا: ميكائيل، ينزل بالقطر والرحمة وكذا، قلت: وكيف منزلتها من ربها؟ قالوا: أحدهما عن يمينه، والآخر عن الجانب الآخر فقلت: إنه لا يحل لجبريل أن يعادي ميكائيل، ولا يحل لميكائيل أن يسلم عدو جبريل، وإني أشهد أنهما ورثهما سلم لمن سالما وحرب لمن حاربوا.

ثم أتيت النبي ﷺ وأنا أريد أن أخبره فلما لقيته قال: ألا أخبرك بآيات أنزلت علي؟

فقلت: بلى يا رسول الله.

فقرأ ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ...﴾ حتى بلغ ﴿لِلْكَافِرِينَ﴾. قلت: يا رسول الله، والله ما قلت من عند اليهود إلا إليك لأخبرك بما قالوا لي وقلت لهم، فوجدت الله قد سبقني، قال عمر: فلقد رأيته وأنا أشد في دين الله من الحجر^(١).

فيتوضح من هذا النص أن الله سبحانه أخبر نبيه بمحدث عمر مع اليهود، وأن عمر بن الخطاب كان لوحده يزور اليهود دون باقي المسلمين، مما تسبب في وقوع عمر في موقف حرج! فقال للنبي ﷺ: والذي بعثك بالحق لقد جئتكم وما

(١) كنز العمال للمتقي الهندي، البقرة: ٩٨، ١/٣٧٠ ح ١٦٢٦، ٢/٣٥٣.

أريد إلا أن أخبرك^(١).

وفي كنز العمال عن عمر قال: سألت رسول الله ﷺ عن تعلم التوراة؟ قال: لا تتعلمها وتعلموا ما أنزل عليكم وآمنوا به^(٢).

وأخرج البيهقي عن عمر بن الخطاب قائلًا: سألت رسول الله ﷺ عن تعلم التوراة فقال: لا تتعلمها وآمن بها، وتعلموا ما أنزل اليكم وآمنوا به.

وأخرج ابن الضريس عن الحسن بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: يا رسول الله إن أهل الكتاب يحدّثونا بأحاديث قد أخذت بقلوبنا، وقد هممنا أن نكتبها (كذا) فقال يا ابن الخطاب أمتوكون أنتم كما تهوكت اليهود والنصارى، أما والذي نفس محمد بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية ولكني أعطيت جوامع الكلم واختصر لي الحديث.

وذكر السيوطي: أن عمر كان يأتي اليهود فيسمع منهم التوراة^(٣). وعن أبي الدرداء قال: جاء عمر بجوامع من التوراة إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله جوامع من التوراة أخذتها من أخ لي من بني زريق، فتغير وجه رسول الله ﷺ فقال عبد الله بن زيد: أمسح الله عقلك ألا ترى الذي بوجه رسول الله ﷺ؟ فقال عمر: رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً وبالقرآن إماماً. فسرى عن رسول الله ﷺ ثم قال: والذي نفس محمد بيده لو كان موسى بين أظهركم ثم اتبعتموه وتركتموني لضللتم ضلالاً بعيداً، أنتم حظي من الأمم، وأنا حظكم من النبيين^(٤).

(١) أخرجه الطبري من طريق أسباط عن السدي. لسان الميزان ٤٠٨/٢، مسند أحمد ٤٦٩/٣.

(٢) كنز العمال ٣٧٠/١، حديث ١٦٢٦.

(٣) أسباب النزول للسيوطي ٢١١/١. مجمع الزوائد ١٧٣.

(٤) رواه الطبراني في الكبير، أسباب النزول للسيوطي ٢١١/١.

وجاء في تذكرة الفقهاء : لا يجوز الوقف على كتب التوراة والانجيل ؛ لأنها منسوخان محرّقان ، ولا تعلم فيه خلافاً ، وروى العامة أن رسول الله خرج إلى المسجد فرأى في يد عمر صحيفة فيها شيء من التوراة ، فغضب النبي ﷺ لما رأى الصحيفة مع عمر فقال له : أفي شك أنت يا ابن الخطاب ؟ ألم آت بها بيضاء نقية ؟ لو كان أخي موسى حياً ما وسعه إلا إتباعي . ولولا أن ذلك معصية لما غضب منه . وكذا لا يجوز الوقف على كتب الضلال وجميع ما لا يحمل كتابته لأنها جهة محرمة^(١).

وقد قال كعب عن توراته المزورة : « ما من شيء إلا وهو مكتوب في التوراة »^(٢) . والتوراة : كلمة عبرانية ومعناها الشريعة وتطلق عند أهل الكتاب على خمسة أسفار : الأول سفر التكوين وفيه الكلام عن بدء الخليقة ، وأخبار الأنبياء . والثاني سفر الخروج وفيه تاريخ بني إسرائيل وقصة موسى ، والثالث سفر التثنية ، وفيه أحكام الشريعة اليهودية ، والرابع سفر اللاويين ، واللاويون هم نسل لاوي أحد أبناء يعقوب وفيه العبادات والمحرّمات من الطيور والحیوانات . والخامس سفر العدد ، وفيه احصاء لقبائل بني إسرائيل وجيوشهم . وهذه الأسفار الخمسة هي من مجموعة أسفار تبلغ تسعة وثلاثين سفرًا .

وقد قال الله تعالى عن التوراة : ﴿ وَأَوْفَقْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ هُدًى وَبُحْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾^(٣) . وإسرائيل اسم نبي الله يعقوب وكلمة اسرا : تعني عبد ، وإيل تعني الله تعالى فإسرائيل تعني عبد الله . ولكن اليهود الذين حرّفوا كلام الله وشريعته قالوا عن معنى إسرائيل انه يصارع الله أو يجاهد الله^(٤) . لذا قال الله

(١) تذكرة الفقهاء ٤٣٠/٢ .

(٢) أضواء على السنة المحمدية ، أبو رية ، ١٦٥ . مجمع الزوائد ١٧٣/١٢ .

(٣) غافر ، ٥٣ ، ٥٤ .

(٤) التوراة . سفر التكوين ، الاصحاح ٣٢ الآية ٢٨ .

سبحانه وتعالى عن عاقبة اليهود: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ (١).

وعندما نقرأ التوراة الموجودة حالياً نرى فيها: يعقوب صارح الرب حتى مطلع الفجر، وضاجع لوط النبي ابنتيه فحملتا منه، وداود النبي اغتصب زوجات بعد ان قتل ازواجهن. حيث جاء خطاب لداود من الله تعالى: قتلت اوريا بالسيف وأخذت امرأته. والآن لا يفارق السيف بيتك الى الأبد؛ لأنك احتقرتني. هاهنا أقيم عليك الشر من بيتك، وأخذ نساءك أمام عينيك وأعطيتن لقريب من أقربائك، فيضطجع مع نسائك في عين الشمس؛ لأنك أنت فعلت بالسر. وأنا أفعل هذا الأمر - أي الزنا - قدام جميع بني إسرائيل، وقدام الشمس (٢).

فترى في هذه التوراة فجوراً سرياً للانبيا، وعلنياً بأمر رب العالمين، والعباد بالله من شر هذا الأفك العظيم. فقال الله تعالى عنهم: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ (٣) وأجمع المحققون على أن هذه التوراة مزورة وغير حقيقية، قد كتبت بعد زمن موسى بزمن طويل (٤).

وعن يهود بني زريق: جاء عمر بجوامع من التوراة الى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله جوامع من التوراة أخذتها من أخ لي من بني زريق، فتغير وجه رسول الله ﷺ، فقال عبد الله بن زيد: أمسح الله عقلك ألا ترى الذي بوجه رسول الله ﷺ. فقال عمر: رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً، وبالقرآن

(١) النساء: ٤٦.

(٢) سفر صموئيل الثاني الاصحاح ١١ و ١٢ من العهد القديم المعروف بنص القرآن.

(٣) النساء: ٤٦.

(٤) انظر قاموس الكتاب المقدس، ٧٦٣، المطبعة الإنجيلية بميروت سنة ١٩٦٤، وكتاب الأسفار المقدسة لعبد الواحد وافي ص ١٦ وما بعدها، طبعة أولى سنة ١٩٦٤.

اماماً^(١). وعن عائشة انها قالت: سحر رسول الله ﷺ يهودي من يهود بني زريق يقال له لبيد بن الأعصم^(٢).

وجاء في الدر المنثور: «كنت جالساً عند عمر اذ أتاه رجل من عبد القيس، فقال له عمر: أنت فلان العيدي؟ قال: نعم، فضربه بقناة معه! فقال الرجل: مالي يا أمير المؤمنين؟ قال: اجلس، فجلس فقرأ عليه: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿الْقُرْآنُ﴾ تلك آيات الكتاب المبين ﴿إِلَى قَوْلِهِ﴾ ﴿لَمِنَ الْغَالِبِينَ﴾^(٣).. فقرأها عليه ثلاثاً، وضربه ثلاثاً! فقال له الرجل مالي يا أمير المؤمنين؟! فقال:

أنت الذي نسخت كتاب دانيال؟ قال مرني بأمرك أتبعه. قال: انطلق فامحه بالحميم والصوف ثم لا تقرأ ولا تقرأه أحداً من الناس. فلتن بلغني عنك أنك قرأته أو أقرأته أحداً من الناس لانهكك عقوبة.

ثم قال اجلس فجلس بين يديه فقال: انطلقت أنا فانتسخت كتاباً من أهل الكتاب، ثم جئت به في أديم، فقال لي رسول الله ﷺ ما هذا في يدك يا عمر، فقلت: يا رسول الله كتاب نسخته ليزداد به علماً إلى علمنا، فغضب رسول الله ﷺ حتى احمرت وجنتاه، ثم نودي بالصلاة جامعة، فقالت الأنصار: أغضب نبيكم، السلاح.. فجاءوا حتى قال أحد: قوموا بمنبر رسول الله ﷺ فقال:

يا أيها الذين آمنوا في قد أوتيت جوامع الكلم، وخواقمه واختصر لي اختصاراً، ولقد أتيتم بها بيضاء نقية، فلا تنهؤا ولا يغرنكم المتهكون.

قال عمر رضي الله عنه فقلت رضيتم بالله رباً وبالاسلام ديناً وبك رسولاً ثم

(١) رواه الطبراني في الكبير مجمع الزوائد ١٧٣/١، ٢٦٢/٨، عبد الرزاق الصنعاني في مصنفه ١١٣/٦.

(٢) صحيح مسلم مجلد ٥/٧.

(٣) يوسف: ١-٣.

نزل رسول الله ﷺ (١).

وأخرج عبد الرزاق والبيهقي عن أبي قلابة أن عمر بن الخطاب ﷺ مرَّ برجل يقرأ كتاباً فاستمعه ساعة فاستحسنه ، فقال للرجل : أكتب لي من هذا الكتاب . قال : نعم ، فاشترى أديماً فهبأه ثم جاء به إليه فنسخ له في ظهره ويطنه ، ثم أتى النبي ﷺ فجعل يقرأه عليه ، وجعل وجه رسول الله ﷺ يستلّون ، فضرب رجل من الانصار بيده الكتاب وقال : ثكلتك أمك يا ابن الخطاب أما ترى وجه رسول الله ﷺ منذ اليوم ، وأنت تقرأ عليه هذا الكتاب ؟ ! فقال النبي ﷺ عند ذلك : إنما بعثت فاتحاً وخاتماً وأعطيته جوامع الكلم وفوائده واختصر لي الحديث اختصاراً ، فلا يهلككم المتهاوكون .

وعن يهود بني قريظة : جاء عمر بن الخطاب إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله إني مررت بأخ لي من قريظة فكتب لي جوامع من التوراة ألا أعرضها عليك ؟ قال : فتغير وجه رسول الله ﷺ قال عبد الله : فقلت له ألا ترى ما بوجه رسول الله ﷺ ؟ فقال عمر : رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً . قال : فسري عن النبي ﷺ ، ثم قال : والذي نفسي بيده لو أصبح فيكم موسى ثم اتبعتموه وتركتموني لضللتم ، إنكم حظي من الأمم وأنا حظكم من النبيين (٢) . وعن يهود خيبر قال : انطلقت في حياة النبي ﷺ حتى أتيت خيبر فوجدت يهودياً يقول قولاً فأعجبني فقلت : هل أنت مكتبي بما تقول ؟ قال : نعم ، فأتيته بأديم فأخذ يملئ عليّ ، فلما رجعت قلت : يا رسول الله إني لقيت يهودياً يقول قولاً لم أسمع مثله بمدك ! فقال : لملك كتبت منه ؟ قلت : نعم ، قال : إئتني به فانطلقت فلما أتيت قال : اجلس إقرأه فقرأت ساعة ونظرت إلى وجهه فإذا هو يتلون فصرت من الفرق لا

(١) الدر المنثور ٤/٣-٤ ، كنز العمال ٣٧٠/١ ، مجمع الزوائد ١٧٣/١ ، لسان الميزان لابن حجر ٤٠٨/٢ .

(٢) مسند أحمد ٤٦٩/٣-٤٧١ ، سنن الدارمي ١١٥/١ ، اسد الغابة ١٢٦/٣ ، الدر المنثور ١٤٩/٥ .

أجيز حرفاً منه ، ثم رفعته إليه ثم جعل يتبعه .

وفي رواية أنه قال : تهوكون كما تهوكت اليهود والنصارى ، لقد جنتكم بها بيضاء نقية ، لو كان موسى حياً ما سمعه إلا أتباعي^(١) .

توسل باليهود للشفاء

ان تقدم الديانة اليهودية والنصرانية على الديانة الاسلامية في الزمن ، قد جعل بعض المسلمين يستمرون في تأثرهم السابق بهاتين الديانتين اللتين أبطلهما الاسلام ونسخهما .

ولم يكن التأثير مختصاً بالعلوم الدينيه والدينيه ، بل شمل مسألة الدعاء والشفاء ونحوهما ، فقد روى مالك بن أنس :

عن يحيى بن سعيد ، عن عمرة بنت عبد الرحمن ، أن أبا بكر الصديق دخل على عائشة وهي تشتكي ، ويهودية ترقىها ! فقال أبو بكر : ارقىها بكتاب الله^(٢) .
 إن أبا بكر عليه السلام قبل بفعل عائشة ، وسمى التوراة كتاب الله وقد قال الله تعالى :
 عن التوراة : ﴿ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ ﴾^(٣) ، واجمع المحققون على تزوير هذه التوراة^(٤) .

وجاء في كتاب الام للشافعي باب ما جاء في الرقية . لا بأس أن يرقى الرجل بكتاب الله وما يعرف من ذكر الله . قلت أيرقى أهل الكتاب المسلمين ؟ قال : غير حجة ، فأما رواية صاحبنا وصاحبك فإن مالكا أخبرنا عن يحيى بن سعيد عن

(١) كنز العمال ٢٠١/١ ، ٣٧٠/١ ، مجمع الزوائد ٢٦٢/٨ ، مسند أحمد ٣/٣٨٧ .

(٢) الوسط ، مالك بن أنس ٥٠٢/٢ .

(٣) النساء : ٤٦ .

(٤) انظر قاموس الكتاب المقدس ص ٧٦٣ ، وكتاب الاسفار المقدسة ، عبد الواحد وافي ص ١٦ .

عمرة بنت عبد الرحمن أن أبا بكر دخل على عائشة وهي تشتكي ويهودية ترقبها فقال أبو بكر: ارقبها بكتاب الله . فقلت للشافعي فأنا نكره رقية أهل الكتاب . فقال: ولم وأنتم تروون هذا عن أبي بكر ، ولا أعلمكم تروون عن غيره من أصحاب النبي ﷺ خلافه . وقد أحل الله جل ذكره طعام أهل الكتاب ونساءهم وأحسب الرقية إذا رقوا بكتاب الله مثل هذا أو أخف^(١) .

ورواه البيهقي في سننه كما روى أن امرأة عبد الله بن مسعود كانت تذهب بعد وفاة النبي ﷺ إلى يهودية لرقية عينها^(٢) .

وقال النووي في المجموع^(٣) (فرع) في جواز الرقية بكتاب الله تعالى وبما يعرف من ذكر الله ...

أقول: إن الشخص اليهودي الذي بطلت ديانته بالإسلام، وبطل كتابه بالقرآن كيف يستجاب دعاؤه؟!!

نظرة الخليفة إلى كتب أهل الكتاب

خلاصة أفعال الخليفة عمر بن الخطاب مع أهل الكتاب ونظرته إليهم انه يعتقد بأن كتب أهل الكتاب يوجد فيها جواب لكل سؤال يخطر على بال انسان بدءاً من العقائد وانتهاءً بخلق الكون وأحداث المستقبل وغير ذلك كما قرأنا . في حين ان كتب أهل الكتاب قد زوّرت ونسخت بيد اليهود والنصارى وأصبحت كتباً عقيمة كما قال الرسول ﷺ . فلقد سأل عمر من أهل الكتاب اليهود والنصارى في اثناء خلافته: هل تجدوني في كتبكم؟

(١) كتاب الأم، الشافعي ٢٤١/٧، تاريخ ابن شبة ١٠٧٨/٣، معجم ما استمع ١١٥٣/٤ .

(٢) سنن البيهقي ٣٤٧/٩، سنن أبي داود ٤٠٣/٢، تهذيب التهذيب ٣٢٣/١ .

(٣) المجموع ٦٤/٩ .

وبالطبع كذب أهل الكتاب عليه حين أجابوه بنعم، فأننا لم نجد ذلك في الكتب الموجودة في أيدينا من أهل الكتاب.

كما أننا حيث نطالعها الآن لم نجد فيها ما يغني أو يضمن من جوع؟^(١) وبالرغم من تحذير النبي ﷺ لعمر في المدينة المنورة بضرورة ترك كتب أهل الكتاب من تعلمها وكتابتها لكذبها، نجد الخليفة عمر يكثر من السؤال عن علومها من كتب الاحبار وتقيم وغيرهما في أيام خلافته، بل انه سمح لهما بالحدّث من علوم أهل الكتاب في مسجد النبي ﷺ وعلى مدى أيام السنة في طول أيام حكمه.

فالظاهر أنّ الخليفة استمر في اعتقاده بوجود علوم غيب كثيرة في كتب أهل الكتاب. تاركاً للنص القرآني بكذب التوراة، وحديث النبي ﷺ بتزويرها، واخذ به قول كعب: ما من شيء إلا وهو مكتوب في التوراة^(٢).

وكذلك كان عمر يعتقد بأنّ أهل الكتاب أعلى ثقافة وعلماً من علماء المسلمين، لذا فقد وضع تميم الداري قصاصاً في المسجد، وجعل كعب الاحبار مستشاراً للخليفة يسأله في الأمور الثانوية والاساسية، السياسية والدينية. وبتعبير آخر ان عمر بقي معتقداً بأفكاره السابقة في علو مستوى أهل الكتاب على باقي سكان الجزيرة العربية. وضرورة الرجوع إليهم.

في حين جاء القرآن الكريم والنبي ﷺ بعلوم صحيحة وواسعة أغنت المسلمين وجعلتهم أعلى ثقافة من باقي الناس في الدنيا.

ولقد تعجبت من سؤال عمر لكعب في خلافته عن حدود شفاعته محمد ﷺ^(٣) فأين كعب واين شفاعته محمد ﷺ؟ ولماذا لا يسأل أهل بيت

(١) أضواء على السنة المحمدية، محمود أبو ريّة ص ١٦٥.

(٢) الدر المنثور ٢/٢٨٦.

محمد ﷺ عن ذلك. واحاديث كعب واخباره قد أثرت تأثيراً سيئاً في العالم الاسلامي قروناً طويلة، وما زالت تؤثر في أذهان الناس.

واحاديث كعب المزورة لم تنظلي على أحدٍ فعلى معاوية كذبها^(١). وكان كعب المصدر الاساسي لأحاديث المجسمة.

وقد بلغ الأمر بكعب ان استفاد من مصاحبة عمر له والاستماع إليه ان عقد تحالفاً أساسياً مع بني أمية عول عليه اليهود في إعادة سلطتهم. وكان المستفيد الأول من قتل عمر هم اليهود وبنو أمية. لأن تولى بني أمية الحكم يعني تسلط الفسقة على رقاب المسلمين، وفتح الباب واسعاً امام أكاذيب أهل الكتاب. فوصل من أبي هريرة خمسة آلاف وثلاثمائة وأربعة وسبعين حديثاً، وله في البخاري فقط اربعائة وستة واربعين حديثاً^(٢) أي ذكروا أكثر من ستة آلاف حديث لأبي هريرة تلميذ كعب في زمن معاوية.

من سَمَّى عمر بالفاروق؟

واشارة لما ذكره كعب الاحبار فقد قال ابن شهاب الزهري: بلغنا أن أهل الكتاب كانوا اول من قال لعمر: الفاروق^(٣).

وقد وضع كعب أحاديث كثيرة في مدح عمر ومعاوية، وقد كان يملك قدرة فائقة في جعل الأحاديث وترتيبها لارضاء من يريد.

(١) صحيح البخاري ١٦٠/٨.

(٢) الإرشاد، الصالح القسطلاني، وضبط ابن حزم أيضاً مجموع ما حدث به أبو هريرة فكان ٥٢٧٤ مستنداً فراجع ص ١٣٨ من الجزء الرابع من فصل ابن حزم.

(٣) أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير ١٥١/٤. الكامل في التاريخ لابن الأثير ٥٣/٣، تاريخ المدينة المنورة، ابن شبة ٦٦٢/٢.

وقد اكتسب تلميذه أبو هريرة هذه القابلية منه . ونلاحظ هنا فن كعب في الحديث الغريب :

عندما غضب كعب مؤقتاً على عمر صرّح قائلاً : «إنه (عمر) على باب من أبواب جهنم» .

فقال عمر : ما شاء الله ، ثم خرج فأرسل إلى كعب الاحبار فجاهه .
فقال : يا أمير المؤمنين لا تعجل عليّ والذي نفسي بيده لا ينسلخ ذو الحجة حقاً تدخل الجنة ؟

فقال عمر : ما هذا ؟ مرّة في الجنة ومرّة في النار ؟
قال كعب : يا أمير المؤمنين والذي نفسي بيده أنا لنجدك في كتاب الله على باب من أبواب جهنم ، تمنع الناس أن يقتحموا فيها ، فإذا متّ لم يزالوا يقتحمون فيها إلى يوم القيامة ، ولما طعن جاء كعب فجعل يبكي بالباب ويقول : والله لو ان أمير المؤمنين يقسم على الله أن يؤخره لأخره ؟^(١)

أما عن تسمية عمر بأمر المؤمنين فإنه لما ولي قالوا له : يا خليفة رسول الله ، فقال عمر : هذا أمر يطول ، كلما جاء خليفة قالوا : يا خليفة خليفة رسول الله ، بل انتم المؤمنون وأنا أميركم ، فسمي أمير المؤمنين^(٢) ، وقيل : إن عمر بن العاص سمّاه بذلك .

وكان علي عليه السلام أول من سمي بالفاروق من قبل رسول الله ﷺ إذ قال النبي ﷺ : ستكون فتنة بعدي فالزموا علياً فإنه أول من يراني واول من يصافحني يوم القيامة وهو معي في السماء العليا ، وهو الفارق بين الحق والباطل^(٣) .

(١) فتح الباري لابن حجر ٤١/١٣ ، طبقات ابن سعد ٣/٢٢٢/٣ .

(٢) الكامل في التاريخ لابن الأثير ٥٨/٣ .

(٣) لسان الميزان ، ابن حجر ٢٥٧/١ .

عمر وكعب في بيت المقدس

لقد اصطحب عمر في سفره الى الشام كعب الأحبار وتيم الداري، وعبد الله بن سلام^(١). فاستفادوا من مصاحبتهم لعمر في المشاورة السياسية والدينية معه. واطرح الامام أحمد بن حنبل في مسنده عن عبيد بن آدم أنه قال: سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لكعب: اين ترى ان أصلي؟ فقال: إن اخذت عني صليت خلف الصخرة فكانت القدس كلها بين يديك. فقال عمر رضي الله عنه: ضاهيت اليهودية^(٢). ومن اختراعات كعب:

حدثت محاوراة اخرى في بيت المقدس بينها (في تلك الجولة التي لا أعرف سبب اصطحاب عمر لكعب فيها)، وعندما أخذ (عمر) في تنظيف بيت المقدس من الكناسة التي كانت الروم قد دفنتها به سمع التكبير من خلفه. فقال (عمر) ما هذا؟ فقالوا: كبر كعب وكبر الناس بتكبيره، فقال عليّ به. فقال: يا أمير المؤمنين إنه قد تنبأ عليّ ما صنعت اليوم نبي منذ خمسمائة عام!! قال (عمر): وكيف؟ قال: إن الروم أغاروا على بني إسرائيل فأدبلوا عليهم فدفنوه الى أن وليت فبعث الله نبياً على الكناسة فقال: ابشري اوري شلم عليك الفاروق ينقيك بما فيك^(٣).

وفي رواية: أذاك الفاروق في جندي المطيع ويدركون لأهلك بشارك من الروم. وهنا بين كعب في قوله: « يدركون لأهلك بشارك من الروم » ان فتح المسلمين للقدس هو تحقيق لثأر اليهود من الروم؟!!

(١) فجر الإسلام أحمد أمين، ١٥٠.

(٢) مسند أحمد بن حنبل ٣٨/١.

(٣) هذا تلخيص كلام الطبري ٤/١٦٠.

وروى أبو مريم عبيد قال : دخلت مع عمر بن الخطاب محراب داود فقراً فيه (ص) وسجد^(١).

وجاء في سنن البيهقي ان عمر بن الخطاب عليه السلام لما دخل بيت المقدس قال : لبيك اللهم لبيك^(٢).

وعن سعيد بن المسيب قال : استأذن رجل عمر بن الخطاب في اتيان بيت المقدس فقال له : اذهب فتجهز فأذا تجهزت فأعلمني ، فلما تجهز جاءه فقال له عمر : اجعلها عمرة . (يعني لا تجعلها حجة ، أو الافضل أن لا تجعلها حجة) .

قال : ومراً به رجلان وهو يعرض إبل الصدقة ، فقال لهما : من أين جئتما ؟ قالوا : من بيت المقدس ، فعلاهما بالذرة وقال : أحج كحج البيت ؟ قالوا : إنما كنا بمجازين^(٣).

ولا أدري من الذي نصح عمر بقول : لبيك اللهم لبيك في القدس فهذه العبارة مخصوصة ببيت الله ، ويحتمل أنه قالها هكذا لا في معرض اداء الحج ؛ لأن هذا الحديث يتعارض مع الحديث الآخر لعمر حيث قال : أحج كحج البيت .

ولكن الغريب في روايتي البيهقي وابن المسيب ان الأولى فيها قوله : لبيك اللهم لبيك ، والثانية فيها قوله : اجعلها عمرة !

والذي يقرأ نصوص استفادة عمر من الكتب المقدسة قبل خلافته واستفادته من كتب الأحبار بعدها يتبين له ان عمر يثق بما جاء في هذه الكتب ، وعلى هذا الأساس كان يسأل من كعب ويسمع له ولتميم بقول القصص في مسجد النبي ﷺ.

(١) كنز العمال للمتقي الهندي ١٤٤/٨ ، حديث ٢٢٣٠٣ .

(٢) سنن البيهقي ٤١/٥ .

(٣) كنز العمال للمتقي الهندي ١٤٦/٤ ، حديث ٣٨١٩٤ .

اقترح كعب في قبلة للمسلمين

لما فتح عمر بيت المقدس وتحقق موضع الصخرة، أمر بأزالة ما عليها من الكناسه حتى قيل: أنه كنسها بردائه، ثم استشار كعب أين يضع المسجد؟ فأشار عليه بأن يجعله وراء الصخرة، فضرب في صدره، وقال: يا ابن أم كعب ضارعت اليهود: وأمر بينائه^(١).

وهدف كعب من اقتراحه جعل المسجد خلف الصخرة أن يصلي المسلمون، وأمامهم صخرة اليهود؟ وادرك الخليفة عمر نية كعب فقال له ضارعت اليهود وأمر بينائه! لقد صور كعب الأخبار للمسلمين قداسة الصخرة؟! فنظفها عمر بردائه!! ولما جاء عبد الملك بن مروان الى الحكم جذد ذلك المسجد وكبره بإسم مسجد قبة الصخرة. وهكذا جعل كعب لتلك الصخرة مكانة مقدسة عند المسلمين، وأصبح السذج من العلماء وغيرهم يستيها بالصخرة المقدسة؟! وهي تذكرني بصخرة البوذيين المقدسة في لويان (عاصمة الصين القديمة) التي أصبحت تماثلاً كبيراً لبوذا؟!!

والى يومنا هذا يسمى مسجد المسلمين في القدس بمسجد قبة الصخرة مثلما أراد كعب الأخبار!! وجعل كعب عرش الله سبحانه من الصخرة قائلاً: هناك خلق عرشه من بعض الصخرة التي كانت تحته^(٢).

وصخرة بيت المقدس، هي إحدى الصخور التي قدسها اليهود، دون دليل عقلي ولا نقلي، فهي تشابه عجل قارون الذي عبده اليهود! وهذه الصخرة تذكرنا بما قاله القرآن الكريم: ﴿وَجَاوِزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ

(١) البداية والنهاية ٦٨/٧.

(٢) تنبيه الخواطر ونزهة النواظر، الامير وزام بن أبي فراس ٦٠٥/٢.

البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قائلوا يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم إلهة^(١).

وقد خاطبهم الله تعالى قائلاً: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وِذْلَةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾^(٢).

تفضيل كعب لبيت المقدس على الكعبة

قال كعب الاحبار: إن الكعبة تسجد لبيت المقدس في كل غداة^(٣).
في حين فضل الله سبحانه الكعبة على بيت المقدس وجعلها قبلة للمسلمين^(٤) قال كعب ذلك في مسجد النبي ﷺ.

وقال كعب: لا تقوم الساعة حتى يزف البيت الحرام إلى البيت المقدس^(٥).
ويهدف كعب من ذلك اظهار تبعية الكعبة للقدس، وان الكعبة تسجد لبيت المقدس، وانها تدخل الجنة لأجل بيت المقدس، لذلك تزف الكعبة إلى بيت المقدس قبل قيام الساعة!؟

وذكر الحافظ ابن حجر أن كعب الأحبار روى أن باب السماء الذي يقال له «مصعد الملائكة» يقابل بيت المقدس^(٦).

وقال ابن حجر بعد أن اورد تلك الخرافة: وفيه نظر؛ لورود أن في كل سماء بيتاً معموراً، وأن الذي في سماء الدنيا حيال الكعبة.

(١) الاعراف، ١٣٨.

(٢) البقرة، ١٥٢.

(٣) تفسير الدر المنثور ١/١٣٦.

(٤) فروع الكافي، كتاب الحج، باب فضل النظر الى الكعبة ٤/٢٤٠، حديث ١.

(٥) تفسير الدر المنثور ١/١٣٦-١٣٧.

(٦) فتح الباري ٧/١٥٦.

تفضيل كعب للتوراة على القرآن

لقد نشر كعب ثقافته الدينية بين المسلمين فغشهم في أقواله وأفعاله. وعلى رأس الأعمال الشيطانية التي فعلها تفضيله التوراة على القرآن.

إن كعباً عندما يطلق في كلامه الكتاب المقدس يعني به التوراة، فكان كثيراً ما يطلق هذه الكلمة وينشرها ويرجع في أقواله ومصادره إليها في فهم الماضي والحاضر والمستقبل.

ويعني كعب بالأصل الحكيم التوراة أيضاً وليس القرآن^(١). إذ قال عمر له: يا كعب أحافظ أنت للتوراة؟ فقال كعب: إني لأحفظ منها كثيراً، فقال رجل من جنبه في المجلس: يا أمير المؤمنين سله أين كان الله جلّ حلاله قبل أن يُخلق عرشه؟ وممّ خلق الماء الذي جعل عرشه عليه؟ فقال عمر: يا كعب هل عندك من هذا علم؟ فقال كعب: نعم يا أمير المؤمنين نجد في الأصل الحكيم^(٢).

ويرجع كعب إلى التوراة وكتب اليهود في كل تفسير له عن المواضيع المختلفة، فأظهر للمسلمين أموراً، وكأن كتب اليهود فيها حل لكل أمر معضل ولكل سؤال محير، وفيها جواب لكل استفتاء عن الماضي والمستقبل؟! بينما قال أبو ذر عن صحف موسى ﷺ: «كانت عبراً كلّها»، والعبر: جمع عبرة وهي كالموعظة^(٣).

وكان الخليفة عمر كثيراً ما يسأله عن المواضيع المختلفة، واستماع الخليفة له شجّع كعباً على المضي في مخطّطه ورغب الكثير من الناس في الاستماع إلى

(١) تنبيه الخواطر ونزهة النواظر الامير ورام بن أبي فراس ٦٠٥/٢.

(٢) تنبيه الخواطر ونزهة النواظر، ورام بن أبي فراس ٥/٢.

(٣) لسان العرب، ابن منظور ٥٣١/٤.

أقواله وأحاديثه !

وأخذ معاوية يسأل كعباً مثلما كان يسأله الخليفة عمر . فقال له : هل وجدت ذكراً للنيل في كتاب الله ؟

قال كعب : أقسم بالذي فلق البحر لموسى ، رأيت في كتاب الله أن الله يوحى الى النيل مرتين في السنة ... ؟^(١)

فهنا بين معاوية وكعب أن كتاب الله هو التوراة ؟ وليس القرآن ؟ ! لعدم اعتقاد هذين الرجلين به ؟ !

وقال كعب : إني وجدت في كتاب الله المنزل أن الشام كنز الله^(٢) .

ومن الأدلة أيضاً على استمرار يهودية كعب تفضيله بيت المقدس على الكعبة . وكرهه لأهل بيت النبوة ﷺ . وجوازه مخالفة النصوص الإلهية .

ومن الأدلة اعتماد كعب في أقواله على آراء التوراة وغيرها من كتب اليهود المحرفة دون القرآن . ومن الأدلة عمله لمصلحة اليهود لا لمصلحة المسلمين . ونقله اليهود إلى فلسطين كما سيأتي . وبذلك يتوضح أن أجوبة كعب للسائلين ومحاضراته في مسجد النبي ﷺ ليس فيها ذكر للقرآن الكريم ، بالرغم من إعلانه الاسلام ، بل كان يرجع إلى التوراة ويسميا الأصل الحكيم^(٣) وكتاب الله^(٤) .

تفضيل كعب للشام وأهلها على الحجاز وأهلها

قال عروة بن ريم : إن رجلاً لقي كعب الأحمار فسلم عليه ودعا له ، فسأله

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ١/ ٣٣١ .

(٢) كنز العمال ١٤/ ١٤٣ . فكتاب الله هنا يعني به التوراة ١٢

(٣) تنبيه الخواطر ونزهة النواظر ، الأمير ورام بن أبي فراس ٢/ ٥٠٦ .

(٤) كنز العمال ١٤/ ١٤٣ .

كعب : بمن هو ؟ فقال : من اهل الشام ، قال : لعلك من الجند الذين يدخل الجسنة منهم سبعون ألفاً بغير حساب ولا عذاب . قال : ومن هم قال : أهل دمشق . فقال : لست منهم ؟ قال : فلعلك من الجند الذين ينظر الله إليهم في كل يوم مرتين .

قال : ومن هم ؟ قال : أهل فلسطين . قال : أنا منهم ، وقال كعب : الشام صفوة الله من بلاده يجتبي صفوته من عباده ، فمن خرج من الشام إلى غيرها فبسخطه ، ومن دخلها فبرحمته .

وقدّر معاوية هذه اليد الجليلة لكعب وأخذ يغمره بأفضاله ، وقد عرف من تاريخ هذا الكاهن أنه تحول إلى الشام في عهد عثمان وعاش تحت كنف معاوية ، فاستصفاه لنفسه وجعله من خلصائه لكي يروي من أكاذيبه واسرائيلياته ما شاء أن يروي في قصصه لتأييده وتثبيت قوائم دولته^(١) .

وقد ذكر ابن حجر العسقلاني في الاصابة أن معاوية هو الذي أمر كعباً بأن يقص في الشام^(٢) .

ويكون قول كعب من خرج من الشام إلى غيرها فبسخطه ومن دخلها فبرحمته بمثابة فتوى من كعب لمريديه بوجوب سكن الشام ؟ ! فهو يدعو المسلمين إلى سكن الشام ليقوى جيش معاوية ، ويطلب من اليهود سكن الشام لتقوى شوكتهم ؟ !

وقال أبو هريرة تلميذ كعب الأخبار : لا تزال عصاة من أمتي يقاتلون على أبواب دمشق وما حولها ، وعلى أبواب بيت المقدس وما حولها ، لا يضُرُّهم خذلان من خذَلهم ، ظاهرين على الحق إلى يوم القيامة^(٣) .

(١) اضواء على السنة المحمدية لمحمود أبو رية ، ١٨٦ .

(٢) الاصابة ٣٢٣/٥ .

(٣) مختصر تاريخ ابن عساكر لابن منظور ١٠٣/١ ط . دار الفكر .

وعن أبي هريرة تلميذ كعب ايضاً :

أربع ملاحم في الجنة : الجمل في الجنة ، وصفين في الجنة ، وحرّة في الجنة ، وكان يكتّم الرابعة ^(١) . وفي ذلك تمجيد للناكثين والقاسطين الذين حاربوا علياً عليه السلام وتبرئة مسلم بن عقبة وجيشه الذين ارتكبوا المخازي في واقعة الحرة في المدينة ؟ !

رغبة كعب في سكن فلسطين

جاء في تاريخ ابن عساكر (تاريخ دمشق) : إن عمر بن الخطاب سأل كعب الاحبار عن سبب عدم رغبته في السكن في المدينة بعد اعلان اسلامه ؟ والمدينة موطن هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وقبره صلى الله عليه وسلم ؟ فقال كعب : إني وجدت في كتاب الله المنزل أن الشام كنز الله من أرضه فيها كنز من عباده ^(٢) .

فقد كان كعب ينوي سكن الشام جنب معاوية بن أبي سفيان كي يخطّط من هناك لخلافته وبما أن فضل الشام والصخرة والتوراة على الحجاز والكعبة والقرآن .

وعلى أثر طلب الخليفة عمر من كعب البقاء في المدينة وزيادة الاحترام له ، فقد بقي في المدينة الى جنب عمر . وفي المدينة أفصح كعب عن أهدافه ونواياه . فقد حثّ عمر على زيارة الشام وترك زيارة العراق ، واستجاب عمر لذلك ، ثم بدأ في قصّ القصص في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم وأظهر زيفاً فضل الشام وأهلها وفضل قبة الصخرة والتوراة على الكعبة والقرآن ، وأشار كعب الى رغبته في الانتقام من النصارى الروم الذين هجّروا اليهود ^(٣) .

(١) مختصر تاريخ ابن عساكر لابن منظور ١٣٠/١ .

(٢) كنز العمال ١٤/١٤٣ .

(٣) الطبري ١٦٠/٤ .

والذي عنده قدره على اقناع عمر بعدم زيارة العراق وحثه على زيارة الشام ومرافقة عمر في سفره، عنده القدرة أيضاً على حث عمر على ترحيل اليهود الى الشام. ولكن لماذا لم يسكن كعب في الشام قرب معاوية في بداية اسلامه ؟

الجواب: إن اسلام كعب الظاهري كان من أجل فلسطين، وفي سبيل تحطيم الاسلام واعلاء دين اليهود، لذا كان ناوياً السكن فيها، ولكن عمر طلب منه السكن في المدينة. ولما مات عمر التحق كعب بالشام فسكن فيها الى جنب اليهود المرحّلين اليها والى جنب معاوية..؟ فتحققت غاية كعب في سكن فلسطين مع اليهود وفي ظل حكومة ابن أبي سفيان؟!

فأصبح اليهود في ظل حكومة معاوية أسياد الأرض والمالكين لها، بعد أن كانوا عمالاً في أرض خيبر يعملون بها على نصف المحاصل في أرض أصبحت مملوكة للمسلمين.

وحصول كعب على مكانة المشاور الديني والسياسي للخليفة هو الذي دعاه للبقاء في المدينة في زمن عمر.

وقبل حصول الثورة على الخليفة عثمان شاهد كعب ولمس حصول فتنة في المدينة المنورة. فخاف من انتقام الثوار منه فرحل الى الشام وهي الموطن المقدس في نظره، الى حيث معاوية بن أبي سفيان. ولقد توفي كعب في سنة خمس وثلاثين هجرية عن عمر يناهز مائة وأربع سنوات^(١).

وقد قال كعب الاحبار: أحب البلاد الى الله الشام وأحب الشام الى الله القدس^(٢).

وقال: تسعة أعشار الخير بالشام وجزؤه في سائر الارضين^(٣).

(١) شذرات الذهب ١/١٠٠ الطبعة الثانية بيروت.

(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر ١/١١٠ طبعة دمشق.

(٣) المصدر السابق ١/١٧٧.

وقال : خَمْسُ مدائنَ من مُدُنِ الجَنَّةِ : بيت المقدس وحمص ودمشق وجبرين وظفار اليمن^(١).

وقال كعب : أربعةُ أَجْبُلٍ : جبلُ الخليل ولبنان والطَّور والجُودِيّ ، يكونُ كُلُّ واحدٍ منهنَّ يومَ القيامةِ لُؤْلُؤَةً بيضاءَ ما بينَ السَّماءِ والأرضِ يَرْجِعُنَّ إلى بيت المقدس حتى يُجْعَلَ في زواياهُ جَلٌّ جلالُهُ عليها كُرسِيُّه حتى يَقْضَى بينَ أهلِ الجَنَّةِ والنارِ وترى الملائكةَ حافِّينَ من حولِ العرشِ يَسْبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بينهم بالحقِّ وقيلَ الحمدُ لله ربَّ العالمين^(٢).

وهكذا فضَّل كعب بيت المقدس على الكعبة وجعل جبال الشام أفضل من جبال الأرض بلا دليل .

فكانت أفعال كعب وأحاديثه وقصصه المزيفة وسائل لإعادة دين اليهود واليهود الى فلسطين .

من أوصى باخراج اليهود الى الشام ؟ النبي ﷺ أم كعب ؟

لقد اختلف الحفاظ والعلماء والمفسرون وأصحاب السير في علَّة اخراج عمر للمشركين من جزيرة العرب .

وقد أنقسم هؤلاء المشاهير الى أقسام ثلاثة :

القسم الأول ذهبوا الى وصيَّة النبي ﷺ في يوم الخميس باخراج المشركين من جزيرة العرب^(٣) . ولكن الروايات الصحيحة في كتب البخاري ومسلم وغيرهما لا توجد فيها هذه الوصيَّة !

(١) المصدر السابق ٢١١/١ - ٢١٢ .

(٢) سورة زمر : ٧٥ ، مختصر تاريخ ابن عساكر ١٢٢/٢ ، الدر المنثور ٣٤٤/٥ .

(٣) صحيح مسلم ١٢٥٨/٣ ، حديث ١٦٣٧ ط . دار احياء التراث .

القسم الثاني ذهبوا الى رغبة النبي ﷺ في ذلك بقوله ﷺ: «لأخرجنَّ اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا أدع إلا مسلماً»^(١).

وهذا الحديث تقوله الأمويون على لسان عمر ولم يروه بقية الصحابة بل رووا أصله دون زيادة^(٢).

والقسم الثالث قد ذهبوا في سبب ترحيل اليهود الى قتل اليهود المظهر بن رافع الحارثي. وقد لاحظت أن هناك خوفاً في طرح السبب الواقعي لخروج المشركين من جزيرة العرب، فأوعز السبب مرة الى وصية النبي ﷺ ومرة الى رغبة النبي ﷺ وهذا ما يزيد الأمر ريبة. ومرة أخرى ذهبت الأيدي الى سبب بعيد عن السببين الماضيين الا وهو مقتل مظهر الحارثي.

أقول: لقد بينت في هذا الموضوع أن الأسباب الثلاثة المذكورة لا أساس لها من الصحة، وان السبب الحقيقي لرحيل اليهود هو رغبة كعب الأحبار ووهب بن منبه واليهود في سكن فلسطين كما يظهر ذلك من تفضيلهم أهل الشام على أهل الأرض^(٣). إن وجود كعب في الموضوع هو الذي أخاف الكثير وأرهبهم وأبعدهم عن ذكر السبب الواقعي لطرد المشركين!

وهنا نذكر الحديث النبوي في يوم الخميس والزيادة التي أضيفت إليه.
حدثنا أبو كريب قال حدثنا يحيى بن آدم قال حدثنا ابن عيينة عن سليمان الأحول عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: يوم الخميس ثم ذكر نحو حديث أحمد بن حنبل غير أنه قال ولا ينبغي عند نبي أن ينازع^(٤).

(١) صحيح مسلم ١٣٨٨/٣، حديث ١٧٦٧ طبع دار احياء التراث.

(٢) صحيح البخاري ١٢٠/١ باب كتابة العلم ط. دار العلم، صحيح مسلم ١٢٥٩/٣، حديث ١٦٣٧ ط. دار احياء التراث.

(٣) مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، دار الفكر ١١٠/١ ط. دمشق.

(٤) تاريخ الطبري ٤٣٦/٢.

وذكر الطبري رواية أخرى بعدم وصيّة النبي ﷺ في يوم الخميس: حدّثنا كريب وصالح بن سمال قال: حدّثنا وكيع عن مالك بن مغول عن طلحة بن مصرف عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: يوم الخميس وما يوم الخميس قال ثم نظرت إلى دموعه تسيل على خديّه كأنها نظام اللؤلؤ قال: قال رسول الله ﷺ: إئتوني باللوح والدواة أو الكتف والدواة أكتب لكم كتاباً لا تضلون بعده. قالوا: فقالوا: إنّ رسول الله ﷺ هجر^(١).

وذكر مسلم في صحيحه الحديث الصحيح: عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس قال: لما حَضَرَ رسول الله ﷺ وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب. فقال النبي ﷺ: «هَلُمُّ أكتب لكم كتاباً لا تضلُّون بعده. فقال عمر: إنّ رسول الله ﷺ قد غلب عليه الوجعُ، وعندكم القرآن، حسبنا كتاب الله، فاختلف أهل البيت فاختصموا فمنهم من يقول: قرّبوا يكتب لكم رسول الله ﷺ كتاباً لن تضلُّوا بعده. ومنهم من يقول ما قال عمر. فلما أكثروا اللّغوا والاختلاف عند رسول الله ﷺ. قال رسول الله ﷺ: قوموا» قال عبيد الله: فكان ابن عباس يقول: إنّ الرزيّة ما حال بين رسول الله ﷺ وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولفظهم^(٢).

وذكر مسلم الرواية بطريق آخر: عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنّه قال: «يوم الخميس وما يوم الخميس، ثم جعل تسيل دموعه حتى رأيت على خديّه كأنها نظام اللؤلؤ قال: قال رسول الله ﷺ: إئتوني بالكتف والدواة (أو اللوح والدواة) أكتب لكم كتاباً لن تضلُّوا بعده أبداً». فقالوا: إنّ رسول الله ﷺ هجر^(٣). وذكر البخاري الحديث الصحيح دون زيادة: حدّثنا يحيى بن سليمان قال

(١) تاريخ الطبري ٤٣٦/٢.

(٢) صحيح مسلم ١٢٥٩/٢ طبعة دار احياء التراث.

(٣) صحيح مسلم ١٢٥٩/٣ طبعة دار احياء التراث.

حدثني ابن وهب قال: أخبرني يونس عن ابن شهاب عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال: لما اشتد بالنبي ﷺ وجعه قال: إئتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده. قال عمر: إن النبي ﷺ غلبه الوجع وعندنا كتاب الله حسبتنا.

وكرر اللفظ قال: قوموا عني ولا ينبغي عندي التنازع. فخرج ابن عباس يقول: إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله ﷺ وبين كتابه^(١).

وفي طريق آخر للبخاري قال: حدثني عبد الله بن محمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما حضر رسول الله ﷺ وفي البيت رجال فهم عمر بن الخطاب. قال النبي: هل من أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده، فقال عمر: إن النبي ﷺ قد غلب عليه الوجع وعندكم القرآن حسبتنا كتاب الله، فاختلف أهل البيت فاختصموا منهم من يقول: قربوا يكتب لكم النبي ﷺ كتاباً لن تضلوا بعده، ومنهم من يقول ما قال عمر. فلما كثروا اللغو والاختلاف عند النبي ﷺ قال رسول الله ﷺ: قوموا. قال: عبيد الله فكان ابن عباس يقول: إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله ﷺ وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولفظهم^(٢).

ولكن الهد الأموية أدخلت زيادة على الحديث لدوافع سياسية الهدف منها نفي وصية النبي ﷺ لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه. وتوجيه عميلة خروج المشركين من جزيرة العرب وحصر وصية النبي ﷺ في رغبة كعب الأحبار، وإبعاد قضية الغضب النبوي على جماعة حسبتنا كتاب الله (الذين وصموا رسول الله ﷺ بالهجر) من أذهان المسلمين.

ان غضب النبي ﷺ على تلك العصابة، وإخراجهم من بيته، وبكاء ابن

(١) صحيح البخاري ١/٢٢٠ باها كناية العلم ط. دار القلم.

(٢) صحيح البخاري ٧/٢٢٥ باب قول المريض قوموا عني. ط. دار القلم.

عباس على الحادث والمهجوم العنيف لتلك العصبة على شخص النبي ﷺ وجرح مشاعره ورد نظريته يبعد امكانية وصيّة رسول الله ﷺ إلى الحاضرين باخراج اليهود إلى فلسطين!

وكيف يوصي النبي ﷺ بوصيّة في غير صالح المسلمين، وفي صالح اليهود؟ والحقيقة ان رجال قريش واليهود قد تمؤدوا على ارجاع أقوالهم إلى رسول الله ﷺ ليسهل العمل بها. فنسبوا إلى النبي ﷺ مدحاً لمعاوية والشام!

واليك الحديث مع الزيادة فيه: «قال ابن عباس: يوم الخميس وما يوم الخميس اثم بكى حتى بلّ دمعهُ الحصى فقلت: يا ابن عباس وما يوم الخميس. قال: اشتد برسول الله ﷺ وجعهُ فقال إئتوني أكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعدي. فتنازعوا وما ينبغي عند نبي تنازع.

وقالوا: ما شأنه؟ أهجر؟ استفهموه. قال: دعوني فالذي أنا فيه خير. أوصيكم بثلاث: أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم. قال: وسكت عن الثالثة أو قال فأنسيها»^(١).

وذكر البخاري أيضاً الحديث الذي فيه زيادة جنب الحديث الصحيح جاء فيه: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال يوم الخميس وما يوم الخميس ثم بكى، حتى خَضَبَ دَمْعُهُ الحَصْبَاءَ فقال: «اشتد برسول الله ﷺ وجعهُ يوم الخميس فقال إئتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لن تضلّوا بعده أبداً، فتنازعوا ولا ينبغي عند نبي تنازع، فقالوا: هَجَرَ رسولُ الله ﷺ. قال دعوني فالذي أنا فيه خير ممّا تدعوني إليه. وأوصى عند موته بثلاثٍ أخرجوا المشركين من جزيرة العرب وأجيزوا الوفد بنحو ما كنتُ أجيزهم ونسيت الثالثة»^(٢).

(١) صحيح مسلم ١٢٥٨/٣، حديث ١٦٣٧ ط. دار أحياء التراث.

(٢) صحيح البخاري ٤٩٠/٤، باب جوائز الوفد، حديث ١٢٢٩ ط. دار القلم - بيروت.

والزيادة في هذه الأحاديث واضحة وهي من باب الصاق الكاذب بالصحيح . وهذه الزيادة تردُّ بمجبع مختلفة :

١- الأصل عدم الزيادة في الحديث .

٢- لاحظنا أن أصل الحديث في سنن مسلم والبخاري وتاريخ الطبري دون زيادة .

٣- ثبت في الحديث الوارد في صحيح البخاري ومسلم وغيره من الكتب ان حديث النبي ﷺ مع جماعة ابي بكر وعمر قد انتهى بالزناح والاختلاف وعلى اثر ذلك أخرجهم النبي ﷺ من بيته اخراجاً عنيفاً ، إذ اتهمته الجماعة بالهجر وردُّ عليهم النبي ﷺ بالطرد ، ومن الطبيعي ان لا يوصي النبي ﷺ بعد هذا الاختلاف إلى مطرودين من قبله . فتلك الجماعة أرادت أن تثبت شرعياً بطلان أي وصية نبوية في يوم الخميس تحت عنوان الجنون الطارئ على رسول الله ﷺ ! والعياذ بالله . والجنون من مبطلات الوصية كما لا يخفى ١١

وجميع الرواة ذكروا طرد النبي ﷺ لتلك المجموعة ومنهم البخاري : إذ قال النبي ﷺ : قوموا^(١) .

: قوموا عني ولا ينبغي عندي التنازع^(٢) .

: دعوني فالذي انا فيه خير مما تدعوني إليه^(٣) .

ويذكر أنه لما كثرت اللفظ والاختلاف في بيت النبي ﷺ بعد طلبه ﷺ قرطاساً ودواة ، انقسم الحاضرون الى قسمين ، قسم وافق على طلبه ﷺ ، وقال : اعطوه بيضاء ودواة ليكتب كتاباً لن تضلوا بعده أبداً ، وقسم رفض ذلك تحت شعار يهجر ، حسبنا كتاب الله !

(١) صحيح البخاري ٢٢٥/٧ ، باب قول المريض قوموا عني .

(٢) صحيح البخاري ١٢٠/١ ، باب كتابة العلم ، مسند احمد بن حنبل ٣٤٦/٣ .

(٣) صحيح البخاري ٤٩٠/٤ ، باب جوائز الوفد ، وصحيح مسلم ١٢٥٨/٣ ، حديث ١٦٣٧ .

وظاهر الأمر ان فاطمة بنت محمد ﷺ وأم سلمة وباقي نساء النبي ﷺ عدا عائشة وحفصة، قد كنّ ضمن الطائفة الأولى التي وافقت النبي ﷺ في طلبه كتابة الوصيّة. فقد قالت النسوة من وراء الستر: ألا تسمعون ما يقول رسول الله ﷺ؟ قال عمر: فقلت: إنكن صواحب يوسف إذا مرض عسرتن أعينكن، وإذا صبح ركبتن عنقه.

قال: فقال رسول الله ﷺ: دعوهن فإنهنّ خيرٌ منكم^(١).

وهكذا انتهى حديث يوم الخميس باخراج النبي ﷺ لجهاعة حسبنا كتاب الله، ووصف رسول الله ﷺ نساءه بأنهنّ أفضل منهم.

فهل يعقل ان يوصي النبي ﷺ لهؤلاء الذين وصموه بالهجر؟ وبعد ذلك الاختلاف والطرّد والاهانة! إذن النبي ﷺ لم يوص في يوم الخميس باخراج المشركين من جزيرة العرب. أما رواية عمر بوجود رغبة نبوية في اخراج المشركين من جزيرة العرب فجاءت كالآتي:

حدّثني زهير بن حرب. حدّثنا الضحاك بن مخلد عن ابن جريج. وحدّثني محمد بن رافع (واللفظ له) حدّثنا عبد الرزاق. أخبرنا ابن جريج. أخبرني أبو الزبير أنّه سمع جابر بن عبد الله يقول: أخبرني عمر بن الخطاب أنّه سمع رسول الله ﷺ يقول: «لأخرجنّ اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا أدع إلاّ مسلماً»^(٢). وإذا حققنا في علاقة النبي ﷺ مع اليهود واتفاقاته معهم لا نجد ما يدلّ على رغبة نبوية باخراجهم من جزيرة العرب. فالتبني ﷺ الكريم لم يخرج يهود المدينة منها، بل عقد اتفاقات صلح معهم وعاش معهم بسلام، كأصحاب ديانة سماوية. فكان يهود بني نضير وبني قينقاع وبني قريظة في حياة آمنة في المدينة، ولم يخرجهم منها إلاّ بعد اخلاهم بشروط الاتفاق، وحملهم السلاح ضدّ النبي ﷺ

(١) كنز العمال ١٣٨/٣.

(٢) صحيح مسلم ١٢٨٨/٣، حديث ١٧٦٧ ط. دار احياء التراث.

بصورة جماعية. فقد قال حي بن اخطب لزعيم يهود بني قريظة كعب بن أسد: جئت بعز الدهر جئتكم بقريش وغطفان قد انزلتهم بجانب أحد قد عاهدوني وعاهدوني أن لا يبرحوا حتى يستأصلوا محمداً ومن معه، فقال له كعب: جئتني والله بذل الدهر وكل ما يخشى، فاني لم أرى في محمد الا صدقاً ووفاء^(١).

وذكر البخاري اتفاق النبي ﷺ معهم في صحيحه: أعطى النبي ﷺ خيبر إلى اليهود أن يعملوها ويزرعوها ولهم شطر ما يخرج منها^(٢).

وحدث سعد بن حزام بن محيصة عن أبيه: «فخرجنا حتى قدمنا على خيبر فقدمنا على قوم بأيديهم الأرض والنخل ليس كما كانت قد دفعها رسول الله ﷺ إليهم على النصف^(٣). ولو كان عند النبي ﷺ نية ورغبة لإخراج اليهود من جزيرة العرب لأخرجهم في ذلك الوقت ولم يصبر دون هدفه. ولم يخبرهم بشيء من ذلك. وذكر الطبري أن النبي ﷺ قد خرج إلى خيبر في شهر المحرم في السنة السابعة الهجرية واستخلف على المدينة سباع بن عرفطة الغفاري^(٤). فهل من المعقول أن يترك النبي ﷺ اليهود في الحجاز في سني ٧ و ٨ و ٩ و ١٠ و ١١ هجرية ولم يمس في تصميمه؟

ولماذا لم يخبر باقي المسلمين بهدفه المذكور؟ ولماذا لم يحدد النبي ﷺ سنة الجلاء؟ وهل من المعقول أن يترك أبو بكر إستراتيجية النبي ﷺ في إخراج اليهود في سني ١١ و ١٢ و ١٣ هجرية ولا يذكرها ذكراً! وهل يصدق أن عمر أيضاً لم يلب طلب النبي ﷺ في سني ١٣ و ١٤ و ١٥ و ١٦ و ١٧ و ١٨ و ١٩ هجرية وتركه دون تنفيذ؟ إذن لا يمكن تصديق حديث لم يسمعه الصحابة، ولم ينقله النبي ﷺ

(١) السيرة العلمية، الحلبي الشافعي ٣١٦/٢.

(٢) صحيح البخاري ٢٥٤/٥، باب ٢٥٧، باب معاملة النبي ﷺ أهل خيبر، ط. دار القلم بيروت.

(٣) مفازي الواقدي ٧١٣/٢ ط. دار المعرفة الإسلامية.

(٤) تاريخ الطبري ٢٩٨/٢ ط. الأعلمي - بيروت.

وأبوبكر وعمر في سني ٧ و ٨ و ٩ و ١٠ و ١١ و ١٢ و ١٣ و ١٤ و ١٥ و ١٦ و ١٧ و ١٨ و ١٩. وهناك دلائل كثيرة تشير الى رغبة كعب الأحبار في ترحيل اليهود الى الشام، فقد حصلت عملية التهجير في سنة ٢٠ هجرية في حين أسلم كعب في سنة ١٧ هجرية؟!

ولو كانت عملية الترحيل قد تمت قبل إسلام كعب أي في زمن النبي ﷺ أو في زمن أبي بكر أو في زمن عمر لبطل المطلب ولكنه تم بعد اسلام كعب، وفي زمن نفوذ كعب في الدولة.

فتهجير اليهود الى الشام قد تم بعد اسلام كعب، وبعد عام المجاعة (١٨ هجرية) في جزيرة العرب، وبعد تربع معاوية على حكم الشام (وهو ما يحلم به كعب واليهود)، وبعد تحرر الشام من سلطنة الروم، وبعد زيارة عمر وكعب الشام في سنة ١٨ هجرية، وتطيف صخرة اليهود! كما إن عملية التهجير قد تمت بعد وضع كعب لطائفة من الأحاديث المزيفة في فضل الشام على باقي البلدان، وتفضيل أهلها على باقي أمم الأرض وتفضيل القدس على الكعبة، وتفضيل التوراة على القرآن؟! كما ان قابون تهجير اليهود قد أصدر في سنة ٢٠ هجرية أي بعد سنتين من اسلام كعب الأحبار! وقد ذكر ابن عساكر اسلام كعب في سنة سبع عشرة قائلاً: وكعب الأحبار في القوم وفي تلك السنة أسلم في اماره عمر^(١). وقال الطبري في تاريخه: فجمع الناس (عمر) في جمادي الأولى سنة سبع عشرة فاستشارهم في البلدان... وكعب الأحبار في القوم وفي تلك السنة من اماره عمر أسلم^(٢).

والشيء الخطير والملفت للنظر ان كعب الأحبار قد أسلم في سنة سبع عشرة هجرية، أي بعد فتح الشام، وتنصيب معاوية والياً عليها؟! لأن أبا عبيدة ابن الجراح قد عزل من ولاية الشام لصالح معاوية.

(١) مختصر تاريخ ابن عساكر لابن منظور ١٨٢/٢١ ط. دار الفكر.

(٢) تاريخ الطبري ١٦٠/٣، الكامل في التاريخ، ابن الأثير ٥٦١/٢.

إذن اسلام كعب الظاهري كان من أجل الشام المفتوحة جديداً، والمحكومة من قبل معاوية بن أبي سفيان الذي يعرفه كعب جيداً قبل فتح مكة؟! ويعرف أباه وامه وخاله وجده!

فتكون الفرصة الذهبية لكعب الأحرار واليهود تتمثل في انتهاء حكم الروم النصارى على الشام، وعزل أبي عبيدة بن الجراح، ووصول معاوية الى حكم ذلك البلد، وحصول اليهود على حرية ممارسة الشعارات الدينية في فلسطين، وجملة هذه الأمور وغيرها تكني في نظر كعب لدخول الإسلام ظاهرياً! للوصول الى فلسطين أولاً وتحريف الإسلام ثانياً.

وذكر السيوطي ترحيل اليهود قائلاً: وهو عمر الذي أخرج اليهود من الحجاز الى الشام وأخرج أهل نجران الى الكوفة^(١). وعن مسألة قتل مظهر بن رافع الحارثي وأثر ذلك في خروج اليهود الى فلسطين نقول: عند مقتل عبد الله بن سهل في خيبر لم يرحل النبي ﷺ اليهود إذ جاء: «عن الزهري عن سعيد بن المسيب فقال رسول الله ﷺ للانصار: تحلف لكم اليهود خمسين رجلاً خمسين يميناً بالله ما قتلنا؟ قالوا: يا رسول الله كيف تقبل أيمان قوم كفار؟ فقال رسول الله ﷺ: فتحلفون خمسين رجلاً خمسين يميناً بالله أنهم قتلوا صاحبكم وتستحقوا الدم؟ قالوا: يا رسول الله لم نحضر ولم نشهد.

قال: فجعل رسول الله ﷺ دَيْتَهُ على اليهود، لأنه قُتِلَ بحضرتهم»^(٢). وفي رواية أخرى: قال رسول الله ﷺ لحويصة ومحبصة وعبد الرحمن ولبن معهم: تحلفون خمسين يميناً وتستحقون دم صاحبكم؟ قالوا: يا رسول الله لم نحضر ولم نشهد.

(١) تاريخ السيوطي، ١٣٧.

(٢) مغازي الواقدي ٧١٥/٢.

قال ﷺ: فتحلف لكم اليهود؟ قالوا: يا رسول الله ليسوا بمسلمين، فوداه رسول الله ﷺ من عنده مائة ناقة^(١). إذن النبي ﷺ لم توجد في ذهنه نيّة لخراج المشركين من جزيرة العرب، ولو كانت لخرجهم بعد معركة خيبر، أو بعد قتلهم عبد الله بن سهل! ذكر الواقدي: «كان رسول الله ﷺ لما فتح خيبر سأله اليهود، فقالوا: يا محمد، نحن أرباب النخل وأهل المعرفة بها. فساقاهم رسول الله ﷺ خيبر على شَطْر من التمر والزرع، وكان يُزْرَع تحت النخل، فقال رسول الله ﷺ: أَقْرَكم على ما أَقْرَكم الله، فكانوا على عهد رسول الله ﷺ حتى توفي، وأبي بكر وصدر من خلافة عمر... وكان المسلمون لا يأخذون من بقولهم شيئاً إلاّ بيمين^(٢). ومن علامات الإستفهام الكثيرة الواقعة أمامنا إلى جانب قضية اخراج المشركين من جزيرة العرب عملية اخراج نصارى نجران الى الكوفة؟

فما ذنب هؤلاء حتى تخرجهم الدولة الى العراق؟ وهل يجوز شرعاً اخراج طائفة نصرانية مالكة لتلك الأرض ومعاودة للمسلمين من أرضها دون اخلال بشروط السلام؟ كما ان عملية مقتل مظهر الحارثي في زمن عمر تشابه عملية مقتل عبد الله بن سهل في زمن النبي ﷺ، وعندها أخذ النبي ﷺ الدية منهم، وقيل دفعها هو. والذي يثبت اركان الموضوع أكثر ان المسلمين في زمن النبي ﷺ اتهموا اليهود بقتل عبد الله بن سهل، لأنّه قُتِل في خيبر، في حين كان القاتل لمظهر الحارثي مجموعة من الأسرى الروم الفارّين الى الشام بعد الحادث. فإذا كان القاتل أسيراً فائراً والضحية ميّناً فكيف؟!

ومن الأدلة على رغبة اليهود في الهجرة الى الشام: جماعة سنة ١٨ هـ في جزيرة العرب (في عام الرمادة).

(١) مغازي الواقدي ٧١٤/٢ ط. دار المعرفة.

(٢) المغازي للواقدي ٦٩٠/٢، ٦٩١.

: ازدياد سلطة معاوية في سنة ١٨ هـ في الشام شجّع كعباً واليهود على انتخاب الشام بلداً للهجرة في عام ٢٠ هـ.

: إن كعباً نفسه هاجر الى الشام مخيراً، واستوطن فيها في بداية حكم عثمان، ملتحقاً بباقي اليهود المهجرين اليها. ولم يعد الى موطنه الأصلي (الين)؟! : إن كعباً واليهود لم يتذمروا من هذا التهجير.

: إن فلسطين هي الأرض التي يحلم بها اليهود، إذ فيها قبلتهم وتراثهم، وقد أخرجهم النصارى الروم من هناك بالقوة. فن الطبيعي أن يرغب هؤلاء بالعودة إلى فلسطين، وبالنصوص تحت راية كعب ومعاوية!

: إن المياه والأراضي الزراعية في فلسطين أفضل منها في الحجاز. ولما فتح العراق، وسمع العرب بغناه رغبوا في السكن فيه إذ جاء في تاريخ الطبري: بعث عتبة انس بن حجية الى عمر بمنطقة مرزبان دست ميسان فقال له عمر: كيف المسلمون؟ فقال: انثالت عليهم الدنيا فهم يهيلون الذهب والفضة فرغب. وترك عمر الأرض في يد أهلها، ووضع عليها الخراج، فجعل على جريب النخل عشرة دراهم، وعلى جريب القصب ستة دراهم، وعلى جريب البر أربعة دراهم، وعلى جريب الشعير درهين، فبلغ الخراج مائة مليون درهم، وضرب على أهلها الجزية، فكان من تجب عليه الجزية (٥٥٠/٠٠٠)^(١).

وعن مدى نجاح كعب في مخططاته الاستراتيجية نقول:

قد أفلح كعب الأحمار في ضرب الخلافة الإسلامية في الصميم بترشيحه معاوية لها، وتحويل الخلافة الى قضية وراثية وهرقلية وفي إيجاد أحاديث وقصص مزورة ملأت كتب الحديث والسيرة. وأفلح كعب في الانتقال مع اليهود الى فلسطين في ظل سلطة معاوية. وتمكّن كعب وصحبه وتلاميذه وسلطانهم معاوية من

(١) تاريخ الطبري ج ٣.

السكن في دولة فضلها على بلدان الله تعالى، دون دليل. ونجح في تحريف حديث اثنى عشر خليفة عند بعض المسلمين من بني هاشم إلى بني أمية. ونجح في بلورة نظرية المصلحة في مقابل النص فأمن بها كثير من المسلمين، ونجح في تربية بعض الطلاب المؤمنين بنهجه مثل عبد الله بن عمرو بن العاص وأبي هريرة وعبد الله بن عمر وغيرهم؛ الساعين إلى نشر تراثه اليهودي باسم تراث رسول الله ﷺ!! ونجح في عمله مع قريش في تثبيت نظرية حصر الخلافة في النسب القرشي إلى يومنا هذا! وأفلح في إيجاد نظرية عدالة الصحابة المستمدة من أحاديثه الداعية إلى عدم التعبد بالنصوص الشرعية. واقنع بعض الناس بدخول أهل الشام إلى الجنة، وأفلح في اقناع البعض بفكرة تجسيم الباري عز وجل. وتمكّن مع ابن سلام وتميم وغيرهم من إيجاد الكثير من الأفكار والاطروحات الفاسدة والحماظة التي ما زلنا نعيش في أجوائها، ونشكوا من اعبائها ومصاعبها. وقال علي بن أبي طالب عليه السلام: إن رسول الله ﷺ حدثني أن قاتلي شبه اليهود، هو يهودي^(١).

سلاح اليهود الغدر وبث الفتن واحتكار المال

واعتمد اليهود منذ القدم على عدة أسلحة منها الغدر، وبث الفتن بين الشعوب، وسلاح المال.

وكان دخول كعب وعبد الله بن سلام ووهب بن منبه وزينب بنت الحارث (زعيم خيبر) إلى الإسلام وغدرهم به وبالمسلمين من الأمور الطبيعية عند اليهود. إذ لما تعاقد يهود بني النضير وبني قريظة وبني قينقاع مع النبي ﷺ نكشوا عهدهم وغدروا بالمسلمين. فقد غدر بنو قينقاع بالمسلمين ناكثين عهدهم معهم. وغدر بنو النضير بالمسلمين بعد معركة أحد، مدبرين الأمر لاغتيال النبي ﷺ.

(١) مختصر تاريخ ابن عساکر ٨٨/١٨.

فتحالف رئيسهم كعب بن الاشرف مع أبي سفيان في هذا الأمر. وغدر زعماء اليهود بالمسلمين، مهينين أموالهم لتجهيز جيوش عظيمة ضدهم في معركة الأحزاب. وأثناء اجتماع تلك الجيوش ومحاصرتها للمدينة المنورة غدر يهود بني قريظة بعهدهم مع المسلمين وانضموا الى الأحزاب؟! وقد اتّبع اليهود نفس اسلوب الغدر والخيانة في حقّ النصارى، فدخل بعض أحبارهم في ذلك الدين الجديد فتمكّنوا من تزوير الأنجيل وتزوير الحديث. وبذلك يكون اليهود قد نشروا الأكاذيب عند النصارى والمسلمين. ولقد سعى اليهود الى احتكار المال بشقّي وسائل السطو، والربا، والإحتيال، واستخدموها في بثّ الفتن والاختلاف في صفوف المسلمين، وبين المسلمين وغيرهم وفي صفوف النصارى.

خطى اليهود

ذكر الواقدي في مغازيه^(١): عن أبي واقد الليثي: قال خرجنا مع رسول الله ﷺ الى حُنين، وكانت لكفار قريش ومن سواهم من العرب شجرة عظيمة خضراء، يقال لها: ذات أنواط، يأتونها كلّ سنة يعلّقون عليها أسلحتهم، ويذبحون عندها، يعكفون عليها يوماً، قال: فرأينا يوماً ونحن نسير مع النبي ﷺ شجرة عظيمة خضراء، فسترتنا من جانب الطريق. فقلنا يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط. قال: فقال رسول الله ﷺ: الله أكبر.. الله أكبر! قلتم والذي نفسي بيده كما قال قوم موسى: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ^(٢).

وأملنا نجاح المسلمين وهدايتهم وفلاحهم آمين ربّ العالمين.

(١) مغازي الواقدي ٢/ ٨٩١.

(٢) الأعراف، ١٣٨.